

أمهات الكتب - ٢

الفلك في الدرر

على المشل الساشر

لابن أبي الدنيا
٥٨٦ - ١٥٦ هـ

تم لردمقه عليه

الدكتور أحمد المحوفي و الدكتور بدوي طبانة

الطبعة الثانية

منشورات
دار الرفاعي بالهريض



الفَلْكُ الدَّارِ
عَلَى الْمَشَلِ السَّائِرِ
لِابْنِ أَبِي أَحْمَدِيَّ

أمهات الكتب - ٢

الفلك الدارئ

على المثل السائِر

لابن أبي الحَسَنِ

٦٥٦ - ٥٨٦ هـ

قدم له ، وحققه ، وعلق عليه

الدكتور أَحْمَدُ الْحُوْفِي وَ الدَّكْتُورِ بَدْوِي طباهه

الطبعة الثانية

منشورات

دار الفيصل بالرياض

حقوق الطبع محفوظة

**الطبعة الثانية
١٤٠٤ - ١٩٨٤ هـ**

منشورات

**دار الرفاعي للنشر والطباعة والتوزيع
ص.ب. ٦٥٩ - ١٤٤١ الرياض ٢ - ٤٧٧٢٦٩**

بِسْمِ اللّٰهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيْمِ

مُقَدَّمَةُ الطَّبْعَةِ الثَّانِيَةِ

رَبِّنَا لَكَ الْحَمْدُ، وَلَكَ النِّعْمَةُ، وَبِيْدِكَ الْخَيْرُ، وَإِلَيْكَ الْمَرْجُعُ وَالْمَآبُ. إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ.

وَنَسْأَلُكَ رَبَّنَا أَنْ تَبْلُغَ بَنَا مِنْ هَذَا الْحَمْدِ مَا بَلَّغْنَا مِنَ الْإِيمَانِ بِوَحْدَاتِكَ،
وَإِلَقْرَارِ بِعِبُودِيَّتِكَ لَكَ، وَمَا أُولَئِنَا مِنْ نَعْمٍ، وَمَا شَرَحْتَ بِهِ صَدُورُنَا لِدِينِكَ،
مَا أَرَيْنَا مِنْ حُكْمِكَ الْبَالِغَةُ، وَآيَاتِكَ النَّاطِقَةُ بِجُلَالِ ذَاتِكَ، وَوَاسِعَ قُدْرَتِكَ.

وَنَصَّلَىٰ وَنَسْلَمُ عَلَىٰ نَبِيِّكَ الْمُصْطَفَىٰ، وَرَسُولِكَ الْمُجَتَّبِيِّ، مَا هَدَيْتَنَا، وَكَمَا
عَلَمْتَنَا، وَعَلَىٰ آللٰهِ وَصَاحِبِهِ الَّذِينَ آمَنُوا بِرِسَالَتِهِ، وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنْزِلَ مَعَهُ،
وَجَاهُهُوا فِي اللّٰهِ حَقَّ جَهَادِهِ.

وَبَعْدَ، فَهَذِهِ هِيَ الطَّبْعَةُ الثَّانِيَةُ مَا خَدَمْنَا بِهِ كِتَابًا «الْفَلْكُ الدَّائِرُ عَلَىٰ
الْمُشْلِ السَّائِرِ» الَّذِي أَلْفَهُ الشِّيْخُ الْعَلَامَةُ عَزِّ الدِّينُ عَبْدُ الْحَمِيدِ بْنُ هَبَّةِ اللّٰهِ
الْمَدَائِنِ الْمُعْرُوفِ بِاِبْنِ أَبِي الْحَدِيدِ، الْمُتَوَقِّي سَنَةُ ١٥٦٥هـ.

وَقَدْ حَرَصْنَا أَنْ يُصْدِرَ هَذَا الْكِتَابَ فِي هَذِهِ الطَّبْعَةِ مُسْتَقْلًا عَنْ كِتَابِ
«الْمُشْلِ السَّائِرِ» بَعْدَ أَنْ كَانَ يُشَغِّلُ فِي نُشُرِّنَا الْأُولَى جُزًّا كَبِيرًا مِنَ الْقَسْمِ
الرَّابِعِ مِنْ أَقْسَامِ الْمُشْلِ السَّائِرِ.. وَقَدْ كَانَتْ غَایِتَنَا إِذْ ذَاكَ أَنْ نَقْدِمَ لِلقارِئِ
وَالْمَدَارِسِ كِتَابَ اِبْنِ الْأَثِيرِ مُقْتَرَنًا بِأَهْمَمِ الْآثَارِ الَّتِي كُتِّبَتْ فِي نَقْدِهِ، حَتَّىٰ
تَكْتُمَ الصُّورَةُ بَيْنِ يَدِيهِ.

وَلَكَنَّا رَأَيْنَا فِي هَذِهِ الْمَرَّةِ أَنْ يَنْفَرِدَ كِتَابُ «الْفَلْكِ الدَّائِرِ» بِجُزْءٍ خَاصٍ
حَتَّىٰ لَا تَتَوَارِي شَخْصِيَّةُ اِبْنِ أَبِي الْحَدِيدِ، وَلَا الْدِرَاسَةُ النَّقْدِيَّةُ الَّتِي بَسَطَهَا فِي
كِتَابِهِ بَيْنِ صَفَحَاتِ مُوسَوعَةِ اِبْنِ الْأَثِيرِ الْأَدْبُورِيَّةِ وَالْبَلَاغِيَّةِ وَالنَّقْدِيَّةِ.

وعلى هذا الأساس من الرغبة في استقلال كل كتاب من الكتابين صدرت الطبعة الثانية من «المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر» في ثلاثة مجلدات، وصدرت هذه الطبعة الثانية من «الفلك الدائر على المثل السائر» في هذا المجلد.

ولا يفوتنا في هذا المقام أن نزجي الشكر خالصاً لصديقنا العلامة الكبير معالي الأستاذ عبد العزيز الرفاعي الذي عنيت داره المباركة «دار الرفاعي للنشر والطباعة والتوزيع» بالكتابين، وقدعهما إلى جمهور الدارسين في هذه الحلة الفضية.

كما لا يفوتي أن أذكر بالخير الجهد الذي بذله معي أخي وزميلي المرحوم الأستاذ الدكتور أحد الحوفي في خدمة تراثنا العلمي الخالد، بتحقيق هذين الأثرين النفسيين.. رحمة الله رحمة واسعة، وأكرم مثواه في دار البقاء.

والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحتان..

الدكتور بدوي طبانه أستاذ النقد الأدبي بالدراسات العليا جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية	وكتب في الرياض ظهر يوم الاثنين ١٠ من صفر سنة ١٤٠٤ هـ ١٤ من نوفمبر سنة ١٩٨٣ م
--	--

الفلكُ الدائِرُ

على المثل السائِرِ

- ١ -

ألف ابن أبي الحميد هذا الكتاب ليرد به على كتاب ابن الأثير (المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر) لأنّه وجد فيه — كما قال في المقدمة — محمود والم ردود .

أما محمود فإنشاء ابن الأثير وصناعته ، إلا في الأقل النادر .
وأما المردود فنظره وجده واحتجاجه واعتراضه وتحامله على الفضلاء ،
وإفراطه في الإعجاب بنفسه ، والتقرير لعلمه وصناعته .

كذلك قصد من تأليفه إلى أن يبين لمن راهم كتاب المثل السائر من أكابر
أهل الموصى وبعدها ما في الكتاب من وجود النقص وألوان المتأخذ ، وأن
يعلم ابن الأثير ورؤسائه بذلك أن في خدم المستنصر من يفوقه علماً واقتناً .

وكان كتاب المثل السائر قد وصل إليه في غرة ذي الحجة سنة ٦٣٣ هـ
فتتصفحه ، وعلق عليه في خمسة عشر يوماً كما ذكر في المقدمة ، ولم يعاود
النظر فيه مرة ثانية .

ولما ألفه كتب إليه أخوه موفق الدين هذين البيتين :

المثل السائر ياسيدني صنفتَ فيه الثالثَ الدائِرُ
لكن هنا فلكُ دائرُ أصبحتَ فيه المثلَ السائِرَا
وقد قدم كتابه إلى خزانة كتب الخليفة المستنصر بالله (١) .

(١) أبو جعفر المنصور المستنصر بالله بن الظاهر : بويح بالخلافة يوم وفاة والده في ١٤
من ربّ ص ٦٢٣ (١١ يوليه سنة ١٢٢٦) واستمر في الخلافة إلى أن توفي في ١٠ من جمادى
الأخيرة سنة ٦٤٠ وله آثار جليلة في بغداد منها المدرسة المستنصرية ، وكان شهماً جواداً عادلاً .

أما تسمية الكتاب فقد أراد بها — كما ذكر في المقدمة — نفصف كتاب المثل وإبطاله ومحوه ، لأنهم يقولون لما باد ودثر قد دار عليه الفلك ، كأنهم يربدون أنه قد طحنه ومحاه .

رأينا أن نخرج هذا الكتاب ، لأنه وثيق الصلة بكتاب المثل السائر الذي عُنِيَّنا بتحقيقه ونشره ، وهو في جملته تعليق عليه ، وقد له ، وتوسيعة مجال الدراسات البلاغية والقديمة .

والنسخة التي اعتمدنا عليها مطبوعة على الحجر سنة ١٣٠٩ هـ على نفقة الميرزا محمد الشيرازي ، الملقب بملك الكتاب ، وتقع في ١٨٤ صفحة من القطع المتوسط .

وطبعتها رديئة جداً ، تنوء بالتحريف والأغلاط ، وليس بها ترتيب ما ، وكل ما بها من شعر مدمج بالتنز إدماجاً .

وكثيراً ما يكتفي المؤلف بالإشارات إلى بعض النصوص ، وكثيراً ما يذكر النص مبتوراً ، سواء أكان آية قرآنية، أم بيت شعر ، أم مثلاً ، وكثيراً يورد النصوص غير منسوبة إلى قائلها ، وفي بعض الأحيان ينسبها إلى غير قائلها .

فاجتهدنا في معالجة هذا كله .

صححنا النصوص المحتاجة إلى تصحيح ، وأكملنا ما يحتاج إلى إكمال ، ونسينا النصوص المجهولة إلى قائلها ما استطعنا ، وصوّبنا نسبة بعضها إلى أصحابها ، ورجعنا كل نص إلى مصدره الذي أخذ منه ، أو الذي صحّحناه منه .

وراجعنا ما نقله من (المثل السائر) فقرة فقرة ، سواء أكان النقل كاملاً أم ملخصاً ، ونبهنا على ذلك .

وعرّفنا بكثير من الأعلام والأحداث التي ذكرها في كتابه .

وشرحنا ما يحتاج من ثغر المؤلف إلى شرح .

يتبيّن من دراسة (الفلك الدائر) أن ابن أبي الحديد كان معجباً بثغر ابن الأثير ، وويراعته في حل المنظوم ، والاقتسام من القرآن الكريم ، والحديث النبوي ، ويغلب على نقهde الموضوعية .

ونستطيع أن نقسم نقهde ثلاثة أقسام :

١ — بعضه حق ، مثله قوله :

(أ) قال المصنف - ابن الأثير - : « ولا أدعُ في أقواله فضيلة الإحسان ، ولا السلامة من سبّق اللسان ». ثم قال بعد سطر واحد : « وإذا تركت الهوى قلت إن هذا الكتاب بدعي في إغراه ، وليس له صاحب من الكتب فيقال إنه متفرد من بين أصحابه » .

وعلى ابن أبي الحديد قوله : وهل يدّعى أحد فضيلة الإحسان بأبلغ من هذا الكلام ؟ وقد قال قبل هذا التواضع بثلاثة أسطر : « إن الله هداني لابتداع أشياء لم تكن من قبيل مبتدةعة . ومن تحني درجة الاجتهاد التي لا تكون أقوالها تابعة ، وإنما تكون مُتبَعة » .

فمن يزعم أن الله هداه في هذا الفن إلى ابتداع أشياء لم يسبّق بها ، ورزقه فيها درجة الاجتهاد التي يتبعها الناس كيف يقول : لا أدعُ في أقواله فضيلة إلا وبلغتها ؟

(ب) وكان ابن الأثير قد نبه الكتاب على أن يعلموا فيها يعلمون

ما يتصل بالنحو والصرف واللغة وقال : « وأما الإدغام فلا حاجة إليه لكاتب لكن الشاعر ربما احتاج إليه ، لأنه قد يضطر في بعض الأحوال إلى إدغام حرف ، وإلى فك إدغام من أجل إقامة الميزان الشعري ». ثم قال بعد ذلك : « وإنما قصدنا أن يكون الكتاب الذي يكتب في هذا المعنى مشتملاً على الترغيب والترهيب والمساحة في موضع المخافة في موضع » .

وتفق ابن أبي الحديد كلمة (المخافة) فعلق عليها بقوله : قد ظهرت فائدة علم الإدغام في باب الكتابة ، فإن الكاتب أراد أن يوازن لنفحة المساحة بلنفحة المخافة ، وسها عن أن المخافة بفك الإدغام غير جائزة .

(ج) قال ابن الأثير : « وقد مدح أبو الطيب كافوراً بقوله :

فَإِنْ كُلَّ تُعْنَى بِالْأَسْنَى وَالْقَنَى
وَجَدْكَ طَعَانٌ بَغِيرِ سِنَانٍ؟
وَمَا كُلَّ تَخَارِقَ الْقِسِّيَّ وَإِنْمَا
عَنِ السُّعْدِ يَرْمِي دُونَكَ الْمَلَوَانِ؟

وهذا يتحمل المدح والنرم ، بل هو بالذم أشبه ، لأنه يقول إنك لم تبلغ ما بلغته بسيئتك واتهامك ، بل بحد وسعادة ، وهذا لا فضل فيه ، لأن السعادة ينالها الخامل والباهله ومن لا يستحقها. وأكثر ما كان النبي يستعمل هذا الفن في القصائد الكافوريات » .

وعلى ابن أبي الحديد على هذا تعليقاً يدل على ذوقه الصائب ، واطلاعه الواسع ، وتعزره مما تناقله الناس ، فقال : إن الناس وقع لهم واقع ظريف مع النبي في هذا الباب ، وكان أصله الشيخ أبو الفتح عثمان بن جني رحمه الله . وزعم بعضهم أن النبي كان يبغض كافوراً ويحنّط عليه ، فكان يقصد ذلك ، ويعتمده بالشعر الموجّه الذي يتحمل المدح والنرم .

ومنهم من زعم أن كافوراً كان يتفطن لذلك ويفضي عنه ، وينقلون
هذا عن النبي .

وما كان ذلك قطًّا ، ولا وقع شيء منه ، ولا قصد أبو الطيب نحو
ذلك أصلًا .

ثم ضرب أمثلة من مدح النبي لسيف الدولة ، فيها مدح بالجَدُّ وحسن
الحظ ، كقوله :

ولقد رُمْتَ بالسعادة بعضاً من نفوسِ العدا فادركتَ كُلَّا

وقوله :

إذا سمعت الأعداء في كيْنَدَ مَجْدِه سعى جَدُّه في كيْنَدَ مُحْسِنِه

وقوله :

لو لم تكن تجري على أسيافهم مُهَاجَّتُهُم بحرَّتْ على إقباله

وقوله :

هم يَطْلُبُون فَهَنَ أَذْرَكُوا وهم يَكْذِبُون فَمَن يَقْبَلُ
وهم يَتَمْنُون مَا يَشْتَهُون وَمِنْ دُونِه جَدُّكَ الْمُقْبَلُ

ووضرب أمثلة أخرى من شعر النبي فيها إشارة بالحظ المواتي والسعادة
المُسْعَف ، ثم قال : ولكن سيف الدولة لما اشتهر إخلاص أبي الطيب له عدل
الناس عن هذا الشعر الذي يتضمن ذكر الجَدُّ والحظ فلم يذكره ، ولم
يجعلوه متوسطاً بين المدح والذم ، وقالوا ذلك في كافور لما حدث تغييره مع
أبي الطيب ، وانحراف كل منهما عن صاحبه ، ومجاهرة أبي الطيب له بالهجاء
بعد أن فارقه . ثم زاد الفكرة تأكيداً بأمثلة من شعراء آخرين .

(د) قال ابن الأثير في تفسير بيت أبي صخر المذلي :

عجبت لسعي الدهر بيني وبينها فلما انقضى ما بيننا سكنت الدهر
«إنه يختتم وجهين من التأويل : أحدهما أنه أراد بسعي الدهر سرعة
انقضى الأوقات مدة الوصال . فلما انقضى الوصل عاد الدهر إلى حالته
الأولى في السكون والبطء .

والآخر أنه أراد بسعي الدهر سعي أهل الدهر بالشمام والوشيات ،
فلما انقضى ما كان بينهما من الوصال سكروا وتركوا السعاية » .

فعلق ابن أبي الحديد بقوله : التفسير الثاني هو الصحيح ، والأول غير
صحيح ، واللفظ لا يحتمله ، وفي البيت ما يمنع منه ، لأنَّه قال (بيني وبينها)
وهذه اللحظة تمنع من أن يريد سرعة تقضي الزمان أيام وصالنا ، فإنها قرينة
تحمل لفظ السعي على العناية والنميمة بالشر ، لا على السعي بمعنى الحركة
والسير .

ألا تراهم يقولون : سعي فلان بين فلان وفلان بالشر ، أي ضرب
بینهم . وحمل بعضهم على بعض ، ولا يقولون : سعي بينهم من السعي بمعنى
الحركة والسير ؟

وليس هذا مقصود البيت . ولو أراد السعي بمعنى سرعة مرور الزمان
لقال : عجبت لسعي الدهر أيام وصالنا ، أو ما يشبه ذلك .

وفساد المعنى الأول ظاهر عند من له أدنى نقد للمعاني الشعرية .

(هـ) قال ابن الأثير : «الأسماء المتراوفة هي التي يتحدد فيها المسمى ،
وتحتاج أسماؤه . كالمهر والراح والمدام » .

وعلق ابن أبي الحديد بقوله : هذا من أمثل الغلطات التي نبه عليها

المنظفين، فقالوا: قد يُظَنُ في كثير من الأسماء أنها مترادفة ، وهي في الحقيقة متباعدة ، كالسيف والصارم والمُهَنَّد ، فكل واحد من هذه مباین للآخر ، فالأسماء الموضوعة لها متباعدة في الحقيقة ، وإن ظنَّ في الظاهر أنها مترادفة .

وكذلك ما مثلَ به هذا المصنف ، فإنَّ الخمر اسم موضوع لهذا الشراب المخصوص ، والراح اسم لما ترثاح النفس إليه ، والمدام اسم لما يُدَامُ استعماله ، فالمعاني متباعدة لا محالة ، وإنْ تُوْهَمْ في الظاهر أنها مترادفة .

(و) قال ابن الأثير في بيان المشترك اللغطي : « إن مقصود واضح اللغة البيان والتجنیس ، والبيان يحصل بالألقاظ المتباعدة الكافية في الإفهام ، وأما التجنیس فإنه عمة الفصاحة والبلاغة ، ولا يقوم به الأسماء المشتركة » .

ورد ابن أبي الحديد بأنَّ عدم الاشتراك اللغطي لا يذهب التجنیس ، فإنَّ التجنیس يحدث بين لفظين متشابهتين في حروفهما الأصلية ، كقول أبي تمام :

* متى أنت عن ذُهْلِيَّةِ الْحَيِّ ذاهِلٌ؟ *

وأكثر التجنیس في الشعر والرسائل مثل هذا ، ولا يستعمل التجنیس بالمشترك إلا نادرًا .

وردةً أيضًا بأنَّ عدم التجنیس لا يذهب حسن الكلام ، وضرب أمثلة بأدب عبد الحميد وابن المقفع ومن قبلهما ومن بعدهما من الفصحاء ، وقال :

فهل ترى لأحد منهم تجنیساً في كلامه إلا أن يقع اتفاقاً غير مقصود؟

٢ - وبعضه مجانبٌ للحق ، إذ كان الصواب فيما قاله ابن الأثير .
من ذلك أنَّ ابن الأثير ذهب إلى أن صناعة تأليف الكلام من المنظوم والمثور تفتقر إلى آلات كثيرة ، وثقافة متنوعة ، وقد قيل : ينبغي للكاتب

أن يتعلّق بكل علم ، ويختوّض في كل فن ، وملاك هذا كله الطبع ، فإنه إذا لم يكن ثُمَّ طبع فإنه لا تغنى تلك الآلات شيئاً ...

وعلى ابن أبي الحديد على هذا بأنه من دعاوى الكُتاب وتزويفاتهم ، ولا يُعَوِّل عليه مُحَصَّل ، لأن الفنون التي يذكرها الكتاب ، ويزعمون أن الكتابة مفتقرة إليها ، إن أرادوا بها ضرورتها لها فهذا باطل ، لأن سجحان وأئل وقس بن ساعدة وغيرهما من خطباء العرب ما كانت تعرفها ، كذلك من كان في أول الإسلام من الخطباء كمعاوية وزياد وغيرهما .

وإن أرادوا أنها متممة ومكمّلة فهذا حق ، لكن عدمها لا يقتضي سلب اسم الكتابة ، مع أن ما يحتاج إليه الكاتب يحتاج إليه الشاعر وزيادة .
ويبدو من تعليقه هذا أنه غفل عما تنبه إليه ابن الأثير من ضرورة الثقافة للكتاب .

ولم يكن موقفاً في تمثيله بقُسٌّ وسجحان ومعاوية وزياد ، لأن هؤلاء خطباء ، ولم يعرض ابن الأثير لثقافة الخطباء ، بل عرض لثقافة الكتاب والشعراء .

والذى يقرأ ما كتبه ابن الأثير في هذا الفصل يجده قد أشرك الشعراء مع الكتاب في ألوان الثقافة ، واحتضن الشعراء بنوع منها هو علم العروض والقوافي الذي يقام به ميزان الشعر .

فلا محل إذاً لاعتراض ابن أبي الحديد بقوله : مع أن ما يحتاج إليه الكاتب يحتاج إليه الشاعر وزيادة .

٣ - وبعضه يبدو منه أن ابن أبي الحديد يتحامل أحياناً ، ويقوس على

ابن الأثير ، وإن كانت السمة الغالبة على كتابه أنه نقد موضوعي مدحوم بالبراهين .

من ذلك قوله : إن هذا الموضع من الموضع التي اشتبهت على هذا الرجل .

وقوله : وهذا من الغلط على ما تراه .

وقوله : إن كان هذا الرجل من ينفي القياس في الشرعيات ككلّ منه كلاماً أصولياً ، كما نكلم الشيعة والنظام وأهل الظاهر وغيرهم من نفي القياس في الفقه .

وإن كان يعرف بالقياس في الشرعيات فالقياس في النحويات كالقياس في الشرعيات .

وإذا كان ابن أبي الحميد قد أخذ على ابن الأثير إعجابه بفنه وإشادته بكتابه ، فإن ابن أبي الحميد قد تورط في مثل هذا .
من ذلك قوله :

وقد كنتُ شرعتُ في حلٍّ سببيات المتنبي ، وأن أجعل ذلك كتاباً مُفرداً ، وأنا أورد ها هنا بعض ذلك ، ليكون معارضًا لما جاء به هذا الرجل .

ومن ذلك أنه أورد مثالاً من ثراه في حل بيبي المتنبي :

بنها فاعلي والقنا يتقرّع القنا وموجُ المنيا حوله متلاطمٌ
وكان بها مثلُ الجنون فأصبحتْ ومن جُشتِ القتل علىها تمامٌ
وأورد مثالين لابن الأثير في حل البيتين .

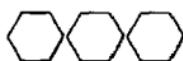
ثم قال : ومن عنده أدنى ذوق في فن الكتابة يعرف الفرق بين كلامنا وهذا الكلام .

ثم قال : والزيادات العجيبة ، والتسبيطات والأسجاع التي أتينا بها تزري على ما أتى به هذا الكاتب ، وتجاوزه أضعافاً مضاعفة .

ومن هذا ما ذكره في المقدمة من الز هو بعلاء بغداد والفارخار بأدبها ، وفضيلهم على من سواهم تفضيلاً مبالغ فيه ، وهو يريد نفسه ، وإن كان قد حاول أن يستل نفسه من أشاد بهم .

* * *

وفيما يلي نماذج من الأصل الذي اعتمدنا عليه في تحقيق (الفلك الدائر) وهذه النماذج من نسخة أستاذنا الكبير الشيخ أحمد عمر السكتندرى ، وقد استعراها من مكتبة صديقنا الأستاذ محمد أحمد برانق ، تغمدها الله بواسع رحماته ، وأسكنهما فسيح جنانه .



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله الذي ثاقب بين عضو البشر والخلائق كلها ويتبرأ عادٍ
وارذائهم مكان من خطايا المدبرة فوالطائب حكمه وفند برهان
ارضي كلامه بعلمه وخطفه لا ينبع ورقة قلمت فري فهم الا
الراضي بظلمه ورائي المحب بما يرشح من انانة الحامد لبيته الزاري
على الناكيين عن طريقه فتصدق بالقوله ثقتك فلكل فعل على شاكلته
وقل ان يصدق بهم الفانع بدبابة الراضي عن وفته ما شئ له ماعطاه
فلما ترى الا فانظا او ساخلا او طاسدا او غابطا اذا بهم الكبح الخصب
الجمر والطلبه ضد بفال قوله لو كان لا يرثا دم واريان من ذهبته
حليه على سيدنا امير المؤمنين برفع قدره من التكبير ومن
الصلوة الى القبور ولبسها والناكيين من جملة الالهات المهمات بحسب المأثر
فيه وقطع المراجعته الذين منهم من هروبه وجنشه ومجده
ذلك بوفاته فلما توفي المدبر في العيد الموافق لـ 14 فبراير لـ 1970

صورة الصفحة الأولى من متن الكتاب

الجورة الشهير كتاب الشال الاستاذ في ادب الكتاب الشاعر ثقة جدر به
 المهوو والمفتوح والمردود والمردوك اما المهوو منه فاشارة وصياغة
 فاتحة لا ياس بذلات كلام الاصل النادر واما المردود فيه فنظره وحل
 واججاجه واعرضه فاتحة لم يأت في ذلك في اكثر الاعظمة بل طبقت
 اليه فيما يعمد عليه مخالن على شبيهه ومتناقضته في هذه الموضع
 التظاهر او رميه ازدواج على الفضلاء وغضبه ضده وعيشه لهم
 طعنهم عليهم فاتحة ذلك ما يدور على الخبرة عليهم والانتصار
 لهم ومنها افراطه في الاعجاب بنفسه والتجبر اياه والتغريب لمعارفه
 بصناعته ومتناقضته في محظى الانسان والاجياد ووجه للشدة
 من الله والعباد ومتناقضتها ترد او حرج مرارا في كتابه الى عنانه هروباً
 لم يعطه على قدر استحقاقه فارداً ان فرقه ان الارزان ليست على
 مقادير الاستحقاق وان الرزق مقسم لا يعليه الفضل ولا يزيد النفع
 ومنها ان جاعذب من اكبر الموصى به محسن ظاهر في هذا الكتاب جداً
 لشيء واله حق ضئل على اكثرب الكتب المصنفة في هذا الفن وان لها
 منه فن خامد وددة الى صلبته السلي وشاعره ونذر له كثیر من اهلها
 فاعرضت على هذا الكتاب وفقرت به الى الحزنة الشفيفه المقدمة
 التي تبة الامامه المستنصرة عمر الله تعالى بيعانها اندية الفضل و
 رباعه فاما طبلول بناء ما الكهيايد العلم وبياعه ثم جعل لكتابه الشافع
 انسان وابنها عائلاً جعل سلوك الارض اعونه وابنها عائلاً وكان اكثرب
 شخصيات في ذلك ان يعلم صفات هذه الكتاب ودوره سالم له انه ات
 من اشرف على امينه المدقولة الشفيفه كل امر فتنو في البر والبحر

والذى يرى فى المدى فى الفرق بين ما هى العذر ففقط كان
 ذلك من دليل على أن الشعر فى الأصل موضوع لهذا المعنى
 والأخذ به والطلب بذلك لم يخرج أحداً إلا خروجه بجعل منه
 الرسائل بخلاف ذلك قال المصطفى عليه المروءة المروءة كلها ماضية في
 الذي عندي أن الفرق بين النوعين من ثلاثة أوجه أحدهما
 أن هذا منظوم وهذا منشور والآخران من اللافاظ الفاطحة
 لا يحسن لسماعها في الكتابة ويسهل في التشكيل بعض اللفاظ الغارقة
 والنالكين الشاعر إذا أطال في شرح معانٍ متعددة ولما ناج
 أن بأي عيّانٍ بينها أو أثراً فانه لا يعتمد في الجميع على إلالة
 والكاتب لا يذهب من ذلك تجاهلاً أصل فد بينما آن بالمعنى المكتوب
 لم يعرض لبيان الفرق بين الكتابة والشعر من حيث هما كتابة
 وشعر وإنما يذكر في العلة التي كانت لأجلها مرتبة الكاتب
 أصل من مرتبة الشاعر فاما الفرق بين الكتابة والشعر فهو
 كثيرة ولبسه مقصورة على هذه الوجوه الثلاثة التي قد
 ذكرها هذه الرجل فان من جملة الفروق ان الشاعر ان بطيء
 نفسه وبفتحها في شعره وليس ذلك للكاتب ومنها آن
 للشاعر بالغ وبوقل حتى يدخل في الإحالة وليس ذلك
 للكاتب ومنها آن الشعر يحسن فيه الكذب ولا يحسن في
 الكتابة ومنها آن الشاعر يخاطب الناس بالكاف كافياً بخطاب
 المؤمن ويدعوه باسمه وينبه إلى أمره وليس ذلك
 الكاتب والفرق بين الشعر والكتاب كثيرة وإنما يقتضي على

امضها ابطالا لقوله ان الفروق هذه الثالثة فضط فيها
مساح لبادن النظر من الاعراض على هذه الكتاب وقد
غيرت على مواضع كثيرة منه لقول فهم حال فلم اذكرها
يشار الى ايجاز ومواضع برج كل منها الى الجدل ومحضر
الحادي والعشرين وكان الاشتغال بها والبحث فيها انتبع

للوفت من غير ذلك ورأيت ان بين الكتاب

بها حمد الله ومصلبة على خير خلقه

محمد النبي الائى صلوات الله عليه و

سلامه وغدو فتح الفراغ من

تشوبيدا واقع هذه الرسالة

اقل دين العاقل و

الناس وثباته وع

الافتخار

ما

ابن أبي الحديد^(١)

٥٨٦ - ٦٥٦

حياته :

هو عز الدين عبد الحميد بن هبة الله بن محمد بن محمد بن الحسين ابن أبي الحديد ، المدائني ، المعترلي ، الشيعي ، الفقيه ، الشاعر . ولد في غرة ذي الحجة سنة ٥٨٦ هـ وكان من أعيان العلماء الأفاضل ، بارعاً في علم الكلام على مذهب المعتلة ، أديباً جيد النثر والشعر .

اشتغل زمناً في الدواوين السلطانية ، وأدرك إغارة المغول على بغداد ، ولما هجم عليها هولاكوه في ٢٠ من المحرم سنة ٦٥٦ هـ وأسرف في التخريب والتقطيل كان ابن أبي الحديد وأخوه موفق الدين أحمد بن أبي الحديد من الذين نجوا من القتل في دار الوزير مؤيد الدين محمود بن العلقمي^(١) . وقابل خواجة نصیر الدين الطوسي ، فوكل الإشراف على خزانة الكتب ببغداد إليه وإلى أخيه موفق الدين والشيخ تاج الدين علي بن أنجب . ولكن أيامه لم تطل ، فقد توفي في جادى الآخرة سنة ٦٥٦ .

مؤلفاته :

أما مؤلفاته فإنها كثيرة ، تدل على كلفه بالثقافة الشرعية والأدبية ، وقد سلم بعضها من عادية الدهر ، وطبع .

(١) اعتمدنا في التعريف به على فوات الوفيات لابن شاكر ٦/١ وعلى ما نقل في نهاية شرح ابن أبي الحديد لنجح البلاغة من (معجم الآداب في معجم الألقاب) لأحمد محمد بن أبي المعالي الشياني القوطي . وعلى محاضرات الخضرى في تاريخ الدولة العباسية .

١ - شرح نهج البلاغة :

ألفه نخزانة كتب الوزير مؤيد الدين محمود بن العقми . وهو شرح مفصل لخطب ورسائل الإمام علي ، يحتوي على مسائل كثيرة لم يجتو عليها كتاب من جنسه .

ولما فرغ من تأليفه بعثه إلى الوزير مع أخيه مؤيد الدين أبي المعالي ، فأرسل إليه الوزير مائة دينار ، وحلة سنة ، وفرساً .

وقد طبع هذا الشرح .

٢ - العبرة في الحسان .

وهو كتاب فريد الوضع ، اختار فيه نصوصاً شتى من علم الكلام والتاريخ والشعر ، وأودعه قطعاً من إنشائه وترسلاته ومنظوماته ، وقد ذكره في كتابه الفلك الدائر .

٣ - الاعتبار على كتاب «الذرية في أصول الشريعة » للسيد المرتضى ، في ثلاثة مجلدات .

٤ - شرح الحصول للإمام فخر الدين :

وهو نقص لكتاب «الحصول» وردود عليه .

٥ - نقص الحصول في علم الأصول :

وهو رد آخر على الإمام فخر الدين .

(١) كان وزيراً المستنصر باهـ ، وكان من كبار رجال الشيعة . وكانت الفتنة كبيرة بين أهل السنة والشيعة ، وكان يسمونه أن الشيعة م屁طهبون من أهل السنة ، وأن البيت العباسي يعاشر أهل السنة . فيقال إن الوزير كاتب هولاً كواً ، وسرره على فتح بغداد ، وهو يريد إسقاط الخلافة العباسية . وأكثرا المؤرخين يدلل على هذه المخالفة ، وبعضهم يبرئه منها .

- ٦ - شرح «مشكلات الغرر» لأبي الحسن البصري في أصول الكلام .
- ٧ - شرح «الباقوة» لابن نوجنث في علم الكلام أيضاً .
- ٨ - الوشاح الذهبي في العلم الأدبي .
- ٩ - انتقاد «المُصْفَى» للغزالى ، في أصول الفقه .
- ١٠ - الحواشى على كتاب «المفصل» في النحو .
- ١١ - الفلك الدائر على المثل السائر .

شعره :

له شعر كثير ، أجمله وأكثره شهرة القصائد السبع العلَّويَّات ، نظمها في صباح بالمدائن سنة ٦١١ هـ في الإشادة بعلي بن أبي طالب . وبروى أنه نظم فصيح ثعلب في يوم وليلة .

- ١ - من شعره ما كتب به إلى الوزير ابن العلَّقَمي لما بعث إليه مكافأة على تأليف شرح نهج البلاغة :
أيا ربَّ العباد رفعتَ صُنْعِيَّ وَطَلَّتْ بِسْكَبِيَّ وَبَلَّتْ رِيقِيَّ
وزَبَّعَ الأَشْعُرِيَّ^(١) كَشَفْتَ عَنِيَّ فَلِمَ أَسْلَكْ ثَنَيَّاتِ الْطَّرِيقِ^(٢)

(١) الأشعري هو أبو الحسن علي بن إسماعيل الأشعري ، ينتمي إلى أبي موسى الأشعري ، كان معتزلياً أولاً ، ثم خرج على مذهب المعتزلة وحاربهم مثل سلاحهم ، وأخذ من مذهبهم بعض الآراء ، ومن مذهب خصومهم بعضاً ، وكانت لنفسه منهياً مختاراً حاول فيه أن يوفق بين المعقول والمتقول ، وهو أميل إلى مذهب أهل السنة ، يثبت الصفات شرعاً تعالى من علم وقدرة وإرادته ، وهي صفات أزلية قائمة بذاته تعالى . ويقول ياسikan رؤبة المخالق سبحانه وتتمال في الآخرة ، لكن يستحيل أن تكون الروية على جهة ومكان وصورة ومقابلة .
ومنتبه في الوعد والوعيد المعتزلة مختلف من كل وجه .
ولكن بعض الملة الكبار من أهل السنة لم يوافقه على آرائه كلها ، ورأوا أن بعضها مشوب بآراء المعتزلة .

(٢) الملل والنحل / ٨٥ .

(٢) ثنيات الطرق : الطرق المثلوية المعوجة .

أحب الاعتزال وناصريه ذوي الألباب والنظر الدقيق
فأهل العدل والتوجيد أهلي نعم ففريقهم أبداً فريق
عونك بعد مجده وضيق وشرح النهج لم أدركه إلا
هناك كثرة الطُّرُود السَّاحِقَة تَمَثَّلَ إذ بدأت به لعني
من العيوق^(١) أو بيض الأنوق^(٢) فتم بحسن عونك وهو أنائي
وأقام بين أهل الفضل سُوقَي باكل العلقمي ورأت زنادي
ونيلت بهم، وكم طرُف في عتيق^(٣) مكم ثوب أنيق نلت منهم
على أعدائهم بالخفق^(٤) أدام الله دولتهم وأنجى

٢ - ومن شعره قوله في مناجاة الله، وبيان مذهبته في الاعتزال :

وحفلْك لو أدخلتني النار قلت لـ اللـَّـهـ
ـذـنـبـنـ بـهـاـ قدـ كـنـتـ مـنـ بـحـبـهـ
ـوـأـفـيـتـ عـمـريـ فـيـ دـقـيقـ عـلـوـمـهـ
ـهـبـوـنـيـ مـسـيـنـاـ أـوـضـعـ الـعـلـمـ جـهـلـهـ
ـأـمـاـ يـقـتـضـيـ شـرـعـ الـكـرـمـ عـفـوـهـ
ـأـمـاـ رـدـ زـيـغـ اـبـنـ الـخـطـيبـ وـشـكـهـ
ـأـمـاـ كـانـ يـنـوـيـ الـحـقـ فـيـاـ يـقـولـهـ
ـوـغـاـيـةـ صـدـقـ الـعـبـدـ أـنـ يـعـدـبـ الـأـسـىـ
ـإـذـاـ كـانـ مـنـ يـهـوـيـ عـلـيـهـ يـصـبـهـ

(١) العيوق : نجم أحمر مضيء في طرف المجرة الأربع يتلو الثريا لا يتقدمها.

(٢) بيض الأنوق : الأنوق : عل وزن صبور العقاب والرحمة ، وهو أعز من بيض الأنوق لأنها تحرز فلا يكاد يظفر بها أحد ؛ لأن أوكرارها في القليل الصعبة .

(٣) الطرف : الفرس الأصيل الكرم .

(٤) الخفيف : السريعة جداً من الترق وانزال وحكاية جري الحيل ، وهو مشى فيه اضطراب ، والمراد الداهية .

(٥) أوضع العلم بهله : لزمه ، من أوضعت الإبل إذا راعت الحمض حول الماء ولم تبرحه .

فرد عليه الشيخ صلاح الدين الصفدي بقوله :

عاجنا بهذا القول أذك آخذ
بقول اعتزالِ جَلَّ في الدين خطبُه؟
فترعمُ أن الله في الخشْر ما يُرَى
وذاك اعتقاد سوف يُرْدِيك غِيَّرُه
وقد أثبَتَها عن إلْكَ كَتْبُه
وذلك داء عَزَّ في الناس طَبُّه
يكون بها مالم يُقْدِرُه ربُّه
فأيُّكما داعي الفضال وحزنُه؟
و جاء عن الدين الحنفي ذَبَّهُ
وفي شَنَاعٍ مُفْرِطٌ إذْ تَسْبُهُ
وما ضَرَّ فخرَ الدين قولُ نَظَمَتْهُ

٣ - ومن شعره قوله :

ليست كما قال فتنى العَبْدُ^(١)
لولا ثلاث لم أخفْ صرْعَتي

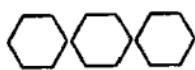
(١) يزيد طرفة بن العبد حيث قال :

و لولا ثلاث هن من عيشة الفتى
كُبِيتْ هن ما تعلم بالماء تزيد به
كسيد الغضا نبهته المتورد
بهمكة تحت الطراف المعسد
(من ملقة طرفة بن العبد)

عودي : من يحضره عند موته وينجح عليه .

الكميت : من الخمر الذي تضرب إلى السواد ، متى ما تعل بالماء : أي تخرج به .
كري : عطى . المفان : الذي نزلت به المسموم . المجب : فرس في وظيفه اهديه .
ليس بالاعوجاج الشديد وهذا يدل على القوة . سيد : ذئب . الغضا : شجر ، وذاته
أنجث الذئاب . المتورد : الذي يطلب أن يرد الماء .
الدين : المطر الغزير وإلياس الفم الأرض . بهكتة : المرأة المبتلة أو الخفيفة الروح
المليحة الطيبة الرائحة . معجب : يعجب من رأه . الطراف المعسد : الخباء ذو الأعدة من أدم .

أَنْ أَنْصُرُ التَّوْحِيدَ وَالْعَدْلَ فِي كُلِّ مَكَانٍ بِإِذْلَالٍ جُهْنَمِي
وَأَنْ أَنْاجِيَ اللَّهَ مُسْتَمْعًا بِخَلْقَهُ أَخْلَى مِنَ الشَّهَدِ
وَأَنْ أَتِيهَ الدَّهْرَ كَبِيرًا عَلَى كُلِّ لَثِيمٍ أَصْفَرَ الْحَدَّ
لِذَاكَ لَا أَهْوَى فَتَاهَ وَلَا خَمَرًا وَلَا ذَا مَيْنَعَةَ نَهَدِي



الْفَلَكُ الدَّارِ

عَلَى الْمَقْلَلِ السَّائِرِ

لِابْنِ أَبِي أَحْمَدِيَّ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله الذي فَاتَّوْتَ بَيْنَ عُقُولِ الْبَشَرِ وَأَخْلَاقِهِمْ . كَمَا فَاتَّ
بَيْنَ أَعْمَارِهِمْ وَأَرْزَاقِهِمْ ، فَكَانَ مِنْ خَفَافِيَا تَدْبِيرِهِ ، وَلِطَافِ حِكْمَتِهِ
وَتَقْدِيرِهِ ، أَنْ أَرْضَى كَلَّاً مِنْهُمْ بَعْقُلَهُ وَخَلْقُهُ ، لَا بُعْمَرَهُ وَرِزْقُهُ ،
فَلَسْتَ تَرَى مِنْهُمْ إِلَّا رَاضِيَ بِعَقْلِهِ وَآرَاهُ ، الْمُعْجَبُ بِمَا يَرْسَحُ مِنْ إِنَاثَهُ ،
الْحَامِدُ لِسَجَيْتِهِ ، الزَّارِيُّ عَلَى النَّاكِبِينَ عَنْ طَرِيقِهِ ، تَصْدِيقًا لِقَوْلِهِ تَعَالَى :
« قُلْ كُلُّ بَعْمَلٍ عَلَى شَاكِلَتِهِ »^(١) .

وَقَلَّ أَنْ تَجِدَ مِنْهُمْ الْقَانِعَ بِدُنْيَاهُ ، الرَّاضِيَ عَنْ وَقْتِهِ بِمَا قَسَّمَ لَهُ
[الله]^(٢) وَأَعْطَاهُ .

فَلَا تَرَى إِلَّا قَانِطًا أوْ سَاخِطًا أوْ حَاسِدًا أوْ غَابِطًا ، دَأْبُهُمُ الْكَدْحُ
وَالنَّصَبُ ، وَالْجِدُّ وَالظَّلَبُ ، تَصْدِيقًا لِقَوْلِهِ [صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ]^(٣) :
« لَوْ كَانَ لَابْنِ آدَمَ وَادِيَانِرٌ مِنْ ذَهَبٍ [لَمْنَى أَنْ يَكُونَ لَهُ ثَالِثٌ]^(٤) .
وَصَلَّى اللهُ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدَ رَسُولِهِ الْمُؤْمِنِ بِرُوحِ قُدْسِهِ ، وَالْمَغْصُومُ
مِنَ الْخَطَا فِي الْقَوْلِ وَلِبَسِهِ ، وَالْحَاكِمُ بِأَنْ مِنْ جُمْلَةِ الْثَّلَاثِ الْمَهْلِكَاتِ
عُجْبُ الْمَرءِ بِنَفْسِهِ ، وَعَلَى آلِهِ وَأَصْحَابِهِ الَّذِينَ مِنْهُمْ هُوَ [مِنْ]^(٥)
تَوْعِيَهُ وَجِئْنِيهُ .

(١) سورة الإسراء : الآية ٨٤ .

(٢) ما بين القوسين زيادة يقتضيها السياق .

(٣) ما بين القوسين زيادة يقتضيها السياق .

(٤) ما بين القوسين زيادة يتم بها الحديث .

(٥) ما بين قوسين زيادة يقتضيها السياق .

وبعد . فقد وقفتُ على كتاب تضيير الدين بن محمد المؤصل المعروف بابن أثیر الحزیرة ، المسمى «كتاب المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر» فوجدت فيه المحمود ، والمقبول ، والمردود ، والمرذول .

أما المحمود منه فإن شاؤه وصناعته ، فإنه لا يأس بذلك إلا في الأقل النادر . وأما المردود فيه فنظره وجده احتجاجه واعتراضه ، فإنه لم يأت في ذلك في الأكثر الأغلب بما يُلْسِنَتْ إليه مما يعتمد عليه .

فحذاني على تتبعه ومناقصته في هذه الموضع النظرية أمور ، منها إزراوه على الفضلاء ، وغضبه منهم ، وعييه لهم ، وطعنه عليهم ، فإن في ذلك ما يدعوا إلى الغيرة عليهم ، والانتصار لهم .

ومنها إفراطه في الإعجاب ب نفسه ، والتبرج برأيه ، والتقرير على معرفته وصناعته ، وهذا عيبٌ فيجحظ عمل الإنسان والاجتهاد ، ويوجب المقت من الله والعباد .

ومنها أنه قد أومأ مراراً في كتابه إلى عتاب دهره ، إذ لم يعطيه على قدر استحقاقه ، فأردنا أن نعرّفه أن الأرزاق ليست على مقادير الاستحقاق ، وأن الرزق متسّوم لا يجتبه الفضل ، ولا يرده القصص .

ومنها أن جماعة من أكابر المؤصل قد حسّن ظنّهم في هذا الكتاب جداً ، وتعصبو له ، حتى فضلوه على أكثر الكتب المصنفة في هذا الفن ، وأوصلوا منه نسخاً معدودة إلى مدينة السلام^(١) وأشاعوه ، وتداولته كثيرة من أهلها .

(١) مدينة السلام : بغداد .

فاعتَرَضْتُ عَلَيْهِ بِهَذَا الْكِتَابِ ، وَتَقَرَّبْتُ بِهِ إِلَى الْخِزَانِهِ الشَّرِيفَةِ
الْمُقَدَّسَةِ النَّبَوِيَّةِ الْإِمَامِيَّةِ الْمُسْتَنْصِرِيَّةِ ، عَمَّرَ اللَّهُ تَعَالَى بِعَارِتِهِ
أَنْدِيَّةَ الْفَضْلِ وَرِبَاعَهُ ، وَأَطَالَ بَطْوُلَ بَقَاءَ مَالِكَهَا يَدَ الْعِلْمِ وَبَاعَهُ ،
وَجَعَلَ مَلَائِكَةَ السَّمَاءِ أَنْصَارَهُ وَأَشْيَاعَهُ ، كَمَا جَعَلَ مُلُوكَ الْأَرْضِ
أَعْوَانَهُ وَأَتَبَاعَهُ .

وَكَانَ أَكْثَرُ قَصْدِي فِي ذَلِكَ أَنْ يَعْلَمَ مُصَنْفَهُ هَذَا الْكِتَابُ وَرُؤْسَاهُ
بَلْدَتِهِ أَنْ مِنْ أَصَاغِيرِ خَوَالِ^(١) هَذِهِ الدُّولَةِ الشَّرِيفَةِ – فَالْعُجْبُ
مُبِيرٌ ، وَلَا أَنْبِيَءُ عَنِّي فِي مِثْلِ كَفِيرٍ – مَنْ إِذَا أَغْزَ أَدْرَى ، وَإِذَا ضَرَبَ
أَفْرَى^(٢) وَإِذَا رَشَقَ أَصْمَى^(٣) ، وَإِذَا نَكَأَ^(٤) أَدْمَى ، وَأَنَّ دَارَ
السَّلَامَ ، وَحَضْرَةَ الْإِيمَامِ مَاخَلَتْ كَمَا تَرْعَمُ الْمَوَاصِلَةُ مِنْ إِذَا سُوِيقَ
خَلَى ، وَإِذَا بُوْسِرَ^(٥) فَازَ بِالْقِدْحِ الْمُعَلَّى^(٦) ، وَإِذَا خَطَبَ حَضَّتْ
لِبَرَاعِتِهِ الْمَنَاصِلِ^(٧) ، وَإِذَا كَتَبَ سَجَدَتْ لِبَرَاعِتِهِ الْذَّوَابِلِ ، وَإِذَا
شَاءَ عَلَّمَ النَّاسَ السُّحْرَ ، وَمَا أَنْزَلَ عَلَى الْمُلَكَيْنِ بِسَابِلٍ ، وَأَنَّ فِي
الْأَغْفَالِ الْمَغْمُورِينَ مِنْ رَعَايَاهَا مِنْ لَوَّهَدَرَ^(٨) لَتَرَتْ لِهِ الشَّقَاشِقَ^(٩) ،

(١) الخول : الخدم والعبيد والإماء وغيرهم من الخاشية ، للواحد والجمع والمذكر والمؤنث

(٢) فرى وأفرى : شق .

(٣) أسمى الصيد : رماه فقتله مكانه .

(٤) نَكَأَ القرحة على وزن معن : قشرها قبل أن تبرأ فندبت . ونكى الأعداء نكابة : سجرهم

(٥) بسر : من معانها تهرب وابتدا الشيء ، ويظهر أن المؤلف صاغ من الفعل باسر

معنى غالب وب سابق ، ثم بناء للمجهول .

(٦) الفتح المعل : أحدق أحدا في المطر عند العرب في الجاهلية ، وهي عيدان تختد من البعي وهو شجر متين لين تصعن منه القسي والسيام ، والفتح الراunga سبعه وغير الراunga ثلاثة ، والمعل أكثر الراunga خطأ لأن له سبعة أنصبة .

(٧) المناصل : جمع منصل وهو السيف .

(٨) هدر البعير هدرا وهدراً : صوت في غير شقة .

(٩) الشقاشق جمع شقة بالكسر : شيء كالرقة يخرج به البعير من فيه إذا هاج .

ولو نطقَ لتجأّلتْ بشمُوسه المهارق^(١) ، ولو جرَّدَ حُسامَ قلمِهِ
لقالَ الملكُ للسيفِ : اغْرِبْ فَأَنْتَ طالِقْ ، فكيفَ بسَدَّنَةِ^(٢) كعبتها
وَالْحَافِينَ بشَرِيفِ سُدَّنَاهَا^(٣) ، فَحُولَ الْبِلَاغَةِ الَّذِينَ إِذَا رَكَضَ
أَحَدُهُمْ فِي حَلَبَةِ الْبَيَانِ أَخْجَلَ الْبُرُوقَ ، وَسَخِيرَ بِالرِّيَاحِ ، وَإِذَا
ضَرَبَ الْأَعْدَاءَ بِصَارِمِ اللَّسَانِ قَدَّ السَّلْوَقِيَّ الْمَضَاعِفَ ، حَتَّى تُوقِدَ
نَارُ الْجَابِحِ فِي الصَّمَاجِ^(٤) .

وهذا الكتاب وقعَ إِلَيْهِ في غُرَّةِ ذِي الْحِجَّةِ مِنْ سَنَةِ ثَلَاثَ وَثَلَاثِينَ
وَسَمِّيَّاً ، فَتَصَفَّحْتُهُ ، أَوْلًاً أَوْلًاً فِي ضِمْنِ الْأَشْغَالِ الدِّيَوَانِيَّةِ الَّتِي
أَنَا بِصَدِّدِهَا ، وَعَلَقْتُ فِي هَذَا الْكِتَابِ فِي أَثْنَاءِ تَصَفُّحِهِ عَلَى الْمَوْاضِعِ
الْمُسْتَدِرَّةِ فِيهِ إِلَى نَصْفِ الشَّهْرِ الْمَذْكُورِ ، فَكَانَ كَمْجُومُ مَطَالِعِي لَهُ
وَاعْتِرَاضِي عَلَيْهِ خَمْسَةَ عَشَرَ يَوْمًا ، وَلَمْ أَعَاوِدْ النَّظَرَ فِيهِ دَفْعَةً
ثَانِيَّةً ، وَرُبَّمَا يَسْتَعِي بِي عَنِ الْمَعاوِدةِ نُكَتْ أُخْرَى ، وَإِنْ وَقَعَ ذَلِكُ
الْحَقْقُتُهَا .

وقد سَمِّيَّتْ هَذَا الْكِتَابَ (الْفَلَكَ الدَّائِرَ عَلَى الْمُشَكِّلِ السَّائِرِ) لَأَنَّهُ
شَاعَ مِنْ كَلَامِهِمْ ، وَكَثُرَ فِي اسْتِعْلَامِهِمْ أَنْ يَقُولُوا لِمَا بَادَ وَدَكَرَ « قَدْ دَارَ
عَلَيْهِ الْفَلَكُ » كَأَنَّهُمْ يَرِيدُونَ أَنْهُ قدْ طَحَّنَهُ وَمَحَّا صُورَتَهُ . مِنْ ذَلِكُ
قُولُ أَبِي العَتَاهِيَّةِ :

(١) المهارق : جمع مهرق وهي الصفيحة .

(٢) السدنة : جمع سادن وهو خادم الكعبة ، أو خادم بيت الصنم .

(٣) البدة : باب الدار .

(٤) من قول النابية في مدح الفراسة ووصف سيروفهم :

نَقْدُ السَّلْوَقِيَّ الْمَضَاعِفِ نَسْجَهُ وَتُوقِدُ بِالصَّفَاحِ نَارُ الْجَابِحِ
الْسَّلْوَقِيُّ : الدَّرَوْعُ الْمُنْسُوبُ إِلَى سَلْوَقٍ ، عَلَى وَزْنِ صَبُورٍ ، بَلْدَةٌ بِالْيَمِنِ تَنْتَسِبُ إِلَيْهَا الدَّرَوْعُ
وَالْكَلَابُ . الصَّفَاحُ : حِجَارَةٌ عَرَاضٌ رَقَاقٌ . الْجَابِحُ : ذَبَابٌ يَطِيرُ بِاللَّيلِ لِهِ شَعَاعٌ كَالصَّرَاجِ ،
وَمِنْهُ نَارُ الْجَابِحِ ، أَوْ نَارُ الْجَابِحِ مَا افْتَدَحَ مِنْ شَرِّ النَّارِ فِي الْمَوَاهِمِ مِنْ تَصَادُمِ الْحِجَارَةِ ،
وَقَيْلَ كَانَ أَبُو حِبَابَ رَجُلًا لَا يَوْقِدُ نَارَهُ إِلَّا بِالْحَلْطَبِ الشَّخْتَ لَلَّاتِ تَرِي ، وَقَيْلَ إِنَّهَا مِنَ الْمُبَحَّبَةِ
وَهِيَ الشَّرَرَةُ تَسْقُطُ مِنَ الزَّنَادِ .

إِنْ كُنْتَ تَنْشُدُهُمْ فَلِنْهُمْ هَمَدُوا وَدَارَ عَلَيْهِ الْفَلَكُ^(١)
وَأَنَا أَسْأَلُ اللَّهَ الْمَعْوَنَةَ وَالْتَّوْفِيقَ، وَأَسْتَمْنِحُهُ الْهَدَايَةَ إِلَى سَوَاءِ الظَّرِيقَ
بِمَسْنَهُ وَكَرْمَهُ.

— ٩ —

قال المصنف : « نَسَأَلُ اللَّهَ أَنَّ يَلْعَنَ بَنَانَ الْحَمْدِ مَا هُوَ أَهْلُهُ^(٢) ».
أقول : إنه أول ما تكلمَ سألهُ أمراً يستحيل عقلاً، لأنَّه تعالى لا نهاية
لما هو أَهْلُهُ من الْحَامِدِ ، سَوَاء جَعَلَ الْحَمْدَ بِمَعْنَى الْمَدْحُ أو أَخْصَّ .
أما الأولُ فلأنَّ جَلَالَتَهُ تَعَالَى وَعَظِيمَتَهُ وَصَفَّةَ كَالَّهِ لَا تَقْفَ
عَنْدَ غَایَةٍ ، وَلَا تَنْقُطُعُ عَنْدَ حَدٍّ ، وَأَمَّا الثَّانِي فَلأنَّ نِعَمَهُ لَا نِهايَةَ لَهَا
بِتَعْرِيفِهِ إِنَّا لِلثَّوَابِ وَالنِّعَمِ الَّذِي لَا نِهايَةَ لَهُ ، فَإِذَا هُوَ سَبَحَنَهُ أَهْلُ
الْحَمْدِ الَّذِي لَا نِهايَةَ لَهُ عَلَى كُلِّ التَّفْسِيرَيْنِ ، وَيَسْتَحِيلُ أَنْ يَلْعَنَ بَنَانَ إِلَى
ذَلِكَ ، لَأَنَّ الْقُوَّةَ الْمُتَنَاهِيَّةَ لَا تَقْوَى عَلَى أَمْرٍ غَيْرِ مُتَنَاهِيَّةِ .

وليس لظَّانٌ أَنْ يَظْنَ أَنَّ هَذَا القولُ يَجْرِي بَعْدَ قَوْلِ النَّاسِ :
« الْحَمْدُ لِلَّهِ كَمَا هُوَ أَهْلُهُ » فَإِنَّ ذَلِكَ كَلَامُ مُجْمَلٍ ، لَا يَتَضَمَّنُ سُؤَالًا ،
وَلَا يَقْضِي دُعَاءَهُ تَعَالَى أَنْ يَجْعَلَنَا حَامِدِينَ حَمْدًا لَا بِدَايَةَ لَهُ وَلَا نِهايَةَ .

— ٤ —

قال المصنف : « وَأَنْ يُعْلَمُنَا مِنَ الْبَيَانِ مَا تَقْصُرُ عَنْهُ مَزِيَّةُ
النُّطْقِ وَفَضْلُهُ^(٣) ».

(١) ليس البيت بديوانه .

(٢) نص عبارة ابن الأثير في أول المقدمة : « نَسَأَلُ اللَّهَ رَبِّنَا أَنْ يَلْعَنَ بَنَانَ الْحَمْدِ مَا هُوَ
أَهْلُهُ » ٤٥/١ .

(٣) عبارة ابن الأثير : « وَأَنْ يَعْلَمُنَا مِنَ الْبَيَانِ مَا تَقْصُرُ عَنْهُ مَزِيَّةُ النُّطْقِ وَأَصْلُهُ » ٤٥/١ .
(الفلك الدائر - م ٣)

أقول : هذا أيضاً سؤالُ أمر مستحيل ، لأن النطق هو كمال الصورة الإنسانية إنْ أخذَ على تفسير التعليم الطبيعي ، والفضلُ الميّز إنْ أخذَ على تفسير التعليم المنطقي . وعلى كلا التفسيرين فيه يكون الإنسان إنساناً ، فيستحيل أن يفضلُهُ البيانُ في مرتبتةِ فضيلة ، لأن الفرع لا يفضلُ الأصلَ الذي لولاه لما كان .

واعلمُ أن هذين الاعتراضَين قد يعتذرُ المصنفُ عنهما بأنه إنما قال ذلك على سبيل المبالغة ، ويسمى غلواً ، وهو مُستهجنٌ في الكتابة ، وأحد عيوبها القبيحة ، وإنما يساكُهُ الشعاء ، وأما الكاتب ففي سمعةٍ عنه ، ومذهبُ الكتابة غيرُ مذهبٍ للشعر .

— ٣ —

قال المصنف : « وأن يُوقفنا للصلة على رسوله محمد الذي هو أفضَحُ من نَطَقَ بالضادِ ، ونَسَخَ بهديه شريعةَ كلِّ هادٍ »^(١) .

أقول : في هذا الكلام عيبٌ ظاهرٌ ، وذلك أنه عطفَ الفعلَ وهو « نسخٌ » على الاسم وهو « أفضحٌ » وهذا قبيح . إلا ترى أنه يقبحُ أن يُقال : زيدٌ أفضحُ القوم ، وضرَبَ زيد . والوجه أن يقال : الذي هو أفضح من نَطَقَ بالضادِ ، والمنسوخ بهداه شريعةَ كلِّ هادٍ .

— ٤ —

قال المصنف : « ولا أدَّعي فيها أَلْفَتُهُ فضيلةَ الإحسان ، ولا السلامَ من سبقَ اللسان ». ثم قال بعد سطر واحد : « وإذا ترَكتُ الهوى قلتُ

(١) عبارة ابن الأثير : « وأن يوقفنا للصلة على نبينا ومولانا محمد رسوله الذي هو أفضح من نَطَقَ بالضادِ . ونَسَخَ هديه شريعةَ كلِّ هادٍ » ٤/٤ .

إن هذا الكتاب بديع في إعرابه ، وليس له صاحبٌ من الكتب . فيقال :
إنه مُتَفَرِّدٌ من بين أصحابه .^(١)

أقول : وهل يَدْعُى أحدُ فضيلة الإحسان بِأَبْلَغِ مِنْ هَذَا الْكَلَامِ ؟
وقد قال قبل هذا التواضع بثلاثة أسطر : « إن الله هداني لأَبْتَدِعَ أَشْياءً
لَمْ تَكُنْ مِنْ قَبْلِي مُبْتَدَعَةً » ، وَمَنْحَنِي درجة الاجتهاد التي لا تكون أقوالاً
تابعَةً وإنما تكون مُتَبَعَةً^(٢) . فَمَنْ يَزَعُمُ أنَّ الله هداه في هذا الفن
إِلَى ابْتِدَاعِ أَشْياءٍ لَمْ يُسْتَبِقْ بِهَا ، وَرَزَقَهُ فِيهَا بِلُؤْغَ درجة الاجتهاد التي
يَتَبَعُهَا النَّاسُ ، وَلَا تَكُونُ تَابِعَةً لِأَحَدٍ مِنْهُمْ ، كَيْفَ يَقُولُ لَا أَدَعِي
فِيهَا أَثْقَتُهُ فَضْيَلَةً إِلَّا وَبَلَغَنَاها ؟ .

- ٥ -

قال المصنف : « مَوْضِعُ الْحَسَابِ هُوَ الْأَعْدَادُ مِنْ جِهَةِ مَا يَعْرِضُ
لَهَا مِنَ الْصَّرْبِ وَالْقِسْمَةِ وَنَحْوِهَا ، وَمَوْضِعُ الْطَّبِّ بِدَائِنِ الْإِنْسَانِ
مِنْ جِهَةِ مَا يُصْبِحُ وَيُسْرِرُ ، وَمَوْضِعُ النَّحْوِ هُوَ الْفَظْفَاظُ مِنْ جِهَةِ الدَّلَالَةِ
عَلَى الْمَعْنَى مِنْ طَرِيقِ الْوَضْعِ الْلُّغَوِيِّ ؛ وَمَوْضِعُ عِلْمِ الْبَيَانِ هُوَ الْفَظْفَاظُ وَالْمَعْنَى
مِنْ جِهَةِ الْخَيْرِ وَالْقَبْحِ .

ثم قال : صاحب هذا العلم هو والنحو يشتراكان في النَّظَرِ في دلالة
الألفاظ على المعنى من جهة الوضْعِ اللُّغَوِيِّ ، وتلك دلالة « عامَةٌ » ، وصاحبُ
علم البيان يَسْتَظُرُ في فضيلة تلك الدلالة . وهي دلالة « خاصَّةٌ »^(٣) .

(١) عبارة ابن الأثير : « فيقال إنه متفرد بين أصحابه من إخوانه أو من أترابه » ٤٧/١ .

(٢) المقدمة ٤٧/١

(٣) قال ابن الأثير : « ... وَعَلَى هَذَا مَوْضِعِ عِلْمِ الْبَيَانِ هُوَ الْفَصَاحَةُ وَالْبَلَاغَةُ ،
وَصَاحِبُهُ يَسْأَلُ عَنْ أَعْوَالِهَا الْفَقْطَيَةِ وَالْمَعْنَوِيَّةِ ، وَهُوَ وَالنَّحْوُ يَشْتَرِكَانِ فِي أَنَّ النَّحْوَ يَنْتَظِرُ
فِي دلالة الألفاظ على المعنى من جهة الوضْعِ اللُّغَوِيِّ ، وتلك دلالة عامَةٌ ، وصاحبُ علمِ البيان
يَنْتَظِرُ فِي فضيلة تلك الدلالة ، وهي دلالة خاصَّةٌ ، وَالْمَرْادُ بِهَا أَنَّ تَكُونَ عَلَى هِيَةٍ مُخْصَّصةٍ مِنْ
الْمَحْسُنِ ، وَذَلِكَ أَمْرٌ وَرَاءَ النَّحْوِ وَالْإِعْرَابِ . لَا تَرَى أَنَّ النَّحْوَ يَفْهَمُ مَعْنَى الْكَلَامِ الْمَنْظُورِ
وَالْمَشْوَرِ ، وَيَعْلَمُ مَوْلَعَهُ إِعْرَابَهِ ، وَمَعَ ذَلِكَ فَإِنَّهُ لَا يَفْهَمُ مَا فِيهِ مِنَ الْفَصَاحَةِ وَالْبَلَاغَةِ » .

أقول : أما موضوع علم النحو فغير ما ذكر ، بل الذي ذكر موضوع علم اللغة ، لأن اللغوي هو الذي يُسْتَنْدَرُ في الألفاظ من حيث كانت دلالةً بالوضع اللغوي على المعاني ، وأما موضوع علم النحو فهو الألفاظ من جهة تغييرات تلحقها أو تلحق بها أُخْرَاهَا أو تلْحِقُهُمُ الْفُسْهَةَ على قول مَنْ جعل التصريف جزءاً من النحو . ولم يجعله عِلْمًا مُفْرَدًا .

— ٦ —

قال المصنف : « وقد غَلَطَ مُفَسِّرُو الأشعار في اقتصارهم على شرح المعنى ، وما في الشعر من الكلمات اللغوية ، وتبسيطِيِّنِ مواضع الإعراب فيه دُونَ ما تضمنتهُ مِنْ أسرار البلاغة والفصاحة » .

أقول : إن مُفَسِّري الأشعار جعلوا قاصدهم وكذا هم كثيرون مُراد الشاعر ليُعْلَمَ ، فمُفَسِّرُوا الألفاظ اللغوية وما في الشعر من إعرابٍ نَحْوِيٍّ يتعلقُ بهُ المعنى ، وتارة يشرحون المعنى فقط ، إذا لم يكُنْ في البيت ألفاظ لغوية ، ولا يَرْتَبِطُ المعنى بإعرابه ، كأنهم إنما وضعوا الشرحَ المُصَنَّفَةَ لتفسيرِ مُرَادِ الشاعر فقط ، فكلُّ ما يذكرونه من زيادة على ذلك مقصودة بالمعنى لا بالذئاب ، وإذا كانت الحال هكذا لم يجُزْ أن يُقال إنهم غَلَطُوا الإخلاص بِنَقْدِ الشعر والكلام على ما فيه من عِلْمٍ الصناعة الشعرية . والباحث عن فصاحتها وبلاعتها ؛ لأن ذلك فَنٌ مُفْرَدٌ لم يَضْعُفُوا شُروحِهم له ، وكذلك لم يتكلموا في العَرَوْضِ والقوافي ودقائقِ التصريف . فإن قلت : قد تكلم كثيرٌ مِنْ شارحي الأشعار في العَرَوْضِ والقوافي ودقائقِ التصريف أيضاً ، قلت : وقد تكلم كثيرٌ من شارحي الأشعار في نقديها ، وبخوا عن فصاحتها وبلاعتها وما تتحتمهما من أسرار ذلك . ثم يقال له : إن جُمِهُورَ مُفَسِّري القرآن اقتصرُوا على شرح المعاني

واللغة والإعراب، وأسباب التزول، وما يتضمنه الكتاب العزيز من الفقه والأصول ونحوها ، ولم يذكروا في تفاسيرهم نقداً ما فيه من البلاغة والفصاحة وأسرارها ، فإن ارتكتبتَ من ذلك قياسك ، وغَلَطْتَ المفسرين كُنْتَ مُغَلَّطاً لأكابر الصحابة ، كعلي بن أبي طالب عليه السلام ، وعبد الله ابن عباس ، وها اللدان أخذَ عِلْمَ التفسير كله عنهما ، ويكفيك ذلك قُبْحَاً وشَنَاعَةً ، وإن لم تُغَلَّطَ المفسرين ، فقد انتَفَعْتَ ما قُلْتَهُ من شرح الأشعار .

قال المصنف : « وصِناعَةُ تَأْلِيفِ الْكَلَامِ مِنَ الْمُتَشَوِّرِ وَالْمُنظَّمِ تَفْتَقِرُ إِلَى آلاتٍ كثِيرَةٍ . وقد قيل: إنَّ كُلَّ ذِي عِلْمٍ يَسْوُغُ لَهُ أَنْ يَتَنَسَّبَ نَفْسَهُ إِلَيْهِ ، فِيَقَالَ: فَلَانَّ الْكَاتِبُ لَمَّا يَتَفَتَّقِرُ إِلَيْهِ مِنَ الْحَوْضِ فِي كُلِّ فَنٍ »^(١) .

أقولُ : هذا الكلامُ من أَبَهَاتِ^(٢) الْكُتُبَ وَتَزَوَّيْقَاهُمْ ، وَلَا يُعَوِّلُ عَلَيْهِ مُخَصِّلٌ ، وَهَذِهِ الْفَنُونُ الَّتِي يَذَمِّكُرُّهَا الْكُتُبُ ، وَيَزْعُمُونَ أَنَّ الْكِتَابَةَ مُفْتَقِرَةٌ إِلَيْهَا ، إِنَّ أَرَادُوا بَهَا ضَرُورَتَهَا لَهَا فَهَذَا باطِلٌ ، لَأَنَّ سَجْبَانَ^(٣) وَقُسْمَ^(٤) وَغَيْرَهَا مِنْ خُطَّابِ الْعَرَبِ مَا كَانَتْ تَعْرِفُهُمَا ، وَكَذَلِكَ مَنْ

(١) ملخص من كلام ابن الأثير ٥٥١ .

(٢) الأبهات : جمع أبها على وزن سكرة ، وهي العظمة والكب.

(٣) سجban وائل خطيب فصيح يضرب به المثل في البيان والفصاحة ، خطيب أمام معاوية فلم يشعر شاعر ولم يخطب خطيب، لأنهم بهروا بفصاحته (البيان والتبيين ٤٨ ، ٦ / ٢٤٨) .

(٤) قس بن ساعدة الإيادي خطيب جاهلي من قبيلة إياد ، كان يخطب الناس ويعظهم في سوق عكاظ ، وسمعه النبي صل الله عليه وسلم وقال : رأيته بالسوق على جمل أحمر وهو يقول : أهـا النـاس اجـتمعـوا واسـمعـوا وعواـ ، من عـاشـ مـاتـ ، وـمـن مـاتـ فـاتـ ، وـكـلـ ما هوـ آتـ آتـ (البيان والتبيين ٣٠٨) .

وقال المحافظ : ولإياد مزية ليست لأحد من العرب ، لأن رسول الله صل الله عليه وسلم هو الذي روى كلام قس بن ساعدة و موقفه على جمله يعكاظ وموعظته ، وهذا إسناد تعجز عنه الأماني ، وتنقطع دونه الآمال (البيان والتبيين ٥٢/١) .

كان في أول الإسلام من الخطباء كعاوية^(١) وزياد^(٢) وغيرهما . وإن أرادوا أنها مُتَمَمَّةٌ ومُكَمَّلةٌ فهذا حقٌّ ، ولكن عدمها لا يقتضي سلبَ اسم الكتابةِ . مع أن كل ما يحتاج إليه الكاتب يحتاج إليه الشاعر وزيادة .

قال المصنف : « ومن أقسام الفاعل والمفعول مالا يُفهَمُ إلا بعلامةٍ كتقدير المفعول على الفاعل ، فإنه إذا لم يكن شَمَّ علامه تُبَيَّنُ أحدهما عن الآخر ، وإلاً لأشْكَلَ الأمرُ ، كقولك « ضرب زيد عمرو » بالوقف عليهما ويكون زيد هو المضروب ، فإنك إذا لم تَنْصِبْ زيداً وترفع عمرأ لم يُفهَمُ ماذا أردتَ . ومن هذا قوله تعالى : « إنما يخْشى الله من عباده العلَماء »^(٣) .

أقول : إن هذه الآية لا مَدْحَلٌ لها في هذا الموضع ، لأننا لو وقفتنا على الفاعل والمفعول منها لم يَحْصُلْ الالتباس ، لعلمنا أن الله لا يخشى أحداً من العلماء ولا من غيرهم ، فالآية تَدْلُّ بنفسها لا بعلاقة لفظية على أنه تعالى مفعولٌ ، وأن العلماء فاعل ، بخلاف ما إذا وقفتنا على زيد ومحمد في قولنا ضرب زيد مُحَمَّداً ، فقد يانـ أن تمثيله بهذه الآية مُضاهِيًّا بضرـبـ زـيدـ مـحمدـ غـيرـ صـحـيـحـ ، وـأنـ أحـدـ المـثـالـيـنـ لـا يـشـابـهـ الآـخـرـ .

قال المصنف : « وكل خُمُاسيٌ يُحْذَفُ منه في التصغير حَرْفٌ » ،

(١) معاوية بن أبي سفيان مؤسس الدولة الأموية سنة ٤٥ هـ وكان من دهاء العرب وفصائحهم .

(٢) زياد بن أبيه أحد ولاة معاوية وخطباء العرب المشهورين وساستهم . أخوه معاوية بنسب أبي سفيان سنة ٤٤ هـ فكان عضده القوي وولاه البصرة والكوفة وسائر العراق ، ولم يزل وآلـا حتى توفـيـ .

(٣) المثل السائر ١/٥٩ ، والآية من سورة فاطر ٢٨ .

سواء كان في الكلمة حرف زائد أو لم يكن ، مثال الرأيد : « منطلق » تصغيره « مُطْبِلٌق » ، فإن كان في الكلمة حرفان زائدان استُبْنَفَيَتِ الْمِيمُ لأنها زيدتْ لمعنى ، وأسْقَيْتَ السُّونُ لأنها زيداتْ لغير معنى ، ومثال الأصول جَحْمَرِش تصغيره جُحْبَيْمِر «^(١) » .

أقول : هذه القضية على إطلاقها غير صحيحة ، فلأنهم قالوا في تصغير حمراء ونحوها حُمَيْرَاء ، وهي خماسية ، ولم يسقطوا شيئاً ، وكذلك لفظة أَجْمَالٌ^(٢) صغروها فقالوا أَجْيَمَالٌ ، فهذه الخماسيات ما أسقطوا منها شيئاً ، ولا تصرفوا فيها بشيء سوى ياء التصغير فقط ، ومن الخماسيات ما تصرفوا فيه نوعَ تَصْرِيفٍ ، ولم يُسْقِطُوا منه شيئاً ، نحو مِيزَانٌ فلأنهم قالوا مُوَيْزِينٌ ، فأبدلوا ولم يسقطوا ، وبالجملة فقوله : كلُّ خماسيٍ لا بدُ أن يَسْقُطَ بعْضُ حُرُوفِهِ قَوْلٌ غير صحيح .

قال المصنف : « وقد غلِطَ أَبُو نُواسٍ فيما لا يَغْلِطُ فيه مِثْلُهُ » حيث قال :

كأنْ صُغرَى وكُبُرَى من فواعها حَصَباء دَرَّ على أرض من الذهب^(٣)
فإنْ فُعلَى أفعَلَ لا يجوز حذف اللام منها إلا إذا أضِيفَتْ ، وإنما يُحذَفَانِ من فُعلَى التي لا أفعَلَ لها ، نحو حُبْلَى^(٤) » .

(١) المثل السائر ٦٣/١

(٢) أَجَالٌ : جمع جَمَلٍ .

(٣) ديوان أبي نواس ٢٤٣ وأكثر الرواية على أنها (فتقاعها) وهي النفاخات التي تعلو اللام أو الحمر .

(٤) المثل السائر ٦٦/١

أقول : إنّا لا ننكر أنّ كثيراً من أئمّة العرّبية طَعَنَ في هذا الـبـيـت ، لكنّه
كثيراً منهم انتصـرـ له ، وقالوا وَجَدْنـا فـعـلـتـي أـفـعـلـ في غـيـرـ مـوـضـعـ
وارـدـةـ بـغـيـرـ لـامـ وـلاـ مـضـافـةـ ، مـثـلـ دـُنـيـاـ في قـوـلـ الـراـجـزـ .
* في سـعـيـ دـُنـيـاـ طـالـ ما قـدـ مـدـتـ *

وقـولـ الآخـرـ * لـاـ تـبـخـلـنـ بـدـنـيـاـ وـهـيـ مـقـبـلـةـ * .
وـمـثـلـهاـ أـخـرـىـ ، وـقـدـ جـاءـ جـلـلـيـ فيـ قـوـلـهـ :
إـنـ دـعـوتـ إـلـىـ جـلـلـيـ وـمـكـرـمـةـ
(١) وـقـالـواـ : طـوبـيـ لـكـ .

وـفـيـ الـبـيـتـ وـجـهـ ، وـهـوـ أـنـ يـسـجـعـلـ «ـمـيـنـ»ـ فـيـ قـوـلـهـ مـنـ فـوـاقـهـ زـائـدـةـ عـلـىـ
مـذـهـبـ أـبـيـ الـحـسـنـ ، زـيـادـةـ مـيـنـ فيـ الـوـاجـبـ ، فـاـنـهـ يـذـهـبـ إـلـىـ ذـلـكـ(٢)ـ .
وـيـحـتـجـ بـقـوـلـهـ تـعـالـىـ : «ـفـيـهـاـ مـيـنـ بـرـدـ»ـ أـبـيـ فـيـهـاـ بـرـدـ ، وـعـلـىـ هـذـاـ يـكـونـ
فـعـلـتـيـ مـنـ الـبـيـتـ مـضـافـةـ ، وـقـدـ وـقـعـ الـاـتـفـاقـ عـلـىـ جـوـازـهـ .

(١) تـكـلـةـ الـبـيـتـ : يـوـمـ سـرـةـ كـرـامـ النـاسـ فـادـعـيـناـ .
مـنـ قـصـيـدـةـ لـبـيـضـ بـنـ قـيـسـ بـنـ ثـلـيـةـ ، وـيـقـالـ إـنـاـ لـبـشـامـ بـنـ جـزـهـ (ـجـزـنـ)ـ النـشـلـ ، مـطـلـعـهـاـ :
إـنـاـ حـيـوـنـكـ يـاـ سـلـيـ فـعـيـنـاـ وـإـنـ سـقـيـتـ كـرـامـ النـاسـ فـاسـقـيـنـاـ .
(ـشـرحـ الـحـامـةـ لـلـمـرـزوـقـيـ ١٠٠/١ـ)ـ .

(٢) أـبـيـ الـحـسـنـ الـأـخـفـشـ ، بـرـيـ هوـ وـالـكـسـانـيـ وـهـشـامـ زـيـادـةـ (ـمـنـ)ـ بـلـ شـرـطـ مـسـتـدـلـينـ
بـقـوـلـهـ تـعـالـىـ : «ـوـيـغـفـرـ لـكـمـ مـنـ ذـنـوبـكـمـ»ـ لـأـنـ (ـمـنـ)ـ فـيـ حـيـزـ الـإـعـجابـ وـهـيـ زـائـدـةـ دـاخـلـةـ عـلـىـ
الـمـعـرـفـةـ ، قـالـواـ : وـلـوـ لـمـ نـقـلـ بـرـيـادـتـهاـ فـيـ الـآـيـةـ لـزـمـ التـنـاقـضـ بـيـهـاـ وـبـيـنـ قـوـلـهـ تـعـالـىـ : «ـإـنـ اللهـ
يـغـفـرـ الذـنـوبـ جـمـيـعاـ»ـ ، وـأـجـبـيـ بـيـانـ قـوـلـهـ تـعـالـىـ : «ـيـغـفـرـ لـكـمـ مـنـ ذـنـوبـكـمـ»ـ خـطـابـ لـقـوـمـ نـوحـ ،
وـقـوـلـهـ تـعـالـىـ : «ـإـنـ اللهـ يـغـفـرـ الذـنـوبـ جـمـيـعاـ»ـ خـطـابـ لـأـمـةـ مـحـمـدـ عـلـيـهـ الصـلـاـةـ وـالـسـلـامـ . عـلـىـ آنـهـ لـوـ
كـانـ الـخـطـابـ لـأـمـةـ وـاحـدـةـ لـمـ يـلـزـمـ التـنـاقـضـ بـيـنـ الـآـيـتـيـنـ ، لـأـنـ غـرـانـ بـعـضـ الـذـنـوبـ لـاـ يـنـاقـضـ
غـرـانـ كـلـهـاـ . بـلـ عـدـمـ غـرـانـ بـعـضـهاـ يـنـاقـضـ غـرـانـ كـلـهـاـ .
وـالـصـحـيـحـ أـنـ (ـمـنـ)ـ فـيـ الـآـيـةـ تـبـعـيـضـيـةـ ، أـيـ يـغـفـرـ لـكـمـ شـيـئـاـ مـنـ ذـنـوبـكـمـ كـاـقـالـ سـيـبوـيـهـ .
وـالـمـهـمـ يـشـرـطـ لـزـيـادـةـ (ـمـنـ)ـ ثـلـاثـةـ شـرـوطـ :
أـحـدـهـ أـنـ تـكـوـنـ مـسـوـقـةـ بـنـفـيـ خـوـيـ «ـمـاـ جـاءـنـاـ مـنـ بـشـرـ وـلـاـ نـذـيرـ»ـ أـوـ هـيـ بـلـ خـوـيـ «ـلـاـ يـلـتـفـتـ
مـنـكـ مـنـ أـحـدـ»ـ أـوـ اـسـتـفـهـاـ بـهـاـ خـاصـةـ .

قال المصنف : « وقد غلط أبو تمام في قوله :
بالقائم الثامن المستخلف اطأدات قواعد الملك متداً لها الطول »^(١)

والصواب اتَّطَدَتْ بالثاء ، لأن الثاء تبدل من الواو في موضعين :

أحدهما : مقياس عليه كهذا الموضع ، لأنك إذا بنَيْتَ افعل من
الوعِدِ قلت اتَّعَدَ ، وهذا يجب أن يكون اتَّطَدَ لأنَّه من وَطَدَ يَطِدُ ،
مثل وَعَدَ يَعِدُ » .

أقول : قرأت بخط أبي زكريا رحمة الله : قال العلامة : اشتراق
اطَّادَتْ من الطَّوَد ، وهو الجبل بُني على افتئلات من ذلك ، فقيل
اطَّادَتْ لِبَأْ غير مهموز ، لأن ثاء الافتئال إذا كان بعدها ثاء قُلِبَتْ أَلْفًا ،
ثم هَمَزَها في الشعر للضرورة .

قال المصنف : « وقد لَحَنَ أبو نُواصِ في أمير ظاهِر ، فقال محمد
الأمين »^(٢) :

يا خَيْرَ مَنْ كَانَ وَمَنْ يَكُونُ إِلَّا النَّبِيُّ الطَّاهِرُ الْمَيْمُونُ^(٣)

= مثل قوله تعالى : « هل من خالق غير الله يرزقكم » وبضم الحاء المزنة بـ هـ في هذا الباب .
الثاني : أن يكون مجرورها نكرة كما تقدم .

الثالث : أن يكون مجرورها المنكر فاعلاً أو متدلاً أو اسماً لكنه أو مفعولاً به . وبعض
الковفين أجازوا زيادتها بشرط تكثير مجرورها فقط .

ونقل السعد عن القوم أن (من) لا تزداد في الإثبات إلا في تمييزكم الخبرية إذا فصل منها
ي فعل متنه كقوله تعالى : « كم تركوا من جنات وعيون » .

(١) تصويب البيت من المثل السائر ٦٧/١ .
الديوان ١٦٧ .

(٢) في الأصل « محمد ابن الأمين » والصواب ما ذكرناه .

(٣) ديوان أبي نواس ٣٣٧ ومنه أكلنا الشعر الثاني ومحضناه .

فَرَقَعَ بَعْدَ الْاِسْتِنَاءِ مِنَ الْمُوجَبِ .

أقول : إن أبا نواس يستعمل في شعره مذهب الكوفيين كثيراً ، وهذا من جملة مذاهبهم ، وقد قال :

لَمْ طَلَّ عَانِي الْخَلَلُ دَفِينٌ (عَفَا عَنْهُدُهُ إِلَى خَوَالِ الدُّجُونِ) ^(١)

فابتداً بقوله خسواله جون ، وحذف الخبر وتقديره فإن الأمين لا يفضلُه . على أن من الناس مَنْ رواه « إلا النبي الطاهر الميمون » فنصب اللقطتين الأوَّلتين على الاستثناء من الموجب ونعته . ورَقَعَ الميمون على حذف المبتدأ ، تقديره : هو الميمون ، ويجوز في الوصف إذا كُرِرَ أن يتبعه وأن يستأنفه .

قال المصنف : « وقد خفي على أبي الطيب المنبي أَمْ ظاهر . فقال يتصفُ ناقةً :

وَتَكَرَّمَتْ رُكَبَاتُهَا عَنْ مَبِيرَكٍ تَقْعَدُ فِيهِ وَلَيْسَ مَسْكًا أَذْ فَرَا فُجِّعَ فِي حَالِ التَّثْبِيَّةِ فَقَالَ رُكَبَاتُهَا عَنْ مَبِيرَكٍ تَقْعَدُ فِيهِ وَلَيْسَ لِلنَّاقَةِ إِلَّا رَكْبَانِ » ^(٢).

أقول : إن هذا من اتساع العَرَبِ ومن مذاهبه غير بعيد : كقوفهم : امرأة ذات أُوراك ، وها وركان ، وقال الشاعر :

وَلَا رَهْلٌ لِبَّاهُ وَبَادُهُ ^(٣) وقد جاء مثله في حكم داود سليمان في

(١) من أبيات له في مدح الأمين ، منها :

وَلِي عَهْدَ مَا لَهُ قَسْرِينَ وَلَا لَهُ شَبَّهَ وَلَا خَدِينَ
أَسْتَغْفِرُ اللَّهَ بِلِ هَسَارُونَ يَا خَيْرَ مَنْ كَانَ وَمَنْ يَكُونَ
إِلَّا النَّبِيُّ الطَّاهِرُ الْمَيْمُونُ ذَلِكَ لَهُ الدُّنْيَا وَعَزُّ الدِّينِ

(٢) الصواب من ديوان المشتبه ٣٦٨ / ١ ومن المثل السائر ٦٩ / ١ .

(٣) هنا هو الشطر الثاني من البيت :

فَتَى قَدْ قَدَ السَّيفَ لَا مَضْطَرَّاً وَلَا زَهْلَ لِبَاسِهِ وَأَيَاجِلَهِ

الغم التي نَفَشَتْ في المَرْثَةِ وَكُنَّا لِحُكْمِهِ شَاهِدِينَ .

قال المصنف : « فأما الإدغام فلا حاجة إليه لكاتب ، لكن الشاعر ربما احتاج إليه ، لأنَّه قد يُضطَرُّ في بعض الأحوال إلى إدغام حرفٍ أو فكِّ أو إدغام من أجلِ إقامة الميزان الشعري ». .

أقول : إن المعرفة بأبواب الإدغام ومتى يُحاجَّ به الشاعر لإقامة الميزان الشعري قد يَحْتَاجُ إليه الكاتب لِتقريرته ، وقد يُصيِّبُ فيه وقد يُخْطِئُ .

مثال الخطأ أن تقول : « وأخلص بعدهما نافق ، وأصحاب بعدهما شاقق » فقد دعته القرينة إلى أن أخطأ في فك الإدغام في موضع لا يجوز فيه .

ومثال الصواب أن يقول : « أولاً هُمْ بالإحسانِ مَنْ لم يَغْشَى ولم يُسْأَرِقْ ، ولم يَشْقَى عاصاً ولم يُشَاقِقْ ». .

قال المصنف : « والأسماء المترادفة هي التي يتحدد فيها المسمى وتختلف أسماؤه ، كالحمر والراح والمُدَام ، فإن المسمى بها شيء واحد ، والأسماء كثيرة ^(١) ». .

أقول : هذا الموضع من أمثل الغلطات التي نَبَّهَ إليها المتنطِّقيُّون ،

= وهو من قصيدة لزينب بنت الطُّبرية في رثاء أخيها :
(شرح الحمامة للمرزوقي ١٠٤٦/٣) .

رهل : سترخ . البابات : المراد الصدر ، الأباجل : جمع أبجل وهو عرق في باطن الذراع وعرق غليظ في الرجل .

وعل روایة (بادله) فإنها جميع بادلة وهي لحمة بين الإبط والثندوة .

(١) المثل السائر ٧٠/١

قالوا قد يُظنُّ في كثير من الأسماء أنها مترادفةٌ ، وهي في الحقيقة متباعدةٌ ، كالسيف والصارم والمهنّد موضوع للمسوب إلى الهند . فكل واحدٍ من هذه المعاني مباینٌ للأخر . فالأسماء الموضوعة لها متباعدةٌ في الحقيقة . وإن ظُنِّ في الظاهر أنها مترادفةٌ .

وكذلك ما مثَلَ به هذا المصنفُ ، فإن الخمر اسم موضوع لهذا الشراب المخصوص ، وإن كان مُشتقاً غير مُرتجلاً ، والراحُ اسم لما ترُتاح النفس إليه ، والمُدامُ اسم لما يُدام استعماله ، كأنه أديمٌ يُدَامُ . فالمعاني متباعدةٌ لا محالةٌ ، وإن تُوهم في الظاهر أنها مترادفةٌ .

قال المصنف : « والأسماء المشتركة هي التي تتَّحدُ وتحتَّلُ مُسَمَّياتها كالعَيْنَ »^(١) .

أقول : ينبغي أن تزداد في ذلك زيادةً فيقال : هي التي وُضِعَتْ لها وَضْعاً أوَّلاً ، ويكون ذلك احترازاً عما يَدُلُّ على شيء بالحقيقة وعلى غيره بالمحاجز ، فإنه مُتَّحِيدٌ مختلف مُسَمَّياته ، ولا يُسْمَى مُشترِكًا .

قال المصنف : من الناس من منع وقوع اللقط المشترِك . بمعنى أنه لا يكون حقيقةً في مُسَمَّياتِين ، بل يكون مجازاً في أحدِهما ، واحتاجَ بأن ذلك يُخْلِلَ بفائدة وَضْع اللغة . لأن مقصود الواضح الإفهام والإبانة . والاشترِك يُخْلِلُ بذلك .

(١) قال ابن الأثير : كذلك يحتاج (الكاتب) إلى معرفة الأسماء المشتركة ، ليستعين بها على استعمال الت Jennings في كلامه ، وهي اتحاد الاسم واختلاف المسميات ، كالعين فإنه تطلق على العين الناظرة ، وعلى ينبع الماء ، وعلى المطر وغيره ... (المثل السائر ١ / ٧٠).

ثم أجاب فقال لا نُسَلِّمُ أن مقصود الراضع هو البيان^١ فقط ، بل البيان والتجنيس ، فالبيان يحصل بالألفاظ المتباعدة التي هي كافية في الإفهام ، وأما التجنيس فإنه مُهْمٌ في هذه اللغة ، لأنَّه عَمَدةُ الفصاحة والبلاغة ، ولا يقوم به إلا الأسماء المشتركة ، وهي وإن أخْلَتْ بقائمة البيان إلا أنه إِخْلَالٌ يمكن استدراكه بالقرائن الدالة على المراد من اللفظ المشتركة ، والإخلال يوَضِعُ الألفاظ المشتركة تَسْقُطًا به الفصاحة والبلاغة ورَوْنَقُها ، ولا استِدْرَاكَ له بحالٍ ، فكان وَضِعُ الألفاظ المشتركة مُتَعَيِّنًا^(١) .

أقول : لا نُسَلِّمُ أنه بقدر عدم الألفاظ المشتركة يذهب التجنيس من الكلام ، ولا يزول رَوْنَقُهُ وبهاؤه ، كما زعم هذا الرجل ، وبَيَانُهُ أنَّ التجنيس يَحْصُلُ بتشابه لفظتين في الحروف الأصلية ، وإن كانت في إحداهما زوايدٌ ليست في الأخرى ، مثاله قول أبي تمام :

مني أنت عن ذُهْلِيَّةِ الْحَيِّ ذاهل^(٢)

وقوله :

تُطِيلُ الطَّلُولُ الدَّمَعَ من كُلِّ مَوْقِفٍ

وقوله :

مَنَازِلُ لَمْ يُخْفِي الرِّبَيعُ رِبْعِهَا

فذُهْلِيَّةٌ منسوبة إلى ذُهْلٍ اسم رجل ، وذاهل فاعل ذَهَلَ عن الأمر يَذْهَلُ . وتُطِيلُ الطَّلُولُ كذلك ، لأنَّ تُطِيلُ مضارع أظل دمَه

(١) ملخص ما قاله ابن الأثير ٧١/١ .

(٢) تكنته : وقلبك منها مدة الدهر آهل وهو مطلع قصيده في مدح محمد بن عبد الملك الزيارات (الديوان ١١٢/٣) .

أي أهداره ، والطلول جمع طلَّل ، وهو ما شَخَّصَ من آثار الديار . وكذلك الربع وهو المُشْبُب . والرَّبُّوْعُ جمع رَبِيعٍ وهو المترزل ، فهذه كلها تضمن التجنيس ، وليس من المشتركات ، لأنَّها ليست لفظتين متَّابعتين دالَّتين على مُسْتَحَمَّيْن مختلفين ، كلفظة العَيْنِ .

وأكثر التجنيس في الشعر والرسائل مثل هذا : ولا يُسْتَعْمَلُ فيه التجنيس بالمشتركة إلا في النادر أيضاً ، فلو كان كل تجنيس في الذَّهْنِ بالمشتركة فقط لم يكن ذلك من الفصودات الأصلية التي تقتضي وضع المشتركة مع ما فيه من تَرَدُّدٍ فَهُمْ السَّامِعُونَ وعَدَمَ معرفته ، فإنَّه مُحَمَّدُ وَرَدَ ذلك أعظمُ من تزويد اللَّفْظِ بالمشتركة ، خصوصاً ويمكن استدراك غيره للفظ بغيره التجنيس . كالمطابقة والمقابلة وغيرها من أنواع البدع .

والعجب من قولِ هذا الرجل إنَّ عدم التجنيس يُذَهِّبُ حُسْنَ الكلام . قوله: إنَّ واضع اللغة نظر إلى ما تحتاج إليه الفصاحة والبلاغة ، فوجَدَ من مُهِمَّاتِ ذلك التَّجَنِّيْسَ الذي لا يَقُومُ إلا بالأسماء المشتركة ، وهو يرى القرآن عارياً عن التجنيس ، وهو أحسنُ الكلام وأفصحُه وأبلغُه . كما قال تعالى : «اللهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ»^(١) .

ليت شعري كيف تحتاجُ البلاغةُ إلى التجنيس ؟ أتُرَاه يَعْلَمُ ما البلاغة ؟ ألم يَسْمَعْ كلام عبد الحميد بن يَحْبَيْ^(٢) وابن المفعَّع^(٣)

(١) الله أنزَلَ أحسنَ الحديثَ كتاباً متشابهاً مثاني تتشعر منه جلود الذين يخوضون بهم ، ثم تلين جلودهم وقلوبهم إلى ذكر الله . سورة الزمر : الآية ٢٣ .

(٢) عبد الحميد بن يحيى مولى فارسي لبني عامر ، ثنا بالشام في آخريات الدولة الأموية ، وكتب لمروان بن محمد سنة ١٢٧ هـ ويعد من الرعاع الذين كان لهم أثر عظيم في النثر الفني . توفي سنة ١٣٢ هـ .

(٣) ابن المفعَّع هو عبد الله بن المفعَّع أحد فحول البلاغة في العصر العباسي الأول ولد حوالي ١٤٢ هـ وقتل سنة ١٤٢ هـ له مؤلفات شتى منها: الأدب الكبير، والأدب الصغير، وترجمة كليلة ودمنة.

ومنْ جاءَ بعْدُهَا مِنَ الْكِتَابِ ، وَمَنْ كَانَ قَبْلَهَا مِنْ فَصَحَّاءِ الْعَرَبِ الَّذِينَ كَلَامُهُمْ مَحْضُ الْبَلَاغَةِ ؟ فَهَلْ تَرَى لِأَحَدِهِمْ تَجْنِيَّاً فِي كَلَامِهِ . اللَّهُمَّ إِلَّا إِنْ يَقُولَ ذَلِكَ اتَّفَاقًا غَيْرَ مَفْصُودٍ فَقَصَدَهُ ؟

قال المصنف : « وقد استعمل المشترك في الكلام العزيز قال سبحانه : « وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُقْسِمُ الْمُحْرِمُونَ مَا لَبَثُوا غَيْرَ سَاعَةً »^(١) فالساعة الأولى هي القيمة ، والساعة الثانية هي هذا المقدار المخصوص من الزمان»^(٢).

أقول : لذاهب أن يذهب إلى أن الساعة في الموصى بهم بمعنى واحد ، وهو هذا المقدار المعين من الزمان ، وسميت القيمة ساعة لما يجري فيها من الأحوال والأمور الشائقة ، وهذه عادتهم إذا استعظتموا أمراً يقع في زمان مخصوص اكتفوا بذلك الزمان في الدلالة عليه ، كقولهم يوم الجمل^(٣) ويوم ذي قار^(٤) وليلة الصرير^(٥) ، وقوله سبحانه :

(١) سورة الروم : الآية ٥٥.

(٢) لم نجد هذا النص في كلام ابن الأثير عن المشترك ، ولكننا وجدناه قد استدل بالآية في التجني الحقيقى . (المثل السائر ١/٣٨٠).

(٣) موقعه كانت بين علي بن أبي طالب وطلحة والزبير والستة عاشطة سنة ٣٦ هـ: بالقرب من البصرة ، وانتصر فيها علي بن أبي طالب ، وانحصر بعدها التزاع بين سريبن اثنين هما حزب معاوية بن أبي سفيان . وحزب علي بن أبي طالب .

(٤) يوم ذي قار أشهر الواقع بين ذي يكربلا وائل وبني عجل وبين كمرى وحلفائه من العرب ، كان التصر فيه للعرب ، وكان ذلك في حياة الرسول صلى الله عليه وسلم بعدبعثة . وقد أشار الشعراوي بانتصار العرب أيام إشادة (مروج الذهب ١٣٤/١ والتنبيه والإشارة ٢٠٨ والأغاني ٢٩/٢٠ و ٢٢/٢٠ وتاريخ الطبرى ١٤٦/٢) .

(٥) ليلة الصرير : ليلة بصفين كانت بين علي ومعاوية ، حدث معاوية أنه هم فيها بالغرار ، فولأ آيات لعمرو بن الإطابة ثينته وقوته على البقاء (العدة ١٠/١) ومن أيام العرب في الماحالية عدم الضرر بين يكربلا وائل وتميم (القاموس المحيط مادة هر ٢/١٦٦) .

« هذا يومكم الذي كنتم توعدون^(١) » ولم يقل أحد إن لفظة يوم مشتركة ، وأنها في هذا الموضوع بمعنى القيامة ، وفي غيره بمعنى هذا الرمان المخصوص ، وعلى هذا يكون معنى قوله تقوم الساعة أن تحضر الساعة التي وعدوا بالجازأة فيها . فلا تكون لفظة مشتركة كما زعَهُ هذا المصنف ، أو يكون مجازاً في القيامة ، حقيقة في الوقت المخصوص ، فلا يتم أيضاً ما يريده من الاشتراك .

ويؤكّد بطلان الاشتراك أن العرب لم تكن تعرّف القيامة ، فيضعوا لها لفظة الساعة ، كما وضعوا لفظة الفرس لهذا الحيوان المخصوص ، اللهم إلا أن يقال إنها حقيقة شرعية ، فيكون ذلك تسليماً لما يقوله المعارض ، لأن الحقيقة الشرعية مجازٌ حقيقي في أصل الوضع .

قال المصنف : « وقد تعسّف قومٌ وأجابوا عن شبهة الاشتراك في اللغة فقالوا : الأسماء المشتركة إنما وضعتها قبائل مختلفة لا واضع واحد . قال : وهذا باطل ، لأنه قد ورد من الجموع ما يتبع على مسميين مختلفين مثل كعب جمع كعَب [الذي هو كعب الرجل]^(٢) وجمع الكعبَة هذه البنتية المخصوصة ، وقد ورد لفظٌ لفرد وَجَمِيع لغيره على وزنه ، مثل الرَّاحَ اسم المحرر ، وجمع رَاحَة وهي راحة الكتف ، ومثل عِقاب للعقوبة وَجَمِيع عَقَبَةٍ . ونظائر هذا كثيرة^(٣) . »

أقول : لصاحب هذا الجواب أن يسأل إن هذه الجموع أيضاً وضعتها قبائل مختلفون فوضع بنو تميم مثل الكعبَ ووضع بنو أسدٍ الكعب

(١) سورة الأنبياء : الآية ١٠٣ « لا يخزئنهم القرع الأكبر ، وتقلّقام الملائكة هذا يومكم الذي كنتم توعدون » .

(٢) زيادة يتم بها المعنى : عن المثلث الثاني ٧٢/١ .

(٣) المثلث السادس ٧٢/١ .

جمع كَعْبَة ، وكذلك ما جاء مثل الراح المفرد بِسُمَّى ، قبائل مُختلفون ، فوضع بنو تميم مِثْلَ الكعب جمع «كَعْب» ، ووضع الراح الجمع لِسُمَّى آخر ، يجوز أن يكون ورد عن قبيلتين كل واحدة منها وضعت اللفظة بِسُمَّى غير ما وضعته القبيلة الأخرى له ، فالقدَرُ الأول عن وقوع الاشتراك في اللغة مُطْرَدٌ فيها ظنَّ هذا المصنف أنه لا يمكن اطْرَادُه فيه حَذْوَ التَّعْلُل بالتعلُّل .

— ٤٠ —

قال المصنف « وَحَدَّ المَثَلِ » : هو القولُ الْوَجِيزُ النَّرْسَلُ لِيُعْمَلَ عَلَيْهِ ^(١) .

هذا باطل بقوله تعالى : « أَقِيموا الصَّلَاةَ ^(٢) » فإنه قولٌ وَجِيزٌ أَرْسِلَ لِيُعْمَلَ عَلَيْهِ ، وليس بمثل ، وأيضاً فإنَّ أَرَادَ بقوله : لِيُعْمَلَ عَلَيْهِ أَيْ لِيُعْمَلَ بِسُوْجِيْبٍ مَا فِيهِ مِنِ الْاِقْتِضَاءِ وَالْتَّلَبِ ، فهذا باطل بأكثر الأمْثَالِ ، نحو قوله : هو أَفْعَلُ من كذا .

وإن أَرَادَ بقوله : لِيُعْمَلَ عَلَيْهِ أَنْ يُسْتَعْمَلَ فِي الْمَوْضِعِ الْلَّاتِقِ ، فَكُلُّ بَيْتٍ شِعْرٍ مِنْ أَشْعَارِ الْجَاهِلِيَّةِ وَالْمُحَدَّثَيْنَ قَوْلٌ وَجِيزٌ مُرْسَلٌ يُسْتَعْمَلُ فِي مَوْضِعٍ يُلْبِقُ بِهِ ، وَذَلِكَ يَقْضِي أَنْ يَكُونَ الشِّعْرُ كَلَّهُ أَمْثَالًا ، وَلَمْ يَقُلْ بِذَلِكَ قَافِلٌ .

وَالصَّحِيحُ أَنْ يُقَالَ : المَثَلُ يُطْلَقُ عَلَى نَوْعَيْنِ : أَحَدُهُمَا مَا قُصِّدَ بِهِ الْمَبَالَغَةُ بِلِفْظِ أَفْعَلُ ، كَفُولُمْ : أَشْغَلُ مِنْ ذَاتِ السُّخْيَيْنِ ^(٣) ،

(١) المثل السائر ٩٤/١

(٢) تكرر هذا الأمر في سورة البقرة : الآيات ٤٣ ، ٨٣ ، ١١٠ ، وفي سور أخرى .

(٣) كانت امرأة من بنى تميم ثعلبة تتبع السن في الجاهلية ، فأناها خوات بن جبير الأنصاري يبتاع منها سُنًا ، فلم ير أحداً عندها ، وساومها ، فعلت تحيا - وعاء بن - فنظر إليه ، ثم قال : أمسكيه حتى أنظر إلى غيره ، فلما حللت آخر قال أريد غير هذا فأمسكيه ، فلما شغل يديها ساورها فلم تقدر على دفعه ، حتى قفي ما أراد وهرب (جميع الأمثال الميداني ١/ ٢٥٥) : (الفلك الداير - م ٤)

والثاني كل كلام وجيء مثور أو منظوم قيل في واقعة مخصوصة تضمن معنىًّا وحكمة ، وقد تهأباً بتضمينه ذلك لأن يُسْتَشْهِدَ به في نظائر تلك الواقعة .

قال المصنف : « وقد كتبت كتاباً لمن اقرحه عليـ أذكر فيه فتح مصر معاـضاً لكتاب كتبه عبد الرحمن بن عليـ البيـسانـيـ في المعنى فقلت فيه ، « ومن جـعـلـتـهاـ ماـ فـعـلـكـهـ الخـادـمـ فيـ الدـوـلـةـ الـمـصـرـيـةـ ،ـ وـقـدـ قـامـ بـهـ مـنـبـرـ وـسـرـيرـ ،ـ وـقـالـتـ مـنـاـ أـمـيرـ وـمـنـكـ أـمـيرـ » ،ـ فـرـدـ الدـعـوـةـ الـعـبـاسـيـةـ إـلـىـ مـعـادـهـ ،ـ وـأـذـكـرـ الـتـابـيـرـ مـاـ نـسـيـتـهـ بـهـ مـنـ زـهـنـ أـعـوـادـهـ ،ـ وـلـمـ يـعـدـهـ إـلـىـ وـطـنـهـ حـتـىـ تـغـرـبـتـ لـهـ الـأـرـوـاحـ عـنـ أـوـطـانـهـ ،ـ وـسـهـرـتـ لـهـ أـجـفـانـ السـيـوـفـ سـهـرـ الـعـيـوـنـ عـنـ أـجـفـانـهـ » .

قال : فانظر إلىـ كيفـ أـتـيـتـ فـيـ بـكـلـامـ الـحـيـابـ بـنـ الـمـنـدـرـ الـأـنـصـارـيـ (١) حيثـ قـالـ يـوـمـ السـقـيـفـةـ لـلـمـهـاجـرـيـنـ :ـ مـنـ أـمـيرـ وـمـنـكـ أـمـيرـ .ـ وـالـقـصـةـ مـشـهـورـةـ ،ـ فـقـالـ أـبـوـ بـكـرـ :ـ بـلـ نـحـنـ الـأـمـرـاءـ وـأـقـمـ الـوـزـرـاءـ ،ـ قـالـ :ـ وـهـذـاـ نـكـيـثـهـ هـذـاـ الفـتـحـ الـيـ عـلـيـهـ الـمـعـوـلـ ،ـ وـمـرـكـزـهـ الـذـيـ عـلـيـهـ يـتـدـورـ .

(١) هو الحباب بن المنذر بن الجحور بن زيد السلي . يكـنـيـ أـبـاـ عـمـروـ ،ـ شـهـدـ بـدرـاـ وـهـوـ أـبـاـ ثـلـاثـ وـثـلـاثـيـنـ سـنـةـ .ـ كـانـ يـقـالـ لـهـ ذـرـ الرـأـيـ ،ـ وـهـوـ الـذـيـ أـشـارـ عـلـىـ رـسـوـلـ اللهـ صـلـ اللـهـ عـلـيـهـ وـسـلـمـ أـنـ يـنـزـلـ عـلـىـ مـاـ يـدـرـ لـلـقـاءـ الـقـوـمـ .

وـشـهـدـ أـحـدـاـ وـالـخـدـقـ وـالـمـاـشـادـ كـلـهـاـ مـعـ رـسـوـلـ اللهـ ،ـ وـهـوـ القـائـلـ يـوـمـ السـقـيـفـةـ :ـ أـنـ جـذـيلـهـاـ الـمـحـكـكـ وـعـذـيقـهـاـ الـمـرـجـبـ ،ـ مـنـ أـمـيرـ وـمـنـكـ أـمـيرـ .ـ مـاتـ فـيـ خـلاـقـ عـمـرـهـ أـفـةـ عـنـهـ .ـ الـاستـيـعـابـ ٣٦٦/١ .

جـذـيلـهـاـ الـمـحـكـكـ :ـ الـمـذـلـلـ مـوـدـ يـنـصـبـ لـلـجـرـبـ لـتـحـتـكـ بـهـ ،ـ وـمـهـ :ـ أـنـ جـذـيلـهـاـ الـمـحـكـكـ ،ـ وـهـوـ تـصـفـيـرـ تـعـلـيمـ .ـ يـرـيدـ أـنـ حـكـمـ مـخـنـكـ يـشـفـيـ النـاسـ بـرـأـهـ كـمـاـ تـشـفـيـ الإـبـلـ الـجـرـبـ بـاسـتـكـاكـهـ بـهـذـاـ الـعـودـ .ـ عـذـيقـهـاـ الـمـرـجـبـ :ـ الـمـذـقـ النـخـلـةـ يـكـثـرـ حـسـلـهـ فـيـ جـعـلـ تـحـتـهـ دـعـمـةـ تـسـمـيـ الـرـجـبةـ ،ـ أـوـ الـمـرـادـ أـنـ نـافـعـ كـرـيمـ كـهـنـهـ النـخـلـةـ الـيـ يـكـثـرـ حـسـلـهـ .

وَعَجِيبٌ مِنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَلَى الْبَيْسَانِيِّ مَعَ تَقْدِيمِهِ فِي فِنِ الْكِتَابَةِ كَيْفَ قَاتَهُ أَنْ يَأْتِيَ بِهِ فِي كِتَابِهِ^(١) .

أقول: إن القاضي الجليل الفاضل النبيل أبا علي عبد الرحمن كان موقفاً حيث لم يَذْكُرْ ما ذكره هذا الرجل وأعْجِيبَ به . وذلك أن الحباب بن المنذر والأنصار رأوا أن يكون منهم أميرٌ ومن المهاجرين أميرٌ . وملوك الدولة الطالية^(٢) بمصر لم يقتصرَا على أن يكون منهم خليفةٍ ومن الأئمة العباسية خليفة ، بل كانوا يَذْكُرُونَ أن الخليفة ليست إلا لهم خاصةً . دُونَ غيرهم وما زالت الحربُ بين الفريقيْن قائمةً ، والمهج سائِمةً على ذلك ؛ ولو لم يكنْ إلا مَا جَرَى في الأيام القائمة لكتفي . فكيف كان القاضي الفاضل على جلالته من يَذْهَبُ عليه هذا ، ويُشَبِّهُ واقعتهم بواقعة الأنصار ، ويُؤْرِيدُ كلامَ الحباب بن المنذر ، ويُشَوِّهُ وجْهَ رسالته الحسنة به ؟ وإنما تُرَصَّعُ الرسالةُ بالواقع والأيام المشهورة إذا كانت مطابقةً للحال الحاضرة ؛ لا إذا كانت مخالفةً لها . فاما الكلام المنشور الذي أنشأه في هذا فليس من جَيْدِ قوله ، وفيه مالا يَتَجُوزُ ، وإن جاز فهو على ضَيْعَفٍ شديدٍ وتَكَلُّفٍ عظيم . فمن ذلك قوله : « وأَذْكُرَ المتأبرَ ما نَسِيَتْهُ بِهَا مِنْ زَهْنِ أَعْوادِهَا » فإن الباء في بها لا محالة متعلقة بزهو ، وإلا لم يَبْقَ للكلام معنى ، وحيثند التقدير « وأذكر المتأبر ما نسيته من زهنو أعودها بها » وحرف الجر إذا تعلق بالمصدر صار من صَلَبِه ، فلا يجوز تقاديه عليه إلا على ثأويل بعيد ، وهو أن يُقْدَرُ مثله شيء قد دَلَّ عليه المصدر المتأخر ، وهو في هذا الموضع خاصة متذر التقدير أو مُسْتَهْجَنُ التقدير .

ومن ذلك قوله « وَسَهَرَتْ لَهَا أَجْفَانُ السَّيُوفِ سَهَرَ الْعَيْنَ عَنْ أَجْفَانِهَا »

(١) ملخص من المثل السادس ٧٩/١

(٢) الطالية هي الفاطمية .

فقوله : « سهر العيون عن أجنانها » كلام بارد ، لأن العيون لا تَسْهِرُ عن الأجنان وما سَمِعْنَا في ثُر ولا نَظَم سَهِيرَتْ عَيْنِي عن جَفْنِي . ولا شُبُهَةَ أنه أراد وسَهِيرَتْ لِهَا أجنانُ الْمَيْوَفِ . سَهِيرَ أَجْفَانُ الْعَيْنُونِ ، فلم يَسْتُوْسِقْ^(١) له ذلك ؛ فأئِي بلْفَاظٍ إِمَّا لَا يكون صحيحاً أَصْلًا ، أو يحتاج في تَصْحِيحِه إلى تَعَبٍ شَدِيدٍ ، وليس تحت اللَّفْظِ من المعنى الغريب ما يُساوِي ذلك التَّعَبَ .

قال المصنف : « وإنما قصدنا أن يكون الكتاب (الذي يكتب) في هذا المعنى مشتملاً على الترغيب والترهيب والمساحة في موضع ، والحاقة في موضع »^(٢) .

أقول : قد ظهرت فائدة علم الإدْغَام في باب الكتابة كما قدمناه ، فإن الكاتب أراد أن يوازن لفظة المساحة بلفظة الحاقة ، وسَهَّا عن أن الحاقة بكل الإدَغَام غير جائزة .

قال المصنف : « اللَّفْظُ قَدْ يُسْتَأْوِلُ فِي المعنى وضدَّه ، وَقَدْ يُسْتَأْوِلُ فِي المعنى وغَيْرِهِ الذي ليس بضدِّه . والأولُ أَغْرَبُ وأَظْرَفُ . فَهَا جاءَ منه قوله عليه السلام : « صَلَوةٌ فِي مسجدِي هذَا خَيْرٌ مِّنْ أَلْفٍ صَلَوةٌ فِي غَيْرِهِ مِنَ المساجد إِلَّا المسجدُ الْحَرَامُ » .

قال : فهذا الحديث يستخرج منه معنيان ضدان : أحدهما أن المسجد الحرام أَفْضَلُ من مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، والآخر أن مسجد

(١) لم يستوْسِقْ . لم يجتمع .

(٢) المثل السائر ٨٤/١

رسول الله صلى الله عليه وسلم أَفْضَلُ من المسجد الحرام ، إِلَّا أَن صلاةً^١
واحدة فيه لا تَفْضُلُ الْأَلْفَ صلاةً في المسجد الحرام ، بل تَفْضُلُ ما دُونَهَا
بِخِلافِ المساجد الباقيَة ، فَإِن الْأَلْفَ صلاةً فيها تَقْصُرٌ عن صلاة واحدة
فيه^(١) .

أقول : هذا الحديث لا يَدُلُّ على أن المسجد الحرام أَفْضَلُ من مسجد
رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولا على أن مسجد رسول الله أَفْضَلُ من
المسجد الحرام ، وليس الأمر كَمَا تَوَهَّمَهُ هذا الرجل ، وإنَّما يَدُلُّ^٢ على
أَن حَكْمَ المسجد الحرام ^{يُخَالِفُ} لَهُذا الحَكْمِ الَّذِي قَدْ حَكَمَ بِهِ صلَّى اللهُ عَلَيْهِ
وَسَلَّمَ فِي حَقِّ مسجده وباقي المساجد ، لأن تَفْهِيرَ الْكَلَامِ : كُلُّ مسجدٍ فِي
الْأَرْضِ إِذَا صَلَّى فِيهِ الْأَلْفَ صلاةً فَهُنَّ فِي الْفَضْلِيَّةِ دُونَ الصلاةِ الْوَاحِدَةِ
فِي مسجدي ، واستثنى من هذا الحَكْمِ المسجد الحرام فَدَلَّ^٣ فِي الْمَطَابِقَةِ
عَلَى أَن المسجد الحرام ^{يُخَالِفُ} باقي المساجد فِي هَذَا الْحَكْمِ .

هذا هو الذي يدل عليه هذا اللفظ فقط ، ولا يَدُلُّ^٤ عَلَى شَيْءٍ آخَرَ ،
لَا أَفْضَلِيَّةً مسجده على المسجد الحرام ، لَا أَفْضَلِيَّةً المسجد الحرام
عَلَى مسجده .

لَكِنْ هَذِهِ الْمُخَالَفَةُ تَحْتَمِلُ أَمْوَارًا ، مِنْهَا : أَن يَكُونَ مسجده عَلَيْهِ السَّلَامُ
لَا تَفْضُلُ الصلاةُ الْوَاحِدَةُ فِي الْأَلْفَ صلاةً في المسجد الحرام ، بل تَفْضُلُ
تِسْعَمَائَةٍ صلاةً أَوْ ثَمَانِمَائَةٍ صلاةً مثلاً .

وَمِنْهَا : أَن يَكُونَ مسجده صلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تَفْضُلُ الصلاةُ
الْوَاحِدَةُ فِيهِ صلاةً وَاحِدَةً فِي المسجد الحرام ، لَا فَرْقٌ بَيْنَهُمَا .

(١) ملخص من المثل السائر ٩١/١

ومنهما : أن تكون الصلاة الواحدة في المسجد الحرام أفضَّلَ من صلاة كثيرة في مسجده ، إما ألف صلاة أو أقلَّ منها أو أكثر ، ومراتب ذلك غير متناهية ولا معلومة ، فهذه الاحتمالات كلها تدخل تحت الخالفة التي دَكَ الاستثناء عليها .

فقد ظهر أنه لم يُصِبْ في قوله : إن هذا الحديث يمكن أن يستخرج منه معنىًّا ضدَّه : ها أفضَّلَةُ مسجده عليه السلام ، للمسجد الحرام ، والآخر أفضَّلَةُ المسجد الحرام لمسجده عليه السلام ، لأنَّا قد بيَّنا أنَّ الحديث إنما يدلُّ على أنَّ حكم المسجد الحرام تُخالِفُ لما قد حكَمَ به في حقِّ مسجده وبقيَّةِ المساجد ، ولا يدلُّ على شيءٍ آخر لا في هذا ولا في ذاك ، لكنَّ الخالفةَ المدلولَ عليها يمكن انقسامُها إلى أفضَّلَةٍ كلَّ واحدٍ منها ، وإلى تساويهما أيضًا .

فالحاصلُ أنَّ الحديثَ مَا دلَّ على شيئاً ضدَّين كما ذكره صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ . وإن سُلِّمَ له أنه قد دَكَّ فإنه يدلُّ أيضاً على المساواة ، وهي أمرٌ ثالثٌ ، قُصِّرَتْ أيضًا ، وهي شيءٌ غير أفضَّلَةٍ كلَّ واحدٍ منها ، وذلك لم يذكره المصنف ، فقد ظهر أنَّ الذي ذَكَرَ مستدرِكًا على كلام التقديرَيْنِ .

قال المصنف : « وقد قال أبو الطيب المنبي :
وأظلمُ أهلِ الظُّلْمِ مَنْ بَاتَ حَاسِدًا لَمَنْ بَاتَ فِي نَعَائِهِ يَتَقَلَّبُ
قال : هذا البيتُ يستخرجُ منه معنيان ضدان ، أحدهما أنَّ النَّعِيمَ عليه يَخْسُدُ النَّعِيمَ ، والآخر [أنَّ النَّعِيمَ يَحْسُدُ النَّعِيمَ] عليه » (١) .

(١) التصويب من المثل السائر ٩٢/١

والبيت من قصيدة في مدح سيف الدولة التي مطلعها :

أغالب فيك الشوق والشوق أغلب وأعجب من ذا المجر والوصل أعجب
١٢٨/١ الديوان

أقول : أما أولاً فإن هذين المعنيين ليسا بضدِّيْنِ ، لأنه يجوز اجتماعهما معاً ، فيكون زيدٌ قد أَنْعَمَ على عمرو ، ثم حسده ، وعَصَمَتْ وَجْهَهُ^١ أيضاً ، فيكون المَنْعِمُ والمَنْعُومُ عليه كُلُّ واحدٍ منها يَحْسُدُ صاحبَه ، فقد بَطَّلَ التَّضَادُ الذي ذَكَرَه ، وَوَجَبَ دُخُولُ هذا البيت في القِسْمِ الآخر ، وهو أن تتأول اللَّفْظَةَ على المعنى وغيره لا على المعنى وضدِّه . وأيضاً فإن لفظة البيت تشعر بأنه أراد أن المَنْعِمَ عليه يَحْسُدُ المَنْعُومَ ، وكذلك سياقُ الشِّعر ، أما لفظ البيت فلأنه سَمَّاه ظالماً وقال إنه أظْلَمُ الظالمين ، ولا شُبُهَةَ أن من أَنْعَمَ عليه بنعمة فحسدَ من أَنْعَمَ بها عليه وَوَدَ زَوَالَ نِعْمَتِهِ ، وانتقالها إليه ، فإنه يكون قد كافأ الإحسانَ بالإساءة ، وكان ظالماً ، فإذا أَنْعَمَ إِنْسَانٌ على غيره ، ثم حَسَدَ ذلك الغَيْرَ فإنه لا يُسَمِّي ظالماً ، لأنه لم يكفيه الإحسانَ بالإساءة . نعم قد يسمى بخيلاً كما قال ابن هانئ :

وَهَبَ الدَّهْرُ فَقِيسًا فَاسْتَرَدَ رُبَّمَا جَادَ بْخِيلٌ فَحَسَدَ^(١)

وأما سياق البيت فإن هذا المصنف ذكر في بيت أبي الطيب وهو :
فإن نلتُ ما أَمْلَأْتُ مِنْكَ فَرِبِّمَا شَرِّيْتُ بِمَا يُعْجِزُ الطَّيْرَ وَرَدَه^(٢)

أنه ليس متراجداً بين المدح والذم كما قد توهمه قوم ، لأن سياق الشعر

(١) هو أبو القاسم محمد بن هانئ الأزدي الأندلسي ، ولد بالأندلس بمدينة إشبيلية ونشأ بها واشتغل بالأدب ومهر في الشعر ، ولما خرج معز الدولة يريد مصر شيمه ومدحه بقصيدة مشهورة ، ثم جاء إلى مصر ليتحقق به فقتل ببرقة سنة ٥٣٦٢ . (وفيات الأعيان ٤/٤٩).

(٢) من قصيده في مدح كافور التي مطلعها :
أَوْدَ مِنَ الْأَيَامِ مَالًا تَوَدُّهُ وَأَشْكُرُ إِلَيْهَا بِيَنْتَا وَهِيَ جَنْدَه
الديوان ٢٦٢/١

يقتضي أنه أراد المدح لا الذم ، وإذا كان كذلك فسياقُ هذا الشعر يقتضي
أنه أراد أن المنعمَ عليه يتحسّدُ المعيمَ ، لأنَّه قال :

ترى يدك الحسادُ ما الله دافعْ وسمير العوالِي والحديد المذَرَّبْ
إذا طلبو جَدْواكَ أَعْطُوا وحُكْمُوا وإن طلبا الفضلَ الذي فيك خُبِيْبُوا
ولو جاز أن تعطي علاك و هيْبَتها ولكن من الأشياء ما ليس يُوهَبْ
وأظلم أهل الظلم من بات حاسداً ملَن بات في نعائمه يَسْقَلِبْ^(١)

فهذا يدل على أن المدح يعطي هؤلاء وهم يحسدونه ، وإذا كانت
السياقة تدل على أنه أراد هذا المعنى خرج من كونه دالا على معنيين ضلعين
كما حكَمَ به في البيت المتقدم .

قال المصنف : « وقد قال أبو الطيب أيضاً في كافور :

فألك تُعْنَى بالأسْتِئْرِ والقَنَّا وجَدْكَ طَعَانَ» بغير سِنَان
ومالك تَخْتَارَ القيسيَّ وإنما عن السَّعْدِ يَرْمِي دُونَكَ الملوان^(٢)
فإن هذا يتحمل المدح والذم ، بل هو بالتم أشباهه ، لأنَّه يقول إنَّك لم
تَبْلُغْ مَا بِلَأَغْتَهْ بسَعْيِكِ واهْتَامِكِ ، بل بِجَدْكِ وسَعَادَةِ ، وهذا لا فَضْلَ
فيه ، لأن السعادة ينالها الخَاطِلُ والحاَلُ ومن لا يستحقها . قال : وأكثُرُ

(١) من قصيده في مدح سيف الدولة .
الديوان ١٢٨/١

(٢) رواية الديوان تقديم البيت الثاني على الأول . وفيه (يرمي دونك التقلان) .
الديوان ٢٤٧/٤

ما كان المتنبي يستعمله هذا الفن في القصائد الكافوريات»^(١).

أقول : إن الناسَ واقعُ لهم واقعٌ طريفٌ مع المتنبي في هذا الباب ، وكان أصلُهُ الشيخ أبو الفتح عثمان بن جيني^(٢) رحمه الله ، فإنه تَبَّهَ المتنبي ، ولم يكن ذلك لبغضه لكافور وحقنه عليه ، فصار فيه حديثٌ طويلٌ.

وزَعَمَ مَنْ جاءَ بعدهُ أنَّ المتنبي كان يقصِّدُ ذلك ويَتَعَمَّدُ ويَمْدُحُ بالشعر الموجَّهِ الذي يَحْتَمِلُ المدحَ والذمَّ .

ومنهم من يَزَعُمُ أنَّ كافوراً كان يَتَفَقَّطُنَّ لِذلك ، ويُغْضِي عنه ، ويَنْقُلُونَ هذا عن المتنبي ، وما كان ذلك قَطُّ ولا وَقَعَ شيءٌ منه ، ولا قَصَدَ أبو الطَّيْبَ تَحْوِي ذلك أصلًا .

فَامَّا هذان الشيئان فقد قال في سيف الدولة أبي الحسن^(٣) مثلاً ما كثيرًا ،
نحو قوله له :

ولقد رمتَ بالسعادة بعضاً من نفوس العدا فأدركتَ كُلَّا^(٤)
وقوله له :

(١) المثل السائر ٩٤/١

(٢) هو أبو الفتح عثمان بن جيني الإمام النحوي ، كان من أخذ أهل الأدب وأعلمهم بال نحو والتصريف ، صفت في ذلك كثيًّا تفوق فيها على المتقديرين وأعز عن مثلها المتأخررين ، منها المخصائق وشرح ديوان المتنبي . وكان يحضر مجلس المتنبي ويتناوله ، وكان المتنبي يعجب به كأنه وحدهة ويقول : هذا الرجل لا يعرف قدره كثير من الناس . ولد حوالي سنة ٣٢٠ وتوفي سنة ٣٩٢هـ (معجم الأدباء ٨١/١٢).

(٣) سيف الدولة بن حسان أمير حلب الذي مدحه المتنبي كثيراً .

(٤) من قصيدة في تعزية سيف الدولة باغتيال الصقري وتسلية بالكري التي مطلعها : إن يكن صبر ذي الرزية فضلاً تكون الأفضل الأعز الأجلاء
الديوان ٩٦/٢

إذا سعت الأعداء في كيد مجده سعى جده في كيدهم سعى محنق^(١)

وهذه الرواية الأولى من رواية من روى (سعى مجده في جده) لأن قوله

بعدها :

وما ينصر الفضلُ المبينُ على العِدَا إذا لم يكن فضل السعيد الموفق
يُؤكَد ما ذكرناه .

ونحو قوله له :

لو لم تكن نجاري على أسبابهم مُهَاجَّاتُهُمْ بِحَرَّاتٍ عَلَى إِقْبَالِهِ^(٢)
ونحو قوله له :

همُ يطلبُونَ فَمَنْ أَدْرَكَوْنَ وَهُمْ يَكْذِبُونَ فَمَنْ يَقْبَلُ
وَهُمْ يَتَمْنَوْنَ مَا يَشْتَهِيْنَ وَمِنْ دُونِهِ جَاهِدُكُ الْمُقْبَلِ^(٣)

وقد قال لعهد الدولة أبي شجاع ، وهو أعظم ملوكاً من سيف الدولة
أبي الحسن ، وأشدَّ بأساً ، وأكثر انتقاداً للشعر ، وهو يَدْكُرُ هَزِيْعَتَهُ
(وَهَشُوْذَان) وهو بعيد عن عسكري لِدَوْلَةِ أَبِيهِ :

وَلَيْسَ يَوْمَيْ فَنَاءِ عَسْكَرِهِ وَلَمْ تَكُنْ دَائِيَاً وَلَا شَاهِيْدَ

(١) صوبنا البيت من الديوان .

وهو من قصيده في مدح سيف الدولة التي مطلعها :

لَيْلِينِيكَ مَا يَلِقُ الْفَرَادِ وَمَا لَقَيَ وَلَحِبَ مَا لَمْ يَبْقَ مِنِّي وَمَا يَقِي
الديوان ٤٥٧/١

(٢) من قصيده في مدح سيف الدولة التي مطلعها :

لَا الْحَلْمُ جَادَ بِهِ وَلَا بِعَشَالَهِ لَوْلَا ادْكَارَ وَدَاعِهِ وَزِيَالَهِ
الديوان ٥٠٢/٢

(٣) من قصيده في مدح سيف الدولة التي مطلعها :

أَيْقَلَحَ فِي الْخِيمَةِ الْمَذْلُولِ وَتَشَلَّ مِنْ دَهْرِهِ مَا يَشْمَلِ
الديوان ٤٩٦/٢

ولَمْ يَغِبْ غَايَةُ خَلِيفَتَهُ جَيْشُ أَبِيهِ وَجَدَهُ الصَّاعِدُ^(١)
وَقَالَ لَهُ فِي هَذِهِ الْقُصْيَدَةِ وَقَدْ صَرَحَ بِأَنَّهُ يَقْهَرُ الْأَعْدَاءَ بِالْجَنْدِ فَقَطْ :
إِنْ كَانَ لَمْ يَعْمِدْ الْأَمْرِيْرُ لِمَا لَقِيَتَ مِنْهُ فِيمَنْهُ عَامِدٌ
أَقْنَمًا نَالَ ذَاكَ أَمْ قَاعِدٌ^(٢) فَلَا يَبْلُلُ قَاتِلٌ أَعْادِيَّهُ
وَقَالَ لَهُ فِي قُصْيَدَةِ الْوَدَاعِ :
وَأَيَّا شَتِّيْ يَا طُرُنِيْ فَكَوْنِي
يُشَرِّدُ يُمْنِنُ فَتَّا خُسْرُ عَنِي^(٣)
وَقَالَ لَغَيْرِهِ مِنْ مَلْوَحِيَّهِ :
نَفَدَ الْقَضَاءُ بِمَا أَرْدَتَ كَاهِنَهُ
وَأَطْاعَكَ الْدَّهْرَ الْعَصِيَّ كَاهِنَهُ^(٤)

(١) من قصيدة في مدح عضد الدولة أبي شجاع حينما حارب وهشودان ملك الدليم وهزمه وأفني عسكره ، ولم يخسر عضد الدولة القتال في الموقعين ، ولم يكن قريباً منها فكتب النصر له وهو غائب ، كان سعاده ناب عنه في قتالهم .

مطلع القصيدة :

أَزَارَ يَا خِيَالَ أَمْ عَائِدَ أَمْ عَنْدَ مَوْلَاكَ أَنِي رَاقِه
الديوان ٢٩٨/١

(٢) الخطاب موجه إلى ملك الدليم الذي لم يقصد الأمير بنفسه .
ومعنى البيت الثاني أن من قتل أعدائه لا يبال بقتلهم قائماً أم قاعداً ، بنفسه أم بغيره . قال الواحدى : كان حقه أن يقول لا يبال بخلف الآية للجزم لكنه قال على قووم لا يبال بمعنى الآيات ، وإنما جاز ذلك لكثرة الاستعمال ، ولم يكتفى استعماله لا يبال ، فيجوز فيه ما جاز في غيره .

(٣) من قصيدة في وداع أبي شجاع عضد الدولة ومدحه التي مطلعها :
فَدِي لَكَ مِنْ يَقْصُرُ عَنْ مَدَاكَا فَلَا مَلِكٌ إِذْ إِلَّا فَسَادَا
فَنَا خَسْرُو : اسْمُ عَضْدِ الدُّولَةِ . الطَّعْنُ الدَّرَاكُ : الْمَتَابِعُ .

الديوان ١٧/٢

(٤) من قصيدة في مدح عبد الواحد بن العباس بن أبي الإصم الكاتب التي مطلعها :
أَرْكَابُ الْأَحْبَابِ إِنَّ الْأَدْمَعَ تَطْسِ الْخَدُودَ كَمَا تَطْسِ الْيَرْمَعَا
تطْسِ : تدق . الْيَرْمَعَ : حجارة يبيض صفار رخوة :
الديوان ٤٢٤/١ .

ولكن سيف الدولة لما اشتهر إخلاصُ أبي الطيب في ولائهِ عَدَلَ الناس عن هذا الشعر الذي يتضمن ذِكْرَ الْحَدَّ والْكَظْفَ ، فلم يذكروه ، ولم يجعلوه موجَّهًا متوسطًا بين المدح والذم ، وقالوا ذلك في كافور لما حدث تغيره مع أبي الطَّيْبِ . وآخرَافُ كُلُّ واحدٍ منها عن صاحبه ، ومجاورةُ أبي الطَّيْبِ له بعد مفارقه بالهجاءِ .

ولو تأمَّلت الأشعار كلها وأردتَ أن تستنتِبَ منها ما يمكن أن يكون هجاءً لقدَّرَتْ .

هذا السَّيِّد الحميريُّ من الشيعة العلوية^(١) ، لا يختلفُ في ذلك اثنانْ .

وقال أبو (عثمان) عمرو الحافظ في كتاب «الياقونة» إن بعض الشيعة أنسدَ أبا محمدَ قَوْلَ السَّيِّدِ :

أقْسِمُ بِالْقَرْ وَالْأَئْمَهُ
المرءُ عَمَّا قَالَ مَسْئُولُ
أَنْ عَلِيَّ بْنَ أَبِي طَالِبٍ
عَلِيُّ الْمَدِي وَالْبَرِّ حِبْرُولُ
وَأَنَّهُ كَانَ الْإِمَامُ الَّذِي
لَهُ عَلِيُّ الْأَمَمَةِ تَفضِيلُ
كَانَ إِذَا الْحَرْبُ مَرَّتْهَا الْقَنَا
وَأَحْجَمَتْ عَنْهَا الْبَهَالِيلُ
يَحْشُى إِلَى الرُّوعِ وَنِي كَفَهُ
أَبْيَضُ ماضِي الْحَدَّ مَصْفُولُ
مَشْيَ العَقَرْبِيَّ بَيْنَ أَشْبَالِهِ
ذَلِكَ الَّذِي سَلَّمَ فِي لَيْلَهِ
عَلَيْهِ مِيكَالُ وَجَبَرِيلُ

(١) شاعر شيعي ولد سنة ٥١٠٥هـ وتوفي سنة ١٧٣٤هـ فأدرك الدولة الأموية والعباسية ، وكان من غلاة الشيعة ، يفترط في سب أصحاب رسول الله وأزواجه ، فتحامي الناس شعره . ولو لا ما في شعره من سب السلف ما تقدمه أحد من طبقته (الأغاني ٧/٢) .

(٢) أسد عقربي : شديد .

ميكال في الألف وجريبل في ألف ويتلوهم إسرافيل
في يوم بدر بدارا كلهم كانوا طير أبایل^(١)
قال أبو مخلد في هذا : إن الشاعر لم يدح صاحبك ، وإنما هجاء
في موضعين :

أحدها : أنه زعم أن علياً محبول على البر والمدى ، ومن جليل على
أمر لم يُمدح عليه ، لأنه لم يكتبه بسعيه .
والثاني : أنه زعم أنه أيد في حربه بالملائكة ، ولا فضيلة له إذا
في الظفر ، لأن أبي حية التميري^(٢) لو أيده هؤلاء لتفهر الأعداء
وغلبهم .

واعلم أن الشعراء ما زالت على قديم الدور وحديده يمدحون الرئيس
بعلو جدّه ، ومساعدة الأقدار له ، ومطاؤعة الأفلاك والكواكب
والد هن لإرادته . وأقوالهم في هذا أكثر من أن تورّد وتحتكى ،
وإن كان الأصل في إكثارهم من ذلك أن يهدوا (إلى) أسماء أعداء
المدوح وخصومه ، ويُوَقِّرُوا في صدورهم ، ويُشْتَبِّهُوا في نفوسهم أنه
منتصرٌ من النساء ، وأنه محاط بالعناية الإلهية ، وأن الكواكب تُساعده ،

(١) البيتان الأولان بالأغاني ٧/٢

(٢) أبو حية التميري اسمه الميم بن ربيع ، شاعر مجيد من مخترع الدوّلتين الأموية والعباسية ، مدح الخلقاء فيما ، وكان أهوج جيانتاً كذاباً بغياً ، وله في الأكاذيب أشعار شتى (الأغاني ٦١/١٥) منها أنه دخل ليلة إلى بيته كلب ، فلنه لسا ، فانتقض سيفه الذي كان يسميه لباب
المنية ، ووقف في وسط داره وهو يقول : أهلاً المفترينا والمحترنا علينا ، بنس وآلة ما اخترت
لنفسك ، خير قليل ، وسيف قصيل ، لباب المنية الذي سمعت به ، مشهورة ضربته ، لاختلاف
نيوته ، اخرج بالغفو عنك قبل أن أدخل بالعقوبة عليك ، إني والله إن أدع قيساً إليك لا تقم طا ،
وما قيس ؟ تملأ وآلة الفضاء خيلاً ورجالاً . فيفيها هو كذلك إذا الكلب قد نخرج ، قال : الحمد لله
الذي سخنك كلباً ، وكفاني حريراً .

والأفضليّة والقدار تجري على مرآده ، فيُوقِعُوا الرُّعبَ منه في الصدور ، والخوف في القلوب ، إلى أن يُستخدِلَ مَنْ يُنَاوِلُه من غير حرَبٍ ولا كيْدٍ .

وقد روَى أن ملكَ الصَّينِ عرَضَ عَسْكَرَه على الإسكندر فاستعظمَه ، ورأى ما هَالَهُ ، فقال : قد كنتُ قادرًا على أَنْ أَصادَكَ بِهَذِهِ الْعَساِكِرِ الْعَظِيمَةِ ، لكنِّي رأَيْتُ الْأَفْلَاكَ نَاصِرَةً لَكَ ، فرَأَيْتُ أَلاَّ أَحَارِبَ مَنْ تَسْخَرُهُ . ثمَّ أَعْطَاهُ الطَّاعَةَ ، ودَفَعَ إِلَيْهِ الْإِتَّاوةَ .

قال المصنف : «فَلَمَّا مَا يَدَلُ عَلَى الشَّيْءِ وَغَيْرِهِ ، لَا عَلَى الشَّيْءِ وَضَدِّهِ ، فَمِثْلُ قَوْلِهِ تَعَالَى فِي قَصْةِ إِبْرَاهِيمَ وَوَلْدِهِ «فَبَشَّرَنَاهُ بِغُلَامِ حَلَيمٍ . فَلَا يَلْعَجُ مَعَهُ السَّعْيَ» قال يَا بُنْيَيْ إِنِّي أَرَى فِي النَّاسِ أَنِّي أَذْبَحُكَ» إِلَى قَوْلِهِ «فَبَشَّرَنَاهُ بِإِسْحَاقَ» يَحْتَمِلُ أَنْ يَكُونَ اسْتِنَافًا لِذِكْرِ إِسْحَاقَ بَعْدَ ذِكْرِ الْغَلَامِ الْحَلَيمِ ، صَاحِبِ الْقَصْةِ الَّذِي هُوَ إِسْمَاعِيلُ . وَيَحْتَمِلُ أَنْ يَكُونَ قَوْلَهُ : وَبَشَّرَنَاهُ بِإِسْحَاقَ بَنْوَتِهِ بَعْدَ الْبَشَارَةِ بِيَمِّلَادِهِ ، أَوْ يَكُونُ قَوْلَهُ : «فَبَشَّرَنَاهُ بِغُلَامِ حَلَيمٍ» ، إِشَارَةً إِلَى إِسْحَاقَ وَهُوَ بَشَرِي الولادةِ فَقَطْ ، وَقَوْلَهُ : وَ«بَشَّرَنَاهُ بِإِسْحَاقَ نَبِيًّا» بَشَرِي النَّبِيَّةِ ، وَبَكُونُ هُوَ صَاحِبِ الْقَصْةِ لَا غَيْرَ »^(١) .

أَقْوَلُ : هَذَا الْقِسْمُ بِأَنَّ يُجْعَلَ فِي جُمْلَةِ الْقِسْمِ الْأَوَّلِ وَهُوَ مَا يَدَلُ عَلَى الشَّيْءِ وَضِدِّهِ الْيَقِيْنَ ، لَأَنَّ هَذِهِ الْآيَةِ تُجَازِيْبُهَا حَتَّىْماً ، لَأَنَّهُ يَسْتَحِيلُ

(١) سورة الصافات : الآياتان ٩٩ - ١١٢ .

(٢) عبارة ابن الأثير : قَوْلُهُ تَعَالَى «وَبَشَّرَنَاهُ بِإِسْحَاقَ نَبِيًّا مِنَ الصَّالِحِينَ» قَدْ يَكُونُ بَشَارَةً بَنْوَتِهِ بَعْدَ الْبَشَارَةِ بِيَمِّلَادِهِ ، وَقَدْ يَكُونُ اسْتِنَافًا بِذِكْرِهِ بَعْدَ ذِكْرِ إِسْمَاعِيلَ وَذِيْهِ . وَالتَّأْوِيلُ مُجَازِبُ بَيْنِ هَذَيْنِ الْأَسْرَيْنِ . وَلَا دَلِيلٌ عَلَى الاختِصَاصِ بِأَحَدِهِمَا . وَلَمْ يُرِدْ فِي الْقُرْآنِ مَا يَدَلُ عَلَى الذِّيْجَنِ إِسْمَاعِيلَ وَلَا إِسْحَاقَ ، وَكَذَلِكَ لَمْ يُرِدْ فِي الْأَخْبَارِ الَّتِي حَصَتْ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ... ٩٦/١ .

الجمع بينها ، لأن الناس مجتمعون على أن أحدهما هو الذبح لا كلامها ، فكل واحد في القوانيين ينافق الآخر ويُضادُه ، فتكون الآية من باب ما يمكن استخراج أمرَيْن متناقِيَّيْن منه ، فلا وجْه لإدخالها في هذا القِسْمِ ، ولا هي من صُورَةٍ إن صَحَّ أن هذين الاحتمالين يتجادلُانَا على السَّواء .

والصحيح أن حَمْلَهَا على أن الذبح هو إسماعيل أرجح وأظَهَرُ منْ حملها على أنه إسحاق ، لأن الظاهر يقتضي البشارة بمواليد إسحاق لا بثُبُوتِه لأنَّه إذا قِيلَ قد بُشِّرَ عِمْرَانُ بموسى تبادرَت الأفهام إلى البشارة بمواليدِه . ولأنَّه عطِيفٌ على قوله « ربْ هَبْ لِي من الصالحين ، فيبشرناه بغلام حليم » ثم قال « وبشرناه بإسحاق » فهذه البشارة هي مثل تلك البشارة الثانية [وكلامها بالولد] ، ولأنَّه لو كان صاحبَ النقصة هو إسحاق والمراد بالبشارة^(١) البشارة بثُبُوتِه لقال وبشرناه به نبياً من الصالحين ، لأنَّ قبله ضمائر كثيرة تَرْجِعُ إليه ، فلو كان هو المراد لأنَّي بالضمير كالضمائر المتقدمة .

قال المصنف : « ومن هذا القسم أيضاً ما يحكي أنَّ الحُرُورِيَّةَ ظفرت برجل فقالت له : ابْرُأْ من عليٍّ وعثمانَ ». .

فقال أنا مِنْ عليٍّ وعثمانَ بريءٌ . فهذا يدل على مَعْنَيَيْن : أحدهما أنه بريءٌ من عثمانَ وحْدَه ، والآخر أنه بريءٌ منها معاً ، ولكن الرجل لم يُردْ [إلا] الوجه [الأول] »^(٢) .

والرواية أنا مِنْ عليٍّ ، ومن عثمانَ بريءٌ بِإثباتِ مِنْ الثانية ، وهو الصحيح ، لأنَّها لو حنفت لتطافَ بالواو على عاملَيْن ، وهو غير جائز ،

(١) ما بين قوسين تكملة تم المعني ملحقة بهامش النسخة الأصلية .

(٢) ما بين قوسين تكملة من ابن الأثير ٩٧/١ .

بل التقدير أنا مِنْ أَصْحَابِهِ . وَأَنَا مِنْ عَمَّانَ بَرِيَءٌ . وَلَمْ أَجِدْ لِفَظَةَ مِنْ فِي النُّسْخَةِ الَّتِي وَقَفَتْ عَلَيْهَا بِهَذَا الْكِتَابِ ، وَلَعِلَ النَّاسُ مُنْدَهِمٌ .

وَأَيْضًا فَإِنْ هَذِهِ الْحَكَايَةُ بَأْنَ تَلْحَقُ بِالْقُسْمِ الْأَوَّلِ أُولَى . لَأَنَّهُ قَدْ اسْتُخْرِجَ مِنْهَا مَعْنَيَانٌ مُتَضَادَانِ : أَحَدُهُمَا الْبَرَاءَةُ مِنْ عَمَّانَ وَالْإِتَابَةُ لِهِ ، وَالثَّانِي الْبَرَاءَةُ مِنْ عَلِيٍّ وَعَمَّانَ . وَلَا أَرَى أَنْ أَحَدُ هَذِينَ الْقَسْمَيْنِ مُنَافٍ لِلْآخَرِ ، فَهُوَ بِالْقُسْمِ الْأَوَّلِ أَشَبَّهُ .

قَالَ الْمُصْنَفُ : « وَمِنْ هَذَا مَا يَحْكِي أَنَّ عَبْدَ الْمَسِيحَ بْنَ بُقَيْلَةَ دَخَلَ عَلَى خَالِدِ بْنِ الْوَلِيدِ بِالْحِيرَةِ ، فَقَالَ لَهُ خَالِدٌ : مَنْ أَيْنَ أَقْصَى أَثْرِكَ ؟ قَالَ مَنْ ظَهَرَ أَبْيِ . قَالَ : مَنْ أَيْنَ خَرَجْتَ ؟ قَالَ : مِنْ بَطْنِ أُمِّيِّ . قَالَ : عَلَامَ أَنْتَ ؟ قَالَ . عَلَى الْأَرْضِ . قَالَ فِيمَ أَتَيْتَ ؟ قَالَ : فِي شَيْبَانِيِّ . قَالَ : أَبْنُ كَمَّ أَنْتَ ؟ قَالَ : أَبْنُ رَجْلٍ وَاحِدٍ . قَالَ : وَهَذَا مِنْ تَوْجِيهِ الْكَلَامِ عَلَى نَسْطَاطِ حَسَنٍ ، وَهُوَ يَصْلُحُ أَنْ يَكُونَ جَوَابًا لِخَالِدٍ عَمَّا سُئِلَ ، وَيَصْلُحُ أَنْ يَكُونَ جَوَابًا لِغَيْرِهِ مَا ذُكِرَهُ عَبْدُ الْمَسِيحِ »^(١).

أَقُولُ : إِنَّ الْفَظْوَ الَّذِي يُحْمَلُ عَلَى الْمَعْنَى وَغَيْرِهِ فِي هَذِهِ الْحَكَايَةِ هُوَ الْأَلفَاظُ خَالِدٌ عَلَامَ أَنْتَ ؟ يَحْتَمِلُ أَنْ يُرِيدَ بِهِ عَلَى أَيِّ حَالٍ أَنْتَ ، أَوْ عَلَى أَيِّ دِينٍ ، أَوْ عَلَى أَيِّ عَزْمٍ ، وَيَحْتَمِلُ أَنْ يُرِيدَ بِهِ عَلَى أَيِّ مَكَانٍ أَنْتَ ، وَكَذَا بَقِيَةُ الْأَلْفَاظِ ، فَعَدَ الْمَسِيحَ تَرْكَ مَا عَلِمَ أَنَّهُ غَرَّضُ خَالِدٍ ، وَعَدَهُ إِلَى الْمُحْمَلِ الْآخَرِ الَّذِي يَعْلَمُ أَنَّهُ لَيْسَ بِغَرَّضٍ ، فَقَوْلُ الْمُصْنَفِ « هَذَا مِنْ تَوْجِيهِ الْكَلَامِ عَلَى نَسْطَاطِ حَسَنٍ وَهُوَ يَصْلُحُ أَنْ يَكُونَ جَوَابًا لِخَالِدٍ »

(١) المثل السائر ٩٨/١.

هو إشارةً غير شك إلى أن الألفاظ عبد المسيح ليست موجَّهةً ، بل الموجَّهُ الألفاظ خالد ، لأنها هي المحتملة لأمرٍ ، فقد يان أن قولَ المصنف : إن الألفاظ عبد المسيح موجَّهة ليس ب صحيح ، وأيضاً فَقَوْلَهُ « وهو يصلح أن يكون جواباً لخالد عما سأله ، ويصلح أن يكون جواباً لغيره » غير صحيح أيضاً ، لأن هذه الأجوية لا تصلح أن تكون أجوية لخالد ، لأن خالداً سأله عن أمرٍ ، فأجاب عبد المسيح عن غيره ، فالذى قال عبد المسيح لا يصلح أن يكون جواباً لخالد عما سأله عنه ، بخلاف ما قاله هذا الرجل .

قال المصنف : « وقد ورد في التوراة : لا تأكل الحَدَّيَ بلَبَنِ أَمْهِ . وهذا التحريم يحتوي وجهين : أحدهما ما دَلَّ عليه ظاهر اللفظ ، وهو تحريم أكل الحَدَّيَ بلَبَنِ أَمْهِ خاصةً ، فإذا أَكَلَ بلَبَنِ غيرَ (ابن) أَمْهِ جاز ولم يكن حراماً ، واليهود لا تقول بذلك . والآخر أن كل شيء من المحروم بكل شيء من اللبن حرام ، وهو قولُ كافة اليهود . الثاني الذي في التوراة لا تُنْسَبْحَاجَ الحَدَّيَ بلَبَنِ أَمْهِ ، أي لا تأكل »^(١) .

وهذه سواء كانت « لا تُنْسَبْحَاجَ » أو « لا تأكل » خارجة عن هذا القسم الذي قَبَلَهُ أيضًا ، لأنها دالة على إنصاف الحدي بلَبَنِ أَمْهِ ، أو تحريم أكله بلَبَنِ أَمْهِ ، وليس منها ما يدل بالموافقة ولا بالتضمين ولا بالالتزام على تحريم أكل الحَدَّيَ غيرَ لَبَنِ الأُمِّ ، واليهود لا تحرم أكل اللحم باللبن بمجرد هذه الآية ، بل بنصوص أخرى نقلها فقهاؤهم عن نبيهم ، فإذا دخل هذه الآية في باب الألفاظ المترددة في المعاني المختلفة لا وجْهَ له .

(١) المثل السادس ٩٨/١ يُعرف .

(الفلك الدائم - ٥)

قال المصنف : « وما يجري على هذا النهج ما حُكِيَ عن أفلاطون^(١) أنه قال . ترك الدواء دواء . فذهب بعض الأطباء إلى أنه أراد أنه إذا أطْلَفَ المزاج الدواء وانتهى إلى غاية فهو دواء . فتركه حينئذ والإضراب عنه دواء .

وذهب آخرون إلى أنه أراد بالترك الوضع ، أي ترك وضع الدواء على الداء دَوَاء ، يشير بذلك إلى حِذْقُر الطبيب في وقت علاجه^(٢) .

أقول : إن مراد الحكم ليس واحداً من هذين التفسيرين ، ومراده ظاهر ، كقول العامة دائماً وهو أن ترك التداوي حيث لا حاجة إليه هو التداوي بعَيْنِيهِ ، وقد شرح ذلك جالينوس^(٣) ، فقال : الحِمْيَةُ في الصحة كالسُّخْلِيْطِ في المَرَضِ . فأما التفسيران المذكوران فباردان جداً ، وخصوصاً الثاني منها ، فإنه بعيد أن يُحْمَلُ الكلامُ عليه . وليس الأدواء كلها مما يوضع الدواء على داء عارض في الأعضاء الظاهرة وسطح البشرة ، وبالحملة فهو تفسير ركيك لا يُسْتَحْسَنُ حَمْلُ كلام ذلك الحكم الفاضل عليه .

قال المصنف : « وما ينخرط في هذا السلك قول أبي حضر المُدْكَري :

(١) أفلاطون من أكبر فلاسفة اليونان ولد نحو سنة ٤٢٨ قبل الميلاد ، وله الفضل في جميع الآراء الفلسفية المتأثرة ، واستبانت فلسفة خاصة به ، وقد خلف كتاباً كبيرة في الفلسفة صانها في أسلوب حوار ، متأثراً في ذلك بأستاذه سقراط ، واتخذ سقراط بطلاً لكثير من المنشآت ، وهو في فلسفة أديب فنان .

(٢) المثل السائر ٩٩/١

(٣) جالينوس طبيب يوناني قبل الميلاد يعتبر من أساطين الطب في عصره ، ونقل للعرب كثيراً من آرائه في كتبهم الطبية ، وقد توفي بعد بعثة المسيح .

عَجِبْتُ لِسَعْيِ الدَّهْرِ بَنِي وَبَنِيهَا فَلِمَا انْقَضَى مَا بَيْتَنَا سَكَنَ الدَّهْرُ^(١)

قال : وهذا يحتمل وجهين من التأويل : أحدهما أنه أراد بسعي الدهر سرعة تقاضي الأوقات مدة الوصال ، فلما انقضى الوصل عاد الدهر إلى حالته الأولى في السكون والبطء ، والآخر أنه أراد بسعي الدهر سعى أهل الدهر بالسمائم والوشيات ، فلما انقضى ما كان بينهما من الوصل سكنوا وتركوا السعاية^(٢).

أقول : التفسير الثاني هو الصحيح ، والأول غير صحيح ، واللفظ لا يحتمله ، وفي البيت ما يمنع منه ، بيان ذلك أنه قال « بنى وبنها » وهذه اللفظة تمنع من أن يُريد سرعة تقاضي الزمان أيام وصالنا ، فإنها قرينة تحمل لفظة السعى على السعاية والنمية بالشر ، لاعلى السعى بمعنى الحركة والسير ، ألا تراهم يقولون سعى فلان بين فلان وفلان بالشر ، أي ضرب بينهم ، وتحمل بعضهم على بعض ، ولا يقولون سعى بينهم من السعى بمعنى الحركة والسير ، إلا أن يراد أنه كان يتحرك ويسير بين قوم مفترقين في أماكن شتى ، وليس هذا مقصود البيت . ولو أراد السعى بمعنى سرعة مرور الزمان لقال عجبت لسعى الدهر أيام وصلينا أو ما يُشبه ذلك ، وبالجملة فساد المحملي الأول ظاهر عند من له أدتي تقدى المعاني الشعرية .

(١) البيت من تصييد لأبي صخر المذلي وليس لأبي كثير المذلي كما في الأصل ، وهو عبد الله ابن سلم الشعبي المذلي شاعر إسلامي من شعراء الدولة الأموية ، مطلعها :

أبا الذي أبكي وأضحك والذي أمات وأحيانا والذي أمره الأمر

شرح الحامة للمرزوقي ١٤٨/١ و ١٢٢١/٢ (الأمالى).

(٢) المثل السائر ١٠٠/١ .

قال المصنف : «وليس كل من حمل ميزاناً سُمِّيَ صَرَافاً، ولا كل من وزن به سُمِّيَ عَرَافاً»^(١).

أقول : العَرَافُ هو الْكَاهِنُ ، وليس الْوَزْنُ من الْكَاهَانَةِ ولا يُنَاسِبُها ، ولو قال ولا كل من تَقْرَسَ أو من تَكَهَّنَ سُمِّيَ عَرَافاً كَانَ أَوْلَى ، اللَّهُم إِلَّا أَن يُرِيدَ لِي سُمِّيَ كُلُّ مَن وَزَن بِخَاطِرِهِ ، أَيْ لَمَحَ وَنَقَدَ سُمِّيَ عَرَافاً ، فِي جُوزٍ ، لَكَهْ تَأْوِيلٌ بَعْدٌ ، وَخَيْرُ الْكَنَاةِ مَا كَانَ مَعْنَاهُ جَلِيلًا ، وَيُحَمَّدُ فِيهَا مِنْ وَضُوحِ الْمَعْنَى مَا لَا يُحَمَّدُ فِي كَثِيرٍ مِنِ الشِّعْرِ .

قال المصنف : «والفرق بين الترجيح البصري والترجح الفقهي أن هناك يُرجح بين دليلي الحَصْمَيْنِ في حكم شرعي ، وهما يُرجحُ بين جانبيِّ فصاحةٍ وبلاهةٍ في ألفاظ ومعانٍ خطابيةٍ .

وبيان ذلك أن صاحب الرجح الفقهي يُرجح بين خبر الواحد مثلاً وبين خبر المواتر ، وبين المُسْنَد والمُرْسَل^(٢) ، أو ما جرَى هذا الخبر ، وهذا لا يتعرض له صاحب علم البيان ، لأنَّه ليس من شأنه ، ولكن الذي من شأنه أن يُرجح بين حقيقةٍ ومجاز ، أو بين حقيقتين ، أو بين مجازين ، ويكون في ذلك كله ناظراً إلى الصناعة الخطابية^(٣) .

(١) المثل السائر ١٠٥/١.

(٢) خبر الواحد ما رواه الواحد . المواتر هو الذي رواه جمِيع روائِه تواترَه على الكذب واستمر هذا في إسناده . المسند هو الذي ذكر جميع روائه إلى رسول الله صلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .

المرسل هو الذي سقط منه الصحابي الذي رواه عن الرسول .

(٣) كان في العبارة سقط فأصلحتها من المثل السائر ١٠٥/١ .

أقول إنه قد أطال في هذا الفصل وأسهبَ بمالا ثمرة له إلا تسويدُ الكاغِد ، وتبسيط الزَّمان ، فإن كل أحدٍ يَعْلَمُ أن البابَ المَعْقُودَ في هذا العِلْمِ للترجيحاتِ لا يكونُ مُتَضَمِّنًا ترجيحاتِ الفقهاء ، ولا ترجيحاتِ النَّحَاة ، ولا ترجيحاتِ الأصْوْلِين ، فائي حاجةٍ له إلى أن يَقُصُّ هذه القِصَص ، ويُطْلِيلَ هذه الإطالة ؟ ومن العجب قوله « وبيان ذلك » وهذه لفظة تُقالُ فيما يَحْتَاجُ إلى بيانٍ وبرهان . فاما منْ قال إن مباحثَ النَّحَاة مثلاً في بابِ الصلةِ والموصولِ غَيْرُ مباحثِ الفلسفَةِ في ماهيةِ الزَّمان والمكان ، فإنه لا يُنَازِعُهُ في ذلك عاقلٌ حتى يحتاج إلى أن يقول « وبيان ذلك » .

قال المصنف : « والترجحُ إما يقعُ بين معنَّيَيْنِ يَدُلُّ عليهما لفظُ واحدٍ ، ولا يخلو الترجحُ بينهما من ثلاثة أقسام : إما أن يكونَ اللفظُ حقيقةً في أحدهما مجازاً في الآخر ، أو حقيقةً فيها معاً ، أو مجازاً فيهما معاً . قال : والترجحُ بين الحقيقتين أو بين المجازيَّيْن يَحتاجُ إلى نظر .

وأما الترجحُ بين الحقيقة والمجاز فإنه يَعْلَمُ بالبديهة لمكان الاختلاف بينهما ، والشَّيْئان المخْتَلِفان يَظْهَرُ الفرقُ بينهما ، بخلاف الشَّيْئين المتشابهين «^(١)» .

أقول : الذي يَعْلَمُ بالبديهة هو الفرقُ بين الحقيقة والمجاز لا الترجح ، لأنَّ إذا عِلْمْنَا في لفظٍ مُسْتَعْمِلٍ في شعر أو خطابة أنه مُسْتَرْدَدٌ بين مُسْمَيَيْن وهو موضوع لأحدِها وضعاً أولاً ومتقولاً إلى الآخر ثانياً ،

(١) المثل السادس ١٠٦/١

فقد علمنا الفرقَ ، وأما ترجيحُ أحد المَحْمَلَيْنِ على الآخر فإنه لا يُعْلَمُ الترجيحُ بينَ مَحْمَلَيْنِ في لفظ واحد ، وكلاهما حقيقةٌ أو كلامها مجازٌ إلا بالنظر ، ويدل على ذلك الآية التي قد أوردها بعد هذا الكلام بلا فصل ، وهي قوله تعالى: « شَهِدَ عَلَيْهِمْ سَمْعُهُمْ وَأَبْصَارُهُمْ وَجُلُودُهُمْ^(١) » فإن لفظة الجلود هنا متعددة عنده بين الجلود الحقيقة وبين الفروج على سبيل المجاز ، ويحتاجُ ترجيحُ أحد المَحْمَلَيْنِ على الآخر إلى نظرٍ دقيق .

قال المصنف : « وبيان الترجيح بين الحقيقة والمجاز قوله تعالى : « حُنِّي إِذَا مَا جَاءُوهَا شَهِيدٌ عَلَيْهِمْ سَمْعُهُمْ وَأَبْصَارُهُمْ وَجُلُودُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ^(١) » قال فالجلود هنا يمكن أن تكون هذه الجلود الحقيقة ، ويمكن أن يراد بها الفروج مجازاً ، لكن المانع البلاغي منع من حمل لفظ الجلود في هذا الموضع على حقيقتها ، لما فيه من لطف الكتابية عن المكتنوية عنه . قال : ويمكن أن يُسْتَدَلَّ على ذلك من وجه آخر استناداً بأن يقال إما أن يراد بالجلود هذه الجلود المعروفة والجوارح التي هي ذوات الأفعال ، والأول باطل ، لأن شهادة الجلود وهي غير فاعلةٍ شهادة باطلة ، لأن المراد الإقرار ، بأن تقولَ الْيَدُ : أنا أخذتُ كذا ، وتقولَ الرَّجُلُ : أنا مشيتُ إلى كذا ، وكذلك بقيةُ الجوارح ، وهو باطل ، لأنه قد دَخَلَ تحته السمعُ والبصرُ فلا يكونُ لتخفيضهما بالذكر فائدةً ، أو بعض الجوارح فيكون ذلك البعضُ هو الفروج ، لأن حمله عليها أولى من وجهين :

أحدُها أن الجوارح قد ذُكِرَتْ في القرآن شاهدةً على صاحبها

(١) سورة نحل : الآية ٢٠ .

بالمعصيَّةِ ما عدا الفرج ، فكان حَمْلُ الْجِلْدِ عليه أَوْلَى لِيُسْتَكْمَلَ ذِكْرُ جميع الأعضاء ، والثاني أنه ليس في الجوارح ما يُكْرَهُ التصرِّيفُ بذكره إلا الفرج ، فكنتَ عنه بالجِلْدِ كراهيةً لذِكْرِه . ثم سأله نفسه : لِمَ لا يجوز أن يُرَادَ كُلُّ الجوارح ويكون ذِكْرُ السمع والبصر من باب التفضيل كقوله تعالى : « فاكِهَةٌ ونخلٌ » ورمانٌ ^(١) وما من الفاكهة ؟

وأجاب فقال : هذا الكلام يؤيد استدلالنا ، لأن النخل والرمان إنما أفرداً بالذكر لفضيلتهما على الفاكهة ، وليس السمع والبصر أفضل وأكثر وزرًا من غيرها من الأعضاء في المعصية ، لأن قُصارَى العِصَمِيَّانِ بهما إِيمَّاصٌ حَمْرٌ أو سَمَاعٌ حَمْرٌ ، وكل ذلك لا يوجِّبُ الحَلْدَةَ ، وأما غيرها من الأعضاء فيقع به الكبائر التي توجِّبُ الحَلْدَةَ ، فكان ينبغي أن تكون تلك الأعضاء هي المخصوصة بالذكر دُونَ السمع والبصر ^(٢) .

هذا مُلْتَخَصٌ ما ذكره بعْدَ حذف التطويلات .

أقول : أما الوجه الأول فليس شيء ، لأنه ما زاد على أن قال هذا مانع بلا غرابة يمنع من حَمْلِ الحَلْدَة على حقيقتها ، وأن تُحْمَلَ على الفُرُوجِ ، وهذا ضعيف لأنه بمثابة قول من يقول : إن الحَلْدَة في قوله تعالى « كُلُّمَا نَضِيَّجَتْ جَلُودُهُمْ بَدَلَنَا هُمْ جَلُودًا غَيْرَهَا » ^(٣) بمعنى الفروج ، وإن هذه الآية نَزَّلت في الزنا ، وكنت عن الفُرُوج بالحلود لأنها كنية لطيفة ، وأيضاً كان سبحانه قد ذكر ثلاثة أجزاء من أجزاء بَدَنِ الإنسان ، وهي السمع والبصر والجلد ، وقال : إنها تَشَهَّدُ عليهم ، فلم حُمِّل

(١) سورة الرحمن : الآية ٦٨ (فيما فاكِهَةٌ ونخلٌ ورمانٌ) .

(٢) المثل السادس ١٠٦ .

(٣) سورة النساء : الآية ٥٦ .

الخلدُ على الفرج؟ لأجل أن الفرج يلبيقُ لا يُذكَرَ تصريحاً ، ويحسن أن يُكتفى عنه بغيره أولى من أن يُحملَ السمع والبصر على الفرج هذه العلة ، وإنما يتعين حمْلُ الخلد على الفرج إذا كان بين لفظيِّ الخلد والفرج أو معناها مناسبةٌ لا تحصل بين السمع والفرج، ولا بين البصر والفرج ، ونحن لا نجد فرقاً بين هذه الأجزاء الثلاثة ، وكلٌ واحد منها بعيدٌ عن الفرج لا مناسبةٌ بينه وبينه ، اللهم إلا أن يكون لأجلِّ أن الخلد جزء من أجزاء ماهيةِ الفرج ، فَعَبَرَ عن الْكُلِّ بالبعض ، وهذا بعيد جداً

فأمَا استدلالُه له ثانياً ، وإبطاله أن يراد بالخلود هذه الخلود الحقيقة ، لأنها ليست هي الفاعلة ، بخلاف الأعضاء كاليد والرجل ، فيبني على أن يسخطَ عنه بالضحك من عاقل يتَوَهَّمُ أن اليد هي التي فعلت الشيء ، وأن اللسان هو الذي فعلَ النطق ، وهذا وَهَمٌ عاميٌ لا يعتقدُ محصلٌ ، فإنما يُطالعُه أن تكون الخلود هي جُملة الأعضاء والجوارح بقوله : إنه قد ذكر السمع والبصر فلا يكون لإفرادها بالذكر فائدة ، فجوابه ما سأله عنه نفسه ، وهو أن المراد بذلك ما أراد من قوله تعالى «فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ مَوْلَاهُ وَجَرِيلُ وَصَالِحُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمَلَائِكَةَ بَعْدَ ذَلِكَ ظَهِيرٍ»^(١) .

وقوله هذا لا يجوز ، لأن العصيان بالسمع والبصر أخفٌ ، فيقال له بل هو هذا الترتيب ، والصحيح في نظم الكلام ، لا كما تَوَهَّمْتَهُ ، مثال ذلك يقال دخلت قريةً كذا فوثبَ على الولدان والنساء وكلٌ منَ فيها . يَوْدُ الولدان والنساء وبخضهم بالذكر ، لأنه ليس من شأنهم أن يثبُوا بالرجال ويقبلوا عليهم ، وأنت إنما تُرِيدُ أنه وَتَبَ عَلَيْكَ الضَّعِيفُ والقويُّ ، فكذلك الآية تقديرها شَهِيدٌ عليهم من الجوارح ما المعصية به صغيرة ، والمعصية به كبيرة .

(١) سورة التحرم : الآية ٤ .

ثم يقال له : إذا سلَّمنَا أنه ليس المرادُ كُلَّ الجوارح بل بعضها
فلم قُلْتَ إن ذلك البعض هو الفرج ؟

وقوله : « لأن سائر الأعضاء قد ذِكِرَ في القرآن أنها تَشَهَّدُ إلَى الفرج »
فوجب أن يكون هو المراد بالخلود لتكامل شهادة كل الأجزاء » باطل « ، لأنه
لم يُذْكُرَ في القرآن شهادة الأعضاء ، وإنما ذِكِرَ شهادة الأيدي والأرجل
والسمع والبصر والألسنة والخلود في آيات مُسْتَقَرَّةٍ ، فاما القلوب فلم
يُذْكُرَ لها صريح شهادة ، بل قال : « إن السمع والبصر والفؤاد كلُّ أولئك
كان عنده مستولاً »^(١) ولا ذِكِرَ شهادة الذوق وهي الهلاة فيها دافعته
من الخرام والحلال ، ولا شهادة حاسة اللسان بما لمسه من المحرمات ،
فقد بَطَّلَ قوله : « إنه إنما وقع الإخلال من جميع الأعضاء من الشهادة
بالفرج وحده .

وأما قوله : « إنه يجب حمْلُه على الفرج ، لأنَّ ما يُكْرَه التصرُّف
بِذِكْرِه ، فَوَجَبَ أَنْ يُجْعَلَ هَذَا اللفظ كناية عنه » فباطل « ، لأنَّه تعالى
قد ذكره في غير موضع ، فقال : « والذين هم لفروجهم حافظون »^(٢)
وقال : « وَقُلْ لِلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضِبْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَ وَيَحْفَظْنَ
فُرُوجَهُنَ »^(٣) وقال تعالى : « وَيَعْلَمُ مَا فِي الْأَرْحَامِ »^(٤) وما رأيناكم
في هذه المواقع بكتابية أصلًا .

قال المصنف : « وما استُدِيلَ به على مراد المتكلم بقرْبَتِه دقَيْقَةٌ لطيفةٌ

(١) سورة الإسراء : الآية ٣٦ .

(٢) سورة المؤمنون : الآية ٥ .

(٣) سورة النور : الآية ٣١ .

(٤) سورة لقمان : الآية ٣٤ .

قَوْلُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « مَنْ جَعَلَ نَفْسَهُ قاضِيًّا لِلْمُسْلِمِينَ فَقَدْ ذَبَحَ بَغْرِ سِكِّينٍ »^(١) قَالَ : وَمَعْنَاهُ أَنَّ مَنْ جَعَلَ قاضِيًّا فَقَدْ حَيَّلَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ نَفْسِهِ وَهُوَا هُوَا ، لَأَنَّهُ يَكُونُ مَحْمُولاً عَلَى الامْتِنَاعِ مِنْ أَخْذِ الرِّشَا ، وَمَأْمُورًا أَنْ يَحْكُمْ لِعَدُوِّهِ عَلَى صَدِيقِهِ ، وَأَنْ يَرْفَعَ الْحِجَابَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ النَّاسِ ، وَيَجْلِسَ لِلْقَضَاءِ فِي وَقْتِ رَاحَتِهِ ، وَيُسْتَعِيبَ نَفْسَهُ وَيُسْجُهُهَا . قَالَ : فَلِمَ اشْتَرَكَ الْقَضَاءُ وَالذِبْحُ فِي الْأَلْمِ الشَّدِيدِ ، وَكَانَ الذِبْحُ الْحَقِيقِيُّ هُوَ قَطْعُ الْحَلْقُومَ ، وَالْقَضَاءُ هُوَ قَطْعُ النَّفْسِ عَنْ هُوَا هُوَا ، لَا جَرَمَ كَانَ الشَّخْصُ الَّذِي يُسْجُلُ قاضِيًّا مَذْبُوحًا ذَبَحًا مَعْنُوِّيًّا . قَالَ : وَهَذَا مَوْضِعٌ غَامِضٌ لطِيفٌ »^(٢) .

أَقُولُ : إِنَّ تَأْوِيلَاتِ الْبَاطِنِيَّةَ^(٣) لِآيَاتِ الْكِتَابِ الْعَزِيزِ أُوْقَعَ وَأَقْرَبَ إِلَى الْعَقْلِ مِنْ هَذَا التَّأْوِيلِ ، وَكَيْفَ يَجُوزُ أَنْ يُسْتَبَّ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ أَنَّهُ أَرَادَ هَذَا الْمَعْنَى؟ وَهُلْ هَذَا إِلَّا فِي قُوَّةِ أَنْ يُقَاتَلَ مِنْ رُتبَ قاضِيًّا فَإِنَّهُ يَسْتَعِيبُ ، وَيَجِدُ مَشَقَّةً ، وَيَنْقُطُعُ عَلَيْهِ كَثِيرٌ مِنْ

(١) النص في المثل السائر : وأما ما يستدل عليه بقرية ليست من توابعه، فإن ذلك أرق من الأول ، وألطف مأخذنا . فها ورد منه قول النبي صل الله عليه وسلم : من جعل قاضيًّا بين الناس فقد ذبح بغير سكين » ١١١/١ .

(٢) يتصرف من ١١٢/١ .

(٣) فرقة من الإسماعيلية الذين ينسبون الإمامة لإسماعيل بن جعفر بن محمد الصادق . وفي رأيهم أن الأرض لن تخلي من إمام حتى قائم إماماً ظاهر مكشوف وإيماناً باطن مستور . وعلم آراء شتى منها أن من مات ولم يعرف إمام زمانه سات ميتة جاهالية . وأشهر القابهم الباطنية ، وإنما لزومهم هذا اللقب لحكمهم بأن لكل ظاهر باطنًا ولكل تزييل تأويلاً . وهم يلقبون بالعراق الباطنية والفراملة والمزدكية ، ويلقبون بغير أسان التعليمية والملحدة . ويقولون نحن إسماعيلية لأننا تميزنا عن فرق الشيعة بهذا الاسم وهذا الشخص . وقد خلط الباطنية القدماء كل منهم ببعض كلام الفلسفة ، وصنفوا كتبهم على هذا المنهج . ومن آرائهم نفي الصفات لأن إيماناً الحقيقي يقتضي شرارة بين الله تعالى وسائر الموجودات وذلك تبييه .

وعلم دعوة جديدة تزعها الحسن بن محمد الصباح في القرن الخامس المجري .

(المثل والنحل ١/١٧٠) .

أوقات راحته ؟ ومنْصِبُ رسول الله صلى الله عليه وسلم أَجْلٌ وأَعْظَمُ
منْ أَنْ يكونَ هَذَا الْمَدْرَارُ فَحْوَى كَلَامِهِ .

وَمَعْلُومٌ أَنَّهُ إِنَّمَا أَخْرَجَ هَذِهِ الْفَلْقَةَ مُخْرَجَ التَّحْذِيرِ لِأَصْحَابِهِ مِنَ الْقَضَاءِ :
لَا فِيهِ مِنَ التَّعْرُضِ لِلآثَامِ ، وَالْمُواخِذَةِ الْأَخْرَوِيَّةِ ، وَأَنَّهُ لَيْسَ كُلُّ أَحَدٍ
يَقْدِرُ عَلَى ضَبْطِ نَفْسِهِ عَنِ الْمُبْلِلِ إِلَى أَحَدِ الْحَصْمَيْنِ ، وَلَا يَمْلِكُ
سَوْرَةَ الْفَحْضَبِ الَّتِي تُفْضِيُّ بِهِ إِلَى الْحُكْمِ بِغَيْرِ الْحَقِّ ، وَلَا يَسْتَطِعُ
تَجْثِيْبَ الْمَرَاقِبَةِ وَالْمَحَايَاةِ لِأَبْنَاءِ الدُّنْيَا وَأَصْحَابِ السُّلْطَانِ ، وَلَذِكْرِ كَانَ الصَّحَابَةُ
وَالْتَّابِعُونَ رَضْوَانَ اللَّهِ عَلَيْهِمْ يَتَذَوَّنُونَ مِنَ الْقَضَاءِ ، وَيَقْرَئُونَ مِنْهُ : وَيَسْتَأْتِرُونَ
الدُّهْرَ الْأَطْوَلَ إِذَا نُدُّبُوا إِلَيْهِ ، وَيَتَحَمَّلُونَ مَشْقَةَ الْهَرَبِ وَالْاِسْتِيَّارِ
وَمَفَارِقَةَ الْأَوْطَانِ حَذَرًا مِنْ عِقَابِ الْآخِرَةِ لَا غَيْرُهُ .

وَكَيْفَ يُحَدِّرُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ أَصْحَابَهُ وَأَمْمَتَهُ مِنَ
الِّدُخُولِ فِي الْقَضَاءِ لِكَوْنِهِ مُجَاهِدًا لِهَوَى النَّفْسِ ، وَكَوْنِهِ يُورَثُ
التَّعَبَ وَالْمَشْقَةَ الدُّنْيَوِيَّةَ ، وَهُوَ يَأْمُرُهُمْ بِالْجَهَادِ وَمَنْهَاجُهُ مُشَرِّكُينَ وَقُتْلُ
أَوْلَادِهِمْ وَآبَائِهِمْ وَإِخْرَانِهِمْ فِي طَاعَةِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ ؟

وَمَعْلُومٌ أَنَّ ذَلِكَ أَصْعَبُ وَأَشَقُّ مِنْ مَتَاعِبِ الْقَضَاءِ بِأَضْعَافِ مَضَاعِفَةِ
وَهُمْ مَأْمُورُونَ بِهِ لِمَا فِيهِ مِنْ ثَوَابِ الْجَهَادِ ، فَكَذَلِكَ الْقَضَاءُ مَتَاعِبُهُ وَمَشَاقُهُ
مَضْمُورَةٌ بِمَا فِيهِ مِنْ ثَوَابِ الْإِنْتِصَارِ لِلْحُكْمِ بِالْحَقِّ ، وَنُصْرَةِ الْمَظْلُومِ ،
وَإِقَامَةِ شَعَائِرِ الإِسْلَامِ ، وَمَا أَعْلَمُ مَا أَقُولُ فَيَمِنْ حَمَلَ كَلَامَ رَسُولِ اللَّهِ
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى ذَلِكَ التَّأْوِيلِ الرَّدِيءِ .

قال المصنف : «ومِثَالٌ مَا يَسْرَدُ بَيْنَ مَعْنَيْنِ وَيَحْمِلُ عَلَى أَحَدِهَا التَّسْرِيَةُ الْمُتَقْدِمَةُ» في أول الكلام قوله تعالى : «لا تَبْعَلُوا دُعَاءَ الرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَاءَ بَعْضِكُمْ بَعْضًا»^(١) فإنه يتحمل أن يريده به لا تدعوه باسمه فتقولوا يا محمد ، كما يدعوه ببعضكم بعضاً بأسمائكم ، ويتحمل أن يُريده به أنكم إذا حضرتم في مجلسه فلا يمكن حضوركم كحضوركم في مجالسكم ، أي لا تفارقوا مجلسه إلا بإذنه ، والزَّمُوا معه الأدب . قال : والحمل على هذا الحمل أولى^(٢) لأن قبل هذه «إِنَّا لَمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ إِذَا كَانُوا مَعَهُ عَلَى أَمْرٍ جَاءُهُمْ لَمْ يَتَّهِبُوا حَتَّى يَسْأَذُنُوهُ»^(٣) .

أقول : هذه قرينة متقدمة لعمري ، ولكن في الآية قرينة أخرى متاخرة تقتضي حمله على حُمْسَلٍ آخر غير هذا وغير الحمل الأول ، ولعله الأصح ، وهو أن يراد بالدعاء الأمر ، يقال : دعًا فلان قومه إلى كلها أي أمرهم به ونَدَّبَهُمْ إليه ، قال سبحانه «يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِرَسُولِهِ إِذَا دَعَاكُمْ لَا يُحِبِّيْكُمْ»^(٤) «أَيُّ نَدْبُوكُمْ . وَقَالَ سَبَحَانَهُ «وَإِنِّي كُلَّمَا دَعَوْتُهُمْ لَتَغْفِرَ لَهُمْ»^(٥) أي أمرتهم ونَدَّبَتهم . والقرينة المتاخرة قوله «فَلَيَسْخُدُّ الَّذِينَ خَالَفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فَتْنَةً»^(٦) فلم كان حَمْلُ الآية على ما ذكره لأجل القراءة المتقدمة أولى من حمله على هذا الحمل لأجل القراءة المتاخرة ؟

(١) سورة النور : الآية ٦٣ .

(٢) المثلث السادس / ١١٣ / ١ .

(٣) سورة النور : الآية ٦٢ .

(٤) سورة الأنفال : الآية ٢٤ .

(٥) سورة نوح : الآية ٧ .

(٦) سورة النور : الآية ٦٣ .

قال المصنف في حد الحقيقة : « هي اللفظُ الدالُ على مَوْضِعِهِ الأصْلِيِّ ، والمجازُ مَا أَرْبَدَ به غَيْرَ المعنَى المَوْضِعَ لَهُ فِي أَصْلِ الْلُّغَةِ . وَهُوَ مَأْخُوذٌ مِنْ جَازَ مِنْ هَذَا الْمَوْضِعِ إِلَى هَذَا الْمَوْضِعِ إِذَا تَحْتَاطَاهُ إِلَيْهِ ، فَالْمَجَازُ إِذَنٌ اسْمٌ لِلْمَكَانِ الَّذِي يُجَازِ فِيهِ ، كَالْمَعَاجِرِ وَالْمَزَارِ وَأَشْبَاهِهِمَا . وَحَقِيقَتُهُ هُوَ الْاِنْتِقالُ مِنْ مَكَانٍ إِلَى مَكَانٍ ، فَجُعِلَ ذَلِكَ لِتَقْتُلِ الْأَلْفاظِ مِنْ كَمَلٍ إِلَى مَحْلٍ »^(١) .

أقولُ : أَمَا حَدَّ الحَقِيقَةِ الَّذِي ذَكَرَهُ فَمِنْ قَوْضِنَسْ بِلِفَظِ الدَّابَّةِ إِذَا اسْتُعْمِلَتْ فِي الدَّوْدَةِ وَالْقَمَلَةِ ، فَإِنَّهَا قَدْ دَلَّتْ عَلَى مَوْضِعِهَا الأصْلِيِّ ، لِأَنَّهَا مَوْضِعَةٌ لَمْ يَتَدَبَّرْ ، مَعَ أَنَّهَا بِالنِّسْبَةِ إِلَى الْوَضْعِ الْعُرْفِيِّ مَجَازٌ ، فَإِذَنٌ قَدْ دَخَلَ الْمَجَازُ الْعُرْفِيُّ فِيهَا جَعَلَهُ حَدًّا لِمُطْلَقِ الْحَقِيقَةِ ، وَبِلِفَظَةِ الصَّلَاةِ إِذَا اسْتُعْمِلَتْ فِي الدُّعَاءِ ، فَإِنَّهَا قَدْ دَلَّتْ عَلَى مَوْضِعِهَا الأصْلِيِّ ، فَيَكُونُ قَدْ دَخَلَ الْمَجَازُ الشَّرْعِيُّ فِيهَا جَعَلَهُ حَدًّا لِمُطْلَقِ الْحَقِيقَةِ ، وَهُوَ غَيْرُ جَائزٍ .

وَالواجِبُ أَنْ يُقَالَ : الْحَقِيقَةُ مَا أَفِيدَ بِهَا مَا وُضِعَتْ لَهُ فِي أَصْلِ الاصطلاحِ الَّذِي وَقَعَ التَّخَاطُبُ بِهِ ، فَيَدْخُلُ فِي ذَلِكَ الْحَقِيقَةِ الْلُّغُوِيَّةِ وَالْعُرْفِيَّةِ وَالشَّرْعِيَّةِ .

فَأَمَّا مَا ذَكَرَهُ فِي حَدَّ الْمَجَازِ فَهُوَ باطِلٌ أَيْضًا فِي الْحَقِيقَتَيْنِ الْعُرْفِيَّةِ وَالشَّرْعِيَّةِ ، فَإِنَّهُمَا يَدْلَانَ عَلَى غَيْرِ مَا وُضِعَتْ لَهُ فِي الأَصْلِ ، وَهُمَا حَقِيقَتَانِ .

(١) المثل السائر ١٣١/١ .

على أن قوله : « المجاز ما أريد به غير المعنى الموضوع له في أصل اللغة » ليس بجيدٍ ، لأنه لو عبَرَ بالسماء عن الأرض لكان قد أراد باللفظ غيرَ المعنى الموضوع له في أصل اللغة ، وليس مجازاً ، والأرجوادُ أن يُبَدِّلَ لفظ ما أريد به بلفظ ما أَفِيدَ به ، أو مَا يُدْلِلُ ، وفيه مع ذلك الإشكالُ الذي ذكرناه أولاً .

وأصلحُ ما قيل في حَدَّ المجاز أنهُ ما أَفِيدَ به معنىًّا مصطلحًّا عليه غيرَ ما اصطلاح عليه في أصل تلك الموضعية التي وقع التخاطبُ بها ، لعلاقةٍ بينه وبين المعنى الأول .

وهذا القيدُ الأخيرُ يُسْتَمِّ تَحْمِيدَ المجاز ، لأنَّه لو لا تلك العلاقةُ لما كان مجازاً من الأول ، بل كان وَصْعاً جديداً .

ومن العَجَبِ أنَّ هذا الرجل قال : « المجاز اسم للمكان الذي يُسْجَازُ فيه » ثم قال عقيبهُ بلا فضلٍ : « المجاز هو الانتقال من مكان إلى مكان^(١) » فتارة يجعل الفعل هنا اسمًا للمكان كالنُّقْام لمعنى الإقامة ، وتارة يجعله اسمًا للمصدر كالمقال من قال يقول قولًا ومقالًا ، وهذه مناقضة ظاهرة .

فأما قوله : « فجعل ذلك لنقل الألفاظ من محل إلى محل » فإنه أراد من مُسْمَى يعدل عن اللفظ الجيد إلى اللفظ الرديء ، فإنه يوهم أنَّ المعنى شيء يخل فيه اللفظ ، ولستنا نضايقه في ذلك وأمثاله .

(١) المثل السائر ١٣١/١ .

قال المصنف : «والفرق بين الحقيقة والمجاز يتَبَادِرُ الفهم عند الإطلاق إلى الحقيقة دون المجاز ، كالشمس لهذا الكوكب المخصوص دون الوجه المستحسن فإن قلت : فإذا نَرَى الأفهَامَ تَبَادِرُ عِنْدَ سَاعَ كثِيرٍ من الألفاظ العُرُوفَةِ إلى غير حِقَايِقِها الأصلية ، كالغائط الذي لا يُفْهَمُ منه إلا الحاجةُ المخصوصةُ دون المُطْمَئِنَّ من الأرض . قلت هذا شيءٌ يَتَدَكَّرُهُ الفقهاء ولا طائلَ له ، لأنَّ المعتبر بِمَبَادِرَةِ أَفْهَامِ الْخَاصَّةِ مِنَ النَّاسِ لَا الْعَامَّةِ ، كالحمدادين والنَّجَارِين والجَبَارِين والحاكِمَةِ والأسَاكِفَةِ ، ومعلومٌ أنَّ الْخَواصِ من العلَماء لا يَفْهَمُونَ مِنَ الْغَائِطِ إِلَّا المُطْمَئِنَّ من الأرض . قال : والعَجَبُ مِنَ الْفَقِهَاءِ كَيْفَ دَوَّنُوا هَذَا وَذَهَبُوا إِلَيْهِ »^(١) .

أقول : الجواب الصحيح أن يُقال إن تَبَادِرَ الأفهَامَ إلى أن المراد بالغائط الحاجةُ المخصوصةُ ، وبالدابة [الفرَّاسُ] ، وبالرأبةِ المزادَةُ ، وبالمَلَكِ الرَّسُولُ الرُّوحَانِيُّ خَاصَّةً ، دليلٌ على أن هذه الألفاظ حقائق في الوضع العُرُوفِيِّ الجديد ، وذلك لـ لَيْقُضُّ قَوْلَنَا إن تَبَادِرَ الأفهَامَ إلى المعنى دليلٌ على أن اللفظ حقيقةٌ فيه ، لأنَّ قد قُلْنَا بِمُوجِبِيهِ ، وجعلنا هذه الألفاظ حقائقَ ، ولكنها عُرَفَيَّاتٌ . فَلَمَّا الجواب الذي أجبَ به فليس بِجَيْدٍ ، لأنَّه إِيمَانٌ يَسْنَدُّيَ الحَقَائِقَ الْعُرُوفَيَّةَ أو يُشَبِّهُها ، فإنَّ ثَبَيْتها فقد يَسْطُلُ قَوْلُهُ إِنَّه لَا اعتبار بِمُواضِعَةِ أهْلِ الْعِرْفِ ، وإنْ نَفَّسَها فهو باطلٌ ، لأنَّ الْحَقَائِقَ الْأَصْلِيَّةَ الْلُّغَوِيَّةَ مَا كَانَ حَقَائِقَ لِقُرْآنٍ أَنْزَلَهُ اللهُ تعالى فِيهَا ، بل لأنَّ طَائِفَةَ مِنَ النَّاسِ توَاضَعُوا عَلَيْها ، فَلَأَيِّ حَالٍ كَانَتْ مُواضِعَةُ الْعَرَبِ فِي الْجَاهِلِيَّةِ عَلَى أَلْفاظٍ مُخْصَّةٍ لِمَعَانٍ مُخْصَّةٍ تَفَتَّضُّ جَعَلْنَاهَا حَقَائِقَ فِي مُسَمَّيَّاتِهَا ، وَلَا تَكُونُ مُواضِعَةُ طَائِفَةٍ أُخْرَى

(١) ملخص من ١٣٢ / ١ وما بعدها .

موجودين الآن على ألفاظ مخصوصة لمعانٍ مخصوصة تقتضي جعلها
حاتقًا في مسمياتها؟

اليس وضع الأكراد والكرس والشرك والروم لغاتهم وألفاظهم
لمعانٍ قد اصطلحوا عليها بينما يُوجِّب جعل تلك الألفاظ حاتقًا
فيها وضعت له؟ فليس الأمر في هذا الباب موقوفاً على مواضعه العرب
قبل الإسلام، فقد ظهر أن الذي دَوَّنه الفقهاء هو الحق، وأن ما اعتبر ضدهم
به ليس بحق.

ونحن نستبط بعد هذا من نص كلامه ما تنفسه به، ونتصر به
للفقهاء عليه، وذلك أنه قال ما هذه صورته: إن كان إطلاق اللفظ بين عامة
الناس من إسْكَافٍ وَحَدَادٍ ونجار وخبازٍ ومنْ جرَى عَبْرَاهِمْ، فهو لاء
لا اعتبار بهم، ولا اعتداد بأقوالهم.

فيقال له ما تَعْنِي بالإسْكَافِ؟ كل صانع أم صانع النعال خاصة؟
فإن قال صانع النعال خاصة، قيل له فأنت من الخاصة لا من العامة، وقد
تبادر ذهنك إلى ما ليس بحقيقة أصلية، لأن كل صانع إسْكَافٌ عند العرب،
وكتب اللغة كلها تشهد بذلك. وإن قال أردت كل صانع، قيل له لا تُغالط،
فإنك قُلْتَ من إسْكَافٍ كالنجار والحداد، ولو أردت العموم لقللت من حداد
ونجار وخباز وغيرهم من الأسَاكفة، ولم تقل ذلك.

فإذا كان نص كلامك يَشْهَدُ عليك أن ذهنك قد تبادر إلى الاصطلاح
العرُفِي وهو قَصْرُ لفظة الدابة على هذا الحيوان المخصوص، فقد بَطَّلَ
قولك إنه لا يتبادر إلى أفهم الخاصة عند إطلاق كل لفظ إلا حقيقته
لاغير.

قال المصنف : « والفرق بين الحقيقة والجازأة جائزة على العموم في نظائرها ، كقولنا فلان عالم ، يصدق على كل ذي علم ، بخلاف : « وسائل القرية »^(١) لأنَّه لا يَصِحُّ إلَّا في بعض الجمادات دُونَ بعض ، إذَّ المراد به أهل القرية ، لأنَّهم من يَصِحُّ السُّؤال عنهم ، ولا يجوز أن يُقال : وسائل الحجر والتربَّاب »^(٢) .

أقول : أما دَعْوَى وجود اطْرَاد الحقيقة ففيه كلام ، فإنما قد رأيناها غير مطْرِدَةٍ في مواردها ، إما لأنَّ العَقْلَ يَمْنَعُ من ذلك ، كلفظة الدليل عند من يقول إنه حقيقة في فاعل الدلالة ، فإنه لما كثُرَ استعمالُه في نفس الدلالة لا جَرَمَ لَمْ يَحْسُنْ استعمالُه في حقِّ الله تعالى إلَّا مقيداً كقولهم : يا دليل المُتَحَبِّرين ، وإما لأنَّ الشرع يَمْنَعُ من ذلك ، كتسميه تعالى بالفاضل والحسُنِي ، فإنَّ الشرع يَمْنَعُ من ذلك ، مع حصول حقيقتهما له تعالى ، وإنما لأنَّ اللَّغَةَ تَمْنَعُ من ذلك ، كامتناع استعمال الأُبْلَقَ في غيرِ الفَرَسِ ، ولا يَصِحُّ أن يُعْتَدَرَ عنه بأنَّ الأُبْلَقَ مَوْضِعُ الْمُلُوَّنَ بِهِذِينِ اللَّوْنَينِ ، بشرط أن يكونَ فَرَسًا ، لأنَّه يَكُلُّمُ عليه أن يتَجُوزَ في كلِّ مجازٍ لَا يَطْرِدُ أن يكونَ سَبِّبَ عَدَمَ اطْرَادِه لاشتراطِ كُوئِيهِ ذلك المُسَمَّى بعيتهِ ، وحيثَنَدَ لَا يمكن الاستدراك بعدَمِ الاطْرَادِ على كونه مجازاً .

وأما قوله « عالم » لِمَا كان مَوْضِعًا لِذِي الْعِلْمِ اطْرَادَه في كلِّ علم ، « وسائل القرية » لم يَطْرِدْ في كلِّ الجمادات ، فإنه استدلالٌ على أمرٍ كُلُّيٍّ بصورة جُزُئية .

(١) سورة يُوسُف : الآية ٨٢ .

(٢) المثل السادس / ١٣٥ .

ومن أين له أن كلّ حقيقةٍ فإنها جاريةٌ في الاطردادِ مجرّى قولنا «حالم» لذى العلم ، وأن كلّ المجازاتِ لاتطّردُ كقوله «وسائل القرية»؟ ولم لا يجوز أن يكون المخوازُ وإن لم يستحبّ اطّرداده فإن بعضه قد يطردُ لا على سبيل الوجوب؟

ولا يمكن أنْ يدعى أنه قد استقرّى الألفاظَ كلّها فلم يجد فيها مجازاً مطربداً ، ولو كان ذلك قد وقعَ لكان الفاظُ المجاز كلّها قد علّمتَ وعلّمَ أن ما عدّها حقيقةً قبل العلّمِ بني اطّردادها ، وذلك يقتضي أن يكون الفرقُ بين الحقيقة والمجاز قد وقعَ قبلَ هذه الدلالّةِ .

— ٤١ —

قال المصنف : «واعلمَ أن كلّ مجازٍ فله حقيقةٌ ، لأنَّه لا يصحُّ أن يُطلّقَ عليه اسمُ المجاز إلا للتخلّي عن حقيقةٍ موضوعةٍ له ، وليس من ضرورة كلّ حقيقة أن تكون مجازاً ، فإنَّ من الأسماء مالا مجازَ له ، كأسماء الأعلام التي وُضِعَتْ للفرق بين الذوات لالفرق بين الصفات» (١) .

أقولُ : هذا يدلُّ على أنه يتّوهُمُ أنَّ أسماء الأعلام حقائقٍ في الأشخاص المستعينَ بها ، وليس كما توهّمه ، لأنَّ الحقيقة ما أفيدهَ به ما وُضعَ له ، ونعني بقولنا ما وُضعَ له وَضَعْ أهل اللغة وأربابِ الاصطلاح ، فتكون اللفظة حقيقةً تبعاً لكونها موضوعةً لشيءٍ قبل استعمال المستعمل ، حتى إذا استعملها المستعملُ فيما وُضِعَتْ له كانت حقيقة فيه ، وأسماء الأعلام لم تقعْ على مسمياتِها المعنيةِ بوضعٍ من أهل اللغة ، ولا من الشرع ، حتى يكون من اتبعهم فيها في أصل موضوعهم فقد استعملها على حقيقتها .

(١) المثل السائر ١٣٥/١ يتصرّف .

وهذا الكلام كما يُتَنْفِي أن تكون الحقيقة داخلاً في أسماء الأعلام
يُتَنْفِي أن يكون المجاز أيضاً داخلاً فيها .

والصواب أن يقال : المجاز هو المستعملُ في غير موضوعه الأصلي
لتشابهه بينهما . وهذا تصريح بأن من ضرورة تحقيق المجاز ثبوت الحقيقة ،
وليس يلزم من كون النظير موضوعاً لشيء أن يصير موضوعاً لشيء آخر
بينه وبين الأول مشابهةً ومناسبة ، بخلاف أن يُعدَم ذلك عن بعض
المسَمَياتِ .

وها هنا دقة ، وهي أن دلالة النظير على المعنى في الموضوع الأول
قد خلت عن كونها حقيقةً مجازاً ، لأن الحقيقة استعمال النظير في موضوعه
الأصلي ، فلا تكون الحقيقة حقيقة إلا إذا كانت مسبوقة بالوضع الأول ،
والمجاز هو المستعملُ في غير موضوعه الأصلي ، فيكون هو أيضاً مسبوقاً
بالوضع الأول ، فثبت أن شرطَ كون النظير حقيقةً أو مجازاً حصول
الوضع الأول ، فالوضع الأول وجوب لا يكون حقيقةً ولا مجازاً .

وهذا الكلام على ظاهره يقدح في قولنا: المجاز فرع الحقيقة ، ومنى
وُجُدَّ الأصلُ فالمجازُ لا يكون مجازاً إلا والحقيقة موجودة ، لأن المجاز
لا يستندُ عَيْ إلى مُجَرَّدَ كَوْنِهِ موضوعاً قبل ذلك لمعنى آخر ، فهو
يتوقف على ذلك فقط لا على الحقيقة ، لأن الوضع الأول ليس بحقيقة .
وجوابه أن لا ندعى أن المجاز على الحقيقة ، بل مُسْتَوْقَفٌ على أنه
موضوع في الأصل لمعنى آخر ، من استعمل النظير في ذلك الموضوع كان
حقيقة .

قال المصنف : « فاما الفرق بين الفصاحة والبلاغة فقد أكثر الناس فيه ،

وخلالصة ما ذكروه أن الفصاحة هي الظهور ، يقال: أفصحَ يُفْصِحُ
إذا ظهرَ ، ثم يقفون عند هذا ، ولا يكشفون عن السر فيه^(١).

أقول : قد وقفت لأبي محمد بن الحشّاب على رسالة في الفرق بين
الفصاحة والبلاغة أتى فيها بنواذر شريفة . وقد ذكر أبو هلال العسكري
في كتاب الصناعتين كلاماً جيداً في هذا المعنى^(٢) . وقد ذكرنا نحن في
كتاب « العقربي الحسان » أقوالاً كثيرة في هذا الباب ، وما أظن أن أحداً
من يستقصد ل الكلام في هذا الفن إلا وقد قال قوله بالغاً في هذه المسألة .

(١) المثل السادس ١١٤/١ .

(٢) قال أبو هلال العسكري : البلاغة من قوطي : بلغت النافلة إذا أتيت إليها ، وبليتها
غيري ، وبلغ الشيء متنه ، والبلاغة في الشيء الانتهاء إلى غايته . فسميت البلاغة بلاغة لأنها
تنهي المعنى إلى قلب الساعي ففهمه ، وهي البلاغ أيضاً . ويقال للدنيا بلاغ لأنها تؤدي إلى الآخرة .
والبلاغ أيضاً التبليغ فيقول الله عزوجل : « هذا بلاغ الناس » أي تبليغ . ويقال : بلغ الرجل
بلاغة إذا صار بليغاً ، كما يقال نبل نبالة إذا صار نبيلاً . ويقال : أبلغت في الكلام إذا أتيت
بالبلاغة فيه .

والبلاغة من صفة الكلام لامن صفة المتكلم ، وتسمية المتكلم بأنه بلغ توسع ، والحقيقة
أن كلامه بلغ ، كما نقول : فلان رجل حكم وحقيقة أن أعماله حكمة ، إلا أن كثرة الاستعمال
جعلت تسمية المتكلم بأنه بلغ كالحقيقة ، كما أنها جعلت تسمية المزادرة راوية كالحقيقة ، وكان
راوية حامل المزادرة وهو البير ونحوه ، ولذا سمي حامل الشراوية .
فاما الفصاحة فقد قال قوم : إنها من قوطي أوضح فلان عما في نفسه إذا أظهره ، وأفحى الصريح
إذا أضاء ، وأفصح البن إذا أجلت رغوره ظهر ، وأفحى الأعمجي إذا أبيان بعد أن لم يكن
يفصح وبين .

وإذا كان الأمر على هذا فالفصاحة والبلاغة ترجحان إلى معنى واحد وإن اختلف أصلها ،
لأن كل واحد منها إنما هو الإبهان عن المعنى والإظهار له .
وقال بعض علمائنا : الفصاحة تمام آلة البيان ، فلا يسمى الألغى وال تمام فسيجين ، لتفصان
آلياً عن إقامة الحرسوف ، وعمل هذا تكون الفصاحة والبلاغة مخلطتين ، لأن الفصاحة
تمام آلة البيان ، فهي مقصورة على الفظ ، لأن الآلة تتعلق باللفظ دون المعنى ، والبلاغة إنما هي
إنما المعنى إلى القلب ، فمكانتها مقصورة على المعنى .
ومن الدليل على أن الفصاحة تضيق النظر والبلاغة تتناول المعنى أن البيهاد يسمى تصيماً
ولا يسمى بليغاً؛ إذ هو يقيم الحروف وليس له قصد إلى المعنى الذي يوديه . ويعوز مع هذا -

فَإِنْ عَلِمْتُمْ كَيْفَ يَدْعُ هَذَا الرَّجُلُ عَلَى النَّاسِ أَنْهُمْ يَقْتَصِرُونَ فِي هَذَا الْبَحْثِ
بَيْنَكُمْ الْفَقِيْهُنَّ لَا غَيْرُهُ .

— ٤٣ —

قال المصنف : « ولا يجوز أن تُفسَّر الصِّحَّةُ بِهذا لوجهيْنِ : أحدهما
أن اللُّفْظَ قد يَكُونُ ظَاهِرُ الْمَعْنَى عِنْدَ زِيدٍ لَا عِنْدَ عُسْرَوْ ، فَيَجِبُ أَنْ يَكُونَ
فَصِيحًا غَيْرَ فَصِيحٍ ، وَهَذَا مُحَالٌ » ، بَلْ الْفَصِيحَ يَجِبُ أَنْ يَكُونَ فَصِيحًا
مُطْلَقًا .

وَالثَّانِي أَنَّ الْلُّفْظَ الْقَبِيعَ الَّذِي يَتَبَوَّءُ عَنْهُ السَّمْعُ وَأَكْثَرُ الْمَعْنَى
يَجِبُ أَنْ يَكُونَ فَصِيحًا ، وَهَذَا مُحَالٌ ، لِأَنَّ الصِّحَّةَ وَصِفَّ حُسْنٍ ،
فَلَا يَجِدُ أَنَّ يَكُونَ الْلُّفْظَ قَبِيعًا ^(١) .

أَقُولُ : إِنَّ أَرْبَابَ عِلْمِ الْبَيَانِ لَمْ يَقْتَصِرُوا فِي حَدِ الْفَصِحَّةِ عَلَى أَنَّهَا ظَهُورُ
الْمَعْنَى مِنَ الْلُّفْظِ فَقَطْ ، بَلْ قَالُوا فِي حَدَّهَا وَحْقِيقَتِهَا مَا يَعْرَفُهُ مِنْ تَمَارِسِ
كُتُبَهُمْ ، وَلَوْ قَالُوا ذَلِكَ لَمْ يَكُنْ مَا أُورَدَهُ عَلَيْهِمْ قَادِحًا فِي كَلَامِهِمْ .

أَمَا الوجهُ الْأَوَّلُ : فَإِنَّهُ لَيْسُ مِنْ شَرْطِ الْفَصِيحَةِ أَنْ يَكُونَ ظَاهِرًا مَكْشُوفًا
الْمَعْنَى لِكُلِّ سَامِعٍ ، فَإِنَّ الزَّنْجَ وَالرُّؤُومَ لَا يَفْهَمُهَا الرَّوَادُ بِالْقَرْآنِ ، وَلَا يَقْدِحُ
ذَلِكَ فِي كُونِهِ فَصِيحًا ، وَالْفَصِحَّةُ أَمْرٌ نَسْبِيٌّ لِأَنَّهَا صِفَةُ الْلُّفْظِ ، وَاللُّغَاتُ
وَالْأَلْفَاظُ تَخْلُفُ بَاخْتِلَافِ الْأَمْمَ قُرُونُهَا وَبِلَادُهَا .

— أَنْ يَسْمِي الْكَلَامَ الْوَاحِدَ فَصِيحًا بِلِيْهَا إِذَا كَانَ وَاضِحَّ الْمَعْنَى سَهْلَ الْلُّفْظِ جَيْدَ السُّبُكِ غَيْرَ مُسْتَكْرِهِ
فَجَ، وَلَا مُتَكَلْفٌ وَخُمْ ، وَلَا يَعْنِيهِ مِنْ أَحَدِ الْأَسْبِينِ شَيْءٌ مَا فِيهِ مِنْ إِلْضَاحِ الْمَعْنَى وَتَقْوِيمِ الْمَرْوُفِ
وَإِذَا كَانَ الْكَلَامُ يَعْبِعُ نَعْوَتَ الْمَوْدَدَةِ وَلَمْ يَكُنْ فِيهِ فَخَانَةٌ وَفَضْلَ جَزَّالَةٍ سَيِّدِ بِلِيْهَا وَمِنْ فَصِيحًا .
(ملخص من الصناعتين ٧ - ١٠) .

(١) ذَكَرَ أَبْنُ الْأَثِيرِ ثَلَاثَةَ اعْتَراشَاتٍ ، تَحْصَى أَبْنُ أَبِي الْحَدِيدِ ثَانِيَهَا وَثَالِثَهَا ، وَلَمْ يَذْكُرْ
أَوْلَاهَا وَهُوَ : أَنَّهُ لَمْ يَكُنْ الْلُّفْظُ ظَاهِرًا بَيْنَمَا لَمْ يَكُنْ فَصِيحًا ، ثُمَّ إِذَا ظَاهَرَ وَتَبَيَّنَ صَارَ فَصِيحًا .
المُثْلِثُ الصَّانِعُ ١٤٦/١ .

وأما الوجه الثاني : فلأن القبيح الظاهر المعنى فضيحة من حيث ظهور معناه وإن كان قبيحاً من وجه آخر ، ونظير ذلك الكلام الفضيحة يتضمن شتم الأنبياء والثناء على إبليس والشياطين ، أو غير ذلك من الوجوه التي يتضمنها لاجلها ، فإنه حسانٌ من وجنه وقبحٌ من وجهه ، وليس يلزم من قبح الشيء من جهة لا يكون حسناً من جهة أخرى ، كما لا يلزم من كون سماع صوت العود حراماً لا يكون لذذا .

قال المصنف : «والفصاحة مختصة بالألفاظ دون المعاني ، لوجوه منها أن الفضيحة هو المألف الاستعمال ، وإنما كان مألف الاستعمال لحسنٍ ، وحسنُه يُدرك بالسماع ، لأنَّه أمر عائدٌ إلى تركيب حروفه وخفتها وتباعدُ مخارجها ، والذي يُدرك بالسمع يكون صوتاً يختلف من مخارج الحروف ، وكل ما ليس بسموع لا يكون فضيحة» (١) .

أقول : هذا الكلام يتحمل أمرين : أحدهما أن يجعل حد الفصاحة هي الألفاظ المألفة الاستعمال ، وإنما كانت مألفة الاستعمال لخفتها وسلامتها . والآخر لا يجعل ذلك حدَّ الفصاحة ، بل مراده تعليل اختصاص اللفظ بوصف الفصاحة ، وكون المعاني لا يجوز أن تُوصف بالفصاحة .

فإن أرادَ الأولَ لم تُضايقْ على ذلك ، لأنَّ لكلَ واحدَ أن يتكلم

(١) المثل السادس ٤٢/١ وليست بهذه الجملة (وكل ما ليس بسموع لا يكون فضيحة) بل ملخص قوله : إن الكلام الفضيحة هو الظاهر البين ، وأعني بالظاهر البين أن تكون ألفاظه مفهومة ، لأنها مألفة الاستعمال بين أرباب النظم والثر ، وإنما كانت مألفة الاستعمال لمكان حسناً ، لأنَّ أرباب النظم والثر غربلوا اللغة باعتبار ألفاظها ، فاختاروا الحسن من الألفاظ فاستعملوه ، ونفوا القبيح منها فلم يستعملوه ، فحسن الألفاظ سبب استعمالها دون غيرها ، واستعمالها دون غيرها سبب لظهورها وبيانها ، فالفضيحة إذَا من الألفاظ هو الحسن .

بما شاء ، ويقول عَنِتْهُ بِهِ كَذَا وَكَذَا . وإن أراد الثاني وهو الظاهر من كلامه قبل له : إن كان كثرة الاستعمال وسلاسة اللفظ تُوجِّبُ أن يُسمى اللفظ فصيحاً فليس ذلك بمانع ، لأن دلالتك على ما تدعيه لا تُوجِّبُ فصيحاً ، فليس ذلك بمانع ، لأن دلالتك على ما تدعيه لا تُوجِّبُ انتفاء الأدلة على إطلاق هذه اللفظة على المعنى ، فغاية ما في الباب أنك استندتَ على أن اللفظ يُطلق عليه الوصف بالفصاحة ، فلِمَ قُلْتَ إن الوصف بالفصاحة لا يُطلق على المعنى ؟

قال المصنف : « وأيضاً فإن لفظي المُزُنَةِ والدَّيْمَةِ كلفظة البُعْاقِ، فكلُّ واحدٍ من هذه الألفاظ يَدُلُّ على معنىً واحداً ، ولو كانت الفصاحة ترجع إلى المعاني لما اختلفت هذه الألفاظ ، ولا كان فيها ما يُسْتَحْسَنُ استعماله ، وفيها ما يُسْتَقْبَحُ ، لأنها في الدلالة على المعنى سواء . لكن لا رَيْبَ في حُسْنِ استعمال اللفظتين الأولىتين ، وأما لفظة البُعْاق فقيحة مُنكرة »^(١) .

أقول : إن هذا الرجل يَتَوَهَّمُ أن مَنْ قال : إن المعنى قد تُوصَفُ بالفصاحة فقد أراد المعنى المفردة ، وهذا غلط ، فإن أحداً لم يقول ذلك . وإنما قالوا : إن الكلام المركب الدال على معنى قد يُسمى فصيحاً أيضاً ، وقد يقولون لمعني أحدهما أكثر بياناً وأوضاع عند السامعين : هذا المعنى أوضح من هذا ، بل قد يقال له بلين ، والفصاحة للألفاظ ، فوقع بينهم التزاع في ذلك ، لا في اللفظة المفردة الدالة على المسمى المفرد .

قال المصنف : « وأيضاً فإن الفصيحَ على وزن فَعِيلْ بمعنى فاعل ، نحو كريم وشريف ولطيف ، والفاعل للإباتة عن المعنى هو اللفظ لا غير ، وكانت الصصاحة مختصة به لا غير » (١) .

أقول: إن هذا الموضع من الموضع التي اشتبهتُ على هذا الرجل ، وذلك أن أفعالَ الطابعِ نحو فَصِيحَ وشَرِيفَ وكرِيمَ وإنما تُعطَى الاتِّصافَ بتلك الصَّفَةِ فقط ، ولا تُعطَى معنى الفاعليةِ أصلًا ، ولا تدلُّ على المؤثرِ. لا ترى أن قولنا كريم ولطيف لا يدلُّ على أنه فعالَ الْكَرَمَ وَاللَّطْفَ ، وإنما يدلُّ على أنه ذو لطف وكرم فقط مع قطع النظير عن الفاعل لها مَنْ هُوَ؟ .

فالفصيح معناه ذو الصصاحة ، لا فاعل الصصاحة ، كالمحبيل والصصيح معناها ذو الجمال والصصاحة ، لا فاعليها ، وهذا الرجل تَوَهَّمَ أن فَصِيحَا فاعل الصصاحة ، ثم بنى الدليلَ على هذا وقال: إن فاعلَ الإباتةِ للمعنى والمكِيفَ له هو اللفظ ، فكان الفصيحُ هو اللفظ ، وهذا من الغلط على ما تراه .

وعلى أنه لو كان مَا تَوَهَّمَهُ صحيحاً لكان نحصمه أن يقول : المعنى الواضحُ هو الذي فَعَلَ الفَهْمَ والإدراكَ في نَفْسِ السَّامِعِ ، وأوضَحَه له فانكشف له فهواد ومزراه ، فهلا سميتَ المعنى فصيحةً بهذا الاعتبار؟ وإن التزاع في هذه المسألة لفظيٌّ مُحْضٌ . وللذي قاله المحققون: أنا وجدنا

الاصطلاح واللغة يَشْهِدُانِ بِأَنَّ الْفَصَاحَةَ لِلْأَفْظَارِ وَالْبَلَاغَةَ لِلْمَعْنَىِ، فَإِنَّهُمْ يَقُولُونَ: هَذَا مَعْنَىٰ دَقِيقٌ، وَهَذَا مَعْنَىٰ غَامِضٌ، وَهُذَا يَقُولُونَ فِي الْحَيْوَانِ غَيْرِ النَّاطِقِ كَالْبَيْغَاءِ: هُوَ فَصِيحٌ، لِإِقْامَتِهِ الْحُرُوفُ وَلَا يَسْمُونَهُ بِلِيْغًا، إِذَا لَيْسَ لَهُ قَصْدٌ إِلَى الْمَعْنَىِ، وَإِذَا كَانَ أَهْلُ الْلُّغَةِ وَالْأَسْتِعْلَامِ قَدْ اصْطَلَحُوا عَلَى ذَلِكَ وَاقْتَفُوا عَلَيْهِ وَجَبَ اتِّبَاعُهُمْ، لَأَنَّ الْبَحْثَ لِفَظِيٍّ.

قال المصنف : « واعلم أن البيان علم عقلٍ يُدْرِكُ بالذوق والعقل حُسْنُهُ من قُبْحِهِ ، وليس كعلم النحو ، فإنه تَقْلِيدُ الْعُرُوفِ ، والذِّي تَكَلَّفَهُ التَّحَمَّةُ مِنَ الْعَلَالَاتِ وَأَمِّ لَا يَبْتَتُ عَلَى حَمَّكَ النَّظرِ ، لِأَنَّهُمْ إِنْعَامٌ سَمِعُوا مِنْ وَاسِعِ اللُّغَةِ رَفْعَ الْفَاعِلِ وَنَصْبَ الْمَفْعُولِ مِنْ غَيْرِ دَلِيلٍ أَبْدَاهُمْ ، فَاسْتَخْرَجُوا لِلذَّلِكَ أَدْلَةً وَعِلَّلَاتًّا ، وَإِلَّا فَمَنْ أَبْيَانَ عِلْمَ هُؤُلَاءِ أَنَّ الْحُكْمَةَ الَّتِي دَعَتْ الْوَاضِعَ إِلَى رَفْعِ الْفَاعِلِ وَنَصْبِ الْمَفْعُولِ مِنْ غَيْرِ دَلِيلٍ أَبْدَاهُمْ الَّتِي ذَكَرُوهَا »^(١) .

أقول : إنَّ كَانَ هَذَا الرَّجُلُ مِنْ يَنْفِي الْقِيَاسَ فِي الشَّرْعِيَّاتِ كَلَّمَنَاهُ كَلَامًا أَصْوُلِيًّا كَمَا تَكَلَّمَ الشَّبَّعَةُ وَالنَّظَّامُ^(٢) وَأَهْلُ الظَّاهِرِ^(٣)

(١) يتصرّف من ١٤٧/١

(٢) النَّظَامُ هوَ إِبْرَاهِيمُ بْنُ سَيَارٍ بْنُ هَافِي الْبَصْرِيِّ ، انْفَرَدَ فِي الْاعْتَزَالِ بِمَدْعَبٍ خَاصٍ ، وَكَانَ أَسْتَاذًا لِلْبَاحِثِينَ ، وَكَانَ تَكَلَّمًا عَالَمًا أَدْبِيًّا لِهِ ثُرَجِيدٌ وَشَعْرُ رَقِيقٍ ، وَقَدْ بَنَى مَدْعَبَ الْكَلَامِ عَلَى الشُّكُوكِ وَالْمُتَبَرِّيَّةِ . تَوْفَى سَنَةُ ٢٢١ هـ .

(٣) أَهْلُ الظَّاهِرِمِ الَّذِينَ يَنْكِرُونَ الرَّأْيِ وَالْقِيَاسَ ، أَسْسُ الْمَدْعَبِ دَاؤِدُ الظَّاهِرِيِّ الْأَصْفَهَانِيُّ الْأَصْلُ ، الْبَنْدَادِيُّ الدَّارُ ، وَعَادَ مَدْعَبُهُ إِنْكَارُ الْقِيَامِ ، وَالْأَعْيَادُ عَلَى أَنَّ فِي الْكِتَابِ وَالسَّنَةِ مَا يَقُنِي بِعِرْفِ الْوَاجِبَاتِ وَالْمُحْرَمَاتِ ، وَالْجَرِيُّ عَلَى تَقْدِيمِ ظَواهرِ الْآيَاتِ وَالْأَحَادِيثِ عَلَى التَّعْلِيلِ الْمُقْلِيِّ لِلْأَحْكَامِ .

مَاتَ بِيَنْدَادَسَةِ ٢٧٠ هـ وَنُشِرَ مَدْعَبُهُ بِمَدِيْنَةِ ابْنِهِ مُحَمَّدِ الْمُتَوْفِيِّ سَنَةُ ٢٧٩ هـ .

وَقَدْ كَثُرَ أَتِيَّعُ الْمَدْعَبِ بِالْمَرْأَةِ وَفَارِسِ وَالْأَنْدَلُسِ ، ثُمَّ انْتَرَضُوا بَعْدَ المَائِةِ الْخَامِسَةِ .

وَغَيْرُهُمْ مِنْ نَفَى القياسَ فِي الْفِقَهِ . وَإِنْ كَانَ يَعْتَرِفُ بِالقياسِ فِي الشَّرِيعَاتِ فَالْقِيَاسُ فِي الشَّرِيعَاتِ كَالْقِيَاسِ فِي النَّحْوِيَاتِ ، لِأَنَّا عَلِمْنَا أَنَّ الْحَكْمَةَ الَّتِي دَعَتْ الْوَاصِعَ إِلَى رفعِ الْفَاعِلِ وَنَصْبِ الْمَفْعُولِ هِيَ الْوِجْهُ الَّتِي يَذَكُّرُهَا النُّحَاهُ ، لِكُونِهَا مَنْاسِبَةً ، وَالْحَكْمُ ثَابَ عَلَى وَقْتِهَا ، نَحْوَ قَوْلِهِمْ : الْفَاعِلُ لِلْفَعْلِ الْوَاحِدِ لَا يَكُونُ إِلَّا وَاحِدًا ، وَالْمَفْعُولَاتُ قَدْ تَكْثُرُ وَتَتَعَدُّ ، وَالْفَعْلُ وَاحِدٌ وَيَتَعَدَّ مَعَ ذَلِكَ إِلَى أُشْيَاءٍ ، كَالْمَفْعُولَاتِ فِي الْمَعْنَى نَحْوَ الْحَالِ وَالظَّرْفِ وَالْمَصْدِرِ ، فَكَانَ الْفَاعِلُ أَخْفَفَ لِقَلْيَتِهِ ، فَأَعْطَيَ الرَّفْعَ وَهُوَ أَنْقَلَ الْحَرْكَاتَ تَعْدِيلًا بَيْنَ التَّقْيِيلِ وَالْخَفْفِيفِ . وَنَحْوَ قَوْلِهِمْ : لَمَّا كَانَ الْفَعْلُ وَالْفَاعِلُ جَمْلَةً مُفْقِدَةً كَالْمُبْتَدَأِ وَالْمُخْبَرِ أَعْطَيَ الْفَاعِلَ إِعْرَابَ الْمُبْتَدَأِ وَهُوَ الرَّفْعُ ، لِمَشَابِهِ بَيْنِهِمَا مِنَ الْجَهَةِ الْمَذَكُورَةِ ، وَغَيْرُ ذَلِكَ مِنَ الْوِجْهَاتِ الَّتِي قَدْ ذَكَرَنَا هَا فِي كِتَابِ (الْعَقْرِيِّ الْمُحَسَّنِ) وَذَكَرَهَا غَيْرُنَا ، فَصَارَ ذَلِكَ كَتَعْلِيلٍ سُقُوطِ قَضَاءِ الْصَّلَاةِ عَنِ الْحَائِضِ بِالْمَشَقَّةِ ، فَإِنَّهُ مَنْاسِبٌ ، وَقَدْ ثَبَّتَ الْحَكْمُ عَلَى وَقْتِهِ فِي سُقُوطِ قَضَاءِ الرَّكْعَتَيْنِ الْمُنْقَطَعَتَيْنِ مِنْ صَلَاةِ الظَّهِيرَةِ فِي السَّفَرِ ، فَهَذَا تَعْلِيلٌ مُتَفَقُّ بَيْنَ الْقَاسِيْنِ عَلَى صَحِّهِ . وَلَمْ يَكُنْ لِقَائِلَ أَنْ يَقُولُ : مِنْ أَيْنَ عَلِمْتُمْ أَنَّ الْحَكْمَةَ الَّتِي دَعَتْ إِلَى إِسْقاطِ قَضَاءِ الْصَّلَاةِ عَنِ الْحَائِضِ هِيَ الْمَشَقَّةُ ، لِأَنَّ الشَّارِعَ لَمْ يَذَكُّرْ ذَلِكَ ، وَإِنَّا حَكَّمَ بِسُقُوطِ الْقَضَاءِ فَقَطْ وَلَمْ يَذَكُّرِ الْعِلْمَةَ .

قال المصنف : فَامْتَنَرَ الْمَنْظُومُ فِينَبْغِي أَنْ يَكُونَ كَذَا وَكَذَا ، ثُمَّ ذَكَرَ لَهُ شَرْوَطًا ، وَضَرَبَ مِنْ كَلَامِهِ أَمْثَالَ أَكْثَرِهَا جَيْدًا ، وَفِيهَا مَا لَيْسَ بِجَيْدٍ مُثَلُ قولِهِ : « فَسِرْرَنَا فِي غَمَامَةٍ مِنَ الْكِتَابِ ، تَظَاهَرُهَا غَمَامَةٌ مِنَ الطَّيْورِ الْأَشَائِبِ ، فَهَذِهِ يَضْمِمُهَا بَحْرٌ مِنْ حَدَّدِي ، وَهَذِهِ يَضْمِمُهَا بَرٌّ مِنْ صَعِيدِي »^(١) .

(١) يَتَصَرَّفُ وَيَخْصُصُ ١٧٤/١ وَأَصْلَحْنَا النَّصَّ مِنَ الْمُثْلِ السَّابِقِ .

وذلك لأن الصعيد وجه الأرض ، والطيور التي تظل الجيش إنما يضمها بحر من الجلو والمواء لا من الأرض .

ومثل قوله في ذكر الصليب : « وَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ كَتَبَ عَلَيْهِ الْهَوَانَ عَقِيبَ تِلْكَ الْكَرَامَةِ ، وَأَنَّهُ ذُو شُعْبَ أَرْبَعَ ، وَالْتَّوْبِيعُ تَخْسِنَسْ » في عِلْمِ النَّجَامَةِ^(١) » .

فإن لفظة النجامة لفظة رديئة مستغفلة ، على أنا لا تعرف صحتها أو جوازها ، ولا سمعناها أبداً للتنبئ ولا مصدراً .

ومثل قوله : « قَدْ عَدَ الْخَادِمَ احْتِمَالَ تَقْبِيلِهِ مِنْ جُمْلَةِ الْأَيَادِيِّ الَّتِي أُنْقَلَتْنَاهُ ، وَأَرَادَ أَنْ يَجْرِي مَعَهَا بِسَوَابِقِ شُكْرِهِ فَأَعْجَلَنَاهُ وَمَا أَمْهَلَنَاهُ وَهُوَ الْآنُ مُرْتَهَنٌ مِّنْهَا بَيْنَ قَدِيمٍ وَجَدِيدٍ ، وَأَصْبَحَ كَثِيرًا إِذْ تَكَاثَرَ الظُّبَاءُ عَلَيْهِ فَلَا يَدْرِي لِكِتْرَتِهَا مَا يَصِيدُ »^(٢) .

فإن تشبيه نفسه بغير ارش قبيح جداً ، لأنه إن كان لا يعلم أن خيراً في هذا البيت اسم كلب فهو ملعون ، حيث لم يترى مراد الشاعر ، وإن كان يدري فقد شبه نفسه تشبيهاً قبيحاً . أليس هو الذي استيقع في هذا الكتاب قول الرضوي الموسوي^(٣) :

يَعْزِزُ عَلَيْهِ أَنْ أَرَاكَ وَقْدَ خَلَتْ مِنْ جَانِبِكَ مَقَاعِدُ الْعُوَادِ^(٤)
لِأَجْلِ لِفَظَةِ « مَقَاعِدَ » ؟

(١) ١٧٧/١

(٢) ١٧٩/١

(٣) هو الشريف الراغي أبو الحسن محمد بن الحسين بن موسى ينتهي نسبه إلى الحسين ابن علي ، ولد ببغداد سنة ٣٥٩ هـ ، وتوفي بها سنة ٤٠٦ هـ وكان من أكابر الشعراء والعلماء .

(٤) الرواية الصحيحة للشطر الأول كما رواه ابن الأثير ٢٩٧/١ :

أَعْزَزُ عَلَيْهِ أَنْ أَرَاكَ وَقْدَ خَلَ .

وقول أبي الطيب المتنبي :

أذاقَ الْغَوَانِيَ حُسْنَتُهُ مَا أَذَقَنَتِي
وعَفَّ فَجَازَاهُنْ عَسْيٌ عَلَى الصَّرْمِ^(١)

لأجل لفظة « الصرم » .

وقول أبي تمام :

أعْطَيْتِي دِيَةُ الْقَتْلِ وَلَيْسَ لِي عَقْلٌ^(٢) وَلَا حَقٌّ عَلَيْكَ قَدِيمٌ
لأجل قوله « ليس لي عقل » .

ومثل قوله^(٣) في صفة فرس : وَخَلَفَهَا جَنِيبٌ مِنَ الْخَيلِ يُقْتَلُ
بِجَدْعٍ وَيُدْبِرُ بِصَخْرَةٍ ، وَيَنْظَرُ مِنْ عَيْنٍ جَحَظَةٍ ، وَيَسْمَعُ بِأَذْنٍ
حَشَرَةً^(٤) فَإِنَا مَا سَمِعْنَا إِلَّا عَيْنًا جَاحِظَةً وَلَمْ نَسْمَعْ جَحَظَةً ، وَلَوْ قَالَ
مِنْ عَيْنٍ حَذِيرَةً لَا سْتَغْنَى عَنْ جَاحِظَةِ الَّتِي لَمْ تَسْتَعْمِلْ .

وقد كان زاد في القرائن قرينة وأتي بالفظة امرئ القيس في قوله :

(١) صحنا البيت من ديوان المتنبي، وهو من قصيدته في مدح الحسين بن إسحاق التنوخي
إلى مطلعها :

مَلَامِي النَّوْى فِي ظُلْمِهَا غَايَةُ الظَّلَمِ
لَعْلَ بَهَا مَثَلُ النَّوْى بِي مِنَ السَّقْمِ
الديوان ٢٤٠/٢

وقد استخرج ابن الأثير بيت المتنبي وقال : وإن الصرم في اللغة القطع ، فغيرها العامة ،
وجعلتها دالة على المخل المخصوص من الحيوان دون غيره فأبدلوا السين صاداً ، ومن أجل ذلك
استكره استعمال هذه الكلمة وما جرى عبراه ، لكن المكره منها ما يستعمل على صيغة الاسمية ،
كما جاءت في هذا البيت . وأما إذا استعملت على صيغة الفعل كقولنا : صرم وتصرم فإنها لا تكون
كريبة ، لأن استعمال العامة لا يدخل في ذلك .

(المثل السادس ١/٢٩٠) .

(٢) من قصيدته في مدح محمد بن الحبيب بن شباتة التي مطلعها :
أَسْقَ طَلَوْمَ أَجْشَ هَزِيمٌ وَغَدَتْ عَلَيْهِمْ نَفْرَةٌ وَنَمْ
الديوان ٣/٢٩٢ .

(٣) يزيد ابن الأثير .

(٤) من كتاب له ١/١٨٦ .

وَعَيْنٌ هَا حَدَّرَةً بَدَرَةً شُقِّتْ مَا فِيهِمَا مِنْ أُخْرِ^(١)

والعين الحدرة هي المكتنزة الصلبة .

ومثل قوله: إن إنساناً كلفه أن يُرَصِّعْ قوله « إن الملائكة لا تَدْخُلُ بيته في صورة ولا تمثال » في فصل من الكتابة فقال « قد أصبح الخادم وليس بقلبه سوى الولاء والإيمان ، فهذا يَظْهَرُ أَثْرَهُ في طاعة السُّرُّ ، وهذا في طاعة الإعلان ، وما عداها فإن دُخُولَه إلى قلبه من الأشياء المحظورة ، والملائكة لا تَدْخُلُ بيته فيه تمثال ولا صورة »^(٢) .

فإن ترصيع الخبر في هذا المقصود بعيد جداً ، لأن الولاء والإيمان ليسا بصورة ولا تمثال . ثم إن ما عداهما أمرٌ يعمُّ ويتصعد جديداً إلى مala نهاية له ، وقد يكون مُضاداً لها كالكفر والنفاق ، ولا يحسُّنُ أن يقال الكفر ونَيَّةُ الخروج على الإمام لا يدخلان في قلب ، لأن الملائكة لا تدخل بيته في صورة ولا تمثال ، ولا لهذا مناسبٌ ذاك ، ولا قريبٌ منه . وقد سألي بعض الأصدقاء هل يمكن استعمال هذا الخبر في الكتابة وإخراجه في معرض آخر ، أطفـ من هذا . فقلت : قد يمكن ذلك بأن يكتب إلى صديق أو حبيب : قد تمثلت صورتك في سواد العين وسوادَ آداء الجتنـ ، وملأت أقطارها ، فلم يَبْقَ لغيرها فيها مكان ، فإذا صلت الظهر لم أعلم أركعتان هي أم ثمان ؟ وقد مَنَعَتْ صورتك القلبيةَ تحلىها من اعتقاد المدى ، وفرَغـه لاعتقاد الصالـ ، لأنهما من آثار الملك والشيطـان ، والملائكة لا تدخل بيته فيه صورة ولا تمثال » .

(١) صوبنا البيت من لسان العرب مادة آخر . قاله امرؤ القيس في وصف فرس سمير - أثـ - عين حدرة : مكتنزة صلبة . بدرـة : تبدـ بالنظر ، ويقال هي الثامة كالبدر . شـقتـ من آخر : مفتـحةـ كأنـها شـقتـ من مؤخرـها .

(٢) المثل السادس ٤٢٥/١ .

واعلم أن هذا الباب وهو حل النظوم هو عين هذا الكتاب وخلاصته
ووجه جميعه ، وطراز حلّته ، وكأنه لم يُصنَّفْ إلا لأجله ، وليظهر
صناحته فيه .

على أن كتابته كلها إذا تأملَّها العارفُ بهذا الفن وجَدَّها من هذا الباب ،
لأنها إما مخلوٰلٌ منظوم ، أو ترسيخٌ آيةٌ أو خبرٌ أو مثلٌ أو واقعةٌ ، وهذه
إحدى طرائقِ الكتاب عندى ، وإليها أذهب ، وهذا أستعمل .

وقد كنت شرَّعتُ في حلٍّ سَيْقَيَاتِ أبي الطيب المتنبي^(١) لشهرتها ،
وغلبتها على ألسنة الناس ، وأن أجعل ذلك كتاباً مُفْرداً أقرب به أيضاً
إلى الخزانة الشريفة – عمرها الله تعالى – فخرج بعضه ، وصادفَ على
إنماه عوائقُ الوقتِ أو شواغله .

وأنا أورد هنا بعض ذلك ، ليكون معارضاً لما جاء به هذا الرجل ،
ولكيلا يكون كتابنا هذا مقصوراً على المناقّصاتِ النظرية والمؤاخذاتِ
الأخذية في علم الكتابة فقط ، بل يكون حاوياً لذلك ، وبجزء من الكتابة
نفسها .

فصل في التهنة بعيد :

« لازلت الموسام تغشاك وأغصانها وريقة » ، وحداها أنيقة ،
والأعيادُ تلوك ، وأنت عيدُها على الحقيقة ، ولا برحتَ تهتَّصرُ من
الشبابِ لتدُّنَّ رطبياً ، وتنضُّو من الأعياد سَمَّلاً وتلبسُ قشياً ،
فهذا اليومُ الشريف في الأيام مثلُك في الأنام ، لكنه أوحدُ عامٍ مُخضورٍ ،

(١) سَيْقَيَاتِ المتنبي : هي قصائد في مدح سيف الدولة بن حمدان أمير حلب والموصل .

وأنت أوحد الأعوام والدهور ، ولا أحيلُ ذلكَ علىَ شخصِ الجد الذي
أشهَركَ ، وحَاسِدُكَ رَاقِدُ ، وشانِثُكَ قاعِدُ » .

هذا مخلول قوله :

هنيئاً لك العيد الذي أنت عيده
وعبدٌ من سَمَّى وضَحَى وَعَيْداً
تلسم مخروقاً وتعطي مجدداً
كما كنتَ فيهم أوحداً كان أوحداً
فذا اليومُ في الأيام مثلك في الورى
هو الجد حتى تتفصلَ العينُ أختها
وحتى يكون اليومُ لل يوم سَيِّداً^(١)
وقد زدت عليه بأن جعلت توحيده بالاستحقاق لا بالسجدة والإنفاق ،
فيه زيادةً أخرى وهي عمومُ توحيده وخصوصُ توحيد العيد في أيام
العام مفردة .

فصل في لقاء عقد :

« فلو كشف لك عن قلوبنا لرأيت الشوق قد فعل فيها يسرّحاته ، فعلَّ
فتَّا الأمير في صدور أعدائه ، فإنه جعلهم هَلْكَى يُطْعَمُونَ مَخْلوجةً
وَسُلْكَى ، فالقضاء الرحْبُ لديهم أخرجَ من التَّابوت ، وتسَجَّعَ داود
عليهم أوْهَنٌ من بَيْتِ العنكبوت » .

هذا مخلول قوله ^(٢) :

(١) من مدحه لسيف الدولة ، وتهنته بالعيد .

الديوان ١٨٩/١ .

(٢) من تصييدة في مدح سيف الدولة ، مطلعها :

لعينيك ما يلقى الفتواد وما تلقى ولعب ما لم يسبق مني وما يبقى
الديوان ٤٦١/١ .

أبو الميجاه : والد سيف الدولة : الفيلق : الكتبية من الجيش . نجع داود : الدروع .
المدرائق : العنكبوت .

نُودَعُهُمْ وَالبَيْنُ فِينَا كَانَهُ
قَوَاصُ مَوَاضِعُ دَادِ عَنْهَا إِذْ أَوْقَعَتْ فِيهِ كَسْجَ الْخَدَرَ تَنَقَّ
وَفِيهِ أَيْضًا حَلُّ امْرَأِ الْقَبِيسِ :
نَطَعْنَاهُمْ سُلْكَى وَمَخْلُوجَةً كَرَكَ لَامِينٍ عَلَى نَابِلٍ^(١)

فصل في وصف منهزم :

«أَجْفَلَ إِجْفَالَ النَّعَامَ ، وَانْقَشَعَ إِنْقَشَاعَ الْغَامَ ، يَتوَهَّمُ كُلُّ حَفِيفٍ
يَسْمَعُهُ رَشْقَ نَابِلٍ ، وَيَرِي الأَرْضَ فِي عَيْنِهِ كِفَةً حَابِلٍ . وَقَدْ كَانَ
أَبِي أَلَا يَنْكُصُ لَهُ قَدَمٌ ، وَعَقْبَيَ يَمِينِ الْجَبَانِ حَنْثٌ وَتَنَمٌ ، وَإِذَا
تَزَلَّتِ الْأَقْدَامُ لَمْ تَرَدْ الْيَمِينُ فِي الإِقْدَامِ ، وَالْحَرْبُ يُخْسِنُ الْهَزَامَ ،
وَيُغَيِّرُ الْعَزَامَ ، وَيَجْعَلُ أَهُونَ شَيْءًا مَا يَقُولُ اللَّوَامُ » .

هذا محلول قوله :

عَقْبَيِ الْيَمِينِ عَلَى عَقْبَيِ الْوَاغِي نَتَمٌ^(٢)
ما زَيَّدَكَ فِي إِقْدَامِكَ الْقَسَمَ
وقوله :

وَالْعِيَانُ الْحَلَّىٰ مُحْدِثٌ لِلنَّظَنِ زَوَالًا وَلِلْمُرَادِ اِنْقَالًا^(٣)

(١) من قصيدة التي مطلعها :

يَا دَارِ مِيَةَ بِالْحَالِشِ فَالْهَبِ فَالْحَبِينِ مِنْ عَاقِلِ
الْدِيَوَانِ ١٥١ وَلِسَانِ الْعَرَبِ مَادَةً لَأَمِ .

سلكى : مستقيمة : مخلوجة : معوجة . كرك لأمين على نابل : من الشاعر بنابل وصاحب
بناؤه الريش في سرعة فشه به .

(٢) مطلع قصيده في مدح سيف الدولة حينها قبل في مجلسه إن الطريق أقسم عند ملك الروم
أنه سينتصر على سيف الدولة ، وسأله أن يتجده بالحاربين ، ففعل ، فانهزم .
(الديوان ٢٩٤/٢) .

(٣) صحفنا البيت من الديوان . وهو من قصيدة في مدح سيف الدولة لما هبض ليقتله ثغر
الحدث من الروم ، ومطلعها :

فِي الْمُعَالَى فَلِيمَلُونَ مِنْ تَعَالَى هَكَذَا هَكَذَا إِلَّا فَلَدَّا
(الديوان ١٠٩/٢) .

وقول بعض شعراء الحماسة :

ملأٰتَ عَلَيْهِ الْأَرْضَ حَتَّى كَأْنَهَا
منَ الصَّبَقِ فِي عَيْنِيهِ كَفَةً حَابِلٌ^(١)

وقول القائل :

إِذَا هَبَّتِ النَّكَبَاءَ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ
فَأَهْوَانُ شَيْءٍ مَا يَقُولُ الْعَوَادُلُ^(٢)

فصل في الصفح عن الجرائم :

« سَيْفُ الْإِحْسَانِ وَالْإِجْمَالِ أُقْتَلُ » من سَيْفِ القتل والاستئصان ،
وَطَلَّا غَلَّ يَدًا مُطْلِقِهَا ، وَاسْتَرَقَ رَقْبَةً مُعْتَقِهَا ، إِلَّا أَنَّ اللَّهَ يُفْسِدُ
الْإِحْسَانَ ، وَيُصْلِحُ الْمُرْوَنَ ، كَمَا يَنْفَرُ مِنَ الْفَضِيمِ ذُو الْأَنْفِ الْخَسِيِّ ،
وَيَقْرِئُ عَنْهُ فِرارَ الطَّائِرِ الْوَحْشِيِّ » .

هذا محلول قوله :

وَمَا قُتِلَ الْأَحْرَارُ كَالْعَفْوِ عَنْهُمْ
وَمَنْ لَكَ بِالْحَرَّ الَّذِي يَحْفَظُ الْيَدَيْدَا؟^(٣)

إِذَا أَنْتَ أَكْرَمْتَ الْكَرِيمَ مَلِكَتَهُ^(٤)
إِنَّمَا أَنْتَ أَكْرَمْتَ اللَّهَ تَمَرَّدَا

وقال الرَّاضِيُّ الْمُوسَوِيُّ :

(١) القائل هو الطراح بن حكيم الطافاني وهو من قصور الشعراء المسلمين وفضحائهم ،
وكان صديقاً للكثيت ، والبيت من أبيات له بديوان الحماسة .
الكتفة : يجوز أن يريده بها الخفيرة التي ينصب فيها المقابل للحبلة ، أو يريده بها ناموس
الصياد ، أو هي الحبلة نفسها ، لأنها تحبل كالحبلة ، وهذا أقرب لأن المخليل فسر الكفحة على
ذلك ، وجازت إضافتها إلى المقابل كما تضاف الحبلة إليه .
المقابل : ناصب الحبلة (شرح المزروقي ٢٢٨/١) .

(٢) من قصيدة في مدح سيف الدولة وتهنئته بالعيد ، مطلعها :
لكل امرئ من دهره ما تعودا وعادات سيف الدولة الطعن في العدا
(الديوان ١٩١/١) .
(الفلك الدائر - ٧٣)

ما مقامي على المَسْوَان وعندِي مِقْوَلٌ صارمٌ وأنفُ حَمِيٌّ
ولِيَاء مَحَلَّقٌ بِي عن الضيم كما رَاغ طَائِرٌ وحشِيٌّ^(١)
وأدخلت أيضاً فيه لفظة بعض الموارج قالها لقطري بن الفجاءة^(٢)،
والقصة مشهورة .

فصل في ذكر المراسلة :

« وتواتت منهم رسائل جعلوها عليهم أدراعاً ، وقصدوا بها تزجيجية
للحوق دفاعاً ، فظاهرها الإعظام لنا والإجلال ، وباطنها الإرجاء لهم
والإمهال ». .

هذا محلول قوله :

دروعٌ لِمَكْلِكِ الرُّوم هَذِي الرسائلُ يَرُدُّ بها عن تَفْسِيرِه ويُشَاغِلُ
هي الزَّرَدُ الصَّافِي عليه ولفظها عليك ثناء سايغ وفضائل^(٣)
فصل :

« باب العمور كعبة الحَيَا ، ومناطيس الشَّفَا ، فالملوک تقبَّلُ بساط
ديوانه ، وتفصُّرُ عن تقبيل كمه وبناته ». .

هذا محلول قوله :

(١) ديوان الشريف الرضي ٦٤٦ وقد سبق التعريف به .

(٢) زعيم من زعام الموارج شاعر خطيب .

(٣) من قصيدة في مدح سيف الدولة حينما جاء إليه رسول ملك الروم (الديوان ٩٠/٢)
ورواية الديوان (يرد) بدلاً من (ينب) التي في الأصل .

تقبل أفواه الملووك بساطتهُ ويكبر عنها كُمَّهُ وبِرَاجِمُهُ^(١)

فصل :

«إذا كان الموى من القلب في الشغاف والصريم ، واللوم يحوم حول ذلك الحمى والحرىم ، وكلما شاهد الحر فى ثار ، وكلما عاين النار استطار ، لا جرم أنه يستحلل جوهره هباء ، ويذهب زبده جفاء ، ويتثبت في محله ذلك الموى ، ويُلقي عصاه ، ويستقر به النوى» .

هذا محلول قوله :

عذل العواذل حَوْلَ قَلْبِ التَّائِهِ
وهَوَى الْأَحْيَى مِنْهُ فِي سَوَادِهِ
يشكُو الملام إِلَى اللَّوَامِ حَسَرَةً
ويَصُدُّ حِينَ يَلْمُسُّ عَنْ بُرْحَانِهِ^(٢)
وقول الأول :

فألقت عصاها واستقر بها النوى كما قر عيناً بالإياب المسافر

فصل في ذكر معقل :

«حَمَّاهَا فَأَجْلَى ، وَبِنَاهَا فَأَعْلَى ، وَنِيرَانَ الْمَرَآنَ تَضَطَّرُم ، وَأَمْوَاجَ الْأَرْمَاحَ تَلْتَطِم ، وَشَبَّا الظَّبَابُ يَصْطَدِم ، وَلَظَى الْوَغْيَ تَحْتَدِم ، فَقَرَّتْ بَعْدَ ازْعَاجَهَا ، وَسَلَّمَتْ بَعْدَ ارْتَاجَهَا ، وَشَفَتْ مِنْ أَلْهَا ، وَبَرَأَتْ مِنْ لَمَمِّهَا ، وَأَصْبَحَتْ مُسْتَقْلَدَةً بِعَمَّامٍ مِنْ أَشْلَاءِ الْفَوَارِسِ ، تَدْفعُ عَنْهَا عَيْنَ الْعَائِنِ وَتَفْسُ النَّافِسِ ، وَلَيْسَ كَفَلَانِدَ عَرَافَ الْيَعَامَةِ وَعَرَافَ نَجْدٍ ، وَلَكِنَّهَا قَلَادَةً طَرَفَاهَا الشَّرَفَ وَوَاسْطَهَا الْمَجْدُ» .

(١) من تصييده في مدح سيف الدولة التي مظلتها :

وفاؤوكا كالربيع أشداء طالسه بأن تسعدا والدعم أشداء ساجده
البراجم : مفاصل الأصابع ، مفردها بترجمة .

(٢) ديران الثاني / ٢٣٩ .

وقد حللت في هذا قوله في وصف قلعة الحدث :

بناها فأعملَ والقَنَّا يَقْرَعُ الْقَنَّا
وَمَوْجُ الْمَنَابِيَا حَوْلَهَا مُتَلَاطِمٌ
وكان بها مثل الجنون فأصيَّحتْ
ومن جُحْشِتِ القتلى عليها تمائم^(١)
وأشرت فيه إلى قوله صلى الله عليه وسلم للحسن والحسين عليهما السلام :
«أعوذ كم من عَيْنٍ عَائِنٍ، وَنَفْسٍ تَأْفِسٌ»^(٢).
وإلى قول عروة بن حزام :

ضمنت لعرف اليمامة حُكْمَهُ وعراف نجد إنها شفياني^(٣)

وقد نثر هذا المصنف هذين البيتين ، فقال : « بناها والأسماءُ في بناها
متخالفة » ، وأمواج المنابيَا فوق أيدي الباين متلاطمة ، فـأحـلتـ الحـرب
عنها حتى زلزلت أقطارها برـكـضـ الحـيـادـ ، وأصـيـبتـ بمـثـلـ الجنـونـ ،
فعـلـقـتـ عـلـيـهاـ تمـائـمـ من الرـعـوسـ والأـجـسـادـ ، ولا شـكـ أنـ الحـربـ تـعـرـدـ
عـسـنـ عـزـ جـانـيهـ ، وـتـقـولـ : أـلـاـ هـكـذـاـ فـلـيـكـسـبـ الحـجـدـ كـاسـبـهـ »^(٤)
ونثرها على أسلوب آخر فقال : « بـنـاـهـاـ وـدـوـنـ ذـلـكـ الـبـنـاءـ شـوـكـ »

(١) من قصيدة في مدح سيف الدولة لما بني ثغر الحدث ، ومطلعها :
على قدر أهل العزم تأتي العزائم وتأتي على قدر الكرام المسكارم
(الديوان ٢٦٩/٢).

(٢) النفس : من معانها العين والحسد ، يقال : نفسه بنفسه إذا أصابه عين (القاموس
المحيط مادة نفس).

(٣) عروة بن حزام بن مهاجر شاعر غزل عذري قصر حبه على عفراة بنت عمها ، وحالته
عواقب دون زواجه بها ، ففرض حتى قصي تحبه سنة أو ٣٠.

رواية البيت (جعلت) بدلاً من (ضمنت).
الأغاني ١٥٣/٢٠ وفوات الوفيات لأبن شاكر ٣٥/٢ وتنزيين الأسواق لداود الأنطاكي ٧.

(٤) المثل السائر ١٦٨/١

الأَسْلَل ، وطُوفَانُ المَنَابِيَّ الَّذِي لَا يَقَاءُوْيِّ مِنْهُ إِلَى جَبَلِ سَل ، وَلَمْ يَكُنْ بِنَاؤُهَا إِلَّا بَعْدَ أَنْ هَمَدَتْ رَعُوسٌ عَنْ أَعْنَاقِ ، وَكَأْنَاهَا أَصْبَيَتْ بِجُنُونِ فَعَلَقَتْ الْقَتْلَى عَلَيْهَا مَكَانُ التَّهَامِ ، أَوْ شَيَّنَتْ بَعَطَلِ فَعَلَقَتْ مَكَانَ الْأَطْوَاقِ (١) .

وَمَنْ عَنْهُ أَدْنَى ذَرْوَقِيْ فِي فَنِ الْكِتَابَةِ يَعْرِفُ الْفَرَقَ بَيْنَ كَلَامَنَا وَهَذَا الْكَلَامِ .

وَقَدْ ثَرَ هَذَا الْكَاتِبُ الْبَيْتُ الثَّانِي خَاصَّةً فَجَاءَ أَصْلُحُ مَا قَالَهُ فِي نَثْرِ الْبَيْتَيْنِ وَهُوَ : « سَرَى إِلَى حِصْنٍ كَذَا مَسْتَعِيدًا مِنْ سَبَبَيْهُ نَزَعُهَا الْعُدُوُّ اخْتِلَاسًا ، وَأَخْدَدَهَا مَخَادِعَةً لَا افْرَاسًا ، فَأَنْزَلَهَا حَتَّى اسْتَقَادَهَا ، وَلَا نَزَلَهَا حَتَّى اسْتَعَادَهَا ، وَكَأْنَاهَا كَانَ بِهَا جُنُونٌ فَعَثَتْ لَهَا مِنْ عَرَائِمِ عَزَّامٍ ، وَعَلَقَ عَلَيْهَا مِنْ رَعُوسِ الْقَتْلَى تَمَامًا » (٢) .

وَهَذَا وَإِنْ كَانَ حَسَنًا لَكِنَ الرِّيَادَاتُ الْعَجِيَّةُ وَالْسَّمِيَّاتُ وَالْأَسْجَاعُ الَّتِي أَتَيْنَا بِهَا نَحْنُ نَزَرِي عَلَى مَا أَنِّي بِهِ هَذَا الْكَاتِبُ ، وَتَجَاوزَهُ أَضْعَافًا مُضَاعِفَةً .

فَصْلٌ :

« أَنَا أَسْتَعِينُ بِكَ عَلَيْكُ ، فَإِنَّ الْحُصُومَةَ فِيكَ وَمِنْكَ وَإِلَيْكُ ، وَأَسْتَمِحُكَ عَدْلًا قَضَائِكَ الَّذِي عَمَّ الْخَلْقَ وَعَدَنِي ، وَشَمَلَ النَّاسَ وَتَحْتَنِي . وَأَعِيدُّ مَرَأَةَ فِكْرِكَ وَهُوَ الْجَوَهَرُ الشَّرِيفُ ، وَالشَّغَافُ الْلَّطِيفُ ، أَلَا يَظْهُرُ فِيهَا تَلَبِّيسُ الْحَاسِدِ ، وَبِهُنْتَانُ الْكَاشِعُ الْمَعَانِدِ ، وَأَخْلَاقُ الَّتِي تُظْلِمُ إِذَا قَيَسَتْ فِي الْلَّطَافَةِ بِالسَّلَافَةِ ، وَفِي الصَّفَاءِ بِالصَّهْبَاءِ ، أَنْ تَحْمِلَ قَذَى الْغِشِّ الْصَّرَاحَ ، وَهِيَ الْأَطْفُلُ مِنْ أَنْ تُمْزَجَ بِالْمَاءِ الْقَرَاحِ » .

(١) المثل السائر ١٦٨/١ .

(٢) المثل السائر ١٦٨/١ وَمِنْهُ أَصْلَحْنَا النَّصَّ .

هذا محلول قوله :

يا أَعْدَلُ النَّاسِ إِلَّا فِي مُعَامَلَتِي
فِيكَ الْحِصَامُ وَأَنْتَ الْخَصْمُ وَالْحَكْمُ^(١)

وقول غيره :

أَخْلَاقُ الْفُرُّ الصَّفَا يَا مَالَهَا
حَسَّلَتْ قَدَّارَ الْوَاشِينَ وَهِيَ سُلَافُ؟
وَاللَّبَسُ فِي مَكْنُونِ رَأِيكَ مَالَهَا
يَخْفَى وَأَنْتَ الْجَوْهُرُ الشَّفَافُ؟

فصل في صفة جيش :

قَدْ تَسْرُّبَلَ قَيْصِيَاً مِنَ الزَّرَادِ الْمُحْكَمِ إِلَّا أَنَّهُ مُحْمَلٌ بِالرَّمَاحِ ،
وَتَرَدَّى بُرْدَا مِنَ النَّقْعِ الْمَظْلَمِ إِلَّا أَنَّهُ مُعْلَمٌ بِوَمِيسِ الصَّفَاحِ ، تَسْحَبُ
جِيَادُهُ الْحَدِيدُ فَتَخَالُهَا تَمْشِي بِغَيْرِ قَوَافِمِ ، وَتَسْتَغْفِي بَعْدَهُ عَنِ الْمَخَالِبِ بَعْدَ أَنْ
خُلِقَتْ رِمَاحُهُ وَالصَّوَارِمُ ، وَلَا يُعْرَفُ فِي بَرِيقِهِ الْبَرَامِكُ فَالثَّيَابُ مِثْلُهَا
وَالْعَاءِمُ ، وَبَطَنُ حَدِيدِهِ مَاءُ ، وَهُوَ يَخْدُعُ خَدْعَ السَّرَابِ ، مُخْسَبُ
خَيَالَتِهِ سَاكِنَةٌ وَهِيَ تَمَرَّ مَرَّ السَّحَابِ .

هذا محلول قوله :

وَمَلْمُومَةٌ زَرَادٌ ثُوبَهَا وَلَكِنَّهُ بِالقَنَا مُحْمَلٌ^(٢)

(١) من قصيدة في مدح سيف الدولة التي مطلعها :

وَاحِرُّ قُلُبَاهُ مِنْ قَلْبِهِ شَيْمٌ وَمِنْ بَحْسِيٍّ وَحَالِي عَنْهُ سَقْمٌ
(الديوان ٢٥٨/٢) .

(٢) من مدحه لسيف الدولة مطلعها :

أَيْقَحَ فِي الْمَيْمَانِ الْعَدْلَ وَتَشَمَّلُ مِنْ دَعْرِهِ يَشْمَلُ
(الديوان ٦٢/٢) .

وقوله :

أَنْوَكْ يَجْرُونَ الْحَدِيدَ كَأَنَّمَا سَرَّوْا بِجِيَادِ مَاهِنْ قَوَافِمْ
إِذَا بَرَّقُوا مَمْ تُعْرَفُ الْبَيْضُ مِنْهُمْ ثَيَابُهُمْ مِنْ مَثَلِهَا وَالْعَائِمُ

وقوله :

وَمَا ضَرَّهَا خَلَقْتَ أَسْيَافَهُ وَالْقَوَافِمْ^(١) وَقَدْ حَلَقْتَ مَخَالِبَ

فصل :

« العادةُ طبيعةٌ غالبةٌ ، وَسَجِيَّةٌ إِلَى فعل المعتاد جاذبةٌ . وَعادتك
طَعْنُ الأَحداقِ ، وَضربُ الأَعْنَاقِ ، وَطِبَالُ وَنِيَالٍ يَهُوَيَانَ ذَاكَ ، وَأَنْتَ
تُبْلِغُ الْفَوْسَ هَوَاهَا ، وَالْقُلُوبَ مَسْنَاهَا ، فَأَجْرَمْتَهُمَا عَلَى أَعْرَاقِكَ ،
وَمَعْهُودِ عِوَادِكَ وَأَخْلَاقِكَ ، فَإِنَّ الْمَلَكَ لَا تَشْبُهُ دَعَائِهِ ، حَتَّى تُخَفَّضَ
بِالدَّمِ صَوَارِمُهُ ». .

هذا محلول قوله :

لَكُلِّ اِمْرِيٍّ مِنْ دَهْرِهِ مَا تَعَزَّزَّدا
وَعَادَاتُ سَيْفِ الدُّوَلَةِ الطَّعْنُ فِي الْعِدَا^(٢)

وقوله أيضاً :

لَا يَسْلِمُ الشَّرْفُ الرَّفِيعُ مِنَ الْأَذْى حَتَّى يُرُاقَ عَلَى جَوَابِهِ الدَّمُ^(٣)

(١) من قصيدة في مدح سيف الدولة مطلعها :

عَلْ قَدْرِ أَهْلِ الْعِزَمِ تَأْتِيَ الْعَزَامُ وَتَأْتِيَ عَلَى قَدْرِ الْكَرَامِ الْمَسْكَارِمُ
(الديوان ٢٧٢/٢).

(٢) مطلع قصيدة في مدح سيف الدولة .
(الديوان ١٨٥/١).

(٣) من قصيدة التي مطلعها :
طَوَى النَّفُوسَ سَرِيرَةً لَا تَعْلَمُ عَرَضاً نَظَرَتْ وَخَلَتْ أَنْ أَلْمَ
الديوان ٣٨٣/٢.

وقول ابن هند :

سيوفك تهوى أن تبيع لها العدا فلا تحرمنها إن عادتك الندا

— ٥٠ —

فصل في نثر قوله :

لا تعذل المشتاقَ في أشواقه حتى يكون حشاك في أحشائه^(١)

نثره هذا المصنف فقال : « لا تعذل الحب فيها يهواء ، حتى تطويَ
القلبَ على ما طواه »^(٢)

ونثره أيضاً على وجه آخر فقال : « إذا اختلفت العينان في النظر ،
فالعَدُلُ ضَرْبٌ من الْهَذَارِ »^(٣) :

وقد نثرناه نحن على وجوه منها : « لا تعذل الحب في جبه ، حتى
ينطق لسانك عن قلبك » ، ومنها : « المتَّبُولُ يَعْذَلُ المَتَبُولُ ، والفارغُ
مُغْرِي بالمشغول » .

ومنها : « لو ذقتَ ما يلوك العاشق لتركت عذله وعرافتَ عذرَه ،
ومن يَضَعُ يده في الماء يَجِدُ برَدَه ويَعْرِفُ حرَّه » ومنها : « إذا لم
يتوارد القلبان على موْرِد واحد ، فالعاذل يتَّصَرِّبُ في حديد بارد » .

(١) من قصيدة التي مطلعها :

القلب أعلم يا عذول بدانه وأحق مشبك بمحنه وبماه
الديوان ٢/١

(٢) المثل السائر ١٦٦/١

(٣) المثل السائر ١٦٦/١

ومنها : « لو اتحدت الغرائز والأخلاق ، لعذرت المشتاق في الأشواق ،
ولكن النفس الواحدة لا تُدبر تدبيرين ، كما لا يكون الاثنين واحداً
ولا الواحد اثنين ». .

ومنها : « لو كنت تود بقلبي ، وتراني بطرفي لعذرتني فيما أبدرني :
ورحمني بما أخْفَي » وفي هذا إشارة إلى قوله في هذه القصيدة :
ما الحُلُّ إلا من أودُّ بقلبه وأرى بطرف لا يرى بسواء^(١)
فصل في صفة السيوف :

« فَسَهَدْنَا إِلَيْهِمْ وَفِي أَيْدِيهِنَا النَّارُ الْمُوْقَدَةُ فِي الرَّعُوسِ ، الْمُعْبُودَةُ قَبْلِ
مِلَّةِ الْمَجْوَسِ ، الَّتِي لَا يَفْسِدُهَا الْمَاءُ ، وَلَا يَطْغَيُهَا الْمَوَاءُ ، وَلَا تَحْرُقُ الْأَغَادِ ،
وَلَا خَمَدَتْ لِلَّةِ الْمِيلَادِ . تَرْمِي بِالدَّمِ بِالشَّرَّ ، وَتُوقَدُ بِالنَّاسِ لَا بِالْحَجَرِ ،
تُحَكِّمُ تَارَةً بِالْتَّعْظِيمِ وَتَارَةً بِالتَّصْغِيرِ ، وَتَجْمِعُ قَوْمًا جَمْعَ السَّلَامَةِ ، وَقَوْمًا
جَمْعَ التَّكْسِيرِ ». .

هذا محلول قوله :

وَفِي أَكْفَاهِ النَّارِ إِلَيْهِ عُبْدَاتُ
قَبْلِ الْمَجْوَسِ إِلَى ذَا الْيَوْمِ تَضَطَّرُمُ
هِنْدِيَّةً إِنْ تُصَغَّرْ مُعْشَرًا صَغِرُوا
بَحْدَهَا أَوْ تَعْظِمُ مُعْشَرًا عَظِمُوا^(٢)
وَقَدْ زَدَتْ عَلَيْهِ زِيَادَاتٍ كَثِيرَةٍ ، وَرَمَزَتْ إِلَى الْحَبْرِ الْوَارِدِ فِي أَنْ نَارَ
فَارِسٍ خَمَدَتْ لِلَّةِ مِيلَادِ نَبِيِّنَا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَخَرَجَتْ إِلَى قَوْلِهِ تَعَالَى :

(١) الديوان ٤ / ١

(٢) من تصييده في مجلد سيف الدولة التي مطلعها :

عقبي العين على عقبى الوعى ندم ماذا يزيدك في إقدامك القم

الديوان ٣٠٠ / ٢

« إنها تَرْمِي بَشَرَّ كَالْقَصْرِ »^(١) وقوله سبحانه « وَقُوَّدُهَا النَّاسُ وَالْحَجَارَةُ »^(٢) ثم خرجت إلى نكتة نحوية، وهي جمع السالمة وجمع التكسير.

فصل :

السيف بالضارب لابضاء المضارب ، والحسام في يد الجبان ككهـام ، والكهـام في يد الشجاع حـسام ، ولذلك قال عمرو لعمر : لا لـتومـ على ولا حـيف ، فإني لم أـنـحلـكـ السـاعـدـ ، وإنـماـ نـحلـكـ السـيفـ » .

هذا محلول قوله :

إذ السيف مع الدين قلوبـهمـ كـقلـوبـهـنـ إـذـاـ التـقـىـ الـجـمـعـانـ تـلـقـىـ الـحـسـامـ عـلـىـ جـرـاءـ حـدـهـ مـيـثـلـ الجـبـانـ بـكـفـكـلـ جـبـانـ^(٣)

فصل في العتاب :

« العتاب نسمـ الحياةـ ، والعـتـبـ سـمـومـ الحـيـاةـ ، فـأـنـاـ أـعـاملـكـ بـالـأـوـلـ ، لأنـهـ منـ شـيمـ الأـحـبـابـ ، والـوـدـ باـقـ ماـ بـقـيـ العـتـابـ ، وأـجـيلـ مـعـدـكـ الرـفـيعـ المـبـانيـ عنـ المـعـاـلـةـ بـالـثـانـيـ » .

نظرت في هذا إلى قوله :

هـذـاـ عـتـابـكـ إـلـاـ أـنـهـ مـيقـةـ^(٤) قـدـ ضـمـنـ الدـرـ إـلـاـ أـنـهـ كـلـمـ^(٥)

(١) سورة المرسلات : الآية ٢٤

(٢) سورة التحرير : الآية ٦

(٣) من قصيده في مدح سيف الدولة التي مطلعها :

رأـيـ قـبـلـ شـجـاعـةـ الشـجـعـانـ هوـ أـوـلـ وـهـيـ الـخـلـ الـثـانـيـ
الـديـوـانـ ٤٣٢/٢

(٤) من قصيده في عتاب سيف الدولة ، مطلعها :

واـحـرـ قـلـبـاهـ مـنـ قـلـبـهـ شـيمـ وـمـنـ بـجـسـيـ وـحـالـيـ عـنـدـ سـقـمـ
الـديـوـانـ ٢٦٦/٢

فصل في ذكر السبابا :

« فلم يعتصم مثلاً بربات الفِتاخ والوشاخ ^(١) ، ومن شيمها جرُّ الذبول لاجرُّ الرماح ، فإنهن طعن فيه بالعدُو بالمرآن ، وكان لهن أوجه شفيع إلينا ، وهو الشفيع العُرْيَان ، فتحن بين لاٰهٰ ولاعْب ، وأهلهن عليهن بين بالك ونادب ، وهذه سجية الدنيا تعمُّر البيت بغراب البيت ، وتُمْسِّي الحبي بحياة الميت » .

هذا ملحوظ قوله :

لَمَّا شَفَّتَنِيهَا وَالثُّدُرِ التَّوَاهِدُ
فِلَمْ يَبْقَ إِلَامَنْ حَمَاهَا مِنَ الظُّبَّا
تُبْكِي عَلَيْهِنَّ الْبَطَارِيقُ فِي الدُّجَى
وَهُنَّ لِدِينِ مُلْقَيَاتٍ كَوَاسِدُ
بِذَا قَضَتِ الْأَيَّامُ مَا بَيْنَ أَهْلَهَا
مَصَابُ قَوْمٍ عَنْ قَوْمٍ فَوَائِدُ ^(٢)
وَقَدْ رَمَزَتْ فِيهِ إِلَى قَوْلِ الْقَاتِلِ :

كُتُبُ الْقَتْلِ وَالْقَتَالِ عَلَيْنَا
وَعَلَى الْحُصَنَاتِ جَرُّ الذبول ^(٣)
وَقَوْلُ آخِرٍ :

لِيسَ الشَّفِيعُ الَّذِي يَأْتِيكُ مُؤْتَرًا
مِثْلُ الشَّفِيعِ الَّذِي يَأْتِيكُ عَرْيَانًا

(١) الفتاخ : جمع فتحة وهي الخاتم أو الخلال .

الوشاح : أديم عريض مرصع بالجلود تشهد المرأة بين عاتقها وكشحها .

(٢) من قصيدة في مدح سيف الدولة التي مطلعها :

عواذل ذات الحال في حواسد وإن شبيع المهد من الماجد

الذبوران ١٨٣/١

(٣) قاله عمر بن أبي ربيعة - الأغاني ١٤٣/٨

فصل في نثر قوله :

إن القتيل مُضَرِّجاً بدموعه مِثْلُ القتيل مُضَرِّجاً بدمائه^(١)
نثره المصنف فقال « القتيل بسيف العُيُون ، كالقتيل بسيف المُسْنُون ،
غير أن ذاك لا يُجرِّدُ من غمده ، ولا يُقادُ صاحبه بعَمْدَه ». .

وثره على وجه آخر فقال : « دَمْعُ الحب ودم القتيل ، متفقان في
التشيه والتمثيل ، ولا تَجِدُ بينهما بُوناً ، سوى أنها مُنْتَهان لوناً »^(٢) .

وقد ثرناه نحن على وجوه منها : « القتيل المتشَحَّط في نَجِيْعِه ، كالعاشق
المُنْخَرط في دموعه ، وكلا الماءين دم » ، إلا أن هذا سال على أصل الخلقة ،
وهذا صعد من حرقة الفُرْقة » .

ومنها : « القتيل الذي قطعت شرائين نَجِيْعِه ، أَرْوَاحُ من القتيل الذي
قطعت شرائين دموعه ، فذاك قد فارق الدنيا فَأَمِنَ شَرِّها وَخَيْرَها ، وهذا
كلا نضجت جلوده بُدَلَ جلوداً غيرها ». .

ومنها : « الديم دم أحالت لونه نارُ الهوى فايضَن ، وقطعت سِلْكَه
يدُ التَّوَى فتبَدَّد وارفَضَ ، ولا فَرْقَ بينهما عند البَصَرِ والبَصِيرَةِ ،
إلا أن هذا يَسِيلُ من عُصُوبٍ واحد ، وذاك من أعضاء كثيرة ». .

ومنها : « مصارع العشاق كمصارع الشجعان ، يَمْثَلُان في المعنى » ، وإن

(١) ديوان المتنبي ١/٤ وقبله قوله :

لا تعذل المشتاق في أشواقه حتى يكون حشاك في أحشائه
فجعل جريان الدموع كجريان الدماء لأن العاشق مثل القتيل .

(٢) المثل السادس ١٦٦/١

اختلفا في العيان ، وكلا القتيلين شهيد ، فهذا تزييف من العين وذاك من الوريد » .

فصل :

فلله آراؤك التي تكتسّتِ القوم عن صهوات الشواغل لامن صهوات السوابق ، وطعنتَ فرسانها برماح الكيابد والحظ لا برماح سمهراً والحظ^(١) ، فكأنما كانت جيالها تشكو عطلَ الأعناق ، فتنظمتَ جيادك لها مكانَ القلائد ، وأدرتها مكانَ الأطواق ، وخضبَتَ ذلك الصعيد بخضاب من الدماء لامن الكتم^(٢) والختاء ، وجعلت حمامه سجوداً في غير محراب ، وهُجوداً لا يرون حُكماً إلا حُكمَ العذاب ، وكم هَدَتْ لهم من حصنٍ بعد حصن ، في مشهد بعد مشهد ، وأعدتهم أطلاقاً ، ولكنها ليست خلولة ببرقةٍ ثَمَدَ ، وجعلت عيارة تلك المعلم كثراً واجمع الوشوم في نواشر العاصم ، وأذقت الردى أهلاها والجنادل ، وسُقْتَ ما فوق المعاقل حتى كدت تسوق المعاقل » .

هذا محلول قوله :

تنكسهم والسابقات جيالهم وتطعن فيهم والرماح المكيابد
وتضحي الحصون المشمخرات في الذرى وخيلك في أعناقهن قلائق
ـ مختضبة والقوم صرعى كأنها وإن لم يكونوا ساجدين مساجداً

(١) سهر : رجل كان يقوم الرماح فنسب إليه . الحظ : مرأة بالبحرين ، كانت ترد إليه رماح من الهند .

(٢) الكتم : بالتحرير ينت يخلط بالوشم بخضب به .

وَلَكُفْنَنَ بالصفصاف سابور فانهوى وَذَاقَ الرَّدَى أهلاً هما والحلامد^(١)
وأضفنا إليه من مواضع آخر ما كَحَمُلَ به المعنى ، وهو قول الشاعر :
وأرضك أرضك إن تأتـا تَـتَـمْ نومـةـ ليس فيها حـلـمـ
وزدنا عليه أن نقوسهم تعذب بعد الموت فيتأملون ، كما يتأمل النائم
بالأحلام المزعجة ، وقول طرفة بن العبد :

* نحولة أطلال بُـيرـقـةـ ثـهـمـدـ *

وقول زهير :

ديارـ لهاـ بالـرـقـمـيـنـ كـأـنـهـاـ رـوـاجـ وـشـمـ فيـ نـوـاشـرـ مـعـصـمـ^(٢)
وقول البحترى :

وقد سُـقـتـ مـا فـوـقـ الـعـاـقـلـ مـنـهـ فـلـمـ يـقـ إـلـاـ أـنـ تـسـوـقـ الـعـاـقـلـ
وزدنا على لفظة أبي الطيب وهي (محضبة) قول علي وقد قبس لحيته:
«أما والله لتخضبن هذه بخضاب دم لا خِضابِ عِطْرٍ وَعَنْبَرٍ» فخرج
من مجموع هذا ما وقفت عليه .

(١) الديوان ١٨٢/١ وفي الديوان الثالث مقدم على الأبيات .
يقول إنك تنزل من جبلهم منكوسين أو من خيولهم التي كانوا يلبسون . المشخرات :
المرتفعات . الصفصاف وسابور : حصنان معينان للروم .

(٢) من مطلع معلقته :

نـحـولـةـ أـطـلـالـ بـيرـقـةـ ثـهـمـدـ تـلـوحـ كـبـاـقـ الـوـشـمـ فـيـ ظـاهـرـ الـيدـ

(٣) من معلقته التي مطلعها :
أـنـ أـوـقـ دـنـةـ لـمـ تـكـلـ بـعـوـمـةـ السـدـرـاجـ فـالـتـلـمـ

فصل :

«عُذْرُ الْخِيمَةِ وَاضْعَفْتُ فِي السُّقُوطِ ، لَأَنَّهَا عَلَتْ عَلَى مَوْلَانَا فَنَادَتْ لَهُ بِالْمُبُوطِ ، وَعَلِمَتْ عَجْزَهَا عَنْ أَنْ تَشْتَمِلَ مِنْ يَشْتَمِلُ الرَّمَانَ ، وَأَنْ تَعْلُوَ مَنْ يَعْلُو عَلَى بَهْرَامَ^(١) وَكِيوانَ^(٢) ، فَأَرْجَأُوهَا فِي السَّعَةِ بِحَيْثُ يَرْكُضُ فِي كُلِّ قُطْرٍ مِنْهَا جَحْفَلٌ» ، وَلَكِنَّهَا تَضَيِّقُ عَنِ الْعَالَمِ الْمُحْمُوْعِ فِي الْوَاحِدِ الْأَجْمَلِ ، وَتَقْصُرُ عَنِهِ وَتَطْوُلُ عَلَى الْقَنَاتِ الْذَّبَّلِ ، وَأَظْنَاهَا لَمَّا أَشْرَقَتْ بِأَنوارِهِ ، وَتَاهَتْ لَمَّا عُدَّتْ مِنْ جُمْلَةِ دِيَارِهِ ، لَمْ تَمْلِكْ نَفْسَهَا فَخَرَّتْ وَضَعَفَتْ ، وَرَبُّ نَفْسٍ أَفْرَطَ عَلَيْهَا الْفَرَّاحُ فَزَهَقَتْ . وَلَوْ رُزِقَ النَّاسُ مَا رُزِقَتْ مِنَ الشَّرِيفِ الْبَادِخِ الْبُنَيَانِ ، تَخَانَتْهُمُ الْأَرْجُلُ وَخَرَّوْا سُجُودًا لِلْجِيَاهِ وَالْأَذْقَانِ ، وَمَا سَقَطَ عَبَثًا وَإِنَّمَا أَشَارَتْ بِالرِّحْيلِ ، كَمَا أَنَّ الْقَصْوَاءَ^(٣) مَا خَلَّتْ^(٤) وَإِنَّمَا حَبَسَهَا حَابِسُ الْفَيْلِ» .

هذا محلول قوله :

أَيَقْدَحُ فِي الْخَيْمَةِ الْعُدَّلِ
وَتَشْمَلُ مَنْ دَهْرَهَا يَشْمَلُ ؟
وَتَعْلُو الَّذِي زُحْلٌ تَحْتَهُ
مُحَالٌ لِعُمرِكَ مَا تُسْأَلُ ؟
تَضَيِّقُ بِشَخْصِكَ أَرْجَاؤُهَا
وَتَقْصُرُ مَا كُنْتَ فِي جَوْفِهَا
وَتُرْكِزُ فِيهَا الْقَنَاتِ الْذَّبَّلِ
كَلُونَ الْغَرَازَةِ لَا يُغْسَلُ

(١) بهرام : ملك فارسي حكم الفرس قبل الإسلام . وهم أربعة بهذا الاسم ، ولعله يقصد بهرام جور بن يزديزيرد ، وهو الذي ربي تربية عربية في الميرة في عهد النهاان بن المنذر ثم تولى ملك فارس بعد أبيه وضبط أمورها ومحى حدوتها (تاريخ الطبرى ٢/٧٤) .

(٢) كيوان : نجم في السماء هو الذي يسمى زحل .

(٣) القصواء : اسم ناقة الرسول صلى الله عليه وسلم .

(٤) خلات : حرنت أو بركت فلم تبرح .

وأنَّهَا شرفاً باذخاً
فلا تكرنَ لِمَا صرعةَ
فمن فرجَ النفس ما يقتلُ
ولو بُلْغَ الناسُ ما بلغتَ
لخانتهم حولك الأرجلُ
ولما أمرتَ بتطبيها
أشيعَ بأنك لا ترحلُ
فما اعتمدَ الله تقويضها
ولكن أشار بما تفعلُ^(١)

وزدت على ذلك الخبر المشهور وهو أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ركب ناقته القصواء في عام الحديبية متوجهاً إلى مكة ، فلم تسبعْتْ تخته ، فزجرها ميراراً وزجرها أصحابه فلم تبعث ، فقالوا خلأتْ القصواء ، فقال النبي ما خلأتْ ، وإنما جسمها حabis الفيل . وجراي مين توقف فيه عن مكة وصلحه قريشاً في تلك السنة ما هو مشهور .

فصل :

« هنئاً لأهل كذا جميلُ رأيك وحسنُ بلالتكَ ، وعميمُ آلائك ،
فقد كان الدهر جاراً عليهم واعتدى فشققته فاعتدلَ ، واعترقَ
العظيمَ منهم وانتقضَ ، فزَجْرَته فانشقَّ ، فأمرُكْ لمتشكلُ في خطبته ،
ونحوُكْ ماثيلٍ في قلبِه ، فإن شَكَ فليُحدِّثْ بهم ضرباً من الحادثات ،
لتُرْقِلَ له القنا باللهارِم الراعفاتِ ، فيوماك يوم يُخْمِدُ نارَ الحربِ
والحراب ، ويوم يُبْرِدُ أوارَ الحدبِ والسَّعْبِ ».

(١) من قصيدة المتنبي يمدح بها سيف الدولة ويدرك الجية التي أوقفتها الربيع ، وكان سيف الدولة قد ضرب خيمة كبيرة بعيافارين وأشار الناس أن مقامه يتصل بها، فهبت ريح شديدة أوقعت الجية ، فتكلم الناس في ذلك (الديوان ٥٩/٢) وقد صححت الآيات من الديوان .
المحفل : الجيش العظيم . القنا الذيل : الرماح اللينة . الغزالة : الشمس . لا ينسى : لا يزول : التطيب : مد الأطباب .

هذا محلول قوله^(١) .

وأنك حِزْبُ الله صرت لهم حِزْبًا
فإن شئت فليُحْدِثْ بساحتها خطباً
ويوماً بجُنُودٍ تطرد الفقر والجدباً
هنيئاً لأهل التغتر رأيك فيهم
وأنك رُعْتَ الدهرَ فيها وريبه
فيوماً بخيلٍ تطردُ الرومَ عنهم

وقول أبي حية التمّيري :

أما إنه لو كان غيرك أرقلتْ
إليه القنا بالراغفاتِ الهازم^(٢)

فصل :

« كريم ما شَسَمَ ولا شَسِيمَ ، ولا ظَلْمٌ ولا ظَلْمٌ ، فالمملوك تَشَسَّمَ
بِالْفِعْلِ لَا بِالْقَوْلِ ، كَالْأَسْوَدِ لَا تَفَرِّسِ بِالْجِيلِ بِلَ الْحَلْوُلِ ، وَمَا أَفْرَجَتْ
الْأَعْدَاءُ عَنِ الْبَلَادِ حُبًّا لَهُ بِلَ حُذْرًا مِنْ شَدَّةِ نَكَالِهِ ، وَلَا عَزِيزٌ عَنْهُ
بُقْيَا عَلَيْهِ ، وَلَكِنْ خَوْفًا مِنْ ضَرَرِ نَيْلِهِ » .

هذا محلول قوله :

ولم تفرقْ عَنِ الْأَسْنَةِ رَحْمَةً
كَرِيمٌ الشَّنَامَ سُبْبٌ قَطُّ وَلَاسْبَأً^(٣)
ولَكِنْ نَفَاهَا عَنْهُ غَيْرَ كَرِيمَةٍ

وقد أضيف إلى قوله قول الأول :

(١) من قصيدة في مدح سيف الدولة لما بنى مرعش ، ومطلعها :
فديناك من ربع وإن زدتنا كربلاً فإنك كنت الشرق للشمس والغرباً
الديوان ٤٤/١

(٢) أرقلت : أسرعت . الهازم : جميع هزيمة ، وهي الناقه تحت الأذنين ، والمراد
هذا الأعناق .

(٣) الديوان ٤٨/٤ من قصيدة في بناء مرعش .

وتجهل أيدينا ويخكם رأينا ونشتم بالأفعال لا بالكلام
وقول الآخر :

فما بُقِيَا عَلَى ترْكَمَانِي وَلَكِنْ خَفَّتْ ضَرَرَ النَّبَال

فصل في حل قوله :

تباري نجومَ القَدْفَ في كل ليلة نجوم له منهن وَرْدَ وَأَدْهَمَ^(١)

قد حل المصنف فقال : « تركب ظهر الليل تباري مسيرة شهيه ،
وستقرب بعده المدى في نليل مطلبه ، غير أن ذاك يقرري أديم الغياب ،
وهذا يقرري أديم السَّبَاسِبِ^(٢) » .

وقد ثرناه نحن على وجوه منها : « فازلت نقطع الأدْهَمَ الواقف
بالدُّهُمِ السائرات ، ونُساري الشَّهُبَ التَّبَرَات بالشَّهُبِ الطائرات ،
إلا أن تلك نجومَ القَدْفَ والرَّجُوم ، وهذه نجوم الغارة والمُجوم » .

ومنها :

« فازلت أباري أَدْهَمَ الليل بُدْهِمِ الخيل ، وأجارني شُهْبَةً
بالشَّهُبَ التي تسْبِق جَرَيَ السَّيْلَ ، حتى وَرَدَتْ مدينةً كَذَا قَبِيلَ

(١) من تصييده في مدح سيف الدولة التي مطلعها :
إذا كان مدح فالنبيق المقدم أكل فصيح قال شعراً متيم
الديوان ٢٥١/٢

ورد : ما بين الكيت والأنيق من الخيل .

أدم : أسود . نجومَ القَدْفَ : هي التي تقذف بها الشياطين .

(٢) المثل السائر ١٨٥/١ .

السباسب : جمع سبب وهو المفازة .

الصباح ، والشَّرِيَّا^(١) معرضةً تعرُض أثـنـاء الـوـشـاح ، وـمـنـهـا أـدـهـم^(٢) مـقـدـود^(٣) مـنـ الغـيـاهـب^(٤) ، مـلـطـومُ الـوـجـهـ بـعـضـ الكـواـكـبـ ، يـقـوـتـ الـرـياـحـ إـذـا جـرـأـ ، وـيـسـيـقـ النـجـومـ إـذـا انـكـدـرـاتـ^(٥) ، إـلاـ أـنـ تلكـ تـقـنـدـفـ منـ أـنـصـتـ لـيـسـنـمـ وـاسـتـرـقـ » .

فسطاط مصور :

« فـرأـيـتـ إـلـى خـيـمـهـ مـنـ الـخـرـيرـ مـُصـوـرـةـ بـأـنـوـاعـ التـصـاوـيرـ ، تـكـادـ آـسـادـهـ تـرـأـرـ وـتـصـوـلـ ، وـفـرـسـانـهـ تـنـطـقـ وـتـقـولـ ، وـأـفـرـاسـهـ تـرـكـضـ وـتـجـوـلـ . لمـ تـغـنـ الـحـائـمـ عـلـى حـدـائقـ جـيـانـهـ ، وـلـاـ حـاكـتـ أـيـديـ السـحـابـ رـيـاضـ جـدـرـانـهـ ، وـلـاـ عـطـتـ^(٦) إـلـى فـرـوعـ الـأـرـاكـ أـعـنـ غـيـرـلـانـهـ ، وـلـاـ خـضـعـتـ رـعـيـتـهـاـ لـمـلـوكـهاـ ، وـلـاـ نـظـمـتـ عـقـدـ عـذـارـهاـ فـي سـلـوكـهاـ ، إـذـا صـافـحتـ الـرـياـحـ جـلـبـابـهاـ ، وـنـازـعـتـهـاـ أـهـدـأـهاـ ، مـالتـ مـيـلـ الـغـزـلـ ، وـرـقـصـتـ رـقـصـ الشـارـبـ التـمـيلـ^(٧) ، قـدـ تـأـلـفتـ الـأـضـادـ فـيـهاـ تـأـلـفـ الـأـضـرـابـ وـالـأـشـكـالـ ، فـالـكـلـبـ ضـيـفـ الـأـرـنـبـ وـالـفـهـدـ وـنـزـيلـ الـغـزالـ » .

هـذـا مـحـلـولـ قـوـلـهـ :

وـأـحـسـنـ مـنـ مـاءـ الشـيـبـةـ كـلـهـ حـيـاـ بـارـقـ فـيـ فـازـةـ أـنـا شـائـمـهـ
عـلـيـهـ رـيـاضـ دـوـحـ لـمـ تـغـنـ حـائـمـهـ وـأـغـصـانـ دـوـحـ لـمـ تـحـكـكـهاـ سـحـابـةـ

(١) مجموعة نجوم صغار متقاربة .

(٢) أدهم : أسود .

(٣) مقدود : مقطوع والمراد مخلوق .

(٤) الفياب : جمع غريب وهو الظلام والشديد الظلمة .

(٥) انكدرت : تناشرت وسارت .

(٦) عطت : مدلت عن نفسها ورممتها متطاولة إلى الشجر لتناول منه .

(٧) التمبل : الشوان الذي أثر فيه الشراب .

وَفِيْهِ حِواشِيْ كُلِّ ثُوبٍ مُوجَّهٌ
تَرَى حِيَوانَ الْبَرَّ مُصْطَلِحًا بِهَا
إِذَا ضَرَبَتْهُ الرِّبَعُ مَاجٌ كَانَهُ
مِنَ الدُّرُّ سِمْنَطُّ لِمَ يُشَقِّبُهُ نَاظِمُهُ
يَخَارِبُ ضِدَّهُ ضِدَّهُ وَيَسْلَمُهُ
تَجُولُ مَذَا كَيْهُ وَتَدَأِي ضِرَاغِمَهُ^(١)

فصل :

« قِصَارُ رُمْحَكُ أَطْوَلُ منْ ظِلَالِهَا ، وَطُولُ رِمَاحِ أَعْدَائِكَ أَقْصَرُ
مِنْ زِجَاجِهَا ^(٢) وَنِصَالِهَا ^(٣) . وَكُمْ مِنْ رِمَحِ قَصْرٍ فَاطْلَانَهُ بِخُطاَكَ ،
وَكُمْ مِنْ بَلَدٍ بَعْدَ فَقَرَبَتِهِ بَسْرَالَكَ ، وَقَطَرُكَ فِي النَّدَى وَالرَّدَى
سِيُولٌ وَبِحَارٌ ، وَعَزَمُكَ فِي الْخُصُومِ وَالْعِدَاءِ نُصُولٌ وَشِفارٌ ، وَأَنَامِلُكَ
رَاجِحةٌ وَلَكِنْ خُلِيقَتْ سِيُوقُكَ مِنْ عَجَلٍ ، فَكُلَّا تَهَيَّئَنَاهَا عَنْ وُلُوغِ
الدَّمَاءِ قَالَتْ سَبَقَ السَّيْفُ الْعَذَلَ ^(٤) . وَقَدْ يَنْسُبُ الْحَالِهِ حِلْمُكَ

(١) من قصيدة في مدح سيف الدولة عند تزوله أنطاكية بعد ظفره بمحصن بروزويه وكان
جالساً تحت خيمة من الديباج عليها صورة ملك الروم وصور وحش وحيوان مطلها :
رفاق كمال الرابع أشجار طاسه بان تسعدا والدمع أشقاء ساجمه
الديوان ٢٢٨/٢.

ماء الشبيبة : نضارتها وحسنها . حيا : مطر . بارق : سحاب ذو برق . فازة : قبة
أو خيمة أو مظلة يعمودين نصبـت لسيف الدولة وكانت من حرير . شائمـه : ناظر إليه يرجو
المطر . دوح : جمع دوحة وهي الشجرة العظيمة . لم تعن حمامه : يصف الحمية بأنها مصورة
بصور رياض وأشجار ولكن الحائم لا تغنى على أغصانها لأنها صور غير ذات روح . ثوب
وجهـه : ذو وجهين . سبطـه من الدرـه : أراد به اللوازيم البيض على حاشية الأتواب التي اختلفت منها
الحـمية . يحارـب ضدـه ويسـله : نرى الوحوش مصطلحة بالنتيـمة مع أنـ من طبعـها التـفـارـسـ .
وقد نقشتـ على الـديـبـاجـ في صـورـ المـتحـابـةـ ، لكنـها لا تـحـارـبـ لأنـها جـادـ لـروحـ فيـهـ . المـذاـكيـ :
المسـنةـ منـ الجـيلـ : تـدـأـيـ : تـخـلـ وـتـخـدـعـ . الضـرـاغـ : الأـسـدـ .

(٢) الزجاجـ : جـمعـ زـجـ وهوـ الحـديـدةـ الـيـ فيـ أسـفلـ الرـيمـ .

(٣) النصالـ : جـمعـ نـفـلـ وهوـ حـديـدةـ الرـيمـ والـسـبـمـ والـسـيفـ .

(٤) مثل قديـمـ قالـهـ ضـبةـ بنـ أـدـ بنـ طـلاقـةـ بنـ إـيـاسـ بنـ مـصـرـ ، كانـ الـحـارـثـ بنـ كـعبـ قدـ
قتلـ اـبـناـ لـفـسـيـةـ ، ثـمـ لـقـيـهـ ضـبةـ فـيـ الـحـجـ فـقـتـهـ . فـقـيلـ لـهـ : يـاـ ضـبةـ أـيـ الـشـهـرـ الـحـرامـ ؟ فـقـالـ سـبـقـ
الـسـيفـ الـعـذـلـ .

أحياناً إلى تدبير أو خداع ، ولا يَعْلَمُ أن الْيَتَّثَ لا يأكلُ الْجِيفَةَ ،
ولا يَقْتَرِسُ الصَّبَاعَ .

هذا محلول قوله :

طُولُ قَنَّا تَطْعَانُهَا قِصَارُ
وَقَطْرُكَ فِي نِدَى وَوْغَى بَحَارُ
وَفِكَ إِذَا جَنَّى الْجَنَّى أَنَّاءَ
تُظْنُ كِرَامَةً وَهِيَ احْتَقَارٌ^(١)
وقول السؤال :

إِذَا قَصَرَتْ أَسِيافَنَا كَانَ وَصْلَهَا
خُطَانَا إِلَى أَعْدَائِنَا فَتَطَوَّلُ^(٢)

(١) من تصييده في ملح سيف الدولة للأوقيع بعض العرب الذين تمروا عليه . الديوان
٢٣٦/١ وصحنا الأبيات من الديوان .

(٢) لم نجد هذا البيت في أبيات السموءل التي يديرون الملة وأولها :
إِذَا الرَّمَاءُ لَمْ يَدْنَسْ مِنَ الْأَلْوَمِ عَرْضَهُ فَكُلْ رَدَاءً يَرْتَدِيهِ جَمِيلٌ
(شرح المرزوقي ١١٠/١) .

ولَا في البيان والتبيان ضمن بعض الأبيات السابقة ١٨٥/٣ .
وفي المفضليات ٢/٧ بيت للأخنس بن شهاب بن شريق التغلبي هو :
إِذَا قَصَرَتْ أَسِيافَنَا كَانَ وَصْلَهَا خُطَانَا إِلَى الْقَوْمِ الَّذِينَ نَفَارَبَ
وَقَالَ ثَلْبٌ : هَذَا الْبَيْتُ تَتَنَازَعُهُ الْأَنصَارُ وَقَرِيشٌ وَتَلَبٌ ، فَقَدْ زَعَمَ عَلَيْهِ الْجِنَازَ أَنَّهُ
نَفَارَبُ بْنُ الْحَطَابِ الْفَهْرِيُّ أَحَدُ بْنِي مَحَارِبٍ مِّنْ قَرِيشٍ . وَقَالَ الْأَنْبَارِيُّ فِي تَرْجِمَةِ الْأَخْنَسِ هُوَ
أَوْلَى الْمَرْبُّ وَصَلَ قَصْرُ الْسَّيُوفِ بِالْخُطَّا ، وَذَكَرَ الْبَيْتُ ، ثُمَّ قَالَ : وَمِنْهُ أَسْتَرَقَ كَعْبُ بْنُ مَالِكَ
الْأَنْصَارِيُّ قَوْلَهُ :

نَصَلُ الْسَّيُوفِ إِذَا قَصَرَنِ بِخُطَطِنَا قَدَمَا وَنَلَقَهَا إِذَا لَمْ تَلْحُقْ
عَلَى أَنْ قَيْسَ بْنُ الْحَطَابِ أَخْنَسَ بْنَ الْحَفَظَهَ تَقْرِيَّاً فَقَالَ :
إِذَا قَصَرَتْ أَسِيافَنَا كَانَ وَصْلَهَا خُطَانَا إِلَى أَعْدَائِنَا فَنَفَارَبَ
وَأَمَّا الْبَيْتُ الَّذِي نَبَهَ الْأَنْبَارِيُّ لِكَعْبِ بْنِ مَالِكٍ فَقَدْ نَبَهَ أَبِنَ قَيْمَةِ فِي الشِّعْرِ وَالشِّعْرَاءِ لِرِبِيعَهُ
أَبِنَ مَقْرُومٍ ، وَذَكَرَ أَنَّهُ مِنْ قَوْلِ قَيْسِ بْنِ الْحَفَظَهِ إِذَا قَيْسَا أَخْدَهُ مِنْهُ .
خِزَانَةُ الْأَدَبِ ١٦٤/٣ وَالْمَفْضَلَيَّاتُ ٧/٢

فصل :

« الآراء الصائبة ، والشجاعة الشّاقبة ، تستعبد الصوّارم ، وتستخدم المخاذم^(١) ، فالتدبّر أمير الشجاعة جنده ، والرأي حسام والصرامة غيمده .

ولو لم يُلحظ هذا المعنى ويعتبر ، لكان السباع أفضلاً من البشر ، وطالما نكست الأعلام بالأقلام ، ومُلِكَتِ الأصنفاع بالرّقاع ، وتفقدتِ المكائد قبل فنود المدائد . فإذا اجتمع لنفسِ سعيدة هذان الأمران فالت أفضى الإمكان ، وبلغت من العلّباء كل مكان » .

هذا محلول قوله :

الرأي قبْل شجاعة الشجعان هو أول وهي المثل الثاني
فإذا ها اجتمعا لنفسِ حرّة
بلغت من العلّباء كل مكان
ولربما طعنَ الفتى أقرانه^(٢)
بالرأي قبل تطاعنِ القرآن
لولا العقول^(٣) لكان أدنى ضيغم
أدْنَى إلى شرفِ من الإنسان

فصل :

« عزائمك لا تُفلّ ، وآراؤك لا تَضليل ، ومدائحك لا تُملّ ،
وأحكامك لا تَسْمِيل ، وسيفك شريك المثابا في قبض النفوس ، فهذه
لاختطاف الأرواح ، وهذا لاقتاف الرّعوس . وكل دم لم تتحصّبه^(٤)

(١) المخاذم : جمع مخنم على وزن مثير وهو السيف القاطع . وكانت الكلمة بالأصل (المخازم) .

(٢) من قصيدة في مدح سيف الدولة .
الديوان . ٤٢٥/٢

(٣) لم تحصّبه طيّاك : لم تسفكه وتبسطه سيفوك .

ظُبُاك أصبح مَطْلُولاً ، وكل مَمَاتٍ لم تشارك فيه عُدُّ خِيانةً وغلولاً» .

هذا محلول قوله :

شَرِيكُ الْمَنَايَا وَالنَّفُوسُ 'غَنِيمَةٌ' فَكُلُّ مَمَاتٍ لَمْ يُمِتْهُ غُلُولٌ^(١)

فصل في حل قوله :

وَمَا الْحُسْنُ فِي وَجْهِ الْفَقِيرِ شَرْفًا لَهُ
إِذَا لَمْ يَكُنْ فِي فِعْلِهِ وَالْخَسَالِقِ^(٢)

قد ثُبَرَتْ نَاهٌ عَلَى وَجْهَهُ مِنْهَا : « شَرْفُ الْفَقِيرِ بِأَفْعَالِهِ ، لَا بُحْسَنِهِ وَجَاهَهُ ، كَالصَّيْفِ يَقْطَعُ بِجَوْهِهِ ، لَا بُحْسَنِ مَنْظَرِهِ » .

وَمِنْهَا : « لَوْ كَانَ شَرْفُ الْإِنْسَانِ بِصُورَتِهِ وَخَلْقِهِ لَا بِمَعْنَاهُ وَخَلْقِهِ ، لَا قَلِيلٌ مَا الْإِنْسَانُ إِلَّا قَلْبُهُ وَاللِّسَانُ » .

وَمِنْهَا : « لَا فَخْرٌ فِي الصُّورَةِ الْمَلِحَةِ ، وَأَفْعَالُهَا قَبِحَةٌ » ، كَالشَّجَرَةِ السَّامِيَّةِ الْخَضَراءِ النَّاضِرَةِ ، وَفِي أَكْلِهَا الْفَاقِرَةُ^(٣) .

وَمِنْهَا : « لَوْ كَانَ الْفَخْرُ بِمَا بَدَا فِي الصُّورَةِ وَظَاهَرَ ، لَا بِمَا بَطَّنَ مِنَ الْعَنْيَ وَاسْتَبَرَ ، لَكَانَ صُورَةُ النَّمَارِقِ^(٤) ، أَشْرَفَ مِنَ الْحَيَاةِ النَّاطِقِ » .

(١) من قصيدة في مدح سيف الدولة التي مطلعها :
ليالي بعد الطاعنين شِكْرُوك طوال وليل العاشقين طويسل
الديوان ٨٨/٢ .

(٢) من قصيدة في مدح سيف الدولة التي مطلعها :
تذكرت ما بين العتبيب وبارق مجر عوالينا وجري السوابق
الديوان ٤٦٩/١ .

(٣) الفاقرة : الدهنية .

(٤) النمارق : جمع نمرق ونمرة وهي الوسادة أو الطنفسة .

فصل في هيئة عسکر :

« للأمير أيده الله جيَشان: النَّسُورُ فِي الْجَوَّ، وَالْجَيَادُ فِي الدَّوَّ»^(١) ، فكأنَّ الفَضَاء ثوبٌ مُطَبِّرٌ^(٢) بالجوارح والعقبان ، وكأنَ العز فرس مُخَجَّلٌ^(٣) بالسوابق والفرسان ، فعسکرُ الطير ضيفٌ يستطعم عسکرَ السيف ، فإذا رمى بهما جيشاً نفاه ، فأباد هذا أرواحه^(٤) ، وأباد هذا أشباحه^(٥) .

هذا محلول قوله :

لَه عَسْكَرًا خَيلٌ وَطَيْرٌ إِذَا رَمَى
بَهَا عَسْكَرًا لَمْ يَبْقَ إِلَّا جَمَاجِمُهُ
سَحَابٌ إِذَا اسْتَسْقَتْ سَقْتَهَا صَوَارِمُهُ^(٦)

وقد حلَّهُ هذا المصنف فقال :

«فِسِّرْنَا فِي غَسَامَةٍ مِنَ الْكِتَابِ ، تُظَلَّلُهَا غَسَامَةٌ» من الطيور الأشباح^(٧) ، فهذه يضمها بحرٌ من حديد ، وهذه يضمها بحرٌ من صعيد^(٨) .

فصل :

«حَسَامٌ لَوْلَا تَرَقَرُقٌ الْمَاءُ فِي جَوَانِيهِ ، لَتُلْمِسَتِ النَّارُ الْمَوْقَدَةُ»

(١) الدو : الدوية وهي الفلاة .

(٢) ثوبٌ مطير : منقوشة فيه صور الطيور .

(٣) من قصيدة في مدح سيف الدولة التي مطلعها :

ونفاؤك كالريح أشجاره طاسمه بأن تسعدا والدمع أشلاء سابقه
الديوان ٢٤٠/٢ ومن الديوان حصتنا الآيات .

(٤) الأشباح ، الخلط جمع أشابة بضم المزة .

(٥) المثل السائر ١٧٤/١ .

من مضاربه ، فقد أضَرَّ به حُبُّ الجحاجم والأعناق حتى عاد نِصْرًا كالهلال ،
ووَدَّتْ سباع الطير والوحش أنها تَفْلِيه بالخالب والأنياب إذا فُدِّي
غَيْرُه بالأنفُس والأموال ، فَأَحْسَنَ مَا خُصِّبَ بالدم المُسَار ،
لَا بالعَسْجُد والنُّضَار ، والحساء حَسَنَاء وهي في الأسماء والأطمار .
وإذا كان الخلُّ لِ تمام التَّقْصُصِ يَعْمَل ، فَقَشَّفَ الْأَفْضَلِ أَنْبَلُ ، وَعَطَّلَ
الْأَكْمَلِ أَجْنَلُ .

هذا محلول قوله :

أَحْسَنُ مَا يُخْضِبُ الْحَدِيدُ بِهِ وَخَاصِيَّتِهِ التَّجْيِيعُ وَالغَضَبُ
فَلَا تَشْيَّنْهُ بِالنُّضَارِ فَمَا يَجْتَمِعُ الْمَاءُ فِيهِ وَالذَّهَبُ^(١)

فصل في ذكر الدنيا :

« هي الْهِرَّةُ تَأْكُلُ أَوْلَادَهَا ، وَالْمُوتُورَةُ تَظْهَرُ أَحْقَادَهَا ، أَخْرُونُ
مِنَ الْبَغَايَا^(٢) ، وَأَخْدُعُ^(٣) مِنَ الْخَنَايَا^(٤) . تَصِيدُ الصَّمَرُ بِالْحَرَبِ^(٥) ،
وَتَكْسِيرُ الْبَعْ^(٦) بِالْغَرَبِ^(٧) ، تَعْذِيرُ^(٨) بِأَصْيَافِهَا ، وَتَقْتُلُ أَزْوَاجَهَا
لِيلَةَ زَفَافِهَا ، أَفْتَتُ الْعَشَائِرَ وَالْقَبَائِلَ ، وَلَمْ يَحْصُلُوا مِنْ حِبَا على طَائِلَ » .

هذا محلول قوله :

(١) عرض على سيف الدولة سيفون مذهب ، وفيها سيف غير مذهب ، فأمر بذهبيه ، فقال المنبي هذين الزيتين .
الديوان ١/٥٢ .

(٢) الْبَغَايَا : الطَّلَائِعُ تَكُونُ قَبْلَ وَرُودِ الْجَلِيشِ .

(٣) الْخَنَايَا : جَمْ جَنْيَةُ وَهِيَ التَّوْسُ .

(٤) الْحَرَبُ : مُحَرَّكُ ذَكْرِ الْجَهَارِيِّ .

(٥) الْبَعْ : شَجَرٌ صَلْبٌ تَعْذِيرُهُ مِنَ الْقَمَى وَالْسَّهَامِ .

(٦) الْغَرَبُ : نَبْتٌ ضَعِيفٌ يَنْبُتُ عَلَى الْأَنْهَارِ .

فلا تَنْلُكَ الْبَيْلِي إِنْ أَيْدِيهَا
إِذَا ضَرَبَنَ كَتَرْنَ الشَّيْعَ بِالْغَرَبِ
وَلَا يُعِنَ عَدْلًا أَنْ قَاهِرَهُ
فَلَنْهُنَّ يَصِدُّنَ الصَّقْرَ بِالْخَرَبِ^(١)

وقوله :

فَذِي الدَّارِ أَخْوَنَ مِنْ مُؤْمِنٍ وَأَخْدَعَ مِنْ كِفْنَةِ الْحَابِلِ
نَفَانِ الرِّجَالِ عَلَى جَهَنَّمَ وَمَا يَحْصُلُونَ عَلَى طَائِلِ^(٢)

فصل :

« فَلَا أَبُوا إِلَّا شَقاَقَ وَجِحَاحًا ، وَاسْتَزَلُوا حَيْنًا عَلَيْهِمْ مَكْتُوبًا وَلَمْ
مِبَاحًا ، نَهَدَ الأَمْرَ أَيْدِهِ اللَّهُ إِلَيْهِمْ فِي كِتْبَةِ حَسَنَاءَ ، تَهَزُّ حَوْلَهُ جَانِبِهَا ،
كَمَا تَنْفَضُ الْعُقَابُ جَنَاحِهَا ، فَهُوَ رَبِيبُهَا فِي السِّتْرِ ، وَحَارَسُهَا فِي
الْتَّرْوِلِ ، وَطَلِيعُهَا فِي التَّفَرِيرِ ، وَسَاقِهَا فِي الْقُفُولِ ». .

هذا محلول قوله :

بَهْزُ الْجَيْشُ حَوْلَكَ جَانِبِيَّتِهِ كَمَا نَفَضَتْ جَنَاحِيَّهَا الْعُقَابُ^(٣)

(١) من قصيدة في رثاء أخت سيف الدولة . وقد صحفنا البيتين من الديوان .
الديوان / ١٦٨ .

(٢) من قصيدة في مدح سيف الدولة التي مطلعها :

إِلَام طَاعِيَّةِ الْعَادِلِ وَلَا رَأَيَ فِي الْحَبِ للْعَاقِلِ
الديوان / ٢٣٨ .

المؤمن : المؤمنة : القاجرة . الكفة : الشرك . الحابل : الصائد بالشرك .

(٣) من قصيدة في مدح سيف الدولة لما أُرْفع بيبي كلام ، ومطلعها :
بِغَرِيكَ رَاعِيًّا عَبْثَ الذَّئَابِ وَغَيْرِكَ صَارِمًا ثُلَمَ الْفَرَابِ
الديوان / ٥٥٥ .

العقاب : طائر من الجوارح يطلق على الذكر والأنثى قوي الحابل له متقارع أعقاف .

وقول البحترى :

طلبُتُهُمْ إِنْ وَجَّهَ الْجَيْشَ غَازِيَا
وَساقُتُهُمْ إِنْ وَجَّهَ الْجَيْشَ قَافِسْلَا^(١)

فصل في صفة الخيل :

«جيش قد حُملتْ فيه الرُّجالُ على السَّلاهِبِ^(٢) ، بل الأفاغي على المقارب ، وغلب فيه فائتهم الأبردَ^(٣) على الغزِيلان ، بل الأجادلَ^(٤) على العِقبان ، خوارقُ الأرضِ فلا تحمل إلا الأبطال والخديد ، ومتبدلات الأحوالِ فكم لها من بُرْ معطلة وقُصْرٍ مُشَبِّهٍ .

من كل جيَاشَ^(٥) العِنان ، مَضْمُونَ السَّبْقِ يَوْمَ الرَّهَانِ ، إنْ قَرَعَ الطَّوْدَ فَصَرَّ جارحٌ . أو رَكِبَ الْبَحْرَ فَنُونٌ^(٦) سَايِح ، لها من النَّقْعِ بَرَاقٌ وجِلالٌ^(٧) ، ومن الكواكب عُرَرٌ ، ومن الأَهْلَةِ فَعَالٌ . قد خَالَفْتُنَا صُدُورُهَا ، وعَاقَدْتُنَا لِيَاتُهَا وَنُحْورُهَا أَنْ تَحُولَ مع فارسها حيث جاَل ، وأنْ تَخُوضَ دونه المكارَةَ والأَهْوَالَ ، وأنْ تَجْهِي في المضيق ولو أَمَّ السَّراطَ ، وأنْ تَلْعَجَ المأْزِقَ^(٨) وإنْ كانَ أَضْيَقَّ من سَمَّ الْخِيَاطَ» .

(١) من فصيحته في مدح محمد بن يوسف التي مطلعها : أرى بين ملتف الأراك منازلاً موائل لو كانت بهاها موائل الديوان ٢٠٤/٢ منه أصلحنا البيت .

(٢) السلاهِب : جميع ساهب وسلبة وهو القرمن الطويل العظيم .

(٣) الأبرد : الغز .

(٤) الأجادل : جمع أجدل وهو الصقر .

(٥) كانت بالأصل (جناس) .

(٦) التون : الحوت .

(٧) الجلال : جميع جل بضم الجيم وفتحها ما تلبس الديابة لتصان به .

(٨) كانت بالأصل (الماري) .

هذا محلول قوله :

فأنتهم خوارقُ الأرضِ ما تَحْتُ حِلَّ إِلاَّ الحديدَ والأبطالا
خافياتُ الألوانِ قد نسجَ النَّةُ
عَلَيْها بِرَاقِعاً وَجِلَالاً
حَالَفَتْهُ صَدُورُهَا وَالْعَوَالِي
لَتَخُونَنَّ دُونَهُ الْأَهْوَالِ
وَلَتَمْضِيَنَّ حِجْمَاراً وَلَا الْحَصَانَ مُجَالاً^(١)

الترصيع بالآيات القرآنية وغيرها :

أما الترصيع بالآيات القرآنية والحكم النبوية والأمثال في الكتابة فقد ذكر هذا المصنف من إنشائه فصولاً تتضمن ذلك .

ولما كنا قد ذكرنا في حل المنظوم ما عارضنا به ما ذكره وجَبَ أن نذكر من كلامنا في ترصيع الآيات والأمثال فصولاً تعارض ما ذكره أيضاً .

فمن ذلك قوله في توقيع إلى أحد الناظر بعض الصدقات الشريفة المتقبلة : « وليرسْ فلان عليه هذا المشرب التمير عن رَنَقِ التكثير »^(٢) ، ولا يشوه وجه هذه المبشرَة المتقبلة بالتطليل والتأخير ، وليسْ حذف عنه أسباب الإرجاء والمدافعات ، ومطاعن الاعتراض والتؤوليات ، فهو هذه صدقة يصدق بها مالكُ الرُّقْ ، وإمام الحق ، وسيد الخلق ، جعل الله تعالى صدقاته المبرورة التي لا تدركها الأوهام ، ولا تحصرُها الأفهام ، ولو أن ما في الأرض

(١) من قصيدة في مدح سيف الدولة لما نهض إلى ثغر الحدث لينقذه من الروم .
الديوان ١٠٥ / ٢ ومنه أصلحتنا الآيات .

أنتهم : أي الجياد .

(٢) كان الأصل (زيق التكثير) .

من شجرة أقلام^(١) ، جنوداً مجندة حول لواءه المنصور ، وكافلة لدولته الشريفة بالخلود إلى يوم النفح في الصور ، ومعقبات من بين يديه ومن خلفه من أمر الله^(٢) تحفظه أحقاها ، وباقيات صالحات هي عند الله أحسن عملاء وخير ثوابها^(٣) .

وهذا الفصل قد رصع بثلاث آيات من الكتاب العزيز واقعة مواقعها . ومن ذلك قوله من جملة من كتاب أصف فيه حرباً : « حتى إذا زلزلت الأرض عليهم زلماها ، وأخرجت أثقالها^(٤) ، وعركتهم الحرب عرك الراح ثقلاها^(٥) ، وعاصبتهم المبتجاء عصبَ السلم^(٦) ، وغمزتهم غمزَ التين ، وهزَّهم الرُّوْع هزَّ الجنوبِ ضُحى عيدانَ يَبَرِّين^(٧) ، لم يكن إلا كتحسنت طائر ، أو خطوة سائير ، حتى خالطت السيف أجسامهم » .

فأول هذا الكلام من الكتاب العزيز . وقولي وعركتهم من قول زهير :

فتعركم عركَ الراحَ بثقالها^(٨)

(١) سورة لقمان: الآية ٢٧ (ولو أن ما في الأرض من شجرة أقلام والبحري عده من بعده سبة أبغر ما نفذت كلامات الله) .

(٢) سورة الرعد: الآية ١١ (له معقبات من بين يديه ومن خلفه يحفظونه من أمر الله) .

(٣) سورة الكهف: الآية ٤٦ (المال والبنون زينة الحياة الدنيا ، وبالباقياتصالات شير عن ربكم ثواباً وخير أملاً) .

(٤) سورة الزرزلة: الآيات ١ ، ٢ (إذا زلزلت الأرض زلماها وأخرجت الأرض أثقالها) .

(٥) الشفال : ما يوضع بين الرحا والأرض .

(٦) السلم : شجر .

(٧) يَبَرِّين : دمل شرقى حجر أيامه .

(٨) تكلة البيت :

وَتَضَر إِذَا ضَرَبُوهَا فَتَضَرْ *

وقولي وعصبتم من قول الحاج لأهل العراق : والله لا عصبيكم
عصبَ السَّلَمَ ، ولا حُونَكُمْ لَهُوَ الْعَصَمَ ، ولا غِيَرَتُكُمْ تَغَازَ التَّيْنَ .

وقولي « وهزمهم » من قول الشاعر :
يَهْزِئُنَ لِلْمَشِي أَعْطَافًا مُسْنَمَةً هَرَّ الْجَنُوبَ ضُحَى عِيدَانَ يَبْرِيَنَا
وَأَحْسَنَ مَا نَقْلَ الْمَنْظُومَ أَوْ غَيْرَهُ إِلَى الْكِتَابَةِ إِذَا كَانَ هَكُنَا ، لَأَنَّ الشَّاعِرَ
ذَكَرَ هَذَا التَّشِيهَ فِي الْغَزْلِ فَقْلَبَهُ أَنَا إِلَى وَصْفٍ .

وقولي « حسوة » طالر من قول الباحرزي شاعر العجم^(١) :
ولَوْ غَبَتْ عَنْ هَذِينَ حَسْوَةَ طَائِيرٍ لِرَالَّ نَظَامٌ أَوْ لَفْضٌ خِتَامٌ
وَمِنْ ذَلِكَ فِي تَوْقِيعِ لَبْعَضِ الْعَدُولِ ، وَقَدْ رَتَبَتْهُ مُشَرِّفًا بَعْضَ الْأَعْمَالِ
أَحْذَرَهُ مِنِ الْخِيَانَةِ ، وَأَنَّهُ إِنْ وَاقَعَ ذَلِكَ أَخِيدَ طَيْلَسَانُهُ ، وَأَسْقَطَتْ
عَدَالَتَهُ ، وَهُوَ كَتَابَةٌ لطِيفَةٌ تَرْعَى إِلَى الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ ، سَكُونًا إِلَى أَمَانَتِهِ وَنِزَاهَتِهِ ،
وَوَثْقَةٌ بِحُرِيبِهِ وَاسْتِنَابِهِ وَكَفَائِيَّهِ ، إِلَى تَقْمِصَهِ بِجِلْبَابِ الدِّيَانَةِ ، وَتَحْلِيهِ
بِحَلَامَهُ ، وَإِخْلَادًا إِلَى مَا هُوَ مُوسُومٌ بِهِ مِنِ الْعَدْلَةِ الَّتِي يَقْتَنُ لَفْظَهَا إِنْ شَاءَ اللَّهُ
بِعِنَاهَا ، ثُمَّ أَتَمَتْ هَذَا الْكَلَامُ بِمَا يَنْسَبُهُ إِلَى أَنْ قَلَتْ : « وَأَهَمُّ مَا تَفَرِّضُهُ
عَلَيْهِ ، وَالدُّنْيَا أَنْقَتَ بِهِ إِلَيْهِ ، لِرُومِ الْأَمَانَةِ وَالْعَفَافِ ، وَصِيَانَةِ الْعِرْضِ .

(١) هو أبو الحسن علي بن الحسن الباحرزي الشاعر المشهور .
قال عنه ابن خلkan : إنه كان أوحد عصره في فضله وذهنه ، والسابق إلى حيازة القصب في نظمه
ونثره .

اشتغل أول أمره بالفقه على منذهب الشافعي ، ثم مال إلى الكتابة ، وبرع في الشعر ، وصنف
كتاب (دمية القصر وعصرة أهل العصر) وهو مطبوع .
ويعد ذيلاً لكتاب يتيمة الدر للشاعري .
وقد وضع البيهقي كتاباً كالذيل للدمية سهاد (شاح الدمية) قتل الباحرزي في مجلس أنس سنة
٤٦٧ ببلدة باخرز ، وهي ناحية من نواحي نيسابور بها قرى ومزارع .
(وفيات الأعيان ١/٣٦٠ وشذرات الذهب ٣٢٧/٣) .

وحفظ الأطراف ، فليحذر أن تُدْلِيهُ الأطاعُ بغيرورها ، وجهلها ، وتلهيَه بحلاوة شهدها عن إبر نحلها ، وليكن من إغواء الشيطان بإطعامه الشجرةَ على أتم حذر ، وأشد فرق ، فإنه إن استرَّ لَهُ نزع عنه لباس الرضا ، ثم لا يتمكن من خصْف الورق ، فليَحْرُسْ قاعدة العدالة التي هي مرسُوم بشعارها ، ومندوب إلى افتقاء آثارها ، والاهتداء بمنارها .

فهذه الكناية من قوله تعالى : « يا بَنِي آدَمْ لَا يَقْتِنَنَّكُمُ الشَّيْطَانُ كَمَا أَخْرَجَ أَبْوَيْكُمْ مِنَ الْجَنَّةِ يَنْزَعُ عَنْهُمَا لِبَاسَهُمَا لِيَرْبِهِمَا سَوَّاً تَهْمَّاً^(١) ». وقولي في أول التوقيع « التي يقتربن لفظها إن شاء الله بمعناها » لا يخفى ما فيه من الحلاوة في هذا الموضع .

ومن ذلك قوله في جملة وصايا يتضمنها توقيع بعض النظار : « أَبْدَ اللَّهَ نَائِبَ الْأَعْمَالِ الْوَاسِطِيَّةِ وَحْرَاسَةِ الْأَرْتِفَاعَاتِ بِالسُّطُوتِيَّةِ تُرْهِقُ النُّفُوسَ ، وَتُعْضُّ هَذِهِ الْأَبْصَارَ وَتُنْكِسُ الرَّءُوسَ ، وَتَحْفَظُ بِهَا الْأَمْوَالَ الْمُتَزَمِّقَةَ فِي أَقْصَى الدِّيَارِ ، الْمُشَرِّدَةَ تَحْتَ الْكَوَافِكَ كَتَبِدِ الْكَوَافِكَ ، فَهُوَ شَجَاعُهَا الْمِقْدَامُ ، وَصَارَمُهَا الصِّمْصَاصَ ، وَقَدْ تَبَهَّنَا عَمْرُو إِنْ كَانَ لَا نَامُ ، فَلِيَسْتَأْصِلْ شَائَفَةَ^(٢) الْمُفْسِدِينَ ، وَلِيَغْلُظُ عَلَيْهِمْ ، وَإِمَّا تَخَافَنَّ مِنْ قَوْمٍ خِيَانَةً فَانْبِذْ إِلَيْهِمْ . فالسياسة شموس جامع لا يُصْحِبُ^(٣) إلا بالسيف والقطع ، وعروض فارِك لا تُقْطَفُ حتى يُحَلَّق دماؤها بالتنجيع » .

(١) سورة الأعراف : الآية ٢٧ .

(٢) شافت : أصل .

(٣) يصحب : ينقاد .

وقد رصّعَتْ هنا الفصل بعض قوله تعالى :

« إِلَمَا تَخَافُنَ مِنْ قَوْمٍ خَيَانَةً فَأَنْبِذُهُمْ عَلَى سَوَاءِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ
الظَّاهِرَيْنَ »^(١) وحللت فيه قول الشاعر :

إن المعالي عروس غير واصلة مالم يختلق رداؤها ينضج دم

ومن ذلك قوله في هذا التوقيع في الوصاية بتخير العمال: وعمَّالُهُ ونُرَأَبُهُ
بالأعمال فهم جَدْوَهُ من ناره ، وأثَرُهُ من آثاره ، وشعاع من شمسه ،
ودَوْحَةً من غَرْسِه ، وفضيلتهم نِتْيَةُ فضلِه ، واختيار المرء بُضْعَةً من
عقله . فليحسن في اختيارِهم ، واختيارِهم ، ولِيُسْجِمِلْ في اصطناعِهم
واصطفائهم ، وليتخير أرباب الأغراضِ الركبة ، والأفعالِ المرضية ،
والتجربة ، والمسألة ، والشباب ، والحليلة ، فإن كَبَّا منهم سابق – والجواب
قد يكُبُّو – وَكَبَّا منهم صارم – والحسام قد ينْبُو – عابجه بالتقويم
والإرشاد ، فإن أَصَرَّ فبالتَّخْوِيفِ والإبعاد ، وإن فَاءَ فبالإقصاء والإبعاد ،
وإن أَنْسَ من أحد ما يقدح في الأمانة ، ويشهد بوقوع الخيانة عاقبه معاقبة
ال مجرمين ، وجعله نَكَالًا لما بين يديه وما خلفه ، وموعظة للمتقين^(٢) » .

آخر هذا الفصل من القرآن العزيز . وقد تضمن أيضًا أمثلًا غير خافية .

ومن ذلك قوله في هذا التوقيع : « ولِيُواصِلْ بالحملِ الدارَةَ في
أوقاتها مواصلةً تُوجِبُ له الزيادة ، وتَسْتَدِرُ له أَخْلَافُ السَّعَادَة ،
وتحمله من وَصَحَّتْ بِرَاهِينِه ، وَتَقْتُلَتْ موَازِينِه ، وأَنَارَ صَبَاحُه ، وفازَتْ
قِدَاحُه ، وَيُطْلِقُ عَقْلُه لِسَانَه إِذَا خَرَسَ الْعَاجِزُ فَلَا يَفْسُوه ، وَيَبْيَضُ

(١) سورة الأنفال: الآية ٥٨ .

(٢) في سورة البقرة: الآية ٦٦ (فجعلناها نكالًا لما بين يديها وما خلفها وموعظة للمتقين) .

ووجهه يَوْمَ تَبَيَّضُ وجوهٌ وتسودُ وجوهٌ^(١) . موضع الترصيع من هذا الكلام بالألفاظ القرآنية الشريفة واضح .

ومن ذلك قوله في آخر هذا التوقيع : « ولطالع الديوان العزيز بصالح الأعمال ، ومتجددات الأحوال ، في أوقاتها وأزمانها من غير إزعاج يُفْضِي إلى فوائتها وبطْلَانها ، ليُدَبِّرَ من تقدماته العالية ، وآرائه السامية بما يجعله من الأرشادين دليلاً ، والأوضحين سبيلاً ، ويَسْتَقْدِمُ باقتفائه واحتذائه في سلك الذين التحق سيرُهم في الإخلاص بإعلانهم ، ويُعَدُّ باتباعه وأمثاله من الذين يَسْعَى نورهم ببَيْنَ أيديهم وبأيمانهم^(٢) . » .

وموضع الترصيع من هذا الفصل بالآلية أيضاً ظاهر .

ومن ذلك ما كتبته في بعض التوقعات لتأثر من نظار السواد والضياع : « فهي الأمهاتُ الحواملُ ، والمرضعاتُ الكواقلُ ، فليتخَيِّرْ بها طيبة البقاء ، ضامنةً بنمو الارتفاع ، فتَسْخِيرُ الضياع كتخيير المناجح ، من أحسنَ فيها الاختيارَ اليومَ أتَجَبَتْ عِرْسَهُ غداً . » .

« والبلدُ الطيبُ يَخْرُجُ نباتُهُ بِإِذْنِ رَبِّهِ ، والذي خَبَثَ لا يَخْرُجُ إلا نكِداً»^(٣) .

« والفتادِينُ^(٤) فهي حاملةُ الأنفال ، وعاصمةُ الأعمال ، ومراتب

(١) في سورة آل عمران : الآية ١٠٦ (يَوْمَ تَبَيَّضُ وجوهٌ وتسودُ وجوهٌ) .

(٢) في سورة الحديد : الآية ١٢ (يَوْمَ ترُى المُقْرَنِينَ وَالْمُؤْنَاتِ يَسْمَى نُورُهُمْ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِمْ) .

(٣) سورة الأعراف : الآية ٨٥ (وَالْبَلَدُ الطَّيِّبُ يَخْرُجُ نَبَاتُهُ بِإِذْنِ رَبِّهِ وَالَّذِي خَبَثَ لَا يَخْرُجُ إِلَّا نَكِداً) .

(٤) الفداد : على وزن سحاب وشداد : الشور أو الثوران يفترن بينهما المرث جمع فدادين . وفي الأصل (الفندن) وقد أراد بالفدادين البقر كما يتبيّن من السياق .

(الفلك الدائر - م ٩)

البِضَاعَةُ وَرَأْسُ الْمَالِ ، فَلِيَجْتَهِدَ فِي إِرَاحَةِ عَامِلِهَا^(١) وَالسَّلَامَةِ مِنْ دَرَكِ نَقْصَهَا وَخَلَلِهَا وَمَا عَسَاهُ يُعْنِيُّهَا يُتَمَّمُهُ ، وَمَا تَسَرَّبَ مِنْهَا يَجْمِعُهُ وَيَلْمِمُهُ ، فَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى عِبَادِهِ بِأَنْ خَلَقَهُ كَثِيرًا أَكْرَثَ ، وَسَقَاهُمْ مَا فِي بَطْوَنِهَا مِنْ بَيْنِ دَمٍ وَفَرْثٍ^(٢) » .

وَالآياتُ المُدَرَّجَةُ فِي غَضْبَونِ هَذَا الْكَلَامُ ظَاهِرَةٌ .

وَمِنْ ذَلِكَ قَوْلِيُّ فِي هَذَا التَّوْقِيعِ : « إِنَّمَا ارْتِفَاعُهُ ، وَتَكَاملُ صَلَاحِهِ وَإِيَّاعُهُ ، وَبَلْغُ الْكِتَابُ أَجْلَهُ لِمَعَادِهِ ، وَدَنَا الْوَقْتُ الَّذِي قِيلَ فِيهِ وَأَتُوا حَقَّهُ يَوْمَ حَصَادِهِ ، فَلِيُشُوَّا صِلْبًا بِالْحَمْولِ إِدْرَارًا ، وَلِيَنْدُبُ نَفْسَهُ فِي جَمْعِ الْمَالِ لِيَلَّا وَنَهَارًا ، وَلِيُرْهِفُ لِلْاسْتِفَاءِ وَالْاسْتِخْرَاجِ شَبَّا العَزْمِ ، وَلِيَنْتَصِبُ لِلَّذِكْرِ انتِصَابًا أَمْثَالَهُ مِنْ ذُوِّ الْبَصِيرَةِ وَالْحَزْمِ ، فَاسْتِفَاءُ الْأَمْوَالِ وَالْحَقُوقِ هُوَ النَّتِيْجَةُ الْمَرَادَةُ ، وَالثَّرَةُ الْمُسْتَفَادَةُ ، وَذَلِكَ الْمَخْصُّ عَنْ هَذِهِ الرُّبُودَةِ أَسْفَرَ ، وَذَلِكَ السَّرَّارُ^(٣) عَنْ هَذَا الْهَلَالِ أَبْدَرَ^(٤) ، وَذَلِكَ الغَرَسُ لِهَذِهِ الْفَائِدَةِ أَثْسَرَ ، وَذَلِكَ الْبَدَلُ لِهَذِهِ النَّفِيْسَةِ صَوَّرَ ، وَعَلَى قَابِلِهَا تَصَوُّرَ ، وَالْمَاضِجَعُ فِي الْاسْتِفَاءِ بَعْدَ ارْتِكَابِهِ السَّابِقِ وَتَعْبِهِ مُسْتَحِقٌ^(٥) الْمُلْلُ الْإِلَاهِيُّ : كَاتِبِي نَقَضَتْ غَرْهَا مِنْ بَعْدِ قُوَّةِ أَنْكَاثًا^(٦) وَنَاهِيكَ بِهِ » .

(١) فِي الْأَصْلِ (عَالِمِهَا) .

(٢) سُورَةُ التَّحْلُلُ : الآيَةُ ٦٦ (وَإِنْ لَكُمْ فِي الْأَنْعَامِ لِعِبْرَةً نَسِيقُكُمْ مَا فِي بَطْوَنِهِ مِنْ بَيْنِ فَرْثٍ وَدِمْ لَبَنًا خَالصَّا سَانِدًا لِلشَّارِبِينَ) .

(٣) السَّرَّارُ : آخِرُ لَيْلَةِ الْمُهَرَّبِ .

(٤) أَبْدَرَنَا : طَلَعَ لَنَا الْبَدَرُ أَوْ سَرَّنَا فِي لَيْلَتِهِ .

(٥) الْأَنْكَاثُ : جَمِيعُ نَكَثِ عَلَى وَزْنِ بَيْرٍ وَهُوَ الغَزْلُ مِنْ الصَّوْفِ أَوْ الشَّعْرِ يَرْبُّ وَيَنْسَجُ فَإِذَا خَلَقْتَ النَّسِيجَ قَطْمًا صَنَارًا أَوْ نَكَثْتَ خِيُوطَهَا الْمُبَرْوِمةَ وَخَلَطْتَ بِالصَّوْفِ الْجَدِيدِ وَنَثَبَتْ بِهِ ثُمَّ ضَرَبْتَ بِالْمَطَارِقِ وَغَزَلْتَ ثَانِيَةً وَاسْتَعْمَلْتَ . وَمِنْ هَذَا نَكَثُ الْمَهْدِ وَهُوَ نَفْسَهُ بَعْدَ إِحْكَامِهِ كَمَا نَكَثْتُ خِيُوطَ الصَّوْفِ الْمُفَرْزُولِ بَعْدَ إِبْرَاهِيمَ .

فأول هذا الفصل آية ، وآخره آية أخرى^(١) .

وفي وصايا التوجيهات التي تتضمن الكلام النبوى قولي في توقع بعض النظار : « ولِيُعْنَى بِأَمْرِ الْأَكَارَةِ ، فَإِنَّهُمْ عُمَّارُ الْأَرْضِيِّ وَالْفَسَاعِ ، وَقِوَامُ الْمَالِ وَالْأَرْتَفَاعِ ، وَجُنْدُ السَّوَادِ ، وَأَوْتَادُ الْبَلَادِ ، وَلِيَشْلُمُهُمْ بِالْعَدْلِ وَالْإِنْصَافِ ، وَلِيُؤْمِنُهُمْ بِتَوْاقِخِ الْخُنُورِ وَالْإِجْحَافِ ، وَلَيَسْهُلُهُمْ إِذْنُهُ عَلَيْهِمْ ، وَلِيَوَاصِلُ إِحْسَانَهُ إِلَيْهِمْ ، فَالكَثِيرُ مِنْهُمْ يَتَبَتُّ وَيَقُيمُ بِالْبِشْرِ وَالْطَّلَاقَةِ ، وَيَتَنْفِرُ وَيَقْرِئُ بِالْعُنْفِ وَالْفَظَاظَةِ ، وَالْإِسْتَقْصَاءِ عَلَى الرُّعِيَّةِ فِرَاقَ» ، وفي الحكمة النبوية : إذا لم تَسْعَوْا النَّاسَ بِأَمْرِ الْكِمْ فَسَعَوْهُمْ بِأَخْلَاقِكُمْ . ويقال : إنه ليس كلمة أجمع لـمكارم الأخلاق منها » .

وأما الكتابة التي تَشَصَّمُنَّ الْأَمْثَالَ وهي مُرْصَدةُ بِالْوَقَائِعِ وَالْأَيَّامِ وَالنَّكَتِ ، فمن ذلك قولي في جملة توقع : « وَأَهْمَّ مَا يُؤْمِنُ بِهِ وَإِنْ كَانَ شَيْمَتَهُ ، وَأَكَدَّ مَا يُوصَى بِهِ ، وَإِنْ كَانَ خُلُقَهُ وَسَجِيَّتَهُ ، الْإِسْتِمْرَارُ عَلَى مَا اشْتَهَرَ بِهِ مِنَ الْأَمَانَةِ الَّتِي فَازَ مِنْ تَدَرَّعٍ بِأَثْوَابِهَا ، وَتَعْلُقٌ بِأَسْبَابِهَا ، وَتَحْلَلٌ بِسِمْطِهَا وَوَسَاحِهَا ، وَتَجْعَلَتِي فِي لَلَّاءِ إِصْبَاحِهَا ، وَارْتَقَى أَعْلَى مَرَاتِبِهَا ، وَاقْتَنَى أَسْنَى مَنَاقِبِهَا ، وَارْتَدَى بِأَرْدِيَّتِهَا ، وَاحْتَبَى بِأَنْدِيَّتِهَا . وَضَيَّرَ مَنْ نَضَأَ وَأَنْضَى رِكَابِهَا ، وَعَنَدَّهُ عَنْ طَرِيقِهَا ، وَالْقِيَامُ بِحُقُوقِهَا ، وَبَاعَهَا بِالشَّمِّ الْبَخْسِ ، وَوَكَسَ فِيهَا شَرَّ وَكُنسٍ ، وَرَجَعَ بِالْحَدَّ الْمَعْوَسِ^(٢) ، وَالْحَظَ المَنْحُوسُ ، وَالرَّأْسُ الْمَنْكُوسُ ، مُتَلَقِّفًا فِي الْعَاجِلِ بِثُوبِ الْحِزْرِيِّ وَالصَّغَارِ ، مَتَعْرِضًا فِي الْآجِلِ لِلنَّكَالِ وَالْبَوَارِ ، فَالْحَرَةُ

(١) الآية الأولى (وَأَتَوْا حَتَّهُ يَوْمَ حَصَادِهِ) سورة الأنعام : الآية ١٤١ .
وَالآية الثانية (وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِي تَفَضَّلَ غَرْلًا مِنْ بَعْدِ فُرْجَةِ أَنْكَاثِهِ) سورة النحل : الآية ٩٧ .

(٢) النسخ بين الرأي والجسم وضمفهما وكسراد السوق .

لَا تَأْكُلْ بِشَدِّيْهَا وَإِنْ جَاءَتْ ، وَلَوْ اضْطُرْتَ إِلَى الدِّينَ لَا أطَاعْتَ ، وَرُبْعَةُ
أَكْلَهُ هَاضَتْ ، وَزِيَادَةُ زِيدَ عَلَيْهَا فَفَاضَتْ ، وَطَلَّا تَوَبُّ الْبَطْنَةُ
بِصَاحْبِهَا ، ثُمَّ يَنْدَمُ عَلَى سُوءِ عَاقِبَتِهَا ، وَمِنْ أَكْلِ قَلْبِلًا نَامَ قَرِيرًا ، وَالثَّرِيُّ
مِنَ الْقَنْاعَةِ غَنِيٌّ وَإِنْ كَانَ فَقِيرًا ॥

فهذا الفصل يشتمل على أمثل عدة^(١) مع ما فيه^(٢) من شرف الصنعة.

ومن ذلك ما قلته في توقيع بعض النظار بأعمال السواد : « وليجتهد
في تربية المزروعات ، ولكن عنده كرتبة الأولاد ، وليحرسها من بوائق
العيَّبِ والفساد ، وليستكثر من نواطيرها^(٣) وسُقَاتِهَا ، في تطْوِافِهِ
عليها بنفسه في معظم أوقاتها ، ففضيلة العمل في استِئْمامِهِ ، والهلال
حَسَنٌ» وليس كحسنه لسمامه ، ولِيَهْمَّمْ بإصلاح (السکور) و(البريدات)
و (الرُّوف) و (المرادات) ليأمن عليها من الانفتاح والانفجار ، وتأسيس
أساسها على شَفَّـا جُرُفٍ هار . ول يكن من الاعتناء بها والاهتمام بحيث يَحْلُمُ
بها في النَّام ، ويتخيلها في الأحلام ، فإن الزلل فيها مُذَهِّبُ الأموال
ومجتتاح الرعية ، وهي من المصالح الكلية ، لا من المخترفات الجزئية ،
فإياتها أن يستصغر منها الصغير ، أو يست忽ر الحقير ، فرب أمرٍ قَلَّ ثُمَّ

(١) تجوع المرة ولا تأكل بشديها ، أي لا تكون ظلراً وإن آذها المجموع . وأول من قال ذلك الحارث بن سليل الأسدي ، وكان حليفاً لعلقمة بن خصبة الطائي ، فزارة فنظر إلى ابنته الزباء وكانت من أجمل أهل دهرها ، فأعجب بها ، فطنطها ، فاستهله علقمة ، واستشار أمرأته ، فاستشارت ابنتها ، ثم لم تزل بهائة على رأيها ، فتروجها الحارث ، ورحل بها إلى قومه ، وربتها هو يوماً جالس بفناء داره وهي إلى جانبها أقبل شباب من بي أمد ، فبكَت ، فقال لها : ما يبكِيك؟ قالت : مالي ولشيخ الناهضين كالفروخ . فقال لها : تكللت أمك ، تجوع المرة ولا تأكل بشديها (مجمع الأمثال الميداني ٨٢/١) .

(٢) بالأصل (معافي) .

(٣) النواطير : جمع ناطور وهو حارس الكرم والنخل .

جَلَّ ، وَفِي الْمُثْلِ أَوَّلُ الْغَيْثِ طَلَّ .^(١)

فهذا الفصل يشتمل على أمثل مأموراة من الشعر ، فمنها من قول

أبي تمام :

هذا الْمَلَلُ يَرُوقُ أَبْصَارَ الْوَرَى حُسْنَا وَلَيْسَ كَحُسْنَهُ لِتَمَامِهِ^(٢)

ومنها قوله أيضاً :

وَأَزْرَقُ الْفَجْرِ يَدُو قَبْلُ أَبْيَاضِهِ وَأَوَّلُ الْغَيْثِ طَلَّ لَمْ يَنْسِكِبُ

ومن ذلك قوله في هذا التوقيع : « وإيه أن يسلُك في حراسة الأموال مَسْلُكَ المداهنة ، أو يذهب في السياسة مذهب الإغضاء واللاماينة ، فتضطجع حركاته ، وتذهب حُسْنَاته ، ويصبح كالي أراقت سجلها^(٣) أو يصبح كالي نقصَتْ غَرْلَاهَا ، ويكتُرُ العَبَّاتُ والفساد ، ويستحكم الطمع ويزداد ، فأدْعَى الأشياء إلى اخلال النظام وضعف الصفع متوفع الانقسام .

وليُنتَصبُ لاستيفاء الأموال وحَمَلُها ، فقد علِمَ أنها الشرة المتطرفة ، والغاية المرتفعة ، والرِّبْدَةُ التي تمضخت عنها هذه الحركات ، والتَّيْجَةُ التي تقدمت لها هذه المقدمات ، فليواصل بها مواصلة يتجنى جناتها ، ويَحْمُدُ عند الصباح سُراها ، وليطالع الديوان العزيز بمحاري أحواله ، ومصالح أعماله ، ليُدْبِرَ من آرائه العالية ، وتقْدِيماته السماوية ، بما يُبَصِّرُه

(١) طَلَّ : المطر الضئيف .

(٢) من أبيات في مدح إسحاق بن أبي دعي أو لها :

لولا أبو يعقوب في إبراهيم سبب العلا لانحمل ثق زمامه الديوان ٣٦٩ .

(٣) السجل : الدلو .

وَيُرْشِدُهُ ، وَيُوقَّفُهُ وَيُسَدِّدُهُ ، وَيُحْمِيهُ مِنْ مَوَارِدِ الرَّدَى ، وَيَجْعَلُهُ
مِنَ الَّذِينَ اهْتَدَوْا وَزَادُهُمْ هُدًى » .

فهذا الفصل يتضمن آيتين من الكتاب العزيز وهما «كالتي نقضت غزاها
من بعد قوة أنكاثا^(١) » و «الذين اهتدوا زادهم هدى^(٢) » .

ويشتمل على أمثال شعرية وهي قول النبي :

وَوَضَعُ النَّدَى فِي مَوْضِعِ السِّيفِ بِالْعَلَاءِ

مضير كوضع السيف في موضع الندى^(٣)

وقول الآخر : عند الصباح يحمد القوم السرى^(٤) .

ومن ذلك ما قلناه في توقيع بعض كتاب الأعمال : وليرثب بديوان
المعاملات نابياً جلداً يشق بأمانته ، ويطمئن إلى كفايته ، يقوم مقامه ،
ويَسُدُّ مَسَدَّهُ ، فإنه لاغنى له عن المساعد على أثقاله ، والمعاضد له
في جميع أحواله ، فالواadi لا يَزَّخَّرُ بغير شِعَابَه^(٥) ، والبيت لا يقوم

(١) سورة التحليل : الآية ٩٢ .

(٢) سورة محمد : الآية ١٧

(٣) من تصييده في ملح سيف الدولة وتهنته بالعيد ، مطلعها :
لكل امرىء من ذهره ما تعودوا وعادات سيف الدولة الطعن في المدا

الديوان ١٩١/١

(٤) قال المفضل : أول من قال ذلك خالد بن الوليد لما بعث أبو يكر وهو بالعامة أن سر
إلى العراق ، فأراد سلوك المقارزة ، فقال له رافع الطائي قد سلكتها في الجاهلية ، ولا أشكك تقدّر
عليها إلا أن تحمل الماء ، فاشترى خالد مائة شارف ، فقطعها ثم سقاها الماء ثم كتبها وكم أفروهاها
وسلك المقارزة بها ، فلما مرضي يوماً نحر الإبل واستخرج ما في بطونها من الماء ، فرق الناس
والخليل ومضي ، وبعد أربعة أيام يداً لهم الدر ، فقال خالد : عند الصباح يحمد القوم السرى
(مجمع الأمثال ١/ ٣٠٣)

(٥) شباب الواadi : جمع شعب بكسر السين ، وهو الطريق في الجليل ومدخل الماء في بطن أرض.

إلا بعَمَدِه وأطْنَابِه^(١) ، والسيف يحتاج إلى القائم^(٢) ، والخوافي
عُدَّةً للقوادم^(٣) .

فهذا الفصل يتضمن أمثلاً شعرية منها قول أبي تمام :

فَاضْسُمْ قَوَاصِيهِمْ إِلَيْكَ فَانْهَ لَا يَرْجُحُ الْوَادِي بِغَيْرِ شِعَابِ
وَالسَّهْمُ بِالرِّيشِ اللَّوَامِ وَلَنْ تَرَى بَيْنَهُ بَلَا عَمَدَ وَلَا أَطْنَابَ^(٤)

ومنها قول بشار :

وَلَا تَجْعَلُ الشُّورِيَّ عَلَيْكَ غَصَّاصَةً فَإِنَّ الْخَوَافِيَ عَدَّةَ الْقَوَادِمِ
وَمَا خَيْرُ كُفَّرٍ أَمْسَكَ الْغُلُّ أَخْتَهَا وَمَا خَيْرُ سِيفٍ لَمْ يُؤْبِدْ بِقَائِمٍ^(٥)

ومن ذلك ما قلناه في هذا التوقيع أيضاً وهو :

« ولباشر بنفسه ، أو من يقوم مقامه كلَّ ما يستوْفِي ويُحرَرُ ويُقَرَّرُ
ويخلُّ ويَعْقِدُ ، ويَسْتَظْهِرُ على الأموال المستوفاة بختمه ، ويضبط
الحقوق بعمله وعلمه ، فهو الشاهد المصداقُ في النَّفْض والإبرام ، وحدام

(١) الأطباب : جمع طب بضم الطاء والنون وهو جبل طويل يشد به سرادق البيت
وهو أيضاً الود .

(٢) قائم السيف : مقبضه .

(٣) من قصيدة في مدح مالك بن طوق التغلبي ، مطلعها :
لو أن دهراً رد رجع جواب أو كف من شأوه طول عتاب
الديوان ٩٤/١

اللوام : الذي يلام بعده بعضاً ، وذلك أجود الريش عندهم .

(٤) من قصيدة له أنشدتها إبراهيم بن عبد الله بن حسن .

الأغاني ٢٩/٣

في صناعته ، والقول ما قالَتْ حَذَّامٌ^(١) وموقع المثل من هذا الفصل
والبيت الذي فيه معلومان .

ومن ذلك قوله في هذا التوقيع أيضاً عند وصية الكاتب بقوانيين وقواعد
يعتمدتها في هذا الحساب ورفاعه : « ولا حاجة له إلى أن يُجْزَى له في هذا
الباب ما يتبعه ويقفُوه ، ولا يُمْثَل له ما يَطْأَ عَقِبَه ويَتَلَوُه ، فغيره
تُفْرَغُ له العَصَماً^(٢) ، وسواء يُقْعَمَ له بالحصا ، والعَوَانُ لا تُعلَمُ
الخِمْرَة^(٣) ، والفَطْنَة^(٤) لا يُوصَى إلا مرَّة . وإذا احتاجُتْ
إلى الغِسْدِر والجَوَادُ إلى الْهَمْزُ ، فهو^(٥) الغَيُّ بِرُشْدِه عن الإرشاد ،
وابن جَلَا وطلَاعُ النَّجَاد^(٦) .

(١) أي القول السديد المعتمد به ما قالته ، وإلا فالصدق والكذب يستويان في أن كلامُ منها قول .
يضرب هذا المثل في التصديق : قال ابن الكابي : إن المثل للمعجم بين صحب والد الخيبة وجعل ،
وكانت حذام أمرأته فقال فيها زوجها بليم :
إذا قالت حذام فصدقواها فإن القول ما قالت حذام

مجمع الأمثال ٣٥/٢ .

(٢) قال ابن الأعرابي : أول من قرعت له العصا عاصر بن الظرب المداواني – وقيل غيره –
وكان من حكماء العرب لا تعدل بيته فهنا ولا يمحكم حكماً . فلما طعن في السن أذكر من عقله
 شيئاً ، فقال لبنيه إني قد كبرت سني وعرض لي سهو ، فإذا رأيتوني شرحت من كلامي فاقرعوا لي
الحنن بالعصا . وهو الذي يريده المثلس بقوله :

لَنِي الْحَلَمُ قَبْلَ الْيَوْمِ مَا تَقْرَعُ الْعَصَا وَمَا لَمَّا عَلِمَ الْإِنْسَانُ إِلَّا لَيَلْمَعَ
وَالْمُثَلُ يُضَرِّبُ لِمَنْ إِذَا نَهَى أَنْتَهِي (مجمع الأمثال ٢٥/١) .

(٣) بالأصل (القران) . والموان هي المرأة المتزوجة . والخمرة الاختيار أي أنها لا تحتاج
إلى من يعلمها وضع الممار . يضرب المثل للرجل المغرب (مجمع الأمثال ١٣/١) :
(٤) في الأصل (الكفن) .
(٥) في الأصل (فهي) .

(٦) يضرب المشهور المتعلم ، وهو من قول سليم بن وثيل الرياسي :
أَنَا ابْنُ جَلَا وَطَلَاعَ النَّاِيَا مَنْ أَغْسَى الْعَامَةَ تَعْرُوفِي
وَتَمْلَى بِهِ الْحِبَاجَ فِي خَطْبَتِهِ بِالْكُوْفَةِ . قال بعضهم ابن جلا النهار ، وحكي عن عيسى بن عمر
أنه كان لا يصرف رجلاً يسمى بضرب (فعل ماض) ، ويخرج بهذا البيت ، ويقول : لم ينون
جلا لأنَّه على وزن فعل . قالوا : لا حجة له في البيت لأن الشاعر أراد الحكاية فسكت الاسم
على ما كان عليه قبل التسمية . وتقديره : أنا ابن الذي يقال له : جلا الأمور وكشفها .

هذا الفصل يتضمن أمثلاً عدّة منها : فغيره يقرع له بالعصا ، من قول الشاعر :

لذى الحلم قبل اليوم ما تقرع العصا وما عُلِمَ الإنسان إلا ليعلما
وذو الحلم هو عامر بن الظرب العَدْ واني حكيم العرب ، وقصته
مشهورة ، وكذلك الفطن لا يوصى إلا مرة .

وأما ابن جلا وطَلَاعُ الثنايا فمثل شعرى أصله قول القائل :
أنا ابن جلا وطَلَاعُ الثنايا متى أضع العامةَ تعرفوني
ومن ذلك ما كتبته في توقيع كاتب آخر وهو « حيث توَقَلَ » (من) (١)
هذه الصناعة قُلْلَتها ، واجْتَابَ (٢) ملابسها وحُلْلَتها ، وكشفت التجربة
أنه ابن بجَدْتِها ، ورضيع درَّتها وجُهْيَتَهُ أخبارها ، وجَوَادِ مضمارها ،
ونَسْجَ وَحْدَهَا ، وصَفْصَامة غَمْدَهَا ، واشتهرَتْ عنه الأمانةُ التي
تَقَمَصَ بُرْدَيْهَا ، واستلان سُبْلَهَا (٣) ، ونَجَ طريقها ، وَحَمَى
حقيقتها » .

وفي هذا الكلام أمثال كثيرة ، وألفاظ تجريي مجرى الأمثال (٤) ،

(١) كان بالأصل تعريف في الكلمة (توَقَل) وأشينا (من) ليس قيم المعنى .
يقال : وقل في الجبل يقل إذا صعد كتوَقَل .

(٢) كانت الكلمة في الأصل (وأجياب) فرجحتنا أنها بمعنى قطع وفصل .

(٣) في الأصل (واستلام شبلها) فرجحتنا هذا التصويب .

(٤) عند جهة الخبر اليقين . مثل له قصة طويلة عن هشام بن الكلبي .
وقال الأصمى وابن الأعرابى هو جفينة بالفاء ، وكان عند خبر رجل مقتول ، وفيه
يقول الشاعر :

تسائل عن أبيها كل ركب وعند جفينة الخبر اليقين
فأئلوا جفينة فأسبرهم خبر القتيل ، وقال بعضهم هو حفيظة بالباء .
يضرب في معرفة الشيء حقيقة .

مجموع الأمثال ٣٠٤/١ .

ابن بجَدْتها : البُجَدة الأصل ، ودخلة الشيء وباطنه ، وعند بجدة ذلك أي عليه . يقال للعالم
بالي شيء والدليل المادي .

ومن ذلك ما كتبته في وصايا توقيع بعض النثار وهو : « الحركة الدائمة التي تذهب الكثلَ ، وتُرهِفُ الكليلَ ، وتتنزَعُ الغُلُّ وتشفي الغليلَ ، وتعقبُ الراحة ، وإن عجلَت النصبَ ، وتُقْوَمُ الأعمال مقام النداء للوصب . فليكن لها ملزماً ، وعليها مواظباً ، وللهاد الدعة وجائب الكسل مجاناً ، فمن لم تسوّد البيداء لم تسوّد العلباء ، ومن لم تلتفح جسنه السمايس لم تُبيّض وجهه المكارم » .

وهذا مأثورٌ من قوله :

ما ابِيضَ وجه المرء في طلب العلا حتى يسوّد وجهه في اليد

ومن ذلك قوله في هذا التوقيع لناظر قد رتب على زراعة غيره ، وأمر بتربيبة ذلك المزروع وهو : « وبتربيبة المزروعات لسنة كذا الخراجية ، وترتيب التواطير والحفظة لها ، وتعاهدُها بالسكنى عند حاجتها . فليكنْ معظم زمانه مصروفاً إليه ، وموقوفاً عليه ، فهذا الارتفاع إن لم يكن غارسَه فهو حارسَه ، وإن كان قد سبقه إنشاؤه فعليه تربيته وإنماوه ، فالأعمال بختامها ، والمياديء بإنتمامها ، وليس البناء لمن وضع أَسَه ، بل من كملَه ، ولا الصيدُ من آثاره بل من حَصَله » .

في هذا الكلام من الأمثال المشهورة قوله : « الأعمال بخواتيمها » ، ومن الأمثال النبوية قوله : ليس الصيد من آثاره ، بل من حصله .

ومن ذلك قوله في هذا التوقيع توصية بالمعاملات لسنة كذا الخراجية : « فليضاعف رجاحها ، وليعمر أعمالها ، فهو مُفْتَسَحُ ارتفاعه ، ويكثر خدمته ، والشاهد على وفُور اجتهاده ، وعلو همته ، وعليه الاعتماد والمَعْوَل ، فليحذر أن يقال إذا ما أُولَ ». .

هذه إشارة إلى البيت المشهور الذي قد صار مثلاً وهو :
 إذا ما أوَّلَ الخطَّيْ أَخْطَطَ فلن يُرجَى لآخره انتصار
 ومن ذلك قوله : « فليحِكُم بُسْنَانَهَا ، وليشِيدَ أَرْكَانَهَا ، ليَسْتَرَ عَوَارَهَا ، ويَأْمَنَ انفجارَهَا ، وَتَثْبِتَ تَحْتَ المِيَاهِ عَنْدَ طُعْنَانَهَا ، وَتَفْوَى عَلَى تَمَرَدِهَا وَعِصْيَانَهَا . ولِيَحْذَرَ عَاقِبَةَ الْمُوْتَنَى فِيهَا ، وَمَغْبَةَ الإِهَالِ لِأَمْرِهَا ، فَالدُّخَانُ تَلَهُبُ نَارَهُ ، وَالشَّرُّ تَبَدُّلُ صَغَارَهُ ». .

هذا مثلان مشهوران قد وقعا في هذا الكلام موقعهما .
 ومن ذلك ما قلته في الوصاة بالأكْرَة^(١) : « والأكْرَةُ فهم جندُهُ الذي به يُحارِبُ ، وسيفُهُ الذي به يُضَارِبُ ، فلَيُسْتَجِحُ فِي مَلَكَتِهِ^(٢) ، ولِيُنْصِفْ ضعيفَهُمْ فِي معاملَتِهِ ، ولِيُؤْفَرْ عَلَيْهِمْ حِصْصَهُمْ وَحُقُوقَهُمْ ، ولِيُخَفِّفَ مَا اسْتَطَاعَ رِسْوَمَهُمْ وَطُسُوقَهُمْ^(٣) ، فهم جندُ الرَّغْبَةِ ، لا جُنْدُ الرَّهْبَةِ ، وَعَبْدُ البرِّ والإِحْسَانِ ، لا عَبْدُ الظُّلْمِ والطُّغْيَانِ . . وَمِنْ طَرْقِ الْأَجْيَادِ ، فَقَدْ أُوتَنَّ الْأَقْيَادِ ، وَمِنْ لَمْ يَمْلِكْ الْقُلُوبَ لَمْ يَمْلِكْ الْأَجْسَادِ . والأكْرَةُ جُنْدٌ لَا تَرَالِ الْبَلَادَ سَاكِنَةً آمِنَةً ، مَا سَكَنُوا وَأَمْنَوْا ، وَفِي الْحَكْمَةِ الْقَدِيمَةِ : اسْتَوْصُوا بِأَهْلِ الْخَرَاجِ ، فَلَا تَرَالُونَ سِيَاهَنَا مَا سَمِنُوا ». .
 في هذا الكلام من الأمثال قوله : ملكت فأُسْتَجِحُ^(٤) ، قوله

(١) الأكْرَةُ : جمع أَكَارَ وهو الحِرَاثُ .

(٢) المَلْكَةُ معركة الامتلاك مع القدرة على الاستبداد .

(٣) الطلاق بالفتح ما يوضع من الخراج على الأفردة أو شبه ضريبة معلومة .

(٤) الإسْجَاحُ : حسن العفو ، أي ملكت الأمر فَاحْسَنَ العَفْوَ . وأصله السهولة والرفق .

قال أبو عبيدة : يروى عن عائشة أنها قالت لعلي يوم الجمل حين ظهر على النافع فدنا من هو ديجها

ثم كلّمها بكلام : ملكت فأُسْتَجِحُ . فجهزها عند ذلك بأحسن جهاز ، وبعث معها أربعين امرأة ،

وقيل سبعين حتى قدّمت المدينة .

(مجمع الأمثال ١٥٨/٢) .

أردشير بن بابلق : استوصوا بأهل الخراج فإنكم ما تزالون سيفانا ما سَمِّينُوا .
وفيه نظر إلى قول المتنبي :

وقدتْ نفسِي في هَوَاكَ مَجْهَةً وَمَنْ وَجَدَ الإِحْسَانَ قَبْدَاً تَقْبِداً^(١)

ومن ذلك ما صدرت به توقيعاً في تقرير بعض النظار وهو : « لما كان
فلان من الرجال الأفراد الذين عليهم الحناصر تُعْقَدُ ، وإذا طلبت النظائر
مِثْلَهُمْ تَعْزَّزُ وَتُفْقَدُ ، وكانت شمائله وشواهده تَنْطِقُ عنه بالكافية
ولو لم يُخْبِرْ وَيُشَهِّدْ ، له مخابيل الفراسة بخصائص النجابة ، وقد دلت
سَوابِقُ الاختبارِ له على حُسْنِ الاختيار ، وإثباتُ سَوَالِفِ مَاتِرِ خَدِيدِ مَاتِهِ
على حَمَدِيَرِ الآثار ، واستحقاق الإيثار . وكان الديوان العزيز قد بَلَاه
في حَالَتِي عَمَلِهِ وَعُطْلَهِ ، وعرف ما تنتهي عليه أُنْباء بُرْدَيْهِ في
يَوْمِ فَقْرَهِ وَثَرْوَتِهِ ، وكان في أيام خِدمَاتِهِ الرِّجَلُ الشَّهِيمُ الَّذِي يَسْفَدُ
نَفْوذَ السَّهِيمَ ، ويدرك بحسنه الثاقبُ خَفْيَ الْوَهْمِ ، إذا سَقَى به أَرْضاً
صَابَهَا^(٢) ، وإن رَمَى به رَمْيَةً أَصَابَهَا ، وإن عَالَجَ تَدِيرَهُ مَعْاْمَلَةً سَقِيمَةً
أَبْرَأَ أَوْ صَابَهَا .

هذا إلى ما خُصَّ به عن سياسة تمنع خطاب الضمير ، فضلاً عن
خطوات التَّدَبِّير ، وأمانةِ ضُمَّ عليه إِهابُهَا ، وسُمِّعَ فَرْقَعَةً جِلْبَابَهَا ،
وَضَفَّاً عَلَيْهِ سِرْبَالُهَا ، وَتَخْبِبُ وَرَاءَهُ أَذِيَالُهَا . ومن أيام عُطْلَتِهِ رَبُّ

(١) من قصيدة في مدح سيف الدولة وتهنئته بعيد الأضحى ، مطلعها :
لكل أمرى، من دهره ما تمودا وعادات سيف الدولة الطعن في العدا
الديوان ١٩٤١ .

وكان في الأصل (ومن تصد الإحسان) فأصلحته من الزيادة .
(٢) صابت الساء : أمطرت ، وجادت الأرض ، فهو لازم ومتعد كما في قاج العروس
مادة صوب .

الصيانت التي لا تُجحدُ ، ومُدحِّرُ الفناء التي هي كنز لا ينتفي ، والصابر على البُؤسِ بل على العَطَاب ، بل لا يصبر على النار إلا خالصُ الذهب . فرأى الديوانُ العزيزُ إعادةَ النظر بالمعاملات الفلانية إليه ، والتعوييلَ في إصلاح فاسدها وتقويم مائدتها عليه ، علِمًا أنه قد سلمَ القوسَ إلى باريها ، وأضاف العقيلة إلى كفتها وكافيها » .

في هذا الكلام من الأمثال والتكت الراقة ملا خفاء به .

ومن ذلك قوله في هذا التوقيع من الوصايا : « وليهتمْ أولاً بحفظ البذور التي هي رأس المال ، وذخيرة الأعمال ، والغروس التي تُجتنبَ ثمارها ، والبضاعة التي إذا حرستْ أمينٌ بوارها ، والتغريط في القليل عنها ليس بقليل ولا قريب . وفي المثل : كم بدري الأئل دوحةً من قضيب^(١) ، وليخيرها حاليةً من الغش والدغل ، فالغش في المتاجر الدينوية ، والغش في المتاجر الدينية ، كلها يُبطل العمل ، ومن هوَنَ في البدْرِ في يوم الحصاد يُندمُ ، وكل امرىء على ما قدم يُقدَّمُ ، ولا يتولد عن المعدوم إلا العَدَمُ ، ومن أشبه أباءه فما ظلم » ^(٢) .

هذا الفصل يشعب شعباً ، فمنه ما ينتزع إلى الخبر النبوي وهو قوله « وإنكم تقدمون على ما قدمتم » ، ومنه ما هو مأخوذ من قول القائل :

(١) الأئل : شجر واحدته أئلة وهي السرة أو شجرة من العصاء طريلة مستقيمة تحمل منها القصاص والأقداح . الدوحة : الشجرة الفسخة . القضيب : الفصن . والمعنى كم من شجرة فسخة أصلها فرع صغير .

(٢) مثل معناه أن من أشبه أباءه لم يضع الشبه في غير موضعه ، لأنَّه ليس أحد أولى به منه بآن يشبه . ويجوز أن يراد في ظلم الأب أي لم يظلم حين وضع زرده حيث أدى إليه الشبه . وكلما القولين حسن .

(مجمع الأمثال ٢/١٧٠) .

إذا أنت لم تَرْجَعْ وأدركتَ حاصداً
 نَدِمْتَ على التَّفْصِيرِ فِي زَمَنِ الْبَذْرِ
 ومنه ما يرجحُ إلى قوله أبي تمام :
 لا تُذَيلَنْ صَغِيرَ هَمَّكَ وانظرْ

كم بذى الأثيل دوحة من قضيب^(١)

وقد دخل فيه أيضاً المثل 'السائر' : من أشبة آباءه فما ظلمَ .
 وقولي « ولا يَتَوَلَّدُ عن المعدوم إلا العَدَمُ » نكتة كلامية^(٢) .
 وقولي « إن الفش الدنيوي كالخش الشيني كلها يُبْطِلُ العمل » ،
 لا يخفى ما فيه من الحلاوة مع لطف الصنعة .

ومن ذلك قوله في الوصاة بحراسة الارتفاع وهو : « وحراسة الغلَّات
 عند الإدراك والقصداد ، وإظهار الورَّعَة التي تُشَرَّد بالرُّقاد ، وتُغْنِي
 عن تحرير السيف من الأغداد . فأنت رضيع لبيانها ، لا شريك عِنَانها^(٣) ،

(١) لا تذيلن : لا تسلن . الم : الحزن أو الملة . الأثيل : شجر معروف ينظم ويكتب : أي لا تهمل نظرك في صغير هلك ؛ فإن كان خيرا فإنه يشر وتعظم المنفعة به ، وإن كان معاذرا فإنه لا يؤمن أن يتفاقم .

وهذا المعنى قصده نهلل بن حري في قوله :

قال الأقارب لا يغرس لك كثُرَتَا وأفن شأناك عنا أيها الرجل
 عل بي يشد افة أزرهم والنبع ينبع قضبانا ويكتسل
 دبيب أبي تمام من قصيده في مدح سليمان بن وهب التي مطلعها :
 أي مرعى عين ووادي نسيب لحبته الآيسام في ملحوسب
 الديوان ١٤٧/١ .

ونصبت كلمة (دوحة) مع أنها تمييز لكم الخبرية ، لأن من شروط جر تمييزكم الخبرية
 الاتصال ، فإن فصل نصب تمييزها حل على الاستفهامية ، وذلك جائز في السعة ، والصريح
 اختصاصه بالشعر (حاشية الصبان على الأشموني) .

(٢) من اصطلاح علماء الكلام .

(٣) العنان في الشركة أن تكون في شيء خاص دون سائر ما للشريكين ، أو هو التأاري
 في الشركة ، لأن عنان الدابة له طاقتان متباينتان .

والمضروبة بين أمثاله الأمثال ، والمنقوضة لديه الأخلاص ، والمحظوظة
إليه الحال . وسيلُك الأخذ على الفتيل والتغیر ، وألا يحقر في هذا
الباب ما هو أحقر من التغیر ، فقليل البحنانية يدعو إلى كثيرها ، وربما
تُهاج كثارات الأمور بصغرها ، والشراك بالشراك^(١) يتصل ، ومن
الذود إلى الذود إبل^(٢) .

في هذا الفصل من الأمثال والنكت قولهم : هما رضيماً لبيان^(٣) ،
وقولهم : هما شريكاً عينان . ومن بيت الحماسة :

* يهيج كثارات الأمور صغيرها *

وبيت البحترى :

من لعَّا هذا إلى محسوس ذا ومن الذود إلى الذود إبل^(٤) .

(١) الشراك : سير النمل .

(٢) يقال هو أعنوه ببيان أنه ، لأن البان بالكسر الرساع ، قال يعقوب بن السكري
لا يقال بلبن أنه ، لأن البن الذي يشرب . وفي الأمثال هما فراس رهان ورضيماً لبيان .

(٣) لشيب بن البرصاء :

وإن لراك الصفيحة قد بدا ثراها من الموى فما أستيرها
عفاقة أن تعني علي وإنما يهيج كثارات الأمور صغيرها
(شرح المرزوقي ١١٢٣/٣) .

(٤) في الأصل (من لذا هنا إلى محبوس ذا) . والتصويب من الديوان .

وقيل البيت قول البحترى :
أصل النزد إلى النزد وقد يبلغ الميل إذا الميل وصل
ديوان البحترى ٢١٥/١ .

اللهاء : على وزن مهاد التراب وكل خبيث حقير يمير . محسوس : من حسن فلان
تصيب فلان إذا جعله خبيساً دينياً حقيراً .

الذود : من ثلاثة أ Bureau إلى عشرة أو خمس عشرة أو عشرين أو ثلاثين أو ما بين الاثنين
والتسعة . وقولهم (الذود إلى الذود إبل) يدل على أنها في موضع اثنين لأن الاثنين إلى الاثنين
جمع (القاموس الخريط مادة ذود) .

ومن ذلك ما قلته من الرصاية بتخدير التواب والعمال وهو : « والمستابون بالأعمال فهم اليَد الباطشية ، والرِّجْل الساعية ، والعَيْن الباصرة ، والأذن الواقعة ، وأنت لهم بمنزلة الحسدِ ذي الأدواتِ ، والقلب المستعمل للأعضاء والآلات ، فإذا صَحُوا كنْتَ الصَّحِيفَ السليم ، وإذا سَقَمُوا كنْتَ المريض السقيم ، لأنهم أجزاؤك وأبعاضك ، فصحبهم صحتُك ، وأمراضهم أمراضك . فأذْكُر عليهم عيُونَ التَّطَلُّع ، ولا تُخْلِنْهم من التَّصْفَح والتَّتَبُّع ، واجعلهم ثُضْبَ عينيك ، وتجاه ناظرك ، وتلْقاء وجهك ، وإزاء خاطرك ، فمن كان أميناً أقرَرْتَهُ وأدْتَيْتَهُ ، ومن شُكِّكَ في طرَدَتَهُ وأفْصَيْتَهُ ، ومن ثَبَّتَ عليه هَفْوةً ، أو صَحَّتَ عليه عَثْرَةً أو كَبْوَةً ، فسيلِكَ أَنْ تُنكَلَ به ، وتبالغ في حُسْنِ أدبه . ولا تَسْلُكَ في ذلك مَسْلَكَ الجاملة والمُدَاهَنَة ، فما كَلَّ وقتٍ تصلح الملايَنة ، وليس كُلُّ ذُنْبٍ يَحْتَمِلُ الإِغْضَاءُ والطَّيْءُ ، ومن الأمراض مَا لا يُحْسِنُ إلا بالكَيْ ، وأفْسَدَ الأشياء لقانون الرَّئَاْسَةِ وَضَعَ الصَّفْحَ مَوْضِعَ السِّيَاسَةِ ، وأدْعَى الأشياء إلى انحلال النَّظَامِ ، الصَّفْحُ عن ذوي الذُّنُوبِ والأَجْرَامِ».

وهذه الأخيرة ، قد تقدم نظيرُها ، وهو قولنا : فأدْعَى الأشياء إلى انحلال النَّظَامِ ، وَضَعَ العَقْدَ مَوْضِعَ الانتقامِ ، وقد ذكرنا بيت أبي الطيب الذي أخذناها منه^(١) .

ومن ذلك قوله في خاتمة الوصايا في هذا التَّوْقِيع : « ولا حاجةَ لنا مع كمالِهِ وسَدَادِهِ ، وهَدِيهِ الْجَمِيعَ عليهِ ورَشادِهِ ، إلى استِقْصَاءِ مافي الوصايا والأوامِرِ ، ولو تَسْيَقَنَ الْكَنَّاْيَةَ لِقالَ فِيهَا كُمْ تَرَكَ الْأَوَّلُ لِلآخرِ ،

(١) البيت الذي يزيده هو :
ووضع الندى في موضع السيف بالعلا مضر كوضع السيف في موضع الندى

فهو يخترع من محسن التَّصْرِفِ مِنْ الْحِدْمَةِ مَا يُغْزِيُ عَنِ الْكِبِيرِ مِنْ أَرْبَابِ
السِّيَاسَةِ وَالْتَّدِبِيرِ ، وَيَسْتَبْطِئُ بِخَبْرَتِهِ مَا يَسْتَغْنِيُ بِهِ عَمَّا يُرْشِدُهُ ،
وَلَا يُنْبَثِكُ مِثْلُ خَبِيرٍ »^(١) .

فَآخِرُ هَذَا الْفَصْلِ مِنْ الْكِتَابِ الْعَزِيزِ ، وَصَدْرُهُ مَثَلٌ شِعْرِيٌّ نَظَمَهُ
أَبُو تَمَامَ فَقَالَ :

لَازَلَتَ مِنْ شَكْرِيَّ فِي حُلَّةٍ لَابْسَهَا ذُو سَلَبٍ فَاخِرٍ
يَقُولُ مِنْ تَقْرَعٍ أَسْمَاعَهُ كُمْ تَرَكَ الْأَوْلَ لِلْأَخْسَرِ^(٢)
وَمِنْ ذَلِكَ قَوْلِيُّ فِي هَذَا التَّوْقِيقِ : « وَلِيُطَالِعَ الْدِيْوَانَ الْعَزِيزَ بِأَحْوَالِ
عَمَلِهِ فِي أَوْقَاتِهَا ، مِنْ غَيْرِ إِرْجَاءِ يُفْضِيُ إِلَى فَوَاتِهَا ، مَسْتَدِمًا مِنْ تَدِيرِهِ
الصَّائِبِ وَرُشْدِهِ ، مَا يُبَصِّرُ بِهِ سَبِيلَ قَصْدِهِ ، وَمُسْتَنْجِدًا مِنْ
رَأْيِهِ الثَّاقِبِ مَا إِذَا شَدَّ بِزَنْدِهِ ضَرَبَ بِنَصْلٍ يَقْطَعُ الْهَامَ مِنْ غِمْدِهِ » .

هَذَا يَتَضَمَّنُ مِنَ الْأَمْثَالِ الشِّعْرِيَّةِ قَوْلَ أَبِي الطَّيْبِ الْمُتَنبِّيِّ :

إِذَا شَدَّ زَنْدِيَ حُسْنٌ رَأَيْكَ فِي يَدِي

ضَرَبَتِ بِنَصْلٍ يَقْطَعُ الْهَامَ مُفْمَدًا^(٣)

وَمِنْ ذَلِكَ قَوْلِيُّ فِي تَوْقِيقِ بَعْضِ مُشَرِّفِي الْأَعْمَالِ فِي ذَكْرِ الْأَمَانَةِ :
« فِإِنَّهَا الدُّرُّعُ الَّتِي تَسْخَرُ بِالنِّبَالِ ، وَتَهْزُأُ بِالنِّصَالِ ، وَتَضْمَنُ سَلَامَةً

(١) مِنْ سُورَةِ فَاطِرٍ : الآية ١٤

(٢) مِنْ قَصِيدَتِهِ فِي مَدْحِ أَبِي سَعِيدِ الَّتِي مَطَلَّعُهَا :

قُلْ لِلْأَمِيرِ الْأَرْبَعِيِّ الَّذِي كَفَاهُ الْبَادِيُّ وَالْمَاصِرُ
الْدِيْوَانُ ١٦١/٢ .

(٣) مِنْ قَصِيدَتِهِ فِي مَدْحِ سَيفِ الدُّوَلَةِ الَّتِي مَطَلَّعُهَا :

لِكُلِّ امْرِيِّهِ مِنْ دَهْرِهِ مَا تَمْسُداً وَعَادَاتِ سَيفِ الدُّوَلَةِ الطَّعنُ فِي العَدَا
الْدِيْوَانُ ١٩٣/١ .

(الفَلَكُ الدَّائِرُ - م ١٠)

دَارِّعْهَا يَوْمُ النِّزَالِ . وَقَلَّ مَنْ أَصْبَحَ مِنْهَا حَاسِرًا ، إِلَّا وَأَمْسَى فِي حَسْفَفَتِهِ خَاسِرًا ، أَوْ كَانَ لَهَا جَانِبًا ، إِلَّا وَنَزَكَ عَنِ السَّعَادَةِ جَانِبًا ، فَالْأِمَانَةُ سِرُّ الْمَرْءِ وَجَوَاهِرُهُ ، وَبَاطِنُ الْإِنْسَانِ وَمَخْبَرُهُ ، وَبِهَا يُسْتَدَكُ عَلَى شَرْفِ نَفْسِهِ وَدِيَانَتِهَا ، وَمِنْهَا يُعْلَمُ ثَمَنُهَا وَمَقْدَارُ قِيمَتِهَا ، فَإِنْ كَمُّتَتْ وَتَسْمَتْ دَلَّتْ عَلَى عَزَّةِ النَّفْسِ وَعَلَّوْهَا ، وَاحْتِقارُهَا لِلنَّاسِ بِالْحَطَامِ وَسُمُّوْهَا وَإِنْ نَقَصَتْ أَبَانَتْ عَنْ لُؤْمِ الْمَرْءِ وَنَقْصِهِ ، وَكَشَفَتْ عَنْ شَرَّهِ وَحِرْصِهِ ، فَيَسْتَسْلِفُ عَاجِلًا أَقْبَحَ الذَّكْرِ ، وَيَتَحَمَّلُ آجِلًا أَنْقَلَ الْوِزْرُ ، وَقَلَّ أَنْ يَعْدَمَ بَيْنَهُمَا تَقْدِيمُ الْعَقوَبَةِ وَتَعْجِيلَهَا ، وَطَرُوقُ الْحَادِثَةِ وَحُلُولَهَا ، فَلَتَكُنْ عَصَمَةَ اللَّهِ مِنْ يَسْتَشْعِرُ الْحَذَرَ ، وَيَشَاهِدُ الْأَشْيَاءِ بِالْبَصِيرَةِ قَبْلَ مَشَاهِدَتِهَا بِالْبَصَرِ » .

وَفِي أَوَّلِ هَذَا الْفَصْلِ مَعْنَى قَوْلِ الرَّاجِزِ ، وَقَدْ صَارَ مَثَلًا :

وَنَثَرَةُ^(١) تَهْرَأُ بِالنَّصَالِ كَأَنَّهَا مِنْ خَلْعِ الْمَلَلِ

وَمِنْ ذَلِكَ قَوْلِي فِي هَذَا التَّوْقِيعِ : « غَيْرُ مُسْتَهِينٍ بِالنَّزَرِ الْيَسِيرِ ، وَلَا مُغْضِضٌ عَنِ الْأَمْرِ الْحَقِيرِ ، وَلَا مَسَامِحٌ فِي الْفَتْيَلِ وَلَا النَّقِيرِ ، فَقَدْ يَهْدِي الْأَبْوَسُ^(٢) الْغُوَيْرَ ، وَكَمْ مَطْرِي بِدُؤُهٖ مُطَبِّرًا » .

فِي هَذَا الْكَلَامِ ثَلَاثَةُ أَمْثَالٍ : أَحَدُهَا الْفَتَيْلُ^(٣) وَالثَّانِي^(٤) وَالثَّالِثُ قَوْلُهُمْ عَسَى الْغُوَيْرُ أَبْوَسًا^(٥) . وَقَدْ نَظَمَهُ أَبُو تَمَامَ فَقَالَ :

(١) النَّثَرَةُ : الدَّرَعُ الْمَلَسَاءُ أَوْ الْوَاسِعَةُ .

(٢) الْفَتَيْلُ : السَّحَاهُ الَّتِي فِي شَقِ النَّوَاهِ .

(٣) النَّقِيرُ : النَّكَّةُ فِي ظَهَرِ النَّوَاهِ .

(٤) الْغُوَيْرُ : تَصْفِيرُ غَارِ . الْأَبْوَسُ : جَمِيعُ بَوْسٍ وَهُوَ الشَّدَّةُ . وَأَصْلُ الْمَثَلِ فِيهَا يَقَالُ مِنْ قَوْلِ الزَّيَاهِ حِينَ قَالَتْ لِقَوْمِهَا عَنْدِ رَجُوعِ قَصِيرٍ مِنَ الْعَرَاقِ وَمَعَهُ الرِّجَالُ وَبَاتُوا بِالْغُوَيْرِ مَلِ طَرِيقَهُ : عَسَى الْغُوَيْرُ أَبْوَسًا . أَيْ لَعْلَ الشَّرِ يَأْتِيكُمْ مِنْ قَبْلِ الغَارِ . وَجَاءَ رَجُلٌ إِلَى عَمْرٍ -

أهذى لها الأبوسَ الغُويْرُ كم مطِيْرٌ بـ^(١)

ومن ذلك قوله في توقيع بعض المشرفين أيضاً : « سكوناً إلى تدرّعه من العفة والنزاهة بأوقى جُسْنَةٍ ، والاعتصام من حولها وقوتها بأتم حَوْلٍ ، وأعظم مُسْنَةٍ ، واتحادها الْزَّمُ فرضٌ وآكِدُ سُنَّةٍ ، فليواكب على حجَّ كعبتهما ، والتوجه إلى قبليتهما ، والتَّدَيْن بشرعيهما ، والسلوك في شرعيهما ، وليسمر على التَّغْشَي بيردها السِّنِي ، والتَّعْرِي عن ثوب الإسفاف الدَّنِي ، ول يكن في إحرار الذَّكْر الجميل إذا عرَضَ ماهراً ، ولنفسه عن مطْعم السوء إن اعترض قاهراً ، وفيما يشتت ندمه جاهداً ، وللشيطان المشول له مجاهداً ، ليكون بأفعاله الحسنة مكافياً للأنعام ، ومستحضاً لزيادة الموهبة والدوام ، فقدِيمَا قيل في مثل الْزَّمِ الصَّحة يلزمك العمل ». ^(٢)

وقد ذكره عبد الحميد بن يحيى ^(٣) الكاتب في رسالته إلى الكتاب .

ومن ذلك قوله في هنا التوقيع : « فإذا كان وقتُ الحصاد ، وتفتَّتَ الأكمام عن ثمار الاجتِهاد ، رَتَّبَ من الأعوان مَنْ يَثْقِي بمسناحته ، ويَسْكُنُ إلى حراسته ، وأذْكَرَ عليهم عُيُونَ التَّطَلُّع ، وأضْغَى إليهم بسامِ التَّصْفَح والتَّبَيْع ، فمن وجده المُتحَجَّج سالكاً ، وللدَّناءة تاركاً ، أقرَه واستخدمه ، وأدْنَاه وأكْرَمه ، ومن أُلفاه عن الجَدَد ^(٤) ناكِياً ، ولا تباع الطمع راكِباً ، أحسنَ تَأْدِيه وتقْوِيه ،

= ابن الخطاب يحمل لقبيطاً فقال عمر : عي التَّوَيْر أبُوسا . قال ابن الأعرابي إنما عرض بهذا الرجل ، أي لملك صاحب القبط . ونصب أبُوسا على معنى عي التَّوَيْر يصير أبُوسا . وقال أبُوس على جمل عي يعني كان ونزل منزله . بضرب الرجل يقال له لعل الشر جاء من جهتك .

جمع الأمثال ٢١٢/١ .

(١) لم نظر على النص بديوانه .

(٢) في الأصل عبد الحميد بن جبير ، وهو خطأ

(٣) الجدد : المراد الطريق الواضح .

وفَرَى بِضَرْبِ السِّيَاسَةِ أُدِيمَهُ ، وَجَعَلَ مَا يَعْتَمِدُهُ مِنْ نَكَالٍ رَادِعًا لِأَمْتَالِهِ ، وَنَافَعًا لَهُ فِي مُسْتَقْبَلٍ أَمْرَهُ وَمَا لَهُ ، فَلَيْسَ الْكَهْلُ كَالْحَدَثِ الصَّبِيِّ ، وَلَا الْقَارِحُ^(١) كَالْجَذَعِ^(٢) الْفَتَّيَ . وَالْحَوَادِثُ ذَخَرِيَّةُ الْعَوْاقِبِ ، وَالْمَصَابُ اُثْمَانُ التَّجَارِبِ » .

هذا معنى قوله في المثل المشهور : إن المصائب أثمان التجارب .

وَمِنْ ذَلِكَ قَوْلِي فِي آخِرِ هَذَا التَّوْقِيعِ : « فَعَظِيقٌ عَلَيْهِ بَعْدَ تَعْبِيهِ وَاحْتِبَارِهِ ، وَإِفْرَادِهِ بِالْتَّقْدِيمِ وَالتَّأْهِيلِ وَإِيَشَارَهِ ، أَنْ يَهْجُرَ لَذَّةَ الرُّقَادِ فِي بَلْوَغِ الْمَرَادِ ، وَأَنْ يَكُونَ لِبِنُ الْمَهَادِ عَنْهُ أَخْشَنَّ مِنْ شَوْكِ الْقَسَادِ^(٣) ، إِلَى أَنْ يَقَالَ لَهُ قَدْ رَقِيتَ وَلَقِيتَ ، وَعُولَجَ بِكَ فَشُفِّيَتْ » .

هذا ينظر إلى قول ديك الجن^(٤) :

فَإِذَا شُوْقِي بِكَتْ حِمَاماً وَإِذَا عُولَجَ بِكِ شَفَاءَ
وَمِنْ ذَلِكَ قَوْلِي فِي هَذَا التَّوْقِيعِ أَيْضًا : « وَلَيُواصِلَ مُسْتَجَدَّدَاتِ الْعَمَلِ فِي أَوْقَاتِهَا ، عَلَى اخْتِلَافِ أَنْوَاعِهَا وَجَهَاتِهَا ، وَلَا يَسْتَحْقِرُ مِنْهَا حَقِيرًا ، وَلَا يَسْتَصْغِرُ صَغِيرًا ، فَالْكِتَابُ سَطْرٌ إِلَى سَطْرٍ ، وَأَوْلُ الْغَبَيْثِ قَطْرٌ إِلَى قَطْرٍ » .

(١) القارح : البازل وهو البعير في سنته الخامسة .

(٢) الجذع : البعير في سنته الثالثة .

(٣) القساد : شجر له شوك .

(٤) أنسه عبد السلام بن رغيان وديك الجن لقب غالب عليه .

وهو شاعر عيبي يذهب أبي تمام والشامي في شعره ، وكان من ساكني حمص ولم يربح نوافيس الشام ولا وند إلى العراق أو غيره متبعاً بشعره ، وكان يتشيّع تشيشاً حسناً .
(الأغاني ١٢/١٣٦)

هذا هو البيت المشهور للطائي :

وأَزْرَقُ الْفَجْرَ يَبْدُو قَبْلَ أَبْيَضِهِ^(١) وَأَوْلُ الْفَيْثِ طَلَّ ثُمَّ يَنْسَكِبُ^(٢)
وَمِنَ الْبَدِيعِ النَّادِرِ الْفَوْزَةُ الَّتِي ضَمَّمَتْهَا إِلَيْهِ وَهِيَ قَوْلِي : فَالْكِتَابُ سُطْرٌ
إِلَى سُطْرٍ .

وَمِنْ ذَلِكَ قَوْلِي فِي تَوْقِعِ لِبْعَضِ النَّظَارِ : وَلَيَشْرَعَ فِي تَطَوَّافِ
الْمَعَامَلَاتِ وَاسْتَهْرَانَهَا ، وَتَصْفَحُهَا وَاسْتَبِرَانَهَا ، وَمَشَاهِدَةُ مَزْرُوعِهَا
وَضَيْعَاهَا وَرَسَاتِيقَهَا^(٣) وَبِقَاعَهَا وَمَحَاوِيلَهَا وَأَعْمَدَتَهَا وَنَوَاحِيهَا وَأَكْرَتَهَا^(٤)
لِيَحْصُلَ عَنْهُ صُورُهَا وَأَشْكَالُهَا ، وَيَبْثُتُ فِي ذَهَنِهِ هِيَتَهَا وَخَيَالَهَا ، وَلَا يَقْنَعُ
بِالْأَخْبَارِ وَالسَّمَاعِ ، وَالْتَّعْوِيلُ عَلَى مَا فِي الْمَطَالِعَاتِ وَالرَّقَاعِ .

فَلِيسُ الْحَبَرُ كَالْعِيَانِ ، وَلَا التَّقْلِيدُ كَالْبُرْهَانِ ، وَمَنْ عَوَّلَ عَلَى سَمَاعِ
الْأَقْوَالِ ، وَاكْتَفَى بِهَا عَنْ مَشَاهِدَةِ الْأَحْوَالِ ، فَقَصَرَتْ بِسَانَهُ عَنْ الْمَطاَوِلَةِ ،
وَأَفْحِمَ لِسانَهُ عَنْ الدِّجَادَلَةِ ، وَكَانَ مُنْقَطِعًا مَادَّةً ، مُحْتَاجًا لِنَقْصِهِ إِلَى
الثَّمَامِ وَالزِّيَادَةِ .

وَلَيُؤَاصِلَ الْحَرْكَةُ الَّتِي يُدْرِكُ بِهَا مَا بَعْدَ مِنْ أَعْمَالِهِ وَنَائِي ،
كَإِدْرَاكِهِ مَا قَرَبَ إِلَيْهِ وَدَنَا ، بِحِيثُ يَكُونُ كُلُّ عَامِلٍ مِنْ عُمَالَهُ ، وَمُسْتَقْدَمٌ
مِنْ أَكْرَتِهِ وَرِجَالِهِ ، لَا يَأْمُنُ هُجُومَهُ عَلَى غَرَّةٍ ، وَقَدْوَمَهُ عَلَى فَتْرَةٍ ،
فَتَكُونُ عُمَالَهُ كُلُّهَا آخِذَةً أَهْبَتَهَا ، لَبْسَةً زَيَّنَتْهَا ، مُنْتَظَرَةً طَلَوَعَهُ عَلَيْها ،
مُرْتَبَةً وَصُولَهُ إِلَيْها ، فَلَا يَزَالُ الْاجْتِهَادُ فِيهَا بَيْنَ النَّارِ ، ظَاهِرُ الْأَثَارِ .

(١) سبق هذا البيت في توقيع لابن أبي الحديد .

(٢) الرساتيق : جمع رستاق فارسي مغرب والمراد المزمرة .

(٣) الأكرة : جميع أكار وهو الحرات .

هذا المعنى ينظر إلى قول (بنت) المنشر بن (وهب) الباهلي^(١) في قصيدها المشهورة :

لَا يَأْمَنُ الْقَوْمُ نُسَاهٌ وَمُضْبِحٌ
مِنْ كُلِّ أُوبٍ وَإِنْ لَمْ يَغْزُ يُنْتَظَرُ

ومن ذلك قوله في صدر توقيع لكاتب : « لما كانت الكتابة الفلانية
محاجة إلى ناهض بأعبائها ، فارج لغَمَانِها ، كاشف لمُبَهَّمِها ومحوها ،
ضابط لمُجَسَّلِها وتفاصيلها ، ثُلِّت^(٢) كِتَانَةُ الرِّجَالِ ، وعُجِّمَتْ
عِيدَانُ التَّصَالِ ، وانْتَصَبَتْ صوارِمُ الْكِتَابِ الْأَجْلَادِ لِيَوْمِ الْجَلَادِ ،
وأَجْرِيَتْ سَوَابِقُ الْكِتَابِ فِي مِضَارِ السَّبَاقِ وَالظَّرَادِ ، كَانَ فَلَانُ أُورَاهَا
زَنْدًا ، وَأَرْوَاهَا عَدَّاً ، وَأَصْفَاهَا وِرْدًا ، وَأَضْفَاهَا بَرْدًا ، وَأَنْقَنَهَا
صَنَاعَةً ، وَأَوْسَعَهَا بِضَاعَةً ، وَأَطْهَرَهَا جَيْبًا ، وَآمَنَهَا غَيْبًا ، وَأَبْعَدَهَا
غَيْبًا ، فَمُوْلَى عَلَيْهِ فِي الْكِتَابِ بِالْأَعْمَالِ الْمَذَكُورَةِ ، عَلَمًا أَنَّ قَلْمَهُ يُسْتَمِّ
نَقْصَهَا ، وَيَرْقَعُ خَرْقَهَا ، وَيَرْأَبُ صَدْعَهَا ، وَيَجْمِعُ شَمَلَهَا ،
وَيَجْبِرُ وَهَنَاهَا ، وَيَلْمُمُ شَعْثَهَا ، وَيَسْدُدُ خَلَلَهَا ، وَيَمْحُو زَلَّهَا ،
وَيُخْبِي رُسُومَهَا الدَّائِرَةَ ، وَيَعْمَرُ رِبْوَعَهَا الْعَافِيَةَ » .

أول هذا الفصل مأخوذ من قول الحجاج في خطبته بالكوفة : إن أمير

(١) كان الأصل (أخت المنشر بن الباهلي) .

وهي الدجاجة بنت المنشر بن وهب بن سلمة . قال السيد المرتضى في أماله : إن هذه القصيدة من المرأى المفضلة المشهورة بالبلاغة والبراعة ، وقيل إنها للدجاجة أخت المنشر والصواب ينفعه . وكثير من الأدباء يتسبّب المرأة إلى أغنى باهله واسمه عامر بن الحارث بن رباح ، وهو آخر المنشر لأمه ، ومرثيتها في جمهرة أشعار العرب بين المرأى والسيع .

[خرانة الأدب والكاميل للبرد وجهرة أشعار العرب والأسميات وتاج العروس ٣/٦٧]

(٢) ثُلِّت الكِتَانَةُ : استخرج الرجل تبلها فثثراها .

وفي الأصل (نَكَّت) .

المؤمنين نَشَّلَ كَنَانَتِه فَعَجَمَهَا عُودًا عُودًا . فوجدني أشدَّها عودًا ،
وأصلَّبَها مَكْسِرًا^(١) .

وباتي ألفاظ هذا الفصل ثلاث تجْزِي مجرى الأمثال .

ومن ذلك قوله في صدر توقيع يصلح أن يوقع به لعارض الجيش ، وهو :
« عوائد الديوان العزيز إهداء عقائل النعم إلى الأ��فاء ، وإسداء صنائع
الكرام إلى الأولياء ، وإيداع المعروف حيث يُنشَرُ ويُشَكَّرُ ، لا حيث
يُجْحَدُ ويُكْفَرُ ، وعند من يعرف موقعه ، لا عند من يُنْفَرُ واقعه ،
 وأن يتخير لعروس إحسانه أطيب المغارس وأذكاكها ، وأخلقتها أن
يَحْلُوَّ لي حُسْنَتها ، لتكون نعمة مستقرة في نِصَابِها ، رافلة في قشيب
جيْلَبِها ، مُودَعَةٌ حيث تُصَانُ الودائع وتركت الصنائع .

ولما كان فلان الرجل الذي تُضَرِّبُ به الأمثال ، ولا تَعْدِلُه الأمثال ،
والمهذب الذي لا يُسَأَّلُ له أي الرجال ، والفاائر بشرف الاستعلاء على
الأولين والحاائز لقصب السبق يوم الرهان ، والمتوحد بخصائصه عن
مزاهمة المثالب ، والمنفرد عن الأضراب بجميل الفرائض ، رأى
الديوان العزيز الإنعام عليه برداً النظر في ديوان العرض المعور إليه ،
علمًا باستقلاله واضطلاعه ، وثقةً بستة صدره وامتداد باعه ، وسكنوا
إلى إغناهه وغناهه ، وإيقائه ووفائه ، وعلمه وتيقه ، وحرَّمه وتحفظه ،
وطمأنينةً إلى قيامه بالمهم ، ودفعه للملزم ، وثباته حين تطبيشُ الحلوُّ ،
وانصاره حين يَجِيشُ الخصوم . فليقابل هذه النعمة بالشكر الذي يكون

(١) عجم الرجل العود إذا عشه لم يُعرف صلب هو أم رخو . هذا هو الأصل فيه .

والخطبة بتاريخ الطبرى ٢١٠/٧ وتهذيب الكامل للمبرد ١٧٠/١ .

لزدياتها مُفْتَضِيًّا ، ولضاعفتها نُمْتَرِيًّا^(١) ، والأمثالها مستَمِدًا ،
ولا أَحْلَاقَ منها مُسْتَجِدًا ، فالنعمة ضيف قِرَاهُ الشَّكْرِ إِنْ وَجَدَتْهُ
لَمْ تَرِمْ^(٢) ، وإنْ فَقَدَتْهُ لَمْ تُغْسِمْ^(٣) .

في هذا الكلام إشارة إلى قول النابغة :

ولستَ بِمُسْتَبْقِي أَخَا لَا تَأْمُمْ ^(٤) على شَعْثَيْ أَيُّ الرَّجَالِ الْمَهَذَّبِ^(٥)

ومن ذلك قوله في هذا التوقيع : « ولِيَتَصِيبَ لاستِفاءَ أموالِ الإقطاعاتِ
انتصارًا يَظْهَرُ أثْرَهُ ، وَيُجْتَسِنَ ثَمَرَهُ ، فِي ضِيْفِ قَوَّةٍ خَالِيَّةٍ مِنِ
الْعُنْفِ ، وَلِينٍ لَا يُنْسَبُ مَعَهُ إِلَى ضُعْفٍ ، فَالزَّعَاءُ كَثَرُهُمُ اللَّهُ أَوْلَوْ
الْحَمِيمَةِ ، وَالنُّفُوسُ الْأَبَيَّةِ ، وَعَلَى الْحَقِيقَةِ فَهُمُ السَّبَاعُ الْوَحْشَيَّةُ فِي
الصُّورِ الْإِنْسَيَّةِ . فَلِيَحْسِنَ التَّوْصِلُ فِي مُدَارِهِمْ ، وَالاستِفاءُ مِنْهُمْ ،
وَالاستِعَانَةُ بِهَبَبَكَ الدِّيَوَانِ الْعَزِيزِ عَلَيْهِمْ ، غَيْرُ مَرَاقِبٍ مِنْ ذَلِكَ لِعَظِيمِ
مِنْهُمْ وَلَا جَلِيلِهِ ، وَلَا مُعْضِلٍ عَنْ كَثِيرٍ مَا عَلَيْهِمْ وَلَا قَلِيلٍ . فَبِالْمَالِ
تُسْتَهَلِّ الْرَّجَالُ ، وَتُبْلَغُ الْآمَالُ ، وَتُفْتَحُ الصِّيَاصِيَّةُ^(٦) وَتُمْلَكُ
الْتَّوَاصِيَّةُ ، وَيُسْتَدْنَى الْقَاصِيَّةُ . وَالْحُسْنَدُ بِالْمَالِ يُجْمَعُ ، وَالْمُلْكُ
بِالْجَنْدِ يُمْنَعُ » .

في هذا الفصل إشارة إلى الغزوي^(٧) في صفة الأتراك :

مِنْ رَأْيِ قَبْلَهُمْ مُجَمِّعًا خِلْقَةَ النَّاسِ وَأَخْلَاقَ الْأَسْوَدِ

(١) نُمْتَرِيًّا : المراد جالباً وجاذباً من مري الفرع إذا سمح له يدر.

(٢) لَمْ تَرِمْ : لَمْ تَرِلْ .

(٣) من قصيده في الاعتذار للهان بن المنذر .

(٤) الصياصي : الحصون جميع صيصه .

(٥) هو أبو اسحاق إبراهيم بن يحيى بن عثمان بن محمد الكلبي الأشهبي ؛ كان شاعراً
حسناً . ولد بغزة سنة ٤٤١ ، وتوفي سنة ٥٢٤ هـ بين مرو وبلغ ، ودفن بها .

ومن ذلك ما قلت في صدر توقع لنظر بالسوداد : « لما كان فلان من
خُبُرَ رشاده فِعْلًا ، وسداده قَوْلًا ، وتكاملت محسنه وخصائصه ،
فلا يقال فيها لَوْلَا ، وسبقت له سوابق الكتابة التي تَقْلَدَ نِطاقَها ، وأقامَ
أسواقَها ، وأحْكَمَ مِياثاقيها ، واجتلى بها عقائل الحامِدِ بعد أن أغلَى
صداقَها ، وحُمِدَتْ مذاهبهُ في حال إصدارِه وإيرادِه ، وشهَدَتْ
بعقافه وأمانته أُلْيائِه وحُسَّادِه ، رأى الديوانُ العزيزُ الإنعامَ
عليه بنظرِ كذا ، فليسَ اللَّهُ التوفيق والخيرَةَ ، ولِيُقدِّمْ تَقْرُواهُ فهي
أنفعُ عَدَّةٍ ، وأنفَسُ ذَخِيرَةٍ ، ولُيَسْتَوْجَهَ إلى الأعمال المذكورة
بصَدَرِ رَحْبِ الْفِناءِ ، وعَزَّمِ نَافذِ المَضَاءِ ، وأَمَلَّ واتِّقِ بِشمولِ الآلاءِ ،
ولِيَسْلُكَ في جميع أَنْحَائِه مَسْلَكَ أَمْثالِه من ذوي الرشاد والتحصيل ،
ولا يَتَبَعَ الموى فَيَضِلُّ عن سُوَاءِ السَّبِيلِ »^(١).

آخر هذا الكلام من القرآن العزيز ، وفي أوله إشارة إلى قول القائل :
ليس فيها ما يقال له كلت لو ان ذابك لا أقول
وأنا أختم هذا الفصل بتوجيه كتبه لبعض الزعماء ، وقد رتب شحينة
واسط وهو : « أُولَئِي الْأُلْيَاءِ باجْتِلَاءِ عقائل النَّعْمِ الْجَزِيلَةِ ، وامْتِنَاعِ
كواهل الرُّتُبِ الْجَلِيلَةِ ، واعْتِلَاءِ صَهَوَاتِ المَنَازِلِ السَّيِّئَةِ ، وارتقاء دَرَجَاتِ
المناصب العَلَيْةِ منْ حُمَصَّتْ طاعته وعُبُودِيَّتِه ، واستوئ سِرَّه في الإخلاصِ
وعلانيتيه ، وحَسْنَتْ أفعاله وآثاره ، وطابت أنيابه وأخباره ، وكَرَمُ
مَغْيِيَّه ، وعَظَمُ مَشْهَدُه ، وأَبْرَأَ يَوْمَهُ عَلَى أَمْسِهِ ، وأَرْبَى عَلَى
يَوْمَهُ غَدُّهِ .

(١) في سورة ص : الآية ٢٦ (ولا تتبَع الموى فَيَضِلُّك عن سُوَاءِ السَّبِيلِ الله) .

ولما كنت أهياً الأميرَ الأجلَّ فلانَ الدِّينَ الجامِعَ هذه الأوصاف
والخصائص ، والمتعلِّي من جواهر المناقب بما لم تظفرَ بمثله يدُ غانصٍ^(١)
واقترأْتَ بمسالكَ التي سالتَ منها السيفُ نُفوساً ومهجاً ، وبرمایتك
التي لم يجعلَ الله تعالى فيها عِوَجاً ولا أمْنَا^(٢) .

هذا مع ما خُصِّصْتَ به من فُورِ آياتك ، ورجُحان حَصَافَتِك ،
وعلوٌ همتك ، وطهارة شيمتك ، وأنك بذَذَتَ الأشكال والأضراب ،
وأوتَيتَ حَزْمَ الشَّيخوخةِ في عُنْقُوان الشَّباب ، رُؤْيَ الإنعامُ عليك
برَدَ شحينة الأعمال الواسِطية إليك ، لاستقبالِ كذا .

فتلقَ هذه النِّعمةَ التي تُرضيك بشكرٍ يُرضيها ، وهذه المترلة التي
تضاهيله، يَحْمِدُ يُضاهيها ، وتَوَجَّهُ إلى الأعمال المذكورة بصدرٍ رَحْبٍ ،
ورأى مُصِيبٍ ، وسيف من دَمَ أهل الكيد خَصِيبٍ ، واستشَعَرَ تقوى
الله فالعاقبةُ لأهلها وقف عند حُدودها ، ولتَسْتَظِلَّ بظلَّها ، وتَذَكَّرَ
ها كَلْمَةً قصيرةً غير طويلة : « إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقُوا »^(٣) ونَاهِيكَ
بها فضيلةً .

وابداً بالرُّفق الذي ما دَخَلَ في شيءٍ إِلا زَانَه ، ولا استعان به أحدٌ
في مُشْكِلٍ إِلا أَعْنَاه .

والثَّالِثُ النَّاسُ يُشْرِكُ وَلُطْفِيكَ وَطَوْلِيكَ^(٤) ، ولا تبدأهم بالفَظاظة ،
فلو كنت فَظَّاً غليظَ القلبِ لانْفَضَّوا مِنْ حَوْلِيكَ^(٥) .

(١) بالأصل (بما لم يظفر مثله بدعائص) .

(٢) الأ.ت. : العوج والاختلاف في الشيء والعيب .

(٣) سورة التحل : الآية ١٢٨ .

(٤) الطول والطائل والطائلة : الفضل .

(٥) في سورة آل عمران : الآية ١٥٩ (ولو كنت فَظَّاً ...) .

والرعايا فهم الودائع عندك الموثوق لهم أن تُلْحِقُهُمْ أمانَكَ ورِفْقَكَ ،
وتفْرِشُهُمْ^(١) سَدَادَكَ ورُشْدَكَ ، وَاكْفُفْ عنْهُمْ الأَذَى ، وَأَزِّحْ عنْهُم
القَنْدَى ، وَقُلْ لَهُمْ كَمَا أَدْبَكَ اللَّهُ حُسْنَا ، وَبَدَلْهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ
أَمْنًا ، وَلَا تَمْدُنَ عَيْنِيكَ إِلَى مَا مَتَعَنَّا^(٢) ، وَكُنْ لَهُمْ حِسْبَةً^(٣) مِنْ
الجَوْرِ وَحْصَنَا ، وَاحْمِمْهُمْ مَمَّنْ يَعْرُضُ بَهْمَ فِي عَرْضِ هَذَا^(٤)
الْأَنْتِي ، وَاسْلُكْ بِالْمَعْدَلَةِ فِيهِمْ صِرَاطًا سَوِيًّا ، وَاجْعَلْ قَرِيبَهُمْ فِي الْبَاطِلِ
ضَعِيفًا ، وَضَعِيفَهُمْ فِي الْحَقِّ قَوِيًّا .

وَحْرَاسَةَ الارْتِفَاقَاتِ الدِّيَوَانِيَّةِ بِالسُّطُّوَاتِ الْمَرْهُوبَةِ ، وَالنَّقَمَاتِ
الْمُصْبُوَيَّةِ ، وَالْهَيْبَةِ الَّتِي تَمَلَّأُ الْقُلُوبَ ارْتِياعًا ، وَتَظِيرَ الْأَنْفُسَ مِنْهَا شَعَاعًا ،
فَأَنْتَ فَارِسُهَا الْمُعْلَمِ^(٥) ، وَشُجَاعُهَا الْمَقْدَمَ ، وَلَيْسَهُ الَّذِي تُخْجِمُ
الْدِلْوَثُ وَلَا يُخْجِمُ . فَامْدُدْ وَطَأْتُكَ عَلَى أَهْلِ الرَّيَبِ وَالْفَسَادِ ، وَشَرَدْ
بِهِمْ عَنْ جَمِيعِ الْأَعْمَالِ وَالْبَلَادِ ، وَانْتَدَرْ لِلْقِيَامِ بِسِيَاسَتِهِمْ كَانْتَدَابَكَ لِلْقِيَامِ
بِالْفَرَضِ ، فَإِنْ كَانَ لِزَعِيمٍ أَنْ تَكُونَ لَهُ سِيَاسَةً حَتَّى يُشْخَنَ^(٦) فِي الْأَرْضِ .

وَالْأَمْوَالُ الْمُتَزَرِّقَةُ فِي أَقْصَى الْأَعْمَالِ وَنَائِبَهَا^(٧) لَا تُحْرِمُ إِلَّا بِرَاقِةَ
الدَّمَاءِ عَلَى جَوَانِبِهَا ، وَمِنْ الْجَوْرِ الْبَيْنُ وَالْكَحْيَنُ وَضَعُفُ الصَّفْحُ مَوْضِعَ
السَّيْفِ .

(١) تفرشهم سدادك : توسيع لهم فيه أي تسلّهم به .

(٢) في سورة طه: الآية ١٢١ (ولَا تمدن عيئيك إلى ماتعنتا به أزواجاً منهم زهرة الحياة الدنيا لتفتنهم فيه ورزق ربكم خير وأبقى) .

(٣) الحسبة : من قولهم حسن الحسبة أي حسن التدبير .

(٤) الأَقْ يفتح الميمزة أو كسرها وسكون النون فيما والأَنْهَى بالله الرُّونَ وَالسَّاعَةَ مِنَ اللَّيلِ .

(٥) الفارس المعلم : بكسر اللام هو الذي يجعل لنفسه علامة الشجمان في المرب .

(٦) يُشْخَنَ : من أَنْخَنَ في الدُّوَائِي بالغ الجراحة فيهِ ، وأَنْخَنَ فَلَانَا إِذَا أَوْهَهَ ، وَقُولَهُ

تعال (حتى إذا امْتَحَنُوك) أي غلبتُمُوهُمْ وكثُرتُ فيهم الجراح .

(٧) بالأصل (ودنِيابِها) .

ونوابك الذين تُرَتِّبُهم في الأعمال ، وتسعنُ بهم على حِرَاسةِ الأموال ،
فأصلحُهم أولاً وطهُّرُهم ، ليَحْصُلَّ بهم الصلاحُ والطهارة ، ولا ترُضَّ
لهم أن يكونوا ممن يأمر الناسَ وينسى نفسيه الأمانةَ .

وأنزِلْهُم بِمُدَارِمَةٍ فِعْلِ الخيرِ يَكُونُوا (أهله) ، ولا تجعلهم من
يَنْهَى عن خُلُقٍ وَيَأْتِيَ مثله .

وأقيِّمْ عليهم الْأَرْصادَ ، واقْعُدْ لهم بالمرصادِ ، ورُضْهم على اتّباعِ
منهاجك التَّوْيِمِ ، واهتداءِ صِراطِكِ المُسْتَقِيمِ ، وعلِّمُهم من سجايِّكِ
الْمُحْمُودَةِ مالم يَعْلَمُوا « وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ » .

وحراسةَ الطرق والمذاهِبِ ، وحمايةَ المسالكِ والمسارِبِ ، وقطعَ كُلِّ
ناجمٍ بفسادِ ، أو قادح للشُّرِّ بزِنادِ ، أو مُخْيِفِ سَبِيلِ ، أو قائدِ رَعِيلٍ^(١)
فَكُنْ فِي ذَلِكَ كَالْلَّيْثِ السَّعِيبِ^(٢) ينهضُ إِلَى فريسته ، والصُّفْرِ
الْقَطْمِ^(٣) يَنْقَضُ عَلَى طَرِيدَتِه ، حتَّى توسيعَ كُلِّ سَاعٍ بالفسادِ قَتْلًاَ
وأسْرًا ، وتُوثِيقَ كُلِّ عَادِلٍ عَنِ السَّدَادِ حَبْسًا وَحَصْرًا ، وَتَأْمَنَّ
السُّبُلُ والأطْرَافُ ، وتصبِّحُ النَّاسُ فِيهَا كَحَامَ الْحَرَمِ لَا يَخَافُ .

فهذه الأعمالُ مُظْلَمَةٌ ، فكُنْ أَضْوَأَ مِنِ السُّرَاجِ ، وهذه المدرَّةُ^(٤)
حَجَاجِيَّةٌ^(٥) فَكُنْ أَفْيَبَ مِنَ الْحَجَاجِ .
وقد تَلَخَّصَ مِنْ مُجْمَعِ وصَايَا الْمَالِكِ أَنْ يَكُونَ الْمَلِكُ ذَا لَوْنِينَ :

(١) الرَّعِيلُ : الجماعةُ من الشَّلِيلِ ، والمرادُ هنا التوارُخُ الْمُحَيَّةِ .

(٢) السُّبُ : المائع ، وكذلك ساغب وسبان .

(٣) القطمُ : الذي يُشَتِّي اللحم . والقطامي يفتحُ الثاقفَ وضمها الصقرُ .

(٤) المدرَّةُ : المدينة .

(٥) حَجَاجِيَّةٌ : حجاج بلدة في بيق .

أَزْهَرَ وَأَقْتَمَ ، وَذَا طَعْنَيْنِ : أَحَلَّى مِنِ الْعَسْكَرِ ، وَأَمْرَّ مِنِ الْعَلَقَمَ ،
وَذَا وَجْهَيْنِ : طَلْقَتِي وَشَتَّيْمَ^(١) ، وَذَا يُومَيْنِ : يَوْمَ بُؤْسٍ وَنَعْيمٍ .

وَالدَّخَامَةُ الَّتِي تَقْوُمُ بِهَا السِّيَاسَةُ ، وَيَنْصَبُ عَلَيْهَا عَمَلُ الرِّئَاسَةِ
هِيَ الْقُوَّةُ مِنْ غَيْرِ عُنْفٍ ، وَاللَّذِينُ مِنْ غَيْرِ ضَعْفٍ ، فَالرَّاعِيَةُ كَفِيرٌ
هَذِهِ زُبْدَةُ عِلَاجِهِ ، وَالسِّيَاسَةُ كَبَدَانٍ هَذَا تَعْدِيلٌ مِنْ أَجْهِهِ .

وَاجْعَلْ أَعْظَمَ كَدْكَ ، وَغَایَةَ قَصْدَكَ ، اسْتَجْلَابَ الْأَدْعِيَةِ الصَّالِحةِ
هَذِهِ الْأَيَّامُ الشَّرِيفَةُ الْمَاهِرَةُ ، الَّتِي يَخْسِدُهَا سَائِرُ الْأَيَّامِ ، وَيَتَافِسُ النَّاسُ
عَلَيْهَا فَلَا يَبِعُونَ سَاعَاتَهَا بِالْأَعْوَامِ ، أَنْ تَدُومَ لِأَهْلِهَا فَهُمْ مِنَ الْحَوَادِثِ نِي
أَمَانٍ ، وَتُطَهَّنَ لِرَوْنِيقَهَا وَنَصَارَتِهَا أَنَّهَا أَيَّامُ الْحَيَّانَ ، أَيَّدَهَا اللَّهُ بِدَوَامٍ
لَا تَمَاسُكَ لِسَحَابَهُ ، وَبِقَاءٍ لَا نَفَادَ لِحَسَابَهُ .

فَهَذِهِ مُعْظَمُ وَصَابِيَا التَّوْقِيْعِ المَذَكُورِ ، وَقَدْ تَضَمَّنَتْ مِنْ تَرْصِيعِ الْآيَاتِ
الشَّرِيفَةِ وَالْآيَاتِ الشَّعْرِيَّةِ وَالنَّكْتِ وَالْأَمْثَالِ جُمْلَةً صَالِحةً .

أَمَا الْآيَاتِ الشَّرِيفَةِ فَقُولُهُ تَعَالَى « لَا تَرَى فِيهَا عِوْجَأًا وَلَا أَمْنًا^(٢) » ،
وَقُولُهُ تَعَالَى « وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَقِّنِينَ^(٣) » وَقُولُهُ تَعَالَى « مَعَ الَّذِينَ اتَّقُوا^(٤) » وَقُولُهُ
تَعَالَى « وَلَوْ كُنْتَ فَظَّانًا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَا تَفْعَمُوا مِنْ حَوْلِكَ^(٥) » وَقُولُهُ
« وَقُولُوا لِلنَّاسِ حَسَنًا^(٦) » وَقُولُهُ « وَلِيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ

(١) شَتَّمْ : كَرِيهُ الوجهِ عَلِيسٌ . كَانَتْ بِالْأَصْلِ (شَتَّيْمَ) .

(٢) سُورَةُ طَهْ : الآيةُ ١٠٧ .

(٣) سُورَةُ الْأَعْرَافِ : الآيةُ ١٢٨ (إِنَّ الْأَرْضَ لَهُ يَرْوَثُهَا مِنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَالْمَاتِةِ
الْمُتَقِّنِينَ) وَسُورَةُ الْقَصْصِ : الآيةُ ٨٣ (تَلَكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ بِحَمْلِهَا لِلَّذِينَ لَا يَرِيدُونَ عَلَيْهَا
فِي الْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا وَالْمَاتِةُ لِلْمُتَقِّنِينَ) .

(٤) سُورَةُ النَّحْلِ : الآيةُ ١٢٨ (إِنَّمَا مَعَ الَّذِينَ اتَّقُوا وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ) .

(٥) سُورَةُ آلِ عِمَرَانَ : الآيةُ ١٥٩ .

(٦) سُورَةُ الْبَرَّةِ : الآيةُ ٨٣ .

أَمْنَا^(١) وَقُولَهُ « لَوْلَا تَمْدَدَنَ عَيْنِيكَ إِلَى مَا مَسْتَعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْهُمْ^(٢) » وَقُولَهُ : « يَأْخُذُونَ عَرَضَ هَذَا الْأَدْنَى^(٣) » وَقُولَهُ « أَهْنَكْ صِرَاطًا سَوَّيْرًا^(٤) » وَقُولَهُ « شَرَدَ بَهِمْ مَنْ خَلَفَهُمْ^(٥) » وَقُولَهُ « مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَنْ يَكُونَ لَهُ أَسْرَى حَتَّى يُشْخِنَ فِي الْأَرْضِ^(٦) ». .

نَقْلَتْهُ أَنَا إِلَى السِّيَاسَةِ فَقُلْتُ مَا كَانَ لِرَعِيمٍ أَنْ تَكُونَ لَهُ سِيَاسَةٌ حَتَّى يُشْخِنَ فِي الْأَرْضِ^(٧) . .

وَلَا يَخْفَى مَا فِي النَّقْلِ مِنْ الْلَّطَافَيْنِ . وَقُولَهُ تَعَالَى : « أَثَمَرُونَ النَّاسَ بِالْبَرِ وَتَنْسَوْنَ أَنْفُسَكُمْ^(٨) » وَقُولَهُ : « وَاقْعُدُوا لَهُمْ كُلَّ مَرْصَدٍ^(٩) » وَقُولَهُ : « صِرَاطُكُمُ الْمُسْتَقِيمُ^(١٠) » وَقُولَهُ : « وَفُوقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ^(١١) ». .

وَأَمَّا حَلَّ الأَيَّاتِ الشِّعْرِيَّةِ فَقُولُ الشَّاعِرِ :

حَالَكَ الْيَوْمَ فَوْقَ حَالَكَ بِالْأَمْسِ وَأَرْجُو لَكَ الْمَرِيدَ غَدًا^(١٢)
قَدْ تَرَنَاهُ تَخْنَقُنَا : وَأَبْرَأَ يَوْمَهُ عَلَى أَمْسِهِ ، وَأَرْبَأَ عَلَى يَوْمِهِ غَدَهُ .

(١) سورة النور : الآية ٥٥ .

(٢) سورة طه : الآية ١٣١ .

(٣) سورة الأعراف : الآية ١٦٩ .

(٤) سورة دريم : الآية ٤٢ (فاتَّبَنِي أَهْنَكْ صِرَاطًا سَوَّيْرًا) .

(٥) سورة الأنفال : الآية ٧٥ (فَلَمَّا تَنَقَّلُوهُمْ فِي الْأَرْبَابْ نَثَرَدُهُمْ بِذَكْرِهِنَّ).

(٦) سورة الأنفال : الآية ٦٧ .

(٧) جملة مكررة في الأصل حلَّفَناها .

(٨) سورة البقرة : الآية ٤٤ .

(٩) سورة التوبة : الآية ٥ .

(١٠) سورة الأعراف : الآية ١٦ (قَالَ فِيهَا أَغْرَيْتَنِي لِأَقْدَنَنِي لِمَ صِرَاطُكُمُ الْمُسْتَقِيمُ) .

(١١) سورة يرسوت : الآية ٧٦ .

(١٢) حلَّفَنِي مِنْ (فِي الْأَسْرِ) لِيَسْتَقِيمَ الْوَزْنُ .

وقول السؤال :

تسِيلُ عَلَى حَدِّ السَّيُوفِ نَفُوسًا وَلَيْسَ عَلَى غَيْرِ السَّيُوفِ تَسِيلُ^(١)
أَخْذَنَاهُ فَقَلَنَا : بِمَسَالِكِ الَّتِي سَالَتْ مِنْهَا السَّيُوفُ نَفُوسًا وَمَهْجًا .

وقول المتنبي :

وَشَيْخُ فِي الشَّابِ وَلَيْسَ شَيْخًا يُسَمَّى كُلُّ مَنْ بَلَغَ الْمَشِيَّا^(٢)
حَالَنَاهُ نَحْنُ فَقَلَنَا : وَأَوْتَيْتَ حَزَمَ الشَّيَّخُوخَةَ فِي عَنْفُوانِ الشَّابِ .

وقول قطري بن الفجاءة^(٣) من شعراء الحماسة :
أَقُولُ لَهَا وَقَدْ طَارَتْ شَعَاعًا مَنْ الْأَبْطَالِ وَيَنْحُكُ لَا تُرَاعِي
أَخْذَنَاهُ فَقَلَنَا : تَمَلَّأَ الْقُلُوبُ ارْتِياعًا ، وَتَطَيِّرُ النَّفُوسُ مِنْهَا شَعَاعًا .

وقول المتنبي :

لَا يَسْلُمُ الشَّرْفُ الرَّفِيعُ مِنَ الْأَذَى حَتَّى يُرَاقَ عَلَى جَوَانِبِ الدَّمِ^(٤)

(١) في شرح الحماسة للمرزوقي ١١٠/١ روایتیان : (حد الظبات) و (حد السيوف)
 ونسبة القصيدة إلى عبد الملك بن عبد الرسم المخارقى و السؤال بن عاديه .
 وأول الأبيات قوله :

إذا المرء لم يدنس من المؤم عرضه فشكل رداء يرتديه جميل

(٢) من قصيدة في مدح علي بن محمد بن سيار بن مكرم الشيباني التي مطلعها :
 ضروب النام عشاق ضربوا فأعذرهم أنفسهم حبيبا
 الديوان ١٠١/١

(٣) في الأصل (عمرو بن الإطناة) والصواب أن البيت من أبيات لقطري بن الفجاءة
 كما في شرح التبريزى للحماسة ٥٠/١

(٤) من قصيدة في هجاء إسحاق بن إبراهيم بن كيغلاخ مطلعها :

لهوى النفوس سريرة لا تعلم عرضاً نظرت وخلت أني أسلم
 وكان أبو الطيب قد سار من الرملة يريد أنطاكيه فنزل بطرايس وبها إسحاق هذا ، وكان
 يجالسه ثلاثة من بنى حيدرة ، فقالوا لإسحاق : أتحب أن يجاوزك ولا يمحيك ؟ وجلوا -

حلتنا فقلنا : والأموال المتميزة في أقصى الأعمال ونائيها لا تحرّم ،
إلا بارقة الدمام على جوابها .

وقول المتنبي أيضاً : « ووضع الندى في موضع الانتقام »^(١) حلاته
فقلنا : ومن الجَوْزِ الْبَيِّنِ والجَيْفِ ، وضعُ الصفح في موضع السيف .
وقد حللت هذا البيت بعبارات ثلاثة ومعنى واحد، وقد تقدم ذكرها ،
وهي : أفسدَ الأشياء لقانون الريادة ، وَضَعَ الغفو موضعَ السياسة .
والثانية فادَّى الأشياء إلى انحلال النظام ، وَضَعَ الصفح موضع الانتقام .
والثالثة هذا الموضع .

قول القائل :

لائئنة عن خلقه وتأيي مثله عار عليك إذا فعلت عظيم^(٤)
أخذناه نحن فقلنا : وألزمه بمداومة فعل الخير يكرنوا أهله ،
ولا يجعلهم من ينهى عن خلقه وبأيي مثله .

يغرونه ، فراسله أن يمدحه ، فاحتاج بيمين لغته لا يمدح أحداً إلى مدة . فقام عن طريقة يتضمن
المدة . ومات الثلاثة الذين كانوا يغرونه في مدة أربعين يوماً . فهماء المتنبي وأمل القصيدة على
من يشق به ، ثم فر إلى دمشق .
(الديوان / ٢٧٩) .

(١) يشير إلى قول المتنبي :

ووضع الندى في موضع السيف بالعلا
وقد سبق .

(٢) المشهور أن هذا البيت لأبي الأسود الدؤلي من قصيدة له أو لها :
 حسداها الفتى إذ لم ينالوا سعيه فالقرم أعداء له وخصوم
 وقد وقع في قصيدة المتوكل بن عبد الله القيسي قبة يضمهم إليه . وهو شاعر في مهد يزيد
 ابن معاوية ، وقصيده له أو لها

- للثانيات بنى الخاز رسوم فيعلن مكنته عهدهن قديم

وقول ابن هرمة :

كريم له وجهان : وجهه الذي الرضا
أُسْلِيلٌ ، ووجهه في الكريهة باسل^(١)
أخذناه فقلنا : وذا وجهين طلق وشيم .

وقول الشاعر :

له يوم بؤس فيه للناس أبؤسٌ و يوم نعيم فيه للناس أنعيمٌ
أخذناه فقلنا : ذا يومين : يوم بؤس و يوم نعيم .

وقول الشاعر :

تنافس الناس في أيام دولته فما يبعون أياماً بأعوام
أخذناه فقلنا : ويتنافس الناس عليها ، فما يبعون ساعاتها بالأعوام .

= قال شارح أبيات الإيضاح : نسب البيت إلى أبي الأسود الدؤلي والمتوكل بن نهشل بن مساقع البوطي ، ولطراوح بن حكيم ولسان بن ثابت وللأنجعلي .
وقال : الصحيح عندي أنه لأبي الأسود أو للمتوكل البوطي ، وقد رأيته في قصيدة كل منها (شرح شواهد المفتي للسيوطني وخزانة الأدب للبغدادي وشواهد العيني) .
وذكر الآكتبي في المؤتلف والختلف ١٧٩ وذكر المرزباني في معجم الشراء ٤١٠ أنه المتوكل البوطي .

(١) هو إبراهيم بن علي بن سلمة شاعر عجيد أدرك العصر العباسي .

وقد مدح المتوكل بقصيدة مطلعها :

« سرى ثوبه عنك الصبا المتخايل *
حتى انتهى إلى قوله :

له لحظات من حفاني سريره إذا كرها فيها عقاب ونائل
(الأغاني ٥/١٧٢) .

(الفلك الدائري - م ١١)

وقول النبي :

تُسِقُوا لَنَا نَسْقَ الحِسَابَ مُقْدَدًا وَأَنَّ فَذَكَ إِذْ أَتَيْتَ مُؤْخِرًا^(١)

أخذناه نحن فقلنا : بدوام لا تماشك لحسابه ، وبقاء لا نفاد لحسابه .

وأما الأمثال والنكت فقولهم . ما دخل الرفق في شيء إلا زانه .

وقول النبي صلى الله عليه وسلم في دعائه على قريش : اللهم اشدد وطأتك على مصر .

وقد صار ذلك مثلاً سائراً .

وقولهم : السياسة لين من غير ضعف ، وقوّة من غير عنف .

ويقال : إن أول من قال ذلك أبو بكر الصديق . وقولهم : هذا عصر تحسده الأعْصُرُ الحالية ، وقد جاء في الشعر كثيراً ، كقول ابن هاني : فأما الليالي السالفاتُ ففقطَعَتْ أناملَها من حسرةٍ وتندَمَ وأما الليالي الماضراتُ فادْرَكَتْ مأربَها من بهجةٍ وتَكْرَمَ وفي الفصول المذكورة من الألفاظ والنكت الجارية مجرى الأمثال ، عدا ما ذكرناه ، مala خفَاء به .

(١) من قصيدة في مدح أبي الفضل محمد بن العميد التي مطلعها :

باد هواك صبرت أم لم تصبرا وبكاك إن لم يجر دمعك أو جرى
وقبل البيت قوله :

شاهدت أرسطاليس والإسكندرأ من مبلغ الأعراب أبي بعدها
وسمت بطليموس دارس كبه متسلكاً متسلقاً متحضرأ
ولقيت كل الفاضلين كأنما رد الإله نقوسيم والأعصارا
نسقوا لنا ...

(الديوان ٢٠/١).

أي أنه جمع من الفضل ما في أولئك السابقين جميعاً ، لأنهم مفسوا متابعين متقدمين على ابن العميد ، فلما آتى كان فيه من الفضائل ما كان فيه ، مثل الحساب تذكر تفاصيله أولاً ثم تجمل التفاصيل فتكتب في آخر الحساب .

فهذه نبذة من حل المظوم ذكرناها كعجالة القرى^(١) ، وكهيئة الطارق إذا عرًا^(٢) .

إن وجدنا أدنى فُسْحَةٍ أثمننا ما شرّعنَا فيه من حل مسَيَّفَيَاتِ أبي الطيب المتنبي ، وتقريباً إلى خزانة مالك الأمر ، ووارث الدهر ، جعله الله بالنطافِيَّةِ وكراماته الخلية منوحاً ، وأعطاه من البَسْطَةِ في الملوك والسمير مالم يُعْطِي الإسكندر ونحوه .

قال المصنف : « وقد ذكر ابن سِيَان الخفاجي أن أحدَ ما يشترط في حُسْنِ اللفظة أن تكون مخارج حروفها متباudeة .

قال : وهذا باطل ، لأنَّه لو كان العلم بحسن اللفظة وقبحها مشروطاً بتباعد مخارجها أو تقاربها ، لوجب لا يُحْكَمَ على القَوْرَ بقُبُح لفظة أو حسنها حتى تُعْتَبَرَ مخارج الحروف .

ونحن نجد الأمر يعكس ذلك ؛ فإنما ساعة ما نسمعُ اللفظة نُفْتَشِي بحسنها أو قبحها . وما ذاك إلا لأنَّ هذا أمرٌ يرجعُ إلى حاسةِ السمع ، فإذا استحسنست شيئاً أو استقبحته ، وَجَدَتْ ما تستحسنَه متباعداً مخارج الحروف ، فاستحسانها واستقبحُها إنما قَبْلَ اعتبارِ المخارج لا بعده »^(٣) .

أقول : ليس بمُنْكَرٍ أن يُعَلَّمَ المعلولُ قَبْلَ العِلَّةِ ، والشروط قبل الشرط . ألا ترى أنك إذا رأيتَ الجارية الحسنة ، فإنك تستحسنها على

(١) عجلة القرى : ما يقدم في سرعة للضيف .

(٢) الطارق : من يطرق الباب ليلاً . عرًا : غشى وجاء طالباً المعروف .

(٣) المثل المائر ٢٥٧ / ١ بتلخيص .

الصورِ ، ولا يتوقفُ استحسانك إياها على أن تستحضرَ في ذهنك عليةَ الحسنِ من رقةٍ شفتيها وأنفِها وامتداد سالفتيها ، ومُخالطةِ الحرارةِ للبياض في بشرةِ وجهها ، وغير ذلك من أسبابِ الحسنِ . ولا يطعن حكمك بالحسنِ على الصورِ في تعليقِ الحسنِ بهذه الأمور؟

ومن ذلك أنه قد اعترَفَ أن كل ما تستحبه من الألفاظ تجده متقارِبًا الحروف ، وما تستحسن منها تجده متباينَ الحروف ، ولكنه زَعَمَ أنه لا يُعلَلُ الاستقباح والاستحسان بهما ، فقال له إذا كان تقاربُ الخارجِ والاستقباحُ متلازِرينَ لا يفترقانَ ، فلابدُ من أمرٍ أوْجَبَ مُلازَمتَهما ، فيمكِّنك أن تقولَ إن الاستقباحَ أوْجَبَ تقاربَ الخارجِ فيما هو متقاربُ الخارجِ ، وهو أمرٌ ذاتيٌّ له لا يتوقفُ على الاستقباح .

إذا لم يكن الاستقباحُ أوْجَبَ تقاربَ الخارجِ ولابدُ ملازَمتِه لِيَاه من سببٍ ، فلا سببٌ إلا أن يُقال : الخارجُ عليةُ الاستقباح .

قال المصنف : « وقد وجدنا ألفاظاً متقاربةً الخارج وهي غير مستحبة ، كلفظة « ملَع » إذا عَدَا وأسرع »^(١) .

أقول : إن ابنَ سِنَانَ لم يَدْعِ الاطردادَ المُطلَقَ ، وإنما قال : إن الأكثرَ الأغلبَ استقباحُ الألفاظ المتباينةُ الخارج ، إذا لم تُوجَدْ فيها عليةَ أخرى تُوجِبُ استقباحها ، والشَّاذُ لا يُعْتَدُ به .

على أن هذا لازمٌ له ، لأنَّه قد اعترَفَ أن كل لفظةٍ متقاربةٍ مخارجٍ

(١) المثل السادس ٢٦٠/١

الحروف فإنها مُستحبَّةٌ ، وإن لم يُعْتَلَنْ الاستباحُ بذلك .
فما أورده على ابن سِنان لازمٌ على ما اعترف هو به من تلازم الأمْرَيْنِ .

قال : وقد غَلَطَ أبو نُوَاسٍ في لَفْظَةِ الظَّرْفِ فَقَالَ :

اختصم الجحود والجحال فيك فصارا إلى جدال
قال هذا يَمْيِثُهُ لي للعُرْفِ والبَذَلِ والتَّوَالِ
وقال هذَاكَ وَجْهُهُ لي للظَّرْفِ والْحُسْنِ وَالْكَمالِ
فافترقا فيك عن تراضٍ كلاماً صادِقُ المقال^(١)

قال : فوصف الوجه بالظرف ، والظرف من صفات النُّطْقِ خاصة ،
وليس كما يتوهّم العامة من حسن الصورة ودَمَائِثِ الأخلاق^(٢) .

أقول : إن هذا الذي ذكره قد قاله كثيرٌ من الناس ، وقال كثيرٌ من
الناس غير ذلك ، فإن صاحب ديوان الأدب قال : الظرف الكياسة ، ولم يزد
على ذلك ، وهكذا قال صاحب الصلاح . ومعلوم أن الكياسة لا تكون
راجعةً إلى النطق اللّسانيِّي خاصّة ، وعلى كل الأحوال فأبو نواس لم يَغْلِطْ ،
لأن أدَّاءَ الظَّرْفِ وهي اللسان على ما يريدِه جزءٌ من أجزاء الوجه ، فإذا
قال الجحالُ إن وَجْهَهُ هذا المدوح لي ، لأنَّهَ مَحَلُّ الظَّرْفِ ، ومَحَلٌّ آلةٌ
الشيءِ مَحَلٌّ الشيء ، كما يقال : الرأسُ مَحَلٌّ الشَّمْ والذوق ، لأنَّهَ
مَحَلٌّ آلتَيهِما^(٣) .

(١) المثل السائر ١٩١/١

(٢) عبارة ابن الأثير : فأبو نواس غلطٌ ها هنا في أنه وصف الوجه بالظرف ، وهو من صفات النطق ، وأبُو تمام غلطٌ في أنه وصف المخلق بالظرف ، وهو من صفات النطق أيضًا ، إلا أن هذا غلط لا يوجِّب في هذه اللفظة قبصًا ، لكنه جهل بمعنِّية أصلها في وضع اللغة .

(٣) يظهر أن في العبارة سقطًا لأن جواب لماذا لم يتم .

قال المصنف : « وقد غلط أبو تمام في قوله :

وَدَمَائِهُ الْخُلُقُّ الَّتِي لَوْ مَا زَجَتْ خَلْقُ الزَّمَانِ الْفَدْمُ عَادَ ظَرِيفًا

فوصف الخلق بالظرف ، والظرف يختص باللسان والنطق»^(١) . أقول :
لو سلّمنا له ما يُريدهُ من تفسير الظرف لكان لقول أبي تمام مذمّةً
لا بأس به ، لأن تهذيب الأخلاق ورياضتها وتهليل حزنها وتدميّتها
ما يعين على حُسْنِ التَّوَصُّلَاتِ النُّطْقِيَّةِ ، ويؤثّر في تلطيفِ الألفاظ ،
وإصابةِ الأغراضِ بها .

ألا ترى أن النَّبَطِيَّ الحاففي لا يكاد يتبلّغُ أغراضه بالكلام ، ويعُسّنُ
التوصل إلى إدراك ما يَرْوِيه بلسانه ، بخلاف من قَدْ خالطَ وجَرَّبَ ،
وراضَ أخلاقه وهَدَّبَ نفسه ، فمن هذا الوجه جعل أبو تمام دمّةَ
الْخُلُقِ مُؤْثِرَةً في الظرف ، وإن كان عائدًا إلى النطق اللساني خاصّةً .

قال المصنف : « وقد ذكر ابن سِنَانَ الْخَفَاجِيَّ في كتابه أن من أوصافِ
الكلمة أن تكون مُؤْلَقةً من أقلِّ الأوزانِ تركيًّا ، وأنها إذا طالتَ
قَبُحَتْ .

(١) المثل السائر ٢٩٢/١ .

من قصيدة لأبي تمام في مدح أبي سعيد بن يوسف ، وقبل البيت قوله :
ك مفحة الخلق التي لو وزنت أجاً إذن ثقلت وكان خفيفاً
والبيت بالديوان هكذا :
وحلوة الشيء التي لو مازجت خلق الزمان القدم عاد ظريفاً
(ديوان أبي تمام ٢٠٩) .

ومثل ذلك يقول النبي :
إِنَّ الْكَرَامَ بِسْلَامٍ كَرَامٌ مِّنْهُمْ مِّثْلُ الْقُلُوبِ بِلَا سُوَيْدَةَ أَوَّلَاهَا
فَإِنْ لَفْظَةَ سُوَيْدَةَ أَوَّلَاهَا قَبِحَةٌ لِطَوْلِهَا .

قال : ليس الأمر كذلك ، فإنها لو قبحت لطولها ، لقبح قوله تعالى
« فَسِيقَفِيكُمُ اللَّهُ »^(١) ، وقوله سبحانه : « لِيُسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ »^(٢)
فإن إحداها تسعه أحرف ، والأخرى عشرة أحرف »^(٣) .

أقول : أَسْتَأْتَ قَلْتَ فِي بَابِ الْمَعَاظِلَةِ إِنَّهَا مَا وَقَعَ الْإِجَاعُ عَلَى قَبْحِهِ ،
وَقَلْتَ إِنَّهَا تَكْرِيرُ الْحُرُوفِ ، وَمِثْلُهَا بِقَوْلِ الْقَائِلِ :
• جَنَّتِي جَنَّاتٍ وَجَنَّاتٍ أَكْبِبِ .

وقولهم :
• وَلَيْسَ قُرْبَ قَبْرٍ حَرَبٍ قَبْرٍ^(٤) •

فلما نظر إلى ذلك قدر في القرآن الكريم مثل ذلك وهو قوله تعالى .
(بَسْلَامٌ مِّنَّا وَبَرَكَاتٌ عَلَيْكَ وَعَلَى أَمْمٍ مِّنْنَا مَعَكَ ، وَأَمْمٌ
شَتَّتُهُمْ ثُمَّ يَتَّسَعُونَ مِنَّا عَذَابٌ أَلِيمٌ)^(٥) .

فهذه مئات كثيرة يتخلو بعضها بعضاً ، فلما أن يكون استعمالها في
القرآن غير مُستحسن ، أو يكون مستحسناً ، فإن لم يكن مُستحسنًا مع

(١) سورة البقرة : الآية ١٣٧ .

(٢) سورة النور : الآية ٥ (وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آتَيْنَا مِنْكُمْ وَعَلَوْا الصَّالِحَاتِ لِيُسْتَخْلِفُوهُمْ فِي الْأَرْضِ) .

(٣) المثل السائر ٢٩٩/١ .

(٤) المثل السائر ٤٣٧/١ وفيه البيت كاملاً :

وَقَبْرٌ حَرَبٌ بِمَكَانٍ قَبْرٍ وَلَيْسَ قُرْبَ قَبْرٍ حَرَبٌ قَبْرٍ

(٥) سورة هود : الآية ٤٨ (قَبْلَ يَا نَوْحٍ أَهْبَطْ بِسْلَامٍ مَنْ ...) .

أنها قد استعملت ، فاختَرَ لابن سنان أن تكون الكلمة الطويلة كقوله : « لِيُسْتَخْلِفُنَّهُمْ » غير مستحسن ، وقد استُعْمِلَتْ ، وإن « كَانَتِ الْمَعَاظِلَةُ قِبِحَةً إِلَّا فِي الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ » ، فاختَرَ لابن سِنَانٍ أن يكون كثرةُ حروف الكلمة قبيحةً إِلَّا في القرآن الكريم .

وبالجملة فإنما أنْ يَكُنْ مِثْكَ مَا أَزْرَمْتَهُ ، أو تَخَلَّصَ مَا يَتَخَلَّصُ بِهِ .

— ٥٨ —

قال المصنف : « وأَكْثَرُ أَسْبَاعِ الصَّابِيِّ (١) وابنِ الْعَمِيدِ (٢) وَكَثِيرٌ مِنْ الْمُتَقْدِمِينَ وَالْمُتَأْخِرِينَ مِنَ الْكِتَابِ بِتَكْرِيرِ الْمَعْنَى بِعِينِهِ فِي السِّجْعَيْنِ الْمَزْدُوجَيْنِ ، كَوْلُ الصَّابِيِّ فِي التَّحْمِيدِ : « لَا تُخْلِقُهُ الْعَصُورُ بِمُرُورِهَا ، وَلَا تُهْرِمُهُ الدَّهُورُ بِكُرُورِهَا » .

ثم قال في ذكر النبي صلى الله عليه وسلم : « فَلِمْ يَدْعُ (٣) لِلْكُفَرِ أَثْرًا إِلَّا طَمَسَهُ وَمَحَاهُ ، وَلَا رَسْمًا إِلَّا أَزَالَهُ وَعَفَاهُ » . قال : ولا فرق بين مَحْوِي الأثر ولا تعفية الرسم ، ولا بين مرور العصور ، وكروء الدهور .
قال : ومثل قوله : « لَمْ تَرِلِ الدُّولَةُ الْعَبَاسِيَّةُ تَعْتَلَ طَوْرًا ، وَتَصِحَّ

(١) أبو إِسْمَاعِيلِ إِبْرَاهِيمِ بْنِ هَلَلَ بْنِ زَهْرَوْنَ ، كَانَ كَاتِبَ الْإِنْشَادِ فِي بَنَادِيْدِ عَنِ الْخَلِيقَةِ وَعِنْ دُولَةِ بْنِ بَخْتَيَارِ بْنِ مَعْزِ الدُّولَةِ بْنِ بَوْيِهِ ، وَتَقْلِدَ دِيَوَانَ الرَّسَائِلِ سَنَةَ ٣٤٩ وَكَانَ عَلَى مَذَهَبِ الصَّابِيَّةِ كَمَا يَدْلِلُ عَلَى ذَلِكَ اسْمُهُ ، وَلَهُ صِدَاقَةٌ مَعَ الشَّرِيفِ الرَّضِيِّ ، وَقَدْ اشْتَهَرَ بِكتَابَهِ الْمَسْجُوَّةِ ، وَلَهُ رَسَائِلٌ مُطَبَّوعَةٌ (وفَيَاتُ الْأَعْيَانِ ١/١٢ وَيَتِيمَةُ الدَّهْرِ ٢/٢٣ وَمُعْجمُ الْأَدِيَّاءِ ١/٤٢).

(٢) أبو الفضلِ مُحَمَّدِ بْنِ الْعَمِيدِ . وَالْعَمِيدُ لِقَبُّ أَبِيهِ عَلَى عَادَةِ أَهْلِ خَرَاسَانَ فِي التَّعْلِيمِ كَانَ وزِيرًا لِرَكْنِ الدُّولَةِ الْحَسَنِ بْنِ بَوْيِهِ وَاللهُ عَزِيزٌ بِالْوَلَةِ سَنَةَ ٣٢٨ وَكَانَ مُتَوَسِّمًا فِي الْفَلَةِ وَالْجَوْمِ وَالْأَدَبِ حَتَّى سَمِعَهُ الْأَسْتَاذُ وَالرَّئِيسُ وَالْمَاحَظُ الثَّانِي . وَهُوَ صَاحِبُ مَذَهَبٍ فِي التَّرِ شَهُورٍ (وفَيَاتُ الْأَعْيَانِ ٤/١٨٩).

(٣) فِي الْمُثْلِ السَّائِرِ (لَمْ يَرِ لِلْكُفَرِ) .

أطواراً ، وتلئاتُ مِرَّةٍ وتسقِلُّ مِرَّاً ، من حيث أصلُّها راسخٌ لا يتزعزع ،
وبُنيانُها ثابتٌ لا يتضاعفُ .

قال : وهذه الأسجاع كلها متساوية المعاني ، فإن الاعتلال والالتباث
والطور والمرة والرسوخ والنبات سواء . ثم ذكر عدة مواضع من كلامه
يجرئ هذا المجرى «^(١)» .

أقول : هذه سُنَّةُ الْكُتُبِ وعادتهم ما زالوا عليها قدِيمًا وحديثًا ،
وهم يرون ذلك من باب سعَةِ العبارة ، والاقتدار على الألفاظ .
ثم إن السجعة الثانية تؤكِّدُ معنى الأولى ، والتأكيد عمدةُ البيان
والكتاب ، ولذلك أحَبُّوا فيها الإطالة ، وفي الشعر الاختصار .

ولهم في هذا الباب عُذرٌ يتضمن تعليله . والسبب الذي لأجله توَسَّعُوا
في عباراتِ الكتابةِ وأسْهَبُوا ، واقتصرُوا في النَّظَمِ واختصروا ، أن
القرآن الكريم وهو على غاية الإيجازِ والاختصار قد تضمن ذلك في كثير
من الموضع نحو قوله : (أَعُوذ بِرَبِّ النَّاسِ مَلِكِ النَّاسِ إِلَهِ النَّاسِ) ^(٢)
فالربُّ هنا والملك والإله بمعنى ، فكل واحدة من هذه السجعات قد
أعطتْ معنى الأخرى .

ومثل قوله : (لَنُخْرِجَ بَهَ حَبَّاً وَنَبَاتًا وَجَنَاتًا لَفَافًا) ^(٣) . فإن
الجنات هي البساتين ، ولا معنى للبساتين إلا ما كان محتوياً على الحب
والنبات .

(١) المثل السائر ٤١٩/١ منه أصلحنا النص .

(٢) سورة الناس .

(٣) سورة النبأ : الآيات ١٥ ، ١٦ .

ومثل قوله : (إِنَّمَا كَانُوا لَا يَرْجُون حِسَاباً، وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا كَذَّاباً^(١))
فإن عدم اعتقادهم للحساب هو تكذيبهم بالآيات .
ومثل هذا في القرآن العزيز كثير جداً .

فإن قلت : يمكن أن يقال إن الملكَ غَيْرِ إِلَهٍ ، لأنَّ أميرَ كلِّ بلدة
يُوصَفُ بأنه ملكها ، ولا يُوصَفُ بأنه إلهها ، وكذلك رب الدار لا يقال له
إِلَهُهَا ، وأيضاً يمكن أن يُقال إنه أراد بالحُكْمِ الأقواء ، وبالنبات مالا
ساقَ له من الشجر ، وبالجِنَّاتِ ماله ساقٌ ، وغير ذلك من التأويلات .

قُلْتُ : إذا شرعت في هذا كان لقائل أن يقول إن قول الصابي :
«لَا تُخْلِقُهُ الْعَصُورُ» غير قوله «لَا تُهْرِمُهُ الدَّهْرُ» ، لأنَّ الهرم إنما يكون
للحِيَ الخثار ، والإِخْلَاقُ أَعْمَمُ من ذلك ، لأنَّه يكون للجهاد ، فزاد أنه
لَا تُغَيِّرُهُ الأوقاتُ ؛ على كلا مذهبِ المتكلمين والحكماء .

وقوله : «لَمْ يَدَعْ لَهُ أثَاراً مِنْ آثارِ الْدِيَارِ وَالْأَمَاكِنِ وَلَا رِسْمَاً» من
قوفهم : قد رسمت لك في هذا الكتاب رسوماً فاعمل بها . وأيضاً فإنَّ تَعْتَلَ
غير تَلَّكَاتٍ ، لأنَّ الالْتِيَاثِ الضَّعْفُ فقط ، وإن لم يكن عن عَلَةٍ ، ولذلك
أَعْقَبَهُ بقوله تَسْتَقِيلٌ ، كما أَعْقَبَ الْاعْدَالَ بالصَّحَةِ . ومِثْلُ هذه
الْتَّدْقِيقَاتِ الْحَقِيقَةِ في التأويلات لا يتعذر تحصيلها على من عنده فِيْقَهٌ
في موارد هذه الصناعة .

قال المصنف : «والتَّصْرِيبُ سَبْعَةُ أَنْوَاعٍ^(٢) .

الأولُ : أن يستقل كلُّ واحدٍ من المصْرَاعيْنِ بنفسه استقلالاً تاماً ،

(١) سورة البأ : الآيات ٢٧ ، ٢٨ .

(٢) المثل السائر ٣٢٥/١ .

وهو التصريح الكامل ، كقول امرئ القيس :
 أفأطِمُ مهلاً بعْضَ هذَا التَّسْدِيلِ وَإِنْ كُنْتَ قَدْ أَرْبَعْتَ هَجْرَى فَأَجْمِلِي^(١)

وقول المتنبي :

إذا كان مدحُ فالنَّسِيبُ الْمُقْدَمُ أَكَلَ فَصَبَحَ قَالَ شَعْرًا مُشَيْمٌ^(٤)
 الثاني : أن يكون المصراع الأولُ مستقلًا بنفسه ، والثاني غير مستقل
 بنفسه ، بل يكون مرتبطاً بالأول كقول امرئ القيس :

قِفَا نُبُكِّيْ من ذِكْرِيْ حَبِيبِيْ وَمَنْزِلِيْ
 يَسْقُطِيْ اللَّوْيِيْ بَيْنَ الدَّخْنُولِ فَحَوْمِلِيْ^(٣)

وقول أبي تمام :

أَلْمَ يَأْنِيْ أَنْ تُرُوِيَ الظَّاءُ الْحَوَامُ وَأَنْ يَنْظِمَ الشَّمْلُ الْمَبَدَدَ نَاظِمُ^(٤)
 والثالث : أن يُمْكِنَ وَاضْعُفَ كُلَّ وَاحِدٍ من المصراعين موضع
 الآخر ، وهو (التصريح الموجهة) ، كقول ابن الحجاج :
 من شروط الصَّبُوحِ فِي الْمِهْرَاجَانِ خِفَّةُ الشَّرَبِ مَعَ خَلُوِ الْمَكَانِ^(٥)
 وهذا في الجودة كالنوع الثاني .

والرابع : أن يكون المصراع الأول [غير مستقل]^(٦) [بنفسه ، ويفتقرب لهم
 معناه إلى الثاني وهو مذموم ، ويسمى التصريح الناقص ، كقول المتنبي :

(١) من ملقطته .

(٢) مطلع قصيدة في مدح سيف الدولة .
 الديوان ٢٤٩/٢ .

(٣) مطلع المعلقة .

(٤) مطلع قصيدة في مدح أنس بن أبي دواد .
 الديوان ٢٨٥ .

(٥) يتيمة الدهر ٦٥/٣ .

(٦) في الأصل «مستقل» وهو خطأ - وانظر المثل السائر ٣٧٧/١ .

معنى الشعب طيباً في المغاني بمتزلق الربيع من الزمان^(١)
والخامس : أن يكون التصريح بلفظة واحدة في الصرب والعروض ،
إما حقيقة ، كقول عَبِيدِر بن الأبرص :
وكل ذي غيبة يتذوب وغائب الموت لا يتذوب^(٢)
وإما مجازاً ، كقول أبي تمام :
فني كان شريا للعفاة ومُرْتَنِي فأصبح للهندية البيض مرتعا^(٣)
وال السادس : أن يُدْكَر مصراع الأول ويكون معلقاً على صفة يأتي
ذكرها في أول المصراع الثاني ، ويسمى « التصريح المعلق » ، وهو مَعِيبٌ
 جداً ، ومثله قول أمريء القيس :
ألا أيها الليل الطويل ألا انجل بصريح وما الإصلاح منه بأمثل^(٤)
فإن المصراع الأول معلق على قوله بصريح .
ومثله قول المتنبي :
قد عَلَمَ الْبَيْنَ مِنَ الْبَيْنَ أَجْفَانَا تَدَمِي وَأَلْفَ في ذَا الْكَلْبِ أَحْرَانَا^(٥)

(١) مطلع قصيدة في مدح عصدة الدولة ولديه ، ووصف شعب يوان .
الديوان ٤٨١/٢ .

(٢) من قصيدة التي مطلعها :
أفتر من أهله ملحسوب فالقطييات فالذئب
(٣) من قصيدة في رثاء أبي نصر محمد بن حميد الطائي التي مطلعها :
أصم بك الناعي وإن كان أслуша وأصبح مغني الجور بذلك بلقما
الديوان ٣٧٤ .

العناء : طلاب العطاء . مرتعن : موضع رعي . مرتع : مسرح .
(٤) من مطلعته .

(٥) مطلع قصيدة في مدح أبي سهل سعيد بن عبد الله الأنطاكي .
الديوان ٤٥٧/٢ .

يريد أن الفراق قد علم الأبغاث الفراق ، فهاتنتقي سيرا ، وجمل الفراق يؤلف الحزن
إنغراياً في الصنة .

فإن المصراع الأول مُعلَّقٌ على قوله تدми .

والسابع : أن يكون التصریع في البيت مخالفًا لفافته، ويسمى « التصریع المتنظم » ، وهو أقبح التصریعات ، كقول أبي نواس :

أَلْتَنِي قَدْ تَدِمَّتْ عَلَى الدُّنْوَبِ وَبِالْإِقْرَارِ عُذْتُ مِنَ الْجُحُودِ^(١)

أقول : إن النوع السادس عند التحقیق هو النوع الثاني ، فإن كان الثاني جيداً كما زعم فالثاني معيب .

بيانه أن المصراع من النوع السادس مستقلٌ بنفسه ، غيرٌ محتاجٍ إلى الذي يليه أصلًا ، لأنَّه لو وَقَفَ على قوله . « أَلَا أَبِي اللَّيلِ الطَّوَيْلِ أَلَا إِنْجَلِ » لكان مفيداً ، لأنَّه سأَلَ اللَّيلَ أَنْ يَنْجِلَ وَيُنَكْشِفَ ، وهذا كلامٌ تامٌ مستقلٌ بنفسه ، كقوله : « قَفَا نَبَكَ مِنْ ذَكْرِ حَبِيبٍ وَمَتَرَلْ » بل أَنَّمَا استقلالاً منه ، لأنَّه إذا ذَكَرَ الحبيبَ والمنزَلَ وَلَمْ يَسْتَعْثِمَا كَانَ الْكَلَامُ يَخْرُجُ عَنِ الْإِفَادَةِ . وَقَوْلُهُ لِلَّيلِ : « أَلَا إِنْجَلِ » معناه واضحٌ ، كأنَّه قَالَ مَا أَطْوَلُكَ يَا لَيْلُ فَانْكَشِفْ ! .

وبيت النبي مثل هذا ، بل أَنَّمَا استقلالاً ، لأنَّ قوله « قَدْ عَلِمَ الْبَيْنُ » مِنَ الْبَيْنِ أَجْفَانَا « كَلَامٌ حَسَنٌ مُفِيدٌ » عندَ مَنْ يَفْهَمُ مَعْنَاهُ ، وَمَعْنَى هَذَا الْمِصْرَاعُ أَنَّ الْبَيْنَ قَدْ عَلِمَ أَجْفَانَا الْبَيْنَ ، أَيْ فِرَاقُ الْأَحْبَابِ قَدْ عَلِمَ أَجْفَانَا أَنْ يَفْارِقَ بَعْضَهَا بَعْضًا .

وَهَذَا مَعْنَى لَطِيفٌ ، وَكَلَامٌ حَسَنٌ مُسْتَقْلٌ بِنَفْسِهِ ، لَا حاجَةٌ لَهُ إِلَى الْمِصْرَاعِ الثَّانِي ، وَلَا هُوَ مُعَلَّقٌ عَلَيْهِ أَصْلًا .

(١) أحد بيتهما كتب بها إلى الفضل بن الربيع ، والبيت الآخر هو :
وَإِنْ تَصْفُحْ فَاجْسَانْ جَدِيدْ سَبَقَتْ بِهِ إِلَى شَكْرِ جَدِيدْ
الديوان

وليس قوله « تَدْمَى » يوجب تَعَلُّقَ المِصْرَاعِ الْأَوَّلِ عَلَيْهِ ، لأنَّ مَوْضِعَهُ التَّصْبِ ، مِنْ حِيثُ كَانَ صَفَةً لِقولِهِ « مِنْزَلٌ »^(١) فَلَا فَصْلَ بَيْنَ الْمَوْضِعَيْنِ .

وَاعْلَمُ أَنَّهُ قَدْ أَخْلَى فِي أَقْسَامِ التَّصْرِيعِ بِقَسْمَيْنِ آخَرَيْنِ : أَحَدُهُمْ أَنْ يَكُونَ مَعْنَى الْمِصْرَاعِ الْأَوَّلِ مُبَايِنًا لِمَعْنَى الْمِصْرَاعِ الثَّانِي بِالْكُلْيَّةِ ، لَا رَابْطَةٌ بَيْنَهُمَا ، كَفُولُ الْمَتَّبِيِ :

جَلَلًا كَمَا بِي فَلَيْسَكُ التَّبَرِيرُ
أَغْيَادَهُ ذَا الرَّشَّا الأَغَنُ الشَّيْخُ^(٢)
فَإِنَّهُ لَا مُنْسَابَةَ بَيْنَ صَدْرِ الْبَيْتِ وَعَجْزُهُ ، وَإِنْ ثَبِّتَ أَنَّ بَيْنَهُمَا مُنْسَابَةَ
كَمَا قَدْ تَكَلَّفَهُ قَوْمٌ فَإِنَّ الْغَرَضُ الْمِثَالُ ، وَإِنَّمَا الْغَرَضُ التَّشْبِيلُ .

وَهَذَا غَيْرُ الْقَسْمِ الْأَوَّلِ الَّذِي ذُكِرَهُ الْمَصْنَفُ ، لَأَنَّ قَوْلَهُ « وَإِنْ كُنْتَ قَدْ أَزْمَعْتَ هَجْرِيَ فَأَجْمَلِي » لَهُ ارْتِبَاطٌ مَعْنَوِيٌّ فِي الْجَمْلَةِ بِقَوْلِهِ « أَفَاطَمْ مَهْلَا » وَتَقْدِيرِ الْكَلَامِ إِنْ كَانَ صَدْكُ دَلَالًا فَأَمْهَلَيْهِ مِنْهُ ، وَإِنْ كُنْتَ قَدْ أَزْمَعْتَ الْهَجَرَ وَالْقَطْبِيَّةَ بِالْكُلِّيَّةِ فَأَجْمَلَيْهِ مِنْ ذَلِكَ .

وَالْقَسْمُ الثَّانِي التَّصْرِيعُ فِي الْعَرْوَضِ بِحَرْكَةِ تَخَالُفِ حَرْكَةِ الْفَصْرُوبِ ، نَحْوُ أَنْ يَكُونَ أَحَدُهُمَا بِالرَّفْعِ وَالْآخَرُ بِالْمَنْزَلِ ، كَفُولُ أَبِي نَوَاسِ :

(١) هَكُذا بِالْأَصْلِ وَلِعَلِ الْصَّوَابِ (مِنْ حِيثُ كَانَ صَفَةً لِقولِهِ أَبْغَانًا كَمَا أَنْ يَسْقُطَ الْلَّوْيِ صَفَةً لِقولِهِ مِنْزَلٌ) .

(٢) مَطْلُعُ قَصِيْدَتِهِ فِي مَدْحُ مَسَاوِرِ بْنِ مُحَمَّدِ الرُّومِيِّ .

الْدِيْوَانُ / ١٦٤ وَمِنْهُ أَصْلَحْنَا الْبَيْتَ .

الْحَلَلُ : الْأَمْرُ الْمُظْمِنُ . التَّبَرِيرُ : أَبْلَهَهُ وَالشَّدَّةُ . الرَّشَّا : وَلَدُ الظَّبَّةِ . الشَّيْخُ : زَيْبُ طَيْبِ الرَّاجِعَةِ .

اختصم الحسنُ والجمالُ فيك فصارا إلى جدالٍ
وهذا يخالف القسم السابع الذي ذكره المصنف ، لأن ذلك اختلافُ
الحرفين ، وهذا اختلاف الحركتين .

قال المصنف : « فأما التجنيس ^(١) فهو أن يكون اللفظ واحداً والمعنى
مختلفاً . وهذا ينقسم إلى أقسام يدخل فيها ما هو التجنيس الحقيقي
وما يُشَبِّهُ به .

قال : وقد يُظنَّ أن قول أبي تمام :
أظنَ الدمعَ في خَدَي سَيْبَقِي رسمًا من بكائي في الرسمِ
من هذا الباب نظراً إلى مساواة اللفظ ، وهو غلطٌ ، لأن المعنى غيرُ
مختلفٍ فيهما ، ومن شرط التجنيس وما يشابهه اختلافُ المعنى مع تماثلُ اللفظِ
ثم قال : فمثلاً التجنيس الحقيقي قول أبي تمام :
من القوم جَعْدٌ أَيْضُّ الوجه والنَّدَى

وليس بَنَانٌ يُجْتَدَى منه بالجَعْدِ ^(٢)

قال : الجَعْدُ : السيد ، ويقال للبخيل إنه الجَعْدُ البنانِ . قال : ومثل
قوله :

كم أحرَزَتْ قُضُبُ الهنديِّ مُصلَّةَ تهْنَتَةَ في كُثُبِ

(١) المثل السائر ٣٧٩/١ وما بعدها يلاحظ .

(٢) من مصيدة يدح بها حفص بن عمر الأزدي .

يَبْسُّ إِذَا أَنْشَفْتَ مِنْ حُجْبِهَا رَجَعَتْ

أَحَقُّ بِالبَّيْضِ أَبْدَانًا مِنْ الْحَجْبِ^(١)

قال : فالقصب : السيف ، والقصب : القدوة ، والبيض^(٢) :
السيوف ، والبيض : النساء^(٣) .

أقول : إن لفظي قصب في البيت الأول ، ولفظي البيض في البيت الثاني ، خارجة عن باب التجنيد بالكلية ، لأن القصب جمع قضيب ، وهو العود الرشيق من الشجرة ، هذا هو حقيقة هذا اللفظ في أصله وضنه ، وإنما سمي السيف به مجازاً أيضاً .

ولا تظن أن تسمية السيف قضيماً من حيث كان قاطعاً ، من القصب وهو القطع ، فيكون فعيل بمعنى فاعل ، كقدر وعلم ، لأنهم لو كانوا أرادوا ذلك لسموا السيف العظيم العرض قضيماً ، وما رأيناهم سموه بذلك ، وإنما سموا به السيف اللطيف .

ومثل ذلك البيض فإنه ليست من أسماء النساء ، والبيضاء ومرأة لفظين متراجنان كل المؤمن والمحكوك^(٤) ونحوها ، ولا البيض من أسماء السيف ولا سمعنا أن الأبيض اسم السيف ، كما أن البلاس اسم الأسد ، وإنما البيض عبارة عن أشياء ذات بياض فقط ، ثم استعيرت اللفظة للسيوف والنساء

(١) أصلحنا البيتين من المثل السائر ومن الديوان ١٠ والبيتان من قصيدة في مدح المعتصم لما فتح عمورية وعلمهها :

السيف أصدق أبناء من الكتب في حده الخد بين الجد واللعب

(٢) المثل السائر ٣٨١/١ ونص عبارة ابن الأثير : « فالقصب السيف والقصب القدور على حكم الاستمارة ، وكذلك البيض السيف ، والبيض النساء » .

(٣) من معاني المؤمن المصدق والوازن والخاضع وقابل الشريعة .

ومن معاني المحكوك المكان الغاية الصلب أو السهل ضد . والسين والمagen .

صفة لا انتها . وهذا أمر خارج عن باب التجنيس ، ولو كان هنا من التجنيس لوجب إذا قيل في الليل أسود ، وفي الليلة سوداء ، وفيأسود من قوله عني الأسودان أن يكون هذا تجنيناً ، ولم يقل ذلك أحد ، لأن هذه الصفات تختلف موصفاتها ولا تختلف هي .

فلين كان مثل هذا تجنيناً ، فليكن بيت أبي تمام الأول تجنيناً ، لأن رسوم الدمع هي مجازيه وآثاره ، ورسوم الدار جمع رسم وهو مصدر رسمت الدار ، أبي عقبيتها قال :

* أَمِنْ رَسْمِ دَارِ مَرْبَعٍ وَمَصِيفُ *

وهذا أشد اختلافاً من البيض والبيض ، والقصب والقصب .

— ٦١ —

قال المصنف : « ومن التجنيس أيضاً قول أبي تمام :
أناس إذا ما استلهم الروع صدّعوا
صُورَ العُولَى في صدور الكثائب ^(١)
قال : فلفظ الصدور في البيت واحد والمعنى مختلف .

أقول : وهذا أيضاً من القرار الأول الذي قلنا إنه ليس بتجنيس ، لأن الصدر اسم لهذا العُضُور المخصوص ، لكنه لما كان هو مقدمة الإنسان ، نُقل إلى صدور العوالي ، وهي رعوسعها وما يتقدّم منها ، وإلى صدور الكتاب ، وهي ما يتقدم منها أيضاً ، فالمعنى واحد في الموضعين ، وإذا اتحد المعنى خرج عن باب التجنيس .

(١) المثل السادس ٣٨١ من قصيدة لأبي تمام في مدح أبي دلف القاسم بن عيسى العجل مطلعها : على مثلها من أربع وملعب . أذيلت مصنونات الدسوقي السواكب صدعوا : شققاوا . العوالي : الرماح . الكتاب : الجيوش .
(الفلك الدائر - م ١٢)

قال المصنف : « ومن أقسام التجنيس أن يقع الاختلاف في الوزن والتركيب بحرف واحد ، كقول محمد بن وهيب :

فَسَمِّتَ صُرُوفَ الدَّهْرِ بِأَسَا وَنَاثَلًا فَإِلَكَ مُوتَوْرٌ وَسَيْقَنُكَ وَاتِّرٌ »^(١)

أقول : إن إدخال هذا البيت في التجنيس من طريف الأشياء ، فإن المعنى في الكلمتين واحد ، وإنما يختلف الفاعل وصيغة المفعول كالمضروب ، ولو كان هذا تجنیساً لوجب أن يكون قوله القائل : « ضربت زيداً بالعصا ضرباً فلتقي المضروب بالضارب » قد تتضمن التجنيس في أربعة مواضع : الفعل ، والمصدر ، واسم الفاعل ، واسم المفعول . وهذا مما لم يذهب إليه ذاهب .

قال المصنف في باب الموازنة : « مما جاء في الموازنة شعراً قول الأول ^(٢) : إنْ يَقْتُلُوكَ فَقَدْ ثَلَثْ عُرُوشَهُمْ بُعَتَبَيْبَةَ بْنِ الْحَارِثِ بْنِ شَهَابٍ بِأَشَدِهِمْ بِأَسَا عَلَى أَعْدَائِهِمْ وَأَعْزَّهُمْ فَقَدْ أَعْدَاهُمْ فَإِنْ يَأْسَا وَفَقَدَا عَلَى وزنِ وَاحِدٍ ».

أقول : إنه قال في أول قسم الألفاظ المركبة : « إن صناعة تركيب الألفاظ والمعاني تنقسم إلى ثمانية أقسام : منها السجع وهو يختص بالمشور ،

(١) المثل السائر ٣٩٢/١

(٢) المثل السائر ٤١٧/٤ ، والبيان لريبيعة بن عبيد بن سعد بن جذعة بن مالك بن نصر ابن قعين أحد بنى أسد . وريبيعة هذا هو أبو ذراقة الأسدي . وقد نسب الشعر في حمامة أبي تمام ٣٥٤ لرجل من بنى نصر بن قعين . وفي الحمامة والمثل السائر (على أصحابه) بدلاً من (على أعدائهم) .

ومنهما التصريح وهو مختص بالمنظوم ، ومنهما التّجّنيس وهو عامٌ لها ،
ومنهما الموازنة وهي تُختَصُّ بالمشور^(١) .

وهو هنا يُذكُرُ أن في الشعر موازنة ، وذلك تَقْضِيْنَ لَا قَدَّمَه .

قال المصنف في الكلام عن الصناعة المعنوية : « وصاحبُ هذا الفنُ لا يحتاجُ إلى ما ذكره الحكماء في علم المنطق في الشعر . وقد قرأتُ كلام أبي عليِّ ابنِ سينا في المنطق، وتأملتُ ما قاله في الشعر فوجده يقول : إن ذلك يُورَدُ على مُقدَّمين ونتيجة . قال وقد كان ابن سينا ينظم الشعر ، ولا يرتبه عند إفاضته في صَوْغِه بالأصالة ، لأنَّه لم تَخْطُرْ المقدمتان والنتيجة له بِيَال ، ولو أنه استحضر المقدمتين والنتيجة ، ثم أتى بالنظم والثر بعدها لم يأت بشيءٍ يُشْتَفِعُ به ، وإنما هذه فَقَاقِعٌ وألفاظ طَوَّلَ الْقَوْمُ بِهَا كَتُبُوهُمْ^(٢) .

(١) المثل السائر ٣٠٧/١ ..

(٢) ملخص من المثل السائر ٢/٧ قال ابن الأثير : أعلم أن المعاني الخطابية قد حصرت أصولها ، وأول من تكلم في ذلك حكاه اليونان ، غير أن ذلك الحصر كلي لا جزئي ، وحال أن تحصر جزئيات المعاني وما يتفرع عليها من التفريعات التي لا نهاية لها ... ولقد فاوضني بعض المتكلسين في هذا ، وانساق الكلام إلى شيء ذكره لأبي علي بن سينا في الخطابة والشعر ، وذكر ضربا من ضروب الشعر اليوناني ، وقام فأحضر كتاب الشفاعة لأبي علي ووقفني على ماذ ذكره ، فلما وقفت عليه استجهلته ، فإنه طول فيه وعرض ، كأنه يخاطب بعض اليونان ، وكل الذي ذكره لنؤلا يستفيد به صاحب الكلام العربي شيئاً .

ثم مع هذا جيئه فإن معمول القوم فيها يذكر من الكلام الخطابي أنه يورد على مقدمتين ونتيجة ، وهذا مما لم يخطر لأبن سينا بِيَال فيها صاغه من شعرو كلام مسجوع ، فإن له شيئاً عن ذلك في كلامه عند إفاضته في صوغ ما صاغه لم تخطر المقدمتان والنتيجة له بِيَال . ولو أنه فكر أولاً في المقدمتين والنتيجة ، ثم أتى بنظم أو ثُر بعد ذلك لما أتى بشيء ينتفع به ، ولطاب الخطاب عليه .

بل أقول شيئاً آخر : وهو أن اليونان أنقسموا لما نقلوا ما نظموه من أشعارهم لم ينظموه في وقت نظمها وعندئم فكرة في مقدمتين ولا نتيجة ، وإنما هذه أوضاع توضع ، وتطلول بها مصنفات كتبهم في الخطابة والشعر ، وهي كما يقال فقاعع ليس لها طائل ، كأنها شعر الإيموردي .

أقول : هذه جنائية عجب الإنسان بنفسه ، وذلك أن الإنسان يدعوه فترط اعتقاده في نفسه ، وشغفه بما يخطر له أن يتكلم على قوم لا يعرف أقوالهم ، ولا يحصل معنى اصطلاحاتهم ، فضلاً عن أن يبلغ رغبتهم ، ويترافق درجتهم ، إلى أن ينقض عليهم ، فيقع هذا الموضع .

وليس مراد القوم بالشعر ما يتوهمه .

والذي يريدونه بالشعر يأتي في كل قياس مخيّلٍ يتعلّم العاقل كذبه ، لكنه يُحدِثُ له مع ذلك نوعَ قبضٍ أو بسطٍ أو إقدام أو إحجام ، كما يقال : لا تأكلوا العسل ، فإنه ثمرة مقيمة^(١) ، أو يقال للحلواء الرطبة المزَعْفَرَة : لا تأكلها فإنها غائط . فالعقل والحس يكذبان هذا الكلام الذي هو في قوة قياس ، صورته هكذا : كل غائطٍ فهو غير مأكولة . ومع علمه بكذبه ينتَبِضُ عن الأكل . وأكثر إقدام الناس وإحجامهم بسبب هذه التخيّلات والأوهام ، وهي الأقىسة الشعريّة التي يذكرونها ، وإنما سُمِّيت شعريّة لمشابتها مقاصد الشعراء في تخيلاتهم وتزويقاتهم .

وأما تَوَهُّمِه أن الشاعر يحتاج وقتاً نظم الشعر إلى استعمال مقدمتين ونتيجة ، وقوله : إن ابن سينا كان ينظم شعراً ولا يُرتَّب المقدمتين وقتاً نظمه ، فتَوَهُّمٌ بعيدٌ ، وإن كان القوم عنده بهذه الصورة ويراهن بهذه العين فإنه لم يَعْرِفُهم ..

(١) ثمرة مقيمة ، يتفق هذا مع قول الشاعر :
تقول هذا بجاج النحل تمدحه وإن ذمت فقل في الزقابير
وكان بالأصل (مرة مقيمة) .

قال المصنف : « وقد تَصَفَّحْتُ كتابَ الْمُحَسَّنِ لِأَبْنِي الفَتْحِ ابْنِ جِنْيَى ، فوجدته قد ذكر في المجاز شيئاً يَسْتَطِرِقُ النَّظرُ إِلَيْهِ ، وذلك أنه قال : لا يُعْدَلُ عن الحقيقة إِلَى المجاز إلا لِمَعْنَى ثَلَاثَةٍ : وَهِيَ الاتِّساعُ ، والتَّشِيهُ ، والتَّوْكِيدُ ، فإنَّ عَدِمَتْ هَذِهِ الثَّلَاثَةِ كَانَتِ الْحَقِيقَةُ أَبْيَثَةً » . فمن ذلك قوله تعالى : « وأدخلناه في رحمتنا » ^(١) .

فهذا الكلامُ اجتمعَتْ فِيهِ المَعَانِي التَّلَاثَةُ المَذَكُورَةُ .

أما الاتِّساعُ فإنه زاد في أسماءِ الْجَهَاتِ وَالْمَحَالِّ اسْمًا هو الرَّحْمَةُ .
وأما التَّشِيهُ فإنه شبه الرَّحْمَةَ – وإنْ لمْ يَصِحَّ الدُّخُولُ فِيهَا – بما يَصِحُّ الدُّخُولُ فِيهِ .

وأما التَّوْكِيدُ فإنه أَخْبَرَ عَنْ لَا يُدْرِكُ بالخَاصَّةِ بِمَا يُدْرِكُ بالخَاصَّةِ تَعْلِيَّاً بِالْمُخْبَرِ عَنْهُ ، وَتَفْخِيمًا لَهُ ، إِذْ صَيْرَ بِمَنْزِلَةِ مَا يُشَاهِدُ وَيُعَايِنُ .
قال : والكلامُ عَلَيْهِ مِنْ ثَلَاثَةِ وَجُوهٍ : أَوْلُهَا أَنْ جُعِلَ وَجُودَ هَذِهِ الْمَعَانِي التَّلَاثَةِ سِبَباً لِوُجُودِ الْمَجَازِ ، وَعَدَمَهَا سِبَباً لِعدَمِهِ ، وَهَذَا خَطَأً ، فإِنَّهُ لَيْسُ بِوُجُودٍ [هَذِهِ التَّلَاثَةُ سِبَباً لِوُجُودِ] ^(٢) الْمَجَازِ بِلِ وُجُودِ وَاحِدٍ مِنْهَا أَيْمَانًا كَانَ سَبَبَ وَجُودِهِ . وَأَيْضًا فَلَوْ كَانَ وَجُودُ هَذِهِ الْمَعَانِي التَّلَاثَةِ سِبَباً لِوُجُودِ الْمَجَازِ لَكَانَ عَدَمُهُ أَحَدُهَا كَانَ سِبَباً لِعدَمِهِ ، كَمَا إِذَا قَلَنا : لَا يَوْجِدُ الإِنْسَانُ إِلَّا بِأَنْ يَكُونَ حَيْوَانًا نَاطِقًا ، وَالْحَيْوَانِيَّةُ وَالنُّطُقُ سَبَبُ وَجُودِ الإِنْسَانِ ، فَإِذَا عَدِمَ وَاحِدًا مِنْهُمَا بَطَلَ أَنْ يَكُونَ إِنْسَانًا ، وَكَذَلِكَ كُلُّ صَفَّةٍ تَكُونُ

(١) بِالْأَصْلِ (وَأَدْخَلَنَا) .

(٢) مَا بَيْنَ قَوْسَيْنِ زِيَادَةً يَهْتَضِيْهَا السِّيَاقُ .

مُقْوِيَةً لوجود شيء من الأشياء ، كان وجودها يُوجب وجود ذلك الشيء ،
وعدم واحد منها يُوجب عدمه ^(١) .

أقول : ليس مراد أبي الفتح – رحمة الله – ما ظنه ، فكيف يذهب
إلى أن يقول : المجازية متوقفة على اجتماع هذه الأمور الثلاثة ؟ وقد حصرت
ضرب أمثلة كثيرة للمجاز في كتابه هذا ، وكل موضع منهاختص
بوحدة من هذه الثلاثة فقط ، وإنما ذكر هذه الآية ليُبيّن بها أنه قد وجد
مَوْضِعًا اجتماع فيه الشروط الثلاثة التي يتوقف المجاز عليها لمعان ثلاثة ،
مثل قوله في كتاب اللسمع : والكلام كله ثلاثة أشياء ، اسم و فعل و حرف ،
فإنه لا يُريد أن كل لفظة من الكلام يَجْتَمِعُ لها أن تكون اسمًا و فعلًا
و حرفًا ، إنما مراده أن كل لفظة من الكلام فإنها لا تخلو عن هذه الأنواع
الثلاثة ، بل تكون واحداً منها أيها كان ، ولكنه يتسامح في اللفظ اعتقاداً
على فهم السامع ، وثقة بأن مثل هذا الكلام لا يزال الناس يستعملونه
في حماوراتهم .

فأما قوله : « فإذا عُدِمتْ هذه الثلاثة كانت الحقيقة الْبَيْتَةَ لَا غَيْرُهُ »
جيد لا اعتراض عليه ، لأنه لو عُدِمَ أحدها فقط لم تأت الحقيقة
متعبنة الْبَيْتَةَ ، لأن أحد القسمين الباقيين يكفي في حُسْنِ المجاز ، وإنما

(١) المثل السائر ٨٩/٢ وهنا زيادات ليست بالمثل السائر ، لأن ابن الأثير قال : هنا
قول أبي الفتح – رحمة الله – من غير زيادة ولا نقص . والنظر يتطرق إليه من ثلاثة أوجه :
الأول أنه جعل وجود هذه المعاني الثلاثة سبباً لوجود المجاز ، بل وجود واحد منها سبباً
لوجوده . ألا ترى أنه إذا وجد التشبيه وحده كان ذلك مجازاً ، وإذا وجد الاتساع وحده كان
ذلك مجازاً . ثم إن كان وجود هذه المعاني الثلاثة سبباً لوجود المجاز كان عدم واحد منها سبباً
لعدمه ، ألا ترى أنا إذا قلنا : لا يوجد الإنسان إلا لأن يكون حيواناً ناطقاً ، فالحيوانية والنطق
سبب لوجود الإنسان ، وإذا عدم واحد منها بطل أن يكون إنساناً ، وكذلك كل صفات تكون
مقدمة لوجود الشيء فإن وجودها بوجوده ، وعدم واحد منها يوجب عدمه .

تَنْعَيْنِ الْحَقِيقَةَ أُلْبَتَهَا إِذَا عُدِمَتْ الْثَلَاثَةُ كُلُّهَا .

ومن هذا الموضع يجب أن يُفْهَمَ معنى قوله : « لا يُعْدَكُ عن الحقيقة إلى المجاز إلا لمعانٍ ثلاثة » لأنَّه لو كان أراد اجتماعَ معانٍ ثلاثة لما قال : « فإذا عُدِمَتْ هذه الثلاثة كانت الحقيقة أُلْبَتَهَا » لأنَّ الذي لا يَخْسُنُ استعماله إلا عند اجتماع عدَّة أشياء يَسْتَفِي حُسْنُ استعماله عند انقاء واحدٍ فقط من تلك الأشياء ، لأنَّه إذا انقضى أحدُها فقد زال اجتماع تلك الأشياء الذي جعلنا حُسْنَ الاستعمال موقوفاً عليه .

وأما غثيله بالإنسان والحيوانية والنطقي فـ« تمثيل» غير مطابق لما نحن فيه ، لأنَّ حَمَلْنَا كلامَ أبي الفتح على ما قد تَوَهَّمَهُ خطأ ، إلا إنَّ حَمَلْنَاه على المَحْمَلِ الصَّحِيحِ ، فاجتمع هذه الأشياء الثلاثة التي أشار أبو الفتح إليها ليس مُقَوِّماً للمجاز ، ولا هي أسباب وجوده ، وإنما هي شرائط حُسْنِ استعماله ، فكيف مثل ذلك بأجزاء الماهيَّة المقوِّمة ؟ .

قال المصنف : « الوجهُ الثاني أنه ذكر التشبيه والتوكيد ، وكلها شيء واحدٌ على الوجه الذي ذكره ، لأنَّه شبَّه الرحمة وهي لا تُدرَكُ بالبصر بمكان يُدْخَلُ فيه ، وهو صورة تُدرَكُ بالبصر ، فدخلَ تحتَ ذلك التوكيدُ الذي هو إخبارٌ عما لا يُدرَكُ بالحسنة بما يُدرَكُ بالحسنة » (١) .

أقول : إنَّ لقوله تعالى : (وأدخلناه في رحمتنا) اعتبارين : أحدهما أنه جعل الرحمة ظرفاً وصَرَح بذلك حين أتى بلفظة « في » وهي مخصوصة بالظرفية ، والرحمة هي إرادةُ الشَّرَاب ، والإرادة لا تكون ظرفاً .

(١) المثل السادس ٩١/٢ ونص عبارة ابن الأثير (بما قد يدرك بالحسنة) .

والثاني أنَّ فَحْوِيَ الكلام : رَحْمَتُنَا قد دَخَلَ فِيهَا قَوْمٌ ، كما يقول دارُنا قد دخلها قَوْمٌ ، والدخولُ حركةٌ مخصوصةٌ ، وكل حركةٍ فهي مَرْئِيَّةٌ بالبصر ، فقد أَخْبَرَ عَالَى يُدْرِكُ بالبصر ، وأَحَدُ هذين الاعتبارين مَغَايِرٌ للآخر ، أَلَا ترى أن قولهم « فَلَانَ قد عَصَمَ الدهر » فَحْوَاهُ أَمْرٌ يُدْرِكُ بالبصر وهو العَصْمَ ، فلأجل تَغَایِرٍ هذين الاعتبارين جعلهما أبو الفتح — رحمة الله — قسمين .

— ٦٧ —

قال المصنف : « على أن التوكيدَ ها هنا لا أعلم ما أراد به ، لأنَّه لا يُؤْتَى به في اللغة العربية إلا لمعنىَنِ : أحدهما أنه يَرِدُ بالفاظِ مخصوصةٍ ، نحو نفسه وعيته وكَلَّه ، وغير ذلك ما هو مذكور في كُتُبِ النَّحَاةِ ، والآخرُ أنه يَرِدُ على وجه التكرير ، كقولك : قام زيد قام زيد ، فكُرُّ اللفظُ تحقيقاً وتوكيداً للمعنى المقصود ، وأبو الفتح لم يُرِدْ أحدَ هذين القسمين ، فلا يكون له معنى إلا أن يريده إبرازَ المعنى الموهوم إلى صُورَةِ المشاهدةِ ، وقد عَبَرَ عنه بالتوكيده ، فيكون ذلك هو التشبيه بعَيْنِيهِ ، فلا حاجةٌ إلى إبرادِه بالذَّكْرِ »^(١)

أقول : ما أراد أبو الفتح رحمة الله شيئاً مما تَوَهَّمَهُ هذا الرجل ، وقد اعترف بأنه لم يَفْهَمْ مُرَادَةً مع ظهوره . وذلك أنَّ أحد الأغراض الصحيحة في نقل العبارة عن موضعها الأصليِّ إلى غيره تأكيدُ المعنى على وجْهٍ يَقْنَعُ في نفس السامع مالا تَقْنَعُهُ الحقيقة ، كقوله تعالى : (سَتَنْقُرُ لَكُمْ أَيْهَا الثَّقَلَان)^(٢) ومراده سَنَقْصِدُ ، ولم يَقْنُلْ ذلك ، لأنَّ في الفَرَاغِ معنىًّا ليس في القَصْدِ ، وهو التهديد والوعيد ، فإنَّ قولَ

(١) المثل السادس ٩١/٢ بتلخيص .

(٢) سورة الرحمن : الآية ٣١ الثقلان : الإنس والجن .

الملِكُ لصَاحِبِ الْجُرْمَةِ : سَأْفِرُكُ لَكَ يَتَضَمَّنُ مِن التَّخْوِيفِ مَا لَا يَتَضَمَّنُهُ قَوْلُهُ : سَاقِيْدُ لَكَ .

وَقَوْلُهُ تَعَالَى : (وَلَا سَكَتَ عَنْ مُوسَى النَّفَّاصَبُ)^(١) وَمَرَادُهُ ذَهْبٌ ، لَكِنَّ (سَكَتَ) أَكْدُ لَمَا يُرِيدُهُ ، لَأَنَّ فِيهِ دَلِيلًا عَلَى تَوْقِعِ عُودِ غَضْبِهِ إِذَا عَادُوا النَّكَرَ فِي عِبَادَتِهِمُ الْعَجْلَ ، كَمَا أَنَّ السَّاکِتَ يُسْتَوْقَعُ كَلَامَهُ .

وَكَوْلُهُ تَعَالَى : (وَقَدِمْنَا إِلَى مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مُثْرَأً)^(٢) مَرَادُهُ عَمَدْنَا ، لَكِنَّ (قَدِمْنَا) أَكْدُ وَأَبْلَغُ ، كَأَنَّهُ كَانَ يَأْمُهَالَهُ لَهُمْ كَالْغَائِبِ عَنْهُمْ ، ثُمَّ قَدِمَ مِنْهُمْ عَلَى مَا يَنْبَغِي ، فَجَازَاهُمْ بِحَسْبِهِ ، فَهَذَا هُوَ مَرَادُ الشَّيْخِ أَبِي الْفَتْحِ رَحْمَهُ اللَّهُ .

قَالَ الْمُصْنَفُ : « وَالْوَجْهُ الْثَالِثُ أَنَّهُ قَالَ : وَأَمَا الاتِّساعُ فَإِنَّهُ زَادَ فِي أَسْمَاءِ الْجَهَاتِ وَالْمَحَالِ أَسْمَاءً » هُوَ الرَّحْمَةُ . قَالَ : وَيُلَزِّمُ عَلَى قِيَاسِهِ هَذَا القُولُ أَنَّ يَكُونَ (جَنَاحُ الذُّلِّ) فِي قَوْلِهِ تَعَالَى : (وَأَخْفَضْنَا لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ) هَكُذا يَكُونُ قَدْ زَادَ فِي أَسْمَاءِ الطَّيْورِ أَسْمَاءً هُوَ الذُّلِّ ، وَأَنْ يَكُونُ قَوْلُ أَبِي تَمَّامٍ : لَبِسْتُ سِوَاهُ أَقْوَامًا فَسَكَانُوا كَمَا أَغْنَيْتَ الْقَيْسَمُ بِالصَّعِيدِ زِيادةً فِي أَسْمَاءِ الْلَّابِسِ ، وَهُوَ الإِنْسَانُ »^(٣) .

أَقُولُ : إِنَّ هَذَا الَّذِي أَلْزَمْتَهُ أَبَا الْفَتْحِ رَحْمَهُ اللَّهُ لَا يَمْنَعُ مِنَ التَّرَامِهِ ،

(١) سورة الأعراف: الآية ١٥٤ (وَلَا سَكَتَ عَنْ مُوسَى النَّفَّاصَبَ أَخْذَ الْأَلْوَاحَ وَفِي نَسْنَتِهِ هَدِي وَرَحْمَةً لِلَّذِينَ هُمْ لِرَبِّهِمْ يَرْهِبُونَ) .

(٢) سورة الفرقان: الآية ٢٣ .

(٣) المثل السائر ٩٢/٢ بِتَلْخِيصِهِ .

بل هو قياسٌ مُطْرَدٌ في جميع التَّوَسُّعاتِ ، فما الذي أنكرتَ من ذلك ؟ وإنما يتَّسَعُ اعتراضك لو أثْرَمْتَهُ شيئاً لا يُقْنَدَرُ على التزامه ، ويُخْتَاجُ إلى بيان الفرق بينه وبين المسألة التي الكلامُ فيها ، فَإِنَّمَا إِذَا كَانَ الْكُلُّ يَنْسَاقُ سَيَاقَةً وَاحِدَةً فَأَيُّ حَمْدُورٍ يَلْزَمُ أَبَا الْفَتْحِ مِنْ ذَلِكَ ؟

قال المصنف : «قد نظرتُ في كتاب (أصول الفقه) للغزالى فوجده قد قَسَّمَ المجازَ إلى أربعة عشر قِسْمًا . قال : وهذه الأقسامُ الأربعَةَ عَشَرَ تَرْجِعُ إِلَى ثَلَاثَةِ أَقْسَامٍ : وَهِيَ التَّشْبِيهُ ، وَالتَّوَسُّعُ ، وَالْاستِعَارَةُ . قال : وَالْتَّقْسِيمُ لَا يَتَسَعُ فِي شَيْءٍ إِلَّا إِذَا اخْتَصَّ كُلُّ قَسْمٍ مِنَ الْأَقْسَامِ بِصَفَةٍ لَا يَخْتَصُّ بِهَا غَيْرُهُ »^(١) .

أقول أنا قبل النظر في اعتراضاته على الغزالى : (لابد من تقديم مقدمة)^(٢) وهي أنه لا بد في سائر المجازات من علاقة بين الأصل المنقول عنه والفرع المنقول إليه ، وإلا لم تكن تلك اللَّفظةُ مجازاً من تلك الحقيقة ، بل تكون وضعاً جديداً لا تتعلق به بغیره ، وليس الكلام في ذلك ، فالأشوليون قد اتفقوا على أنه لا بد من علاقة وارتباط في الجملة ، لكنهم قسموا تلك العلاقة وذلك الارتباط أقساماً كثيرة ، فقالوا : قد تكون تلك العلاقة باعتبار كذا ، وقد تكون باعتبار كذا إلى آخر الأقسام .

قال هذا الرجل : إن تلك الاعتبارات التي يذكرونها متداخلة ، لا لأنها قد شملتها الأمْرُ الأعظم وهو العلاقة من حيث هي علاقة ، بل لأنها في

(١) المثل السادس ٩٣/٢ .

(٢) كانت بالأصل تقديم مقدمة .

خصوصياتها التي ابتدعها الأصوليون متداخلاً ، وقد صحت اعتبر اضطره ،
ولألا فهي ساقطة .

قال المصنف : « فالقسم الأول من الأقسام التي ذكرها الغزالي وهو
تسمية الشيء باسم ما يشاركه في الخاصية كقولهم للشجاع أسد ، وللبليد
حمار . قال : وهذا القسم إما داخل في الاستعارة إن ذكر المقول
فقط ، كقولك ركب أسدًا ، أو في التشبيه المعنوي الأدأ إن ذكر
المقول والمقول إليه معاً ، كقولك زيد أسد »^(١) .

أقول : إنّا لانُخالفه في هذا ، ولكن ننظر فيما يقوله فيما يبعد .

قال المصنف : « والقسم الثاني تسمية الشيء باسم ما يتصل إليه ، كقوله
تعالى : (إني أرأني أنصر حمراً) وإنما رأى أنه ينصر علينا . قال : وهذا
القسم داخل في القسم المذكور قبْلَه بصفة المشابهة بين المقول منه
والمقول إليه ، وهو من باب الاستعارة ، بل هذا أوْغَلُ في المشابهة منها ،
لأن الحمر من العنبر ، وليس الأسد من الرجل ، ولالرجل من الأسد»^(٢) .

أقول : هذا القسم خارج عن القسم الذي قبْلَه ، لأن القسم الذي قبله
هو تسمية الشيء باسم ما يشابهه في خاصيته ، كتسمية الشجاع أسدًا ،
لأن الشجاعة من أخص صفات الأسد ، ولذلك لم يُسموا الأبغض أسدًا ،
لأنه لم يكن البَخْرُ من صفات الأسد الخاصة ، فالحمر والعنبر ليت شعري

(١) المثل السائر ٩٣/٢ .

(٢) المثل السائر ٩٤/٢ .

في أي المخواص اشتراكاً حتى يقول إن هذا القسم داخل في القسم الذي قبله؟

فأما قوله : « بل هذا أوْغَلُ » في المشابهة من الأسد للشجاع ، لأن الحمر من العنبر ، وليس الأسد من الإنسان ، فإنه يقال له ليس كَوْنُ الحمر من العنبر مما يقتضي المشابهة التي يُنْقَلُ لأجلها اسم أحدهما إلى الآخر ، فإن الدقيق من الحنطة ، ولا يجوز أن يقال : إنه لما كان منها كان أوْغَلُ في التشابه من استعارة الأسد للشجاع ، فوجب أن يُطْلَقَ على الحنطة لفظ الدقيق ». .

ونتحقق هذا الموضع هو أن كَوْنَ الشيء بعنصرٍ من غيره ، أو يستحيل غيره إليه ، لا يقتضي أن يكون بين الأمرين مشابهة في أمرٍ خاص لأحدهما قد اشتهر به ، وضرر المثل به في فنه ، كما اشتهر الأسد بالشجاعة ، وضررت به الأمثال فيها ، فلذلك نُقْلِـ اسم الأسد إلى الشجاع ، للتشابه في ذلك الأمر الخاص ، ولم يُنْقل اسم الدقيق إلى الحنطة ، ولا نُقْلِـ اسم الحمر إلى العنبر ، بالاعتبار الذي به نُقْلِـ اسم الأسد إلى الشجاع ، بل باعتبار آخر وهو تسمية الشيء باسم ما يتشتول إليه .

وقد حقق الأصوليون هذا القسم تجليقاً أزيداً من هذا ، فقالوا : من أقسام المجاز إطلاق اسم السبب على المسبب ، ولا يثبت في العلوم الحكيمية ، لأن العيل أربعة : الفاعل ، والصورة ، والمادة ، والغاية . وكانت أنواع هذا القسم أربعة :

الأول تسمية الشيء باسم العلة الفاعلية إما حقيقة أو ظناً ، كتسمية المطر سماء ، الثاني تسمية الشيء باسم العلة الصورية ، كتسميتهم اليَدَـ

بالقدْرَةِ ، الثالثُ تسميةُ الشيءِ باسمِ العلَّةِ القابليَّةِ ، كقولهم: سالَ الوادي ، يَعْنُون المطر ، الرابعُ تسميةُ الشيءِ باسمِ العلةِ الغائِيَّةِ ، كتسمية العَقْد بالنكاح ، والعنب بالحمر .

- ٧٢ -

قال المصنف : « والقسم الثالث : تسمية الشيءِ باسمِ فرعه ، كقول الشاعر :

وَمَا الْعِيشُ إِلَّا نُومَةٌ وَتَشْوِقٌ^(١) وَتَمَرٌ عَلَى رَأْسِ التَّخْيِيلِ وَمَاءٌ فَسَمِيَ الرُّطْبُ تَمَرًا . وهذا القسم والنبي قبله سواء ، لأن هناك سُمِّيَ العنْبُ خُمْرًا ، وهو هنا سُمِّيَ الرُّطْبُ تَمَرًا ، لأنَّه أَصْلُ التَّمَرِ ، وهو داخلاً في القسم الأول .

قال: وهب أن الغزال لم يُحققْ أمر المجاز ، وقسَمه أقساماً لا حاجةٍ إليها ، ألم يتَنظُرُ إلى هذين القسمين اللذين هما العنْبُ والخمرُ ، والرُّطْبُ والتمَرُ ، ويعلمُ أنهما شيءٌ واحدٌ ، لا فرقَ بينهما^(١)؟ .

أقول : بل بينهما فرقٌ ظاهرٌ لو أمعنتَ النظر ، لأنَّ العنْبَ إذا صار خُمْرًا فقد استحال من صورة إلى صُورَةٍ مُباينةٍ للأولى في جميع أحوالها ، إلا فيها لابد من الاشتراك فيه كابْلِيسِيَّةٍ وتحْرُرِها ، فهو كالماء يستحيلُ هواء ، والهواء يستحيل ناراً ، والرُّطْبُ إذا صار تَمَرًا لم يستتحيل إلى صورة أخرى ، بل هو ذلك الجسمُ بعيته ، إلا أنه يَبْسِـ وجفَـ بعد أن كان رُطْبًا ، كاللحم الغَرِيفِ يصير قَدِيدًا ، والثَّيْنِ الرُّطْبُ يصير يابساً ، فإنما تَغَيَّرَ منه عَرَضٌ واحدٌ ، وهو الرطوبة التي تبدلت بالبوسة

(١) المثل السادس ٩٤/٢ .

لا غَيْرُ . فَبَيْنَ الْأَمْرَيْنِ فَرْقٌ وَاضْعَفُ ، وَبِحَسْبِ ذَلِكَ الْفَرْقِ جُعِلَ أَحَدُ الْقَسْمَيْنِ غَيْرَ الْثَانِي .

فَأَمَّا قَوْلُهُ : وَهَا دَخَلَانُ فِي الْقِسْمِ الْأَوَّلِ أَيْضًا ، فَإِنَّهُ لَيْسَ بَدَأَنُ فِي الْقِسْمِ الْأَوَّلِ ، لَأَنَّ مُعْتَصِمَ الْقِسْمِ الْأَوَّلِ الْمَشَابِهُ فِي الْوَصْفِ الْأَخْصِ ، وَلَا مَشَابِهَ بَيْنَ الْإِنْسَانِ وَالنُّطْفَةِ .

— ٧٣ —

قَالَ الْمَصْنُفُ : «وَالْقِسْمُ الْخَامِسُ تَسْمِيهُ بِمَا يَدْعُونَ إِلَيْهِ ، كَتَسْمِيهِمُ الاعْتِقادَ قُولاً» ، نَحْوُ قَوْلِهِمْ : هَذَا يَقُولُ بِقَوْلِ الشَافِعِيِّ ، أَيْ يَعْتَقِدُ اعْتِقادَهُ .

قَالَ : وَهَذَا الْقِسْمُ يَدْخُلُ فِي الْقِسْمِ الْأَوَّلِ أَيْضًا ، لَأَنَّ الاعْتِقادَ وَالْقَوْلَ مَنَاسِبَةٌ كَالْمَنَاسِبَةِ بَيْنَ السَبَبِ وَالْمَسَبَبِ ، وَالبَاطِنِ وَالظَّاهِرِ^(١) .

أَقُولُ : إِنْ كَانَ يَعْنِي بِهَذِهِ الْمَنَاسِبَةِ الْاِشْتِراكَ فِي صَفَةِ خَاصَّةٍ ، كَاشْتِراكِ الشَجَاعِ وَالْأَسْدِ فِي الشَجَاعَةِ ، فَلَيْسَ الْأَمْرُ كَذَلِكَ ، لَأَنَّ الاعْتِقادَ الْقَلِيلَ مِثْلُ هَذِهِ الْمَشَارِكَةِ ، وَإِنْ أَرَادَ مَنَاسِبَةً أَعْمَّ مِنْ هَذَا أَيْ بَيْنَهُمَا عَلَاقَةٌ وَارْتِبَاطٌ ، وَهُوَ الَّذِي أَرَادَهُ ، لَأَنَّهُ مَثَلَّهُ بِمَنَاسِبَةِ السَبَبِ لِلْمَسَبَبِ ، فَهَذَا مُسْكَلٌ . وَلَكِنْ نَحْنُ لَمْ نَتَمَنَّعْ أَنْ بَيْنَ الْمَجَارِ وَبَيْنَ مَوْضِعَهِ الْأَصْلِيِّ مَنَاسِبَةٌ فِي الْحَمْلَةِ ، وَكَيْفَ نَمْنَعُ ذَلِكَ ، وَلَوْلَا الْمَنَاسِبَةُ لَمْ يَكُنْ مَجَازًا؟

فَإِنْ كَانَ يَخْاَوِلُ أَنْ يَرْدُدَ الْأَقْسَامَ كُلُّهَا إِلَى قَسْمٍ وَاحِدٍ لِأَجْلِ أَنَّ الْأَقْسَامَ تُشَرِّكَ فِي أَنْ بَيْنَ الْمَقْوُلِ إِلَيْهِ وَالْمَقْوُلِ عَنْهُ مَنَاسِبَةً ، فَإِنَّهُ لَمْ يَفْهَمْ مُرَادَ الْأَصْوَلِيِّينَ فِي هَذَا الْمَوْضِعِ ، وَمَا هُوَ إِلَّا مِثْلُ أَنْ يَقُولُ لَهُمْ : لَا تُنَقْسِمُوا الْحُكْمَ إِلَى وَاجِبٍ وَنَدِيبٍ وَمَحْظُورٍ وَمَكْروهٍ ، لَأَنَّ هَذِهِ الْأَقْسَامَ قَدْ

(١) المثل السائر ٩٥/٢ .

اشتركتْ في أنها اقتضاء أمرٍ من المكْلَفِ . فالواجبُ ما اقتضى فِعلُهُ لابدُ منه ، والحرامُ ما اقتضى تركُهُ لابدُ منه ، والندبُ ما اقتضى فعلُه مع تجويز تركه ، والمكروه ما اقتضى تركُهُ مع تجويز فعله ، فهل يجوز لقائلٍ : لما كان الاقتضاء يَعْمُم هذه الأقسامَ ، وتبادرَ خصوصيتها ، فلا تفصّلُوها ، ولا يجعلوها أقساماً متعددة؟ .

- ٧٤ -

قال المصنف : «والقسم السادس تسمية الشيء باسم مكانه ، كقوطم للعطير سماء ، لأنه يَنْتَزِلُ منها . قال : وهذا القسم أيضاً داخلٌ في الأول للمناسبة بين المنقول والمتقول إليه . قال : على أن تسمية المطر سماء يغلب على الظن أنه حقيقة وليس بمجاز » (١) .

أقول : قد بيَّنا أنه لابد من مناسبة مَنْ ، ولكن هذا القسم ليس بداخل في القسم الأول ، لأن مناسبة القسم الأول هي المشابهة ، كالحمار والبليد ، والأسد والشجاع ، ولا مشابهة بين المطر والفلَّاك ، فإنه توَهَّمَ أنه لأجلِ العُلُوِّ ، فالمطر الذي يَسْمَكُ في الأرض أيامًا يُسْمَى سماء . وأما ما زلتُ أطأ السماء حتى جثتك . ونحن قد بيَّنا لم سَمِّوا المطر سماء . وأما قوله إنه حقيقة فيه فقريرٌ ، ولا يبعد أيضاً ذلك عندي .

- ٧٥ -

قال المصنف : «والقسم السابع تسميتهم الشيء باسم ما يجاوره ، كقوطم للمزادة رَأْوِيَّة ، وإنما الرواية الجملُ الذي يَحْمِلُها . قال : وهذا القسم من باب التَّوَسُّعِ لا مِنْ باب التشبيه ، ولا من باب الاستعارة ، لأن

(١) المثل السائر ٩٥/٢ .

على قياسه ينبغي أن يُسمَّى الجمل زاملة ، [لأنَّه يحملها] ^(١) .

أقول : إننا قد استظرفنا اعتراقه أنَّ هذا القسم خارجَ عن الأول ، فعَجِبْنَا منه كيف لم يُعِدْه إليه بأمرٍ مَا يتعلَّق به ، مثلَ أن يقول إنَّ المزادة يُنتَفعُ بها ، والبعير يُنتَفعُ به ، فتشابهَا في عموم الانتفاع بهما ، ونحو ذلك من التَّعَلُّقات الضعيفة التي جرَّتْ عادته أن يتَّسَّك بها ؟ .

واعلم أنَّ من الأصوليين مَنْ جعل هذا القسم مُفْرِداً برأسه ، وقال إنَّ المجاورة علاقَةٌ ما بين المجاورَيْن ، فنُفَضِّل بطريقها اسْمُ المجاور إلى صاحبه ، و هو لاء يلزمهم قوله : فهلا سَمِّوا الجمل مَزادَةً لأنَّه يحملها ؟ . لأنَّ استعمال اللَّفظ في معناه المجازي عنده لا يؤخذ قياساً في كلِّ موضع ، ألا يرى أنَّهم يُطْلِقون النَّخلة على الرجل الطويل ، ولا يطلقونها على غيره من الطَّوال ؟ ولأنَّه لو كفَّى في استعمال اللَّفظ المجازي مجرَّد علاقَةٍ وصِلَةٍ كيف كانت اقلالا للأبْخَر أسد ، لأنَّ الأسد أبغَر ، فلَمْ يُقْولوا ذلك علمنا أنَّ هذا أمر لا يَطَرِد ، وأيضاً فإنَّ هذا الرجل يكتُرَّمه ما ألزمهم ، لأنَّه إنْ كان يلزمهم لَمَّا قالوا إنَّ هذا الحجاز لأجلِ المجاورة أن يُسمَّى الجمل زاملةً أيضاً على طريق الاتساع .

ومن الأصوليين من جعل هذا القسم من أقسام المجاز بسبب العلة القابلية ، وقال : إنه بمثابة تسمية الشَّراب كأساً ، لأنَّ الكأس قابل للشَّراب .

قال المصنف : « القسم الثامن تسمية الشيء باسم جزءه ، كفولهم : أبغَدَ الله وجهه ، وإنما يريدون سائر جُثُثه . »

(١) المثل السائر ٩٦/٢ وما بين القوسين زيادة من المثل السائر .

قال : وهذا القسم داَخِلٌ في القسم الأول ، وهو تسمية الشيء باسم فَرْعَاهُ^(١) .

أقول : قد بيَّنَا أنه لا يَدْخُلُ هذا وأمثاله في القسم الأول بوجه من الوجوه أصلًا .

وقد قال الأصوليون إنه قد يُسَمَّى الجزء باسم الكل ، كإطلاق اللفظ العام ، مع أن المراد المخصوص ، نحو قوله تعالى : (اقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ)^(٢) والمراد بعضهم ، وقد يُسَمَّى الكل باسم الجزء ، كما يقال الزنجي أَسْوَادَ ، والمراد أَسْوَادُ البشرة ، لكن الجاز الأول أَدْخُلُ في باب الجاز أولى من الثاني ، لأن الجزء يلزم الكل ، وأما الكل فلا يلازم الجزء .

— ٧٧ —

قال المصنف : « والقسم التاسع تسمية الشيء باسم ضِدِّه ، كقوفهم جَوْنَ للأبيض ، وهو اسم للأسود ، قال : وهذا ليس من الجاز ، بل هو حقيقة في الموضوعيَّن ، مثل شِمْتُ السيف إذا أغمدته وسلَّطَه »^(٣) .

أقول : إن تسمية الشيء باسم ضده قد ذكره الأصوليون ، وقالوا إنه كقوله تعالى : (وَجَزَاءُ سَيِّئَاتِهِ مِثْلُهَا)^(٤) وقوله : (فَمَنْ اعْتَدَى عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا اعْتَدَى عَلَيْكُمْ)^(٥) . وما رأيناهم ذكروا

(١) المثل السادس ٩٦/٢ .

(٢) سورة التوبه : الآية (فإذا انسلخ الأشهر الحرم فاقتلو المشركين حيث وجدهم) .

(٣) المثل السادس ٩٦/٢ قال ابن الأثير : لأن من الآيات المشتركة ، كقوفهم شمت السيف إذا سلطها ، وشته إذا أغمدها ، فدل الشيم على الصدرين مما بالوضع الحقيقي .

(٤) سورة الشورى : الآية ٤٠ .

(٥) سورة البقرة : الآية ١٩٤ .

هذا المثال الذي حكاه ، ولا يبعد عندي أن يكون ما اعتبرَضَ به عليه صحيحًا ، فإن أكثر أهل اللغة قالوا إن الجنون من الأضداد ، وليس إفساد المثال مُوجِّهاً لإفساد المِثْلِ عليه ، ومن الناس من جعل قوله تعالى : (جزاء سيئة سيئةٌ مثلها) من باب المجاز لا التشبيه ، وهو الذي يسمى استعارة ، وهو القسم الأول الذي حاول هذا الرجل أن يُبعِدَ إليه أكثر هذه الأقسام . وقالوا: إن جزاء السيئة يشبه السيئة في كونها سيئةٌ بالنسبة إلى من وصلَ ذلك الجزاء إليه ، وليت هذا الرجل لما حاول أن يبعد الأقسام إلى القسم الأول بِيَسِّهِ في هذا القسم ، فهذه المشابهة أوردها ، فكان يأتي بشيء له ذوقٌ .

- ٧٨ -

قال المصنف : «والقسم العاشر تسمية الشيء بِ فعله ، كسمية الخمر مُسْكراً . قال : وهذا القسم داخلٍ في القسم الأول ، وأي مشاركةٍ أقربٍ من هذه المشاركة ؟ فإن الإسكار صفةٌ لازمةٌ للخمر ، وليت الشجاعة صفةٌ لازمة لزيد ، لأنه يمكن أن يكون زيدٌ ولا شجاعة ، ولا يمكن أن يكون خمر ولا إسكار ، ألا ترى أنها لم تُسمَّ خمراً إلا لإسكارها ، فلنها تُحْسِرُ العقلَ أي تُشْرِهَ »^(١) .

أقول : إن هذا الرجل لم يتعلّم المرادَ بهذا الْقِسْمِ ، فإن السكر هو الفاعل ، من أَسْكَرَ يُسْكَرُ ، فهو مُسْكِرٌ ، كالضارب فاعل من ضرب يضرب فهو ضارب ، ولا يكون الإنسان ضارباً إلا إذا ضرب ، وأما قبلَ وقوع الضرب منه وبعد انقضاء الضرب لا يكونحقيقة ، لأنَّه ليس في تلك الحال بضارب ، والقوم قالوا : إن الخمر تُسَمَّي مسکراً قبل أن تُشرب^(٢)

(١) المثل الثاني ٩٧/٢ .

(٢) في الأصل « قبل أن لا تشرب » والصواب ما ذكرناه أيسْتَقيم المعنى .

وَتُسْكِرَ شَارِهَا ، فَقَدْ سَمِّوا الشَّيْءَ بِمَا مِنْ شَائِهِ أَنْ يَفْعُلَهُ ، وَبِأَثْرِهِ قَبْلَ أَنْ يَفْعُلَهُ وَيُؤْثِرَهُ ، وَهَذَا هُوَ الْمَجَازُ ، وَلَيْسَ يَصْلُحُ أَنْ يُجَابَ عَنْ هَذَا بِمَا ذَكَرَهُ مِنْ قَوْلِهِ هَذَا دَاخِلٌ فِي الْقَسْمِ الْأَوَّلِ ، وَأَيْ مَشَارِكَةً أَقْرَبَ مِنْ هَذِهِ الْمَشَارِكَةِ ، لَأَنَّ الإِسْكَارَ لَيْسَ صَفَّةً لَازِمَةً لِلْخَمْرِ ، وَإِنَّمَا الصَّفَّةُ الْلَّازِمَةُ لِهَا الْقُوَّةُ عَلَى الإِسْكَارِ .

وَالْقَوْمُ مَا قَالُوا إِنَّ الْمَجَازَ فِي قَوْلِنَا لِلْخَمْرِ قَوْيَةٌ عَلَى الإِسْكَارِ ، بَلْ فِي قَوْلِنَا لِلْخَمْرِ مَسْكَرَةٌ ، وَبِهَذَا بَطَّلَ قَوْلُهُ لَا يَمْكُنُ أَنْ يَكُونَ خَمْرٌ وَلَا إِسْكَارٌ ، وَقَدْ يَمْكُنُ أَنْ يَكُونَ زِيدٌ وَلَا شَجَاعَةٌ ، فَإِنَّهُ طَنٌ أَنَّ الإِسْكَارَ الَّذِي يَرِيدُونَهُ هَذَا هُوَ الإِسْكَارُ بِالْقُوَّةِ ، وَلَيْسَ هُوَ مُرَادُهُمْ ، بَلْ مُرَادُهُمُ الْإِسْكَارُ بِالْفِعْلِ ، وَبِاعتِبَارِهِ جَعَلُوا قَوْلَنَا لِلْخَمْرِ مَسْكَرَةً بَعْزَاءً .

وَمَا يَوْضِعُ غُلْطَهُ فِي هَذَا الْمَوْضِعِ أَنَّهُ لَوْ كَانَ الإِسْكَارُ صَفَّةً لَازِمَةً لِلْخَمْرِ ، وَلَا تَوْجِدُ خَمْرٌ إِلَّا وَهِيَ مَسْكَرَةٌ عَلَى الْوَجْهِ الَّذِي قَالَهُ وَادِعَاهُ ، لَكَانَ إِطْلَاقُ لِفَظَّةِ الْمَسْكَرِ عَلَى الْخَمْرِ حَقِيقَةً ، كِإِطْلَاقِ لِفَظَّةِ الْدَّيْثِ عَلَى الْأَسْدِ ، فَكِيفَ يَكُونُ هَذَا الْقَسْمُ دَاخِلًا فِي الْقَسْمِ الْأَوَّلِ ، كَفَوْلَنَا لِلشَّجَاعَةِ ، وَلِلْبَلِيدِ حَمَارٌ ؟ وَأَيْنَ الْمَائِلَةُ بَيْنَ هَذَا الْمَوْضِعِ وَبَيْنَ ذَلِكَ الْقَسْمِ ؟ فَإِنَّ ذَلِكَ الْقَسْمَ عَبَارَةً عَنْ شَيْئَيْنِ تَشَابَهَا فِي صَفَّةٍ خَاصَّةٍ بِأَحَدِهِما ، فَنَقْلُ اسْمِهِ إِلَى مَا شَابَهُ ، وَلَيْسَ الْخَمْرُ مَشَارِكَةً فِي شَيْءٍ آخَرَ يُسَمَّى مَسْكَرًا فِي مَعْنَى الإِسْكَارِ ، فَنَقْلُ اسْمِهِ إِلَيْهَا .

قَالَ الْمُصْنِفُ : « وَالْقَسْمُ الْحَادِي عَشْرَ تَسْمِيَةُ الشَّيْءِ بِكُلِّهِ ، كَفَوْلُكِ فِي جَوَابِ سَائِلٍ سَأَلَكَ : مَا فَعَلَ زِيدٌ ؟ فَقَلَتْ : الْقِيَامُ . فَإِنَّ الْقِيَامَ جِنْسٌ يَتَناولُ جَمِيعَ أَنْوَاعِهِ . »

قال : وهذا القسم لا ينبغي أن يدخل في أقسام الجاز ، لأن القيام بزید حقيقة ، فإن قلت يشتمل على جميع أنواعه من الماضي والحاضر والمستقبل ، قلت فهذا من أقرب أقسام الجاز مناسبة ، لأن إقامة المصدر مقام الفعل الماضي ، والمصدر أصل الفعل ، وعلى هذا فإن هذا القسم داخل في القسم الأول «^(١)».

أقول : إنما قد ذكرنا تسمية الجزر بالكل كيف يكون ، وضربنا لذلك مثالاً ، فأما هذا الذي ذكره فإنه شيء غلط ، قاله أبو الفتح عثمان بن جنبي في كتاب النصائص ، ووهم فيه ، لأنه ظن أن المصدر لفظ يدل على أشخاص تلك الماهية ، وليس ب صحيح ، بل المصدر لفظ يدل على مجردة الماهية ، وهو القادر المشترك بين الواحد والكل .

فاما الماهية من حيث هي ، فلا تستلزم الوحدة والكثرة ، لأنها لو استلزمت إحداثها لما كانت مجردة من حيث هي ، وقد فرضناها كذلك ، فإذاً لا المصدر ولا الفعل المشتق من المصدر يدلان على الكثرة وعلى الوحدة ، لكن أبا الفتح ذكر مثل هذا القسم بمثال مطابق فقال : أنا إذا قلت ضربت عمراً ، فإني إنما ضربت بعضه .

فاما هذا المصنف فلم يعترض على الكلام كما ينبغي ، أما أولاً فالأنه ظن أن المصدر ها هنا يقوم مقام الفعل الماضي ، وليس ب صحيح ، لأنك إذا قلت : فعل زيد القيام فقد أقررت أنه صدر عنه أثر مفعول حسب صدور الآثار عن المؤثرات ، والفعل الماضي ليس بأثر يتضمنه عن المؤثر ، ولا المستقبل أيضاً ، ولا الحاضر ، لأن الفعل الذي هو قسم للاسم والحرف لو كان أثراً لموثّر لكان اسمًا لا فعلًا .

(١) المثل السادس ٩٨/٢

وأما ثانياً فلأنه لو صَحَّ ما قاله لما كان هذا القسم داخلاً تحتَ القِسْمِ
الأولِ ، لأن كونه أصلًا له لا يقتضي وقوع المشابهة بينهما بِنَقْلِ اسم
أحدِها للآخر ، وقد قررنا ذلك فيها تقدُّم .

— ٨٠ —

قال المصنف : « القسم الثاني عشر الزيادة في الكلام لغير فائدة ، كقوله
تعالى : (فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ لَتَسْتَهِنَّ هُمْ) ^(١) معناه : فرحمة من الله . قال :
وهذا خطأ ، أما أولاً فإن المجاز هو دلالة النقط على غير ما وضع له في أصل
اللغة ، وهذه الآية دالة على الوضع اللغوي المنطوق به في أصل اللغة .

وأما ثالثاً : فإن لفظة (ما) ما هنا غير خالية من المعنى ، لأنها تعطي
من الفخامة والفصاحة والجزالة مالا تعطي الآية عند فقدانها ، كقول الزباء
« ولكنه شِيمَةٌ مَا أَنَاسٌ» ^(٢) قال وهذا شيء لا يعرفه إلا أهله .
والغزالي معدور في ألا يعرف ذلك ، لأنه ليس من فنه ^(٣) .

أقول : إن ما قاله الغزالي وغيره في هذا الموضوع مأخوذ من قول شيخنا
أبي عبد الله البصيري المتكلم ، فإنه قال : الحقيقة ما انتظم لفظُها معناها
من غير زيادة ولا نقصان ^٤ ولا نقل ^٥ ، والمجاز مالا ينتظم لفظه معناه إلا لزيادة
ونقصان ^٦ أو نقل ^٧ ، كزيادة الكاف في قوله تعالى : (لَيْسَ كُلُّهُ شَيْءٌ) ^(٨)
فإنما لو أسلقنا الكاف استقام المعنى . ومثال النقصان قوله : (واسأل

(١) سورة آل عمران : الآية ١٩٧ .

(٢) وردت هذه الجملة في كلمات لها مع جذعة الأبرش ، قال ابن الأثير : معنى الكلام
ولكته شيبة أنس ، وإنما جاءت لفظة ما ها هنا تفسيرها لبيان صاحب تلك الشيبة وتنظيمها لأمره ،
ولو أسلقنا لما كان الكلام هذه الفخامة والجزالة .

(٣) المثل السائر ٩٨/٢ .

(٤) سورة الشورى : الآية ١١ .

القرية)^(١) ، فإننا إذا زدنا لفظة الأهل استقام المعنى . ومثال النقل قوله :
رأيت أسدًا ، تعني به الرجل الشجاع ، فإنه منقول من السبع .

وإذا أردنا الكلام على هذا الوجه كان قوله (فيها رحمة) مجازاً ، لأنه
لا ينتظم اللفظ معناه إلا بمحض (ما) .

قلنا : لا نسلم أن هذا مجاز ، بل هذه دالة على الوضع اللغوي المنطوق به
في أصل اللغة ، فيقال له : أما أولاً فإن القوم حَدُّوا الحجاز بحدٍ هو موجودٌ
في هذا الموضع ، ولا يجوز أن يقال لمن حدَّ أمراً بحدٍ : لم قلت إن هذا
هذا ؟ لأن القوم قد اختاروا أن يصيغوا للفظ الحجاز لِمَا كان بهذه الصفة .
والمنازعةُ بعد ذلك لهم منازعةٌ لفظيةٌ .

وأما ثانياً فلأن (ما) في هذا الموضع حرف ، والحروف لا يدخلها الحجاز
بالذات ، لأنها غير مستقلة بأنفسها بالمفهومية ، بل لابد أن تنسضمَ إلى شيءٍ
آخر لتحصيل الفائدة ، فإن انضمت إلى كلام يرتبط به ، ويُخل إسقاطها
بالمعنى المفهوم منه فالمركبُ حقيقةٌ ، وإلا فهو مجاز .

ولا شبهة في أن (ما) في هذا الموضع ليست مرتبطة بغيرها ارتباطاً
مفهوماً للمعنى المطلوب .

فأما جوابه الثاني فيلزم عليه أن يكون قوله تعالى : (وانخفض لها جاج
الذل)^(٢) حقيقة لاعطى من الفخامة والفصاحة مالا تعطيه الآية عند حدْفه .
وكذلك القول في سائر المجازات .

فإن قال : إنني لم أجعل إفادـةـ هذهـ الـلفـظـةـ الفـخـامـةـ وـالـجـزـالـةـ مـخـرـجـةـ لهاـ

(١) سورة يوسف : الآية ٨٢ .

(٢) سورة الإسراء : الآية ٢٤ .

من باب المجاز ، وإنما منعْتُ قول من قال إنه لا فائدة فيها أصلًا ، قيل له : فإذا اعترفت أنها من باب المجاز فقد سلَّمْتَ قول الغزالي ، فلا يُعني تنتقِصُه ، وتقول هو معدور في ألا يعرف هذا لأنَّه ليس من فنه ؟ والغزالي إنما أراد بقوله إن (ما) زائدة لا معنى لها في خصوص المقصود بالآية لا غير ذلك .

- ٨١ -

قال المصنف : « القسم الثالث عشر تسمية الشيء بمحْكَمِيهِ ، كقوله تعالى (وامرأة مؤمنة إن وهبَتْ نفْسَهَا للنبي)^(١) فسمي النكاح هبة » .

قال : وهذا القسم داخل في القسم الأول ، للتشابه بين النكاح والمبة في التَّمْكِين من الانتفاع والصرف^(٢) .

أقول : إن هذا الاعتراض الذي ذكره صحيح لا منازعة فيه ، ثم إننا نقول : إن تمثيل هذا القسم بالنكاح هبة فلم يُسمِّ الشيء بمحكمه ، بل بما يفيد مثل حكمه ، وفرق بين الحكم وبين المفید ليُمثل الحكم . على أن أكثر المفسرين لم يذهبوا إلى أنه سُمِّي النكاح هبة ، بل جعلوا لفظة المبة حقيقة صريحة في هذه الواقعه .

- ٨٢ -

قال المصنف : « القسم الرابع عشر النقصان الذي لا يُبَطِّلُ به المعنى ، كحذف الموصوف وإقامة الصفة مقامه ، نحو قوله : (ثم يرْمِ به بَرِيشًا)^(٣) »

(١) سورة الأحزاب : الآية ٥٠

(٢) المثل السادس ١٠٠/٢ .

(٣) المثل السادس ١٠٠/٢ (ومن يكتب خطيبته أو إنما يرم به بريشاً) سورة النساء : الآية ١١٢ .

أي شخصاً ، وكحذف المضاف وإقامة المضاف إليه مقامه ، كقوله (وسائل القرية) أي أهلها .

قال : وهذا القسم داخل في القسم الأول ، لأن الصفة لازمة للموصوف .
وقوله (وسائل القرية) دل على الساكن بالمسكن .

قال : فهذه أقسام المجاز التي ذكرها الغزالي قد انتهت في تقسيمها ،
ولئنما يرجع إلى ثلاثة أقسام : التوسع ، والتشبيه ، والاستعارة ^(١) .

أقول : قد تكرر هنا إيضاح غلطه في إعادة هذه الأقسام إلى القسم الأول ،
الذي يشوه ^{عودها} إليه ، لأن الصفة لو لازمت الموصوف لما كانت
من باب الشبهة الموجودة في التسبّب والشجاع ، بل كانت باباً آخر ،
وكذلك الدلالة بالسكن على الساكن ، هي مجاز باعتبار آخر غير ذيئن
الاعتبارين .

وكل قسم من هذه الأقسام له خصوصية ينفرد بها ، ويعتبر عن غيره
بها ، ولو أن هذا الرجل يقيّف على التقسيمات العقلية الدقيقة في العلوم
الحكمية والكلامية التي يمتاز كل قسم منها عن الآخر بما هو أدق من الشعر ،
ولا يفهمه إلا الراسخون في العلم ، وكانت هذه التقسيمات في امتياز بعضها
عن بعض أجيالى من فلّق الصبح ، لأنه ليس فيها من الغموض ما يُوقع
في مثل هذا الغلط .

على أنه زعم أنه قد أعادها إلى ثلاثة : وهي الاستعارة ، والتشبيه ،
والتوسع ، ولم يُعد منها إلى التشبيه شيئاً أيضاً !

(١) المثل السادس ١٠١/٢ .

قال المصنف : « ومن شَرْطٍ بِلَاغَةِ التَّشْبِيهِ أَن يُشَبَّهَ الشَّيْءُ بِمَا هُوَ أَكْبَرُ مِنْهُ وَأَعْظَمُ » ، كما قال بعض كتاب (١) مصر في تشبيه حِصْنٍ من حصون الحبال : « هَامَةٌ عَلَيْهَا مِنَ الْغَيْمَاتِ هَامَةٌ » ، وأنسلة خَضْبَها الأصيل ، فكأنَّ الْمَحَالَلُ مِنْهَا قُلَامَةٌ » : فإنه أَنْحَطَأَ في قوله أَنْمَلَةً ، وأَيْ مَقْدَارٍ لِلْأَنْمَلَةِ بِالنَّسْبَةِ إِلَى حِصْنٍ عَلَى رَأْسِ جَبَلٍ ؟ قال : فإنْ قلت : فقد قال الله عز وجل :

(مَثَلُ نُورِهِ كِيمِشَكَاهٍ فِيهَا مَصِبَاحٌ) (٢) فَشَبَهَ نُورَهُ بِمَا هُوَ دُونَهُ ، وقد قال سبحانه في القمر : (حَتَّى عَادَ كَالْعُرْجُونَ الْقَدِيمَ) (٣) فَشَبَهَ بِمَا هُوَ دُونَهُ ، قلت : هذه الآية تشبيهها لطيفٌ غريبٌ ، لأنَّه أَرَادَ بِهِ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَآلِهِ ، لأنَّ قَلْبَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَمَا هُوَ عَلَيْهِ مِنَ الصَّفَاءِ وَالشَّفَافِيَّةِ كَالرِّجَاجَةِ الَّتِي كَانَهَا كَوْكَبٌ لِصَفَائِهِ وَإِضَاعَتِهَا ، وَالشَّجَرَةُ الْمَبَارَكَةُ الَّتِي لَا شَرْقَيَّةٌ وَلَا غَربَيَّةٌ هِيَ ذَاتُ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَآلِهِ ، لأنَّه مِنْ أَرْضِ الْحِجازِ الَّتِي لَا تَمِيلُ إِلَى الْمَشْرُقِ وَلَا إِلَى الْمَغْرِبِ ، وَزَيَّتْ هَذِهِ الرِّجَاجَةُ مُضِيًّا مِنْ غَيْرِ أَنْ تَمْسِهِ نَارٌ ، مَعْنَاهُ : أَنْ فَطَرَهُ صَافِيَّةً مِنَ الْأَكْدَارِ مُنْبِرَةً مِنْ قَبْلٍ مَصَافِحةً الْأَنْوَارِ ، فَهَذَا هُوَ الْمَرَادُ مِنَ التَّشْبِيهِ فِي هَذِهِ (الْآيَةِ) .

وَأَمَّا الْآيَةُ الثَّانِيَةُ فَإِنَّهُ تَعَالَى شَبَّهَ الْمَحَالَلَ بِالْعُرْجُونِ فِي نُحُولِهِ وَاسْتَدَارَتْهُ لَا فِي مَقْدَارِهِ ، لأنَّ مَقْدَارَ الْمَحَالَلِ عَظِيمٌ لَا نَسْبَةٌ لِلْعُرْجُونِ إِلَيْهِ ، لَكِنَّهُ شَبَهَ بِهِ فِي الْهَيَّةِ وَالشَّكْلِ (٤) .

(١) هو القاضي الفاضل رئيس ديوان الإنشاء وصاحب الطريقة الفاضلية ووزير صلاح الدين الأيوبي (توفي سنة ٥٩٦ هـ ١١٩٩ م) .

(٢) سورة النور : الآية ٣٥ .

(٣) سورة يس : الآية ٣٩ .

(٤) المثل السائر ١٢٢/٢ .

أقول: إن التشيه يَحْسُنُ ويَقْبُحُ باعتبار الجهة التي وقع التشيه فيها ، فإذا شُبِّهَ العظيم مقداراً (بأقل منه) في المقدارية قبح ، وكانت القضية كاذبة . فإن شُبِّهَ به لا في المقدار ، بل في أمر آخر يتناسبان فيه كان حسناً ، وهذا كقوله تعالى في صفة الصحابة رضي الله عنهم : (كرَّعَ أَخْرَجَ شَطَاهُ)^(١) ، فإن عاقلاً لا يقول : هذا التشيه قبيح ، لأن أجسام الصحابة وجوهُهم أكبر وأعظم مقداراً من الزرع ، لأنه ما أراد التشيه في المقدارية بل في أمر آخر .

وهكذا قوله : (حتى عاد كالْعُرْجُونِ القديم) لا يريد مقداره ، بل شكله .

وكذلك تشيه الكافر بالكلب في قوله : (فمثُلُهُ كَمَثَلِ الكلب إن تَحْمِلُ عليه يَلْهَثُ)^(٢) .

لا يعني الصورة واللحنة ، بل معنى آخر ، وكذلك هذا الكاتب المصري . والذي حمل هذا الرجل على أن عاب بما عاب به نفسه ، حسد له . وهو لا يعني أن الحصن العظيم على ذروة الجبل الشاهق كالأنملة في مقدارها وجسدها ، بل بينه وبين الأنملة مشابهة لطيفة وهي أن الأنملة جسم صغير ناتيء من جسم كبير وهو البدن ، وكذلك الحصن على الجبل ، وهذا هو الذي أراده الرجل ، والأمر فيه واضح بين .

فاما تفسيره لآية النور فظريف جداً ، أما أولاً : فلا أنه سبحانه لو قال : (مثل نوري كالنور الذي في قلب محمد صلى الله عليه وسلم) لكان ركيكاً .

(١) سورة الفتح : الآية ٢٩ الشطا : فراخ الزرع أو ورقه أو ما حول أصل النبات .

(٢) سورة الأعراف : الآية ١٧٦ .

وأما ثانيةً : فلأنه قال : (مثُل نوره كمشكاة فيها مصباح ، المصباح في زجاجة) فإذا كان قلب النبي صلى الله عليه وآله وسلم هو الزجاجة ، ولا شبيهه أن المصباح الذي فيها هو النور ، والمشكاة ما هي ؟ فقد زعم أنها ذات النبي صلى الله عليه وآله وسلم ، فإنه قد قال إن ذات النبي هي الشجرة المباركة ، فلا يبقى للمشكاة ما تُحْمَلُ عليه .

وأما ثالثاً : فإن الله تعالى وصف الشجرة بأنها زيتونة لشرقية ولا غربية ، ونرى هذا المفسر قد فسر قوله: لشرقية ولا غربية ، ولم يفسر قوله: زيتونة ، وقد كان الواجب عليه أن يفيدها بتفسير ذلك .

وأما رابعاً : فلأن غلاة الباطنية^(١) الذين يقولون في قوله سبحانه تعالى : (ووهبنا لهم من رحمتنا وجعلنا لهم لساناً صدق^٢ علیّاً) المراد به علي بن أبي طالب أعتد^٣ في تأويلاهم ، وأقرب^٤ إلى الأذهان من هذا الرجل .

وأما خامساً : فإنه لم يتفصّل من السؤال ، لأنه لو سُلِّمَ له جميع ما ذكره ، أليس قد شبه الله تعالى نوره بنور محمد صلى الله عليه وآله وسلم ؟ ونور محمد دون نور الله تعالى لأنه مستفاد من نوره ، وما يستفاد من أصل يكون دون الأصل المستفاد منه ، وقد توجّه الإشكال .

قال المصنف : فاما التجزير فهو إخلاص الخطاب لغيرك ، وأنت تريده به نفسك .

(١) الباطنية أشهر ألقاب الإسماعيلية ، وهم الذين يبتلون الإمامة لإسماعيل بن جعفر ، وقد خلط القدماء منهم كلامهم ببعض كلام الفلسفة ، وصنفوا كتبهم على هذا المنهج ، ولم يزأء غريبة ذكر الشهريستاني طرقاً عنها (المثل والنحل / ١٧٢٢) .

(٢) سورة مریم : الآية ٥٠ .

قال : وهو نوعان : تجريدٌ بمعنى التَّوْسُعِ فقط ، وتجريدٌ حقيقةً .

فاما التجريد بمعنى التَّوْسُعِ ، فكقول الصَّمَةُ الفُشَيْرِيُّ :

حَنَّتْ إِلَى رَبِّيَا وَنَفَسْكُ بَاعْدَتْ مَزَارِكَ مِنْ رَبِّيَا وَشَعْبَا كَمَا مَعَا

فإنه قال بعد أبيات :

وَأَذْكُرْ أَيَّامَ الْحَمَى ثُمَّ أَنْشَنَى عَلَى كَبْدِي مِنْ حَرَّهُ أَنْ تَقْطَعَهَا^(١)

فانتقل إلى ذكر نفسه؛ ولو لم يَقُلْ « وأذْكُرْ أَيَّامَ الْحَمَى » لقضينا عليه

بأنه تجريد حقيقةً .

ومثال التجريد الحقيقى قولُ « الحِبْصَ - بَيْضَ - » :

إِلَامْ يِرَاكَ الْمَسْجَدُ فِي زَيْ شَاعِرٍ وَقَدْ نَحَّلَتْ شَوَّقَا فَرُوعُ الْمَنَابِرِ

فإنه لم ينتقل إلى هذا بعد ذكر نفسه ، بل استمر على التجريد ، لأنه قال

بعد هذا البيت :

كَسَّمْتَ بَعِيْبَ الشِّعْرِ عَلِيْمًا وَحَكْمَةً بِيَعْنَصِّهِمَا يَسْقَادُ صَعْبَ الْمَفَاخِرِ

أَمَّا وَأَبِيكَ الْخَيْرِ إِنَّكَ فَارِسُ الْمَقَالِ وَمُحْيِي الْدِرَاسَاتِ الْغَوَابِرِ

إِنَّكَ أَعْيَيْتَ الْمَسَامِعَ وَالنَّهَى بِقُولَكَ عَمَّا فِي بُطُونِ الدَّفَاتِ^(٢)

أقول : إنه قد انتقل بعد هذا إلى ذكر نفسه ، فعدل عن كاف الخطاب ،

إلى ياء الضمير ، إلى تاء المتكلم ، فقال :

تَطَاوَلَ لَيْلِي مَا أَرَى ذَا نَبَاهَةً بِعُجَالِي دُجَى ظَلَمَاهُهُ عن خواطري

سَهِيرْتُ لَبْرِقِي مِنْ دِيَارِ رِبْعَتِي وَلَمْ أَكُ لِلَّبْرِقِ الْمَسْمَوِيْ سَاهرِ

(١) البيت في المثل السائر وفي ديوان الحمامة (على كبدى من خشية أن تصفعا) .

(٢) المثل السائر ١٧١/٢ .

قال : كأن الصمة القشيري في شعره لم يأت بالتجريد الحقيقي ، لعوذه
بعد أبيات عن كاف الخطاب ، فالخيص بيض مثلاً .

— ٨٥ —

قال المصنف : « وقد قال أبو علي الفارسي رحمه الله إن العرب كانت
تعتقد في الإنسان معنى كاملاً فيه ، كأنه حقيقته ومحصوله ، فتُخرج ذلك
المعنى إلى ألفاظها مجرداً من الإنسان ، كأنه غيره ، وهو هو بعينه ، نحو
قولهم : لئن لقيت فلاناً لتلقيَّ منه الأسد ، ولئن سأله لتسألَّ منه
البحر ، وهو بعينه الأسد والبحر ، لأن هناك شيئاً متفصلاً عنه ومتميزاً عنه.
وهذا ليس بتجريد ، بل هو تشيهٌ مضمِّنٌ للأداة ، وتقديره لتسائلٍ
منه كالبحر ، وتلقيَّ منه كالأسد ، وليس هو من التجريد المشار إليه
في الأبيات الشعرية ، ولا حقيقة التجريد موجودة فيه »^(١) .

أقول: إن الحد الذي حدَّ هذا الرجل التجريدَ به لم يأت فيه نصٌّ من
كتاب الله تعالى ، ولا ورد عن رسول الله ، وإنما هو حدَّ اختاره هو ،
وفسر التجريد به ، فإنه حجَّرَ على أبي علي رحمه الله أن يجعل التجريد
شيئاً آخر . ومعلوم أن هذه الاصطلاحات والمواصفات موكلةٌ إلى آراء
العقلاء و اختياراتهم ، فأبُو علي رحمه الله قد اختار أن يسمى قوله « إذا
سألت زيداً سالت منه البحر » تجريداً ، وقد شرح ذلك وأوضحه بقوله: إن
ظاهر هذه الكلفة أن المسؤولَ غير زيد ، لأن ألفاظها تقتضي ذلك ، لا ترى
أنك تقول: صحيتْ زيداً فاقتربتُ منه العلم ، وقتلتْ فلاناً فأخذت منه السَّلَبَ
فيقتضي ظاهره بأن العلم غير المصحوب ، وأن السَّلَبَ غير المقتول ،

(١) المثل السائر ٢٧٤ / وفي كلام ابن أبي الحديد زيادة لا تخل بالمعنى ، ليست في المثل السائر

فهكذا يقتضي ظاهر قوله سأله فسألت : منه البحر ، أن البحر غيره .

فأبوعلي رحمة الله سَمَّاه تجريدًا ، وهو غير مانع لك من اصطلاحك
ولا مشاحَّ لك في حَدَّك الذي ذكرته للتجريد ، فكذلك أنت لا تجُورُ
ولا تضيقه في اصطلاحِه وتجريده .

قال المصنف : « وأيضاً فهذا ينتقض بقول العرب : لَئِنْ رَأَيْتَ الْأَسَدَ
لَتَرَيَنَّ مِنْهُ هَضْبَةً ، وَلَئِنْ لَقِيْتَهُ لَتَلْقَيَنَّ مِنْهُ الْمَوْتَ . فَأَيُّ مَعْنَى لِتَخْصِيصِ
أَبِي عَلِيٍّ ذَلِكَ بِالإِنْسَانِ ؟ مَعَ أَنَّ الْعَرَبَ تَسْتَعْمِلُ هَذَا الْفَظْلُ فِي الإِنْسَانِ وَغَيْرِهِ »^(١) .

أقول : إن أبا علي لم يُرِدْ أَنَّ هَذَا الْاسْتِعْمَالَ مَقْصُورٌ عَلَى الإِنْسَانِ فَقْطُ ،
وَلَا صَرَحَ بِذَلِكَ ، وَلَا كَتَنَّ عَنْهُ ، وَلَا هُوَ مَفْهُومٌ مِنْ فَسْحَوَى قَوْلِهِ : إِنَّ
الْعَرَبَ تَعْتَقِدُ فِي الإِنْسَانِ مَعْنَى كَامِنًا فِيهِ لَا يَدْلُلُ عَلَى نَفْقَيِ الْحُكْمِ عَما
عَدَاهُ ، وَإِنَّا مُشَلَّ بِالإِنْسَانِ ، لَأَنَّهُ أَشْهَرُ ، وَلَأَنَّ اسْتِعْمَالَ فِيهِ وَدُورَانَهُ
عَلَى أَسْتِئْنِهِمْ وَفِي أَلْفَاظِهِمْ أَكْثَرُ .

قال المصنف : « وقد سبق القولُ بِأَنَّ التَّجْرِيدَ هُوَ أَنْ تُطْلِقَ الْمُطَابَّةَ
عَلَى غَيْرِكَ وَلَا يَكُونَ هُوَ الْمَرَادُ ، بَلْ الْمَرَادُ شَيْئًا آخَرَ ، وَهَذَا لَا يَوْجِدُ فِي هَذَا
الْمَوْضِعِ ، لَأَنَّ قَوْلَهُ : إِنْ لَقِيْتَهُ لَتَلْقَيَنَّ مِنْهُ الْأَسَدَ ، لَمْ يُرِدْ أَنْ يَجْرِيَ عَنِ الْمَنْقُولِ
عَنْهُ شَيْئًا ، وَإِنَّا شَبَّهَ بِالْأَسَدِ فِي شَجَاعَتِهِ ، وَأَدَاءِ الشَّيْبِهِ مُضْمِرَةً ،
وَمَا أَعْلَمُ كَيْفَ ذَهَبَ هَذَا عَنِ أَبِي عَلِيٍّ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ »^(٢) .

(١) المثل السائر ١٧٥/٢ .

(٢) المثل السائر ١٧٥/٢ .

أقول : قد بيّنا أن المنازعة في هذا الموضع لفظية لا طائل تختها ، ولو أن أبا علي رضي الله تعالى عنه اختار أن يسمى المجاز تجريدًا بمعنى أنه لفظ قد جُرِدَ عن موضوعه الأول ، أي خُلِعَ عنه ، وُجْعِلَ لغيره ، وأصطلاح هو ونفسه ، أو هو وأصحابه على ذلك ، هل كان لنا أن نخاصلهم ، وننازعلهم ، ونقول لهم قد أخطأتم في هذا الاصطلاح وهذه الموضعة ؟ وهل المعاني تَسْتَحِقُ الأسماء المخصوصة لذاتها حتى يكون الإنسان مخططاً إذا وضع لفظاً مخصوصاً لمعنى مخصوص ؟ وقد فسرنا نحن قول أبي علي رضي الله عنه ، والمقصود الذي قصده .

قال المصنف : «وقول أبي علي : إن العرب تعتقد أن في الإنسان معنى كامناً فيه كأنه حقيقته ومحصوله ، فغير العرب أيضاً تعتقد ذلك . فإن عَنِي بالمعنى الكامنِ معنى الإنسانية ، وهو الاستعداد للعلوم والصناعات ، فكلُ أحدٍ يعْرِفُ ذلك ، ولا خصوصية للعرب فيه . وإن عَنِي بالمعنى الكامنِ الأخلاق كالشجاعة والشجاعة ، فليس هذا مختصاً بالإنسان ، بل جميعُ الحيوانات يُوجَدُ فيها ذلك ، كالشجاعة في الأسد ، والشجاعة في الدبّ ، وما أعلم ما أراد أبو علي بهذا الكلام .

على أن هذا القسم الأخير ليس عبارة عن حقيقة الإنسان ، فإنه لا يقال في حدَّه حيوان شجاع ، ولا حيوان سخي ، بل حيوان ناطق ، فقد أخطأ أبو علي من وجهتين : أحدهما أنه جعل حقيقة الإنسان عبارة عن خُلُقِه ، والثاني أنه أدخل في التجريد ما ليس منه »^(١) .

أقول : إن أبا علي رضي الله عنه لا يلزمه تفسير ما كانت العرب

(١) المثل السائر ١٧٦/٢ .

تَسْخِيلُهُ وَتَوْهِيمُهُ فِي الإِنْسَانِ، وَلَا هُدًى مِنْ وَظِيفَتِهِ، وَلَكِنْ أَبَا عَلِيٍّ قَالَ إِنَّا لَمَّا وَجَدْنَا الْعَرَبَ الَّذِينَ صَنَاعَتْنَا الْبَحْثَ عَنْ مَجَارِيِّ كَلَامِهِمْ يُحَاطِّيُّونَ فِي الشِّعْرِ أَنفُسَهُمْ، فَيَقُولُونَ: قَلْتُ لِقَلْبِيْ، وَقَالَ لِيْ، وَقَلْتُ لِنَفْسِيْ، وَقَالَتْ لِيْ، وَيَقُولُونَ: سَأَلْتُ مِنْهُ مَا سَأَلَنِي الْبَحْرُ، فَيَأْتُونَ بِلِفْظَةِ مِنْهُ، كَمَا يَأْتُونَ بِهَا فِي قَوْلِهِمْ غَصِّبَتْ مِنْهُ السَّيْفُ، وَأَخْذَتْ مِنْهُ التَّوْبُ، فَيَقِيدُ ظَاهِرُ كَلَامِهِمْ أَنَّ الْمَسْؤُلَ مِنْهُ غَيْرُهُ، كَمَا أَنَّ الْمَغْصُوبَ مِنْهُ غَيْرُهُ، أَفَادَنَا إِكْثَارُهُمْ مِنْ هَذَا وَتَكْرَارُهُمْ لِاستِعْمَالِهِ أَنَّهُمْ يَتَوَهَّمُونَ أَنَّ فِي هَذِهِ الْبَنْيَةِ الْمَشَاهِدَةِ أَمْرًا كَامِنًا، هُوَ مَحْصُولُ الْإِنْسَانِ، وَهَذَا الْهِيَكلُ الظَّاهِرُ هُوَ كَالْقَالِبِ لِلذَّلِكِ الْمَعْنَى، وَكَالْقِيَسْرُ لِلذَّلِكِ الْلَّبْسِ، وَمِنَ الْحَاجَةِ أَنْ يَكُونَ هَذَا الْمَعْنَى الْبَاطِنُ غَيْرُهُ الْقَسْمَيْنِ الَّذِيْنَ قَدْ ذَكَرَهَا الْمَصْنَفُ، وَهَا مُحَرَّدُ الْاسْتِعْدَادِ لِلْعِلُومِ وَالْخُلُقِ فَلَيَنْظُرْ فِي تَقْيِيسِهِ، خَصْوَصًا وَمِنَاهُ الْعَقَالَاءُ فِي هَذَا الْمَوْضِعِ كَثِيرَةً جَدًّا، وَكَلَاهَا خَارِجَةٌ عَنْ هَذِيْنِ الْقَسْمَيْنِ الَّذِيْنَ قَدْ ظَنَّ هَذَا الرَّجُلُ أَنَّهُ لَا يُمْكِنُ تَفْسِيرُ مَا تَوَهَّمَهُ الْعَرَبُ إِلَّا بِوَاحِدِهِمَا، ثُمَّ يَقُولُ لَهُمْ لَا تَفْسِيرُ قَوْلِ أَبِي عَلِيٍّ رَحْمَهُ اللَّهُ بِالْأَوَّلِ وَهُوَ قَوْلُكُمْ: إِنَّ غَيْرَ الْعَرَبِ أَيْضًا تَعْقِدُ ذَلِكَ، فَيَقُولُ لَكُمْ إِنَّ أَبَا عَلِيٍّ مَا قَالَ إِنَّهُ لَا يَعْقِدُ ذَلِكَ أَحَدٌ مِنَ الْأَمْمَ إِلَّا الْعَرَبُ خَاصَّةً، إِنَّمَا كَانَتْ صَنَاعَتُهُ الْبَحْثُ عَنْ مَجَارِيِّ كَلَامِ الْعَرَبِ، وَقَالَ إِنَّهُمْ لَا يَعْتَقِدونَ كَذَا وَكَذَا، لَأَنَّهُ لَا يَسْتَنْظُرُ فِي لِغَةِ أَمْمَةِ أُخْرَى غَيْرِ الْعَرَبِ، إِنَّمَا كَتَبَهُ وَتَصَانِيفِهِ مَقْصُورَةً عَلَى الْبَحْثِ عَنْ لِغَاتِهِمْ خَاصَّةً، فَلَا يَدْلِلُ كَلَامَهُ عَلَى تَفْيِي هَذَا الْحَكْمِ عَنْ غَيْرِ الْعَرَبِ.

وَأَيْضًا فَلَوْ فَسَرَ قَوْلُهُ بِالتَّفْسِيرِ الثَّانِي – وَإِنْ كَنَا نَعْلَمُ أَنَّ رَحْمَهُ اللَّهُ لَمْ يُرِدْهُ – مَا تَوَجَّهَ عَلَيْهِ مَا اعْتَرَضَ بِهِ، لَأَنَّهُ لَمْ يُقْرَدْ الْإِنْسَانَ خَاصَّةً مِنْ دُونِ سَائِرِ الْحَيَاةِ إِلَيْهَا الْحَكْمُ، وَإِنَّمَا ضَرَبَهُ مَثَلًا، لَأَنَّهُ النَّوعَ الْأَعْرَفُ

ومن العجب قوله : ولا أعرف ما أراده أبو علي بقوله : إنهم يتوهمن
في الإنسان معنى كامناً هو حقيقته ومحصوله ، إلا أن يكون أحداً هذين
القسمين اللذين أشرت إليهما .

ولا شبهة أن هذا الرجل ما وقفَ على أقوال العقلاة في هذا الموضع ،
فإن مذاهبهم كثيرة ، وكل منهم يذهب إلى أن حقيقة الإنسان ومحصولهُ
أمرٌ وراء هذا الـ *البِيْنَةِ* المشاهدة ، ولم يذهب منهم ذاهبٌ إلى أحد هذين
القسمين اللذين قد توهّمَ هذا الرجل أنه لا يمكن المصير إلى غيرها .

فأما قوله : إن أبي علي رضي الله عنه أخطأ حيث جعل حقيقة الإنسان
عبارة عن *الخُلُقِ* ، فإن أبي علي رضي الله عنه أخطأ ، وقال هذا الكلام
لا عن نفسه ولا عن غيره ، أما أنه لم يقلهُ عن نفسه فمعلوم ، وأما أنه
لم يقله عن غيره فلأنه قال عن العرب إنهم اعتقدوا أن في الإنسان معنى كامناً
كأنه حقيقته ومحصوله ، فصرّح بأداة التشبيه وهي كأن ، وما قال عنهم إنهم
قالوا إن ذلك المعنى هو حقيقة الإنسان ، ليقول لهم ذلك المعنى وهو *خُلُقُه* ،
و*خُلُقُه* غير داخل في حـدـه وحقيقةـهـ .

وبيني للناس إذا حـكـوا شيئاً شرعوا في نـقـصـيهـ أن يتأمـلـوا ما حـكـوا ،
ثم يـنـقـصـوـوا ، وبالجملة فمقام الشـيخـ أبي علي رضي الله عنه مقام جـلـيلـ
يقتضـيـ أن يـعـتـرـمـ ويـصـانـ ، ولا يـسـتـعـملـ معـهـ التـسـرـعـ بالـتـسـخـطـةـ
والـرـدـ ، وإذا وـجـدـ في كـلـامـهـ ما يـسـتـدـرـكـ استـدـرـكـ معـ استـهـالـ الأـدـبـ .

قال المصنف في الافتئات : « هو الانتقال من خطاب الحاضر إلى الغائب
وبالعكس ، وما يجري مجرى ذلك . وقال : إن الزمخشري قال : إن الرجوع
(الفلك الدائر - م ١٤)

من أحَدِ هذين النوعين إلى الآخر إنما استعمله العربُ تَفَقَّثاً في الكلام ، وانقاولاً من أسلوب إلى أسلوب ، تَطْرِيَةً لسماع السامِع ، وإيقاظاً للاستماع إليه .

قال : وليس الأمر كما ذكر ، لأن هذا الكلام يتضمن أن السامِع قد يَسْمَلُ من أسلوب واحد ، فينتقلُ إلى غيره ليَتَشَطَّط المستمع للاستماع ، وهذا قَدح في الكلام ، لا وَصْفٌ له ، لأنَّه لو كان حسناً لما مُلِّأَ^(١) :

أقول لكم : قلت إنَّه إذا كان حسناً لا يُسْمَلُ ، وهل المُلَالُ إلا من الملل؟ ألا تراهم كيف يقولون : مَلَّ فلان التزهَ في البستان ، ويقولون قد مَكَلِّنَتْ من أكل الحلويَ ، ومَكَلِّنَتْ من سماع الأغاني؟ ولأنَّ الأشياء الكريهة المُسلولة لا يقال لها: مَكَلِّنَتها ، ألا تراهم يستحبون قول من يقول : قد مَلَّ المحبوبُ من الحبس ، والمضروب من الضرب؟ فالذى ذكره المصنف عكسُ الصحيح .

قال المصنف : « وأيضاً فلو صَحَّ ما قاله لكان الالتفات إنما يوجد في الكلام المطَوَّل الذي من شأنه أن يَسْمَلَ السامِع لطولِه ، والأمر بخلاف ذلك ، لأنَّا قد وجدنا الالتفات في مواضع كثيرةٍ من القرآن الكريم ، ومجموع الحالتين معاً لا يبلغ عشرةً ألفاظاً^(٢) .

أقول : لما كان مُرُادَ الواضح الإفهام لسماع ، وكان الإفهام لا يحصل إلا بالإصغاء ، احتِمالَ الواضح لتحصيل الإصغاء بكل طرقي ، فكان

(١) المثل السائر ١٨٢/٢ .

(٢) المثل السائر ١٨٢/٢ .

من تلك الطرق نَقْلُ الخطابِ من الحضورِ إلى القيبةِ وبالعكس ، ليجد السامع ما يوْقِظُهُ وينبهه على الاستئناع . لأنَّه باستمرار الخطاب على نمط واحد ربما قد يُسْمِلُ ، فنُقْلِـ من أسلوب الخطاب إلى أسلوب آخر مستأنفٍ ليَطْرُأُ على ذلك السَّهْرُ الذي عساه حَصَلَ فِيْلَهُ ، ثم لفَرط العناية بالإفهام وَقَعَ ذلك في قصیر الكلام حَسْبَ وَقوعه في طَوْلِهِ ، لافي كل قصیر منه ، كما أنه لم يقع في كل طَوْلِيهِ منه ، ولكن بحسب ما تقتضيه المصلحة .

ولهذه العلة أُنْزَلَ في القرآن الكريم ألفاظ وحروفٌ غير مفهومة ، مثل «طسم» و«المص» وغيرها ، ليُعَارِضَ المشركون فيها عند سماعها ، فيكون ذلك كالاستجرار لهم إلى سماع غيرها من الآيات المنَّزلة ، فإنها إذا قرعتْ أسماءَهم قرعها أمرٌ غريبٌ تزعَّزَ النفس عند سماعه ، وتتَشَوَّقُ إلى معرفته ، فينبغي الداعي إلى سماع ما بعدها ليفسر ما به ، كما يفسر بعض الكلام بعض ، فتحصل الفائدة من وقوفهم على فصاحة القرآن وسِرِّ إعجازه .

ونظير اعتراف المصنف وهو قوله : لو كان هذا خوفاً للملائكة لكان في طَوْلِ الكلام دون قصیره ، أن يعترض هنا المثال الذي قد مثلنا به فيقال : لو كان هذا هو المراد من هذه الحروف ل كانت في جميع السور بل في السورة الواحدة مراتٌ كثيرة ، لتكون أَدْعَى للمشركين إلى تأمله . والخواوب عن الموضعين واحدٌ ، وهو أن ذلك إنما يكون بحسب ما تقتضي به المصلحة ، ولهذا كرر سبحانه (فَبَأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تَكَذِّبَانِ) ^(١) مراراً كثيرة في سورة واحدة ، لما كانت المصالحة تكراره ، فالمخاطبُ أَعْرَفُ بما يخاطبُ به ، وأدرى بما يَسْتَوْصَلُ به إلى اجتناء ثمرة الخطابة ، سواء كان الباري سبحانه أو واحداً منا .

(١) سورة الرحمن .

قال المصنف : « وعلى هذا فيجب إذا وجدنا كلاماً قد استُعملَ فيه الإيجازُ أو الإطنابُ - ولكنه لم يقع فيه الالتفات لكن كل واحدٍ من الطرفين واقعٌ موقعه - أن نقول : هذا ليس بحسنٍ إذا لم يُنتَفَلْ فيه من أسلوب إلى أسلوب ، وهذا قول فيه ما فيه ، وما أعلم كيف ذهب على مثل الزمخشري مع معرفته بفن الفصاحة والبلاغة»^(١) .

أقول : إن هذا الاعتراض من أظرف ما يُحْكَى ، وذلك أن الزمخشري ما جعل حُسْنَ الكلام مقصوراً على الالتفات كالشروط التي تقدم عند عدم شروطها ، ولكنه قال إن الالتفات مما تستعمله العرب ، ووجهُ استعمالها له أنه يَحْصُلُ منه نوعٌ تبَيِّنُه مَا للسامع ، وتتجددُ لنشاطه إلى مسامع الخطاب ، فلا يلزم من ذلك أن كل خطاب لا التفات فيه فإنه لا يكون حسناً ، كما إذا قلنا إنما حُسْنَ استعمال المطابقة والتجنسي في الشعر لكننا وكذا ، لا يلزم منه أن يكون كل شعر لا تجنسي فيه ولا مطابقة غير حسن.

وغيره هذا الكلام أن محسنات الشعر والخطابة أمور كثيرة ، فإذا فُقِدَ بعضها قام غيره مقامه ، فَحَصَلَ الحُسْنُ المطلوبُ .

لكن لو فقدت كلُّ المحسنات لزِمَ لا حَمَالَةَ ألا يكون الكلامُ حسناً . فقد بان أن هذا الموضع ما ذَهَبَ على الزمخشري ، وإنما ذهب على من اعتبره .

يم يقال له : ألسْتَ القائلَ : قد يُعَدَّلُ عن لفظة الغيبة إلى لفظة الحضور تعظيماً ، كقوله تعالى (إِيَّاكَ نَعْبُدُ)^(٢) فإنه عَدَلَ عن لفظ الغيبة ،

(٢) فاتحة الكتاب .

(١) المثل السائر ١٨٢/٢ .

وهو قوله (الحمد لله رب العالمين) لأن العبادة أعظم من الحمد ، فجعل العبادة بكلمات الخطاب لعظم شأنها ، وكاف الخطاب أصرح وأدلىًّا من هذه الغيبة ، فجعل الأعظم للأعظم ، فيقال لك : فقد قال سبحانه في موضع آخر (وابيله وشكروا له إليه ترجعون)^(١) فيجب أن تكون هذه الآية غير حسنة لفقد المعنى الذي ذكرته ، كما قلت : إنه لو كان الالتفات حسناً كما قاله الزمخشري لوجب أن يكون كل خطابٍ واقع موقعه ، والالتفات فيه غير حسنٍ ، فكل ما يجيئ به فهو جوابُ الزمخشري .

قال المصنف : « وقد يؤكّد الضمير المتصل » ، كقوله تعالى : (لا تخفْ إنك أنت الأعلى^(٢)) وقد يؤكّد الضمير المنفصل بالمنفصل : وذلك مثل قول أبي تمام :

لا أنت أنت ولا الديار ديارٌ خفَّ الهوى وتولتِ الأوطارُ

ومثل قول النبي :

قبيلٌ أنت أنت وأنت منهم وجندكَ جندكَ الملكُ الهمام^(٣)

أقول : إن هذين البيتين لا يصلحُ أن يُمثَّلُ بما على توكيده الضماير ، وذلك أن التوكيد ما لو حذفَ وبقي المؤكّد يبقى اللفظ دالاً على المعنى ، إلا أنه غير مؤكّد له كالآية التي استشهد بها ، فإنه لو حذف أنت ليجيء « إنك الأعلى » ، وهو كلام مفيد للمعنى ، إلا أنه غير مؤكّد .

(١) سورة العنكبوت : الآية ١٧ .

(٢) سورة طه : الآية ٦٨ .

(٣) رواية الديوان والمثل السائر (وجندك بشر) المثل السائر ٢٠٨/٢ .

وَكَوْلَهُ تَعَالَى : (إِنَّكَ أَنْتَ عَلَامُ الْغَيْبِ)^(١) وَكَوْلَهُ : (إِمَّا أَنْ تُلْقِيَ وَإِمَّا أَنْ نَكُونَ نَحْنُ الْمُلْقِيْنَ)^(٢) وَلَوْ حُذِفَ أَنْتَ الثَّانِيَةُ مِنْ بَيْتِ أَبِي تَمَامٍ أَوْ مِنْ بَيْتِ الْمَتَنِيِّ لَخُرُجُ الْكَلَامِ عَنِ الْإِفَادَةِ أَصْلًا . وَكَيْفَ يَفِيدُ وَهُوَ مُبْتَدًأ وَخَبَرٌ ، وَقَدْ حُذِفَ الْخَبَرُ ؟ وَمَرَادُ أَبِي تَمَامٍ لَسْتُ أَيْتَهَا الْمَرْأَةُ كَمَا كَسْتُ أَعْهُدَ ، وَلَا الْدِيَارُ كَمَا كَنْتُ أَعْهُدَ ، وَلَوْ كَانَ قَوْلَهُ : لَا أَنْتَ أَنْتَ مِنْ بَابِ التَّوْكِيدِ لَكَانَ قَوْلَهُ : لَا الْدِيَارُ دِيَارٌ مِنْ بَابِ التَّوْكِيدِ .

وَكَذَلِكَ قَوْلُ الْفَائِلِ :

فَا النَّاسُ بِالنَّاسِ الَّذِينَ عَاهَدُوهُمْ وَلَا الدَّارُ بِالدَّارِ الَّتِي كَنْتُ أَعْرِفُ فِي ذَلِكَ امْتِرَاجٌ أَبْوَابِ الْبَيَانِ بِعِصْمِهَا بَعْضٌ ، وَهُوَ غَيْرُ جَائزٍ . وَمَرَادُ الْمَتَنِيِّ بَقَوْلِهِ : أَنْتَ أَيُّ أَنْتَ الْمَشْهُورُ الَّذِي يُسْتَغْنَىْ عَنِ شَرْحِ صِفَاتِهِ وَمَادِحَهُ ، كَمَا يَقُولُ : قَدْ قُتِلَ زَيْدٌ بِيَدِهِ أَسْدًا وَالْأَسْدُ الْأَسْدُ . وَكَوْلُ الرَّاجِزِ :

• أَنَا أَبُو النَّجْمِ وَشِعْرِي شِعْرِي •

وَهَذَا مَعْنَى آخر غَيْرِ التَّوْكِيدِ ، وَلَكِنَّهُ قَدْ اشْتَبَهَ عَلَى هَذَا الْمَصْنَفِ لِأَحْمَالَهُ .

قَالَ الْمَصْنَفُ : « وَمِثَالُ تَأكِيدِ الضَّمِيرِ الْمُتَصلِّ بِالْمُتَصلِّ قَوْلُهُ تَعَالَى : (أَلَمْ أَقُلْ) لَكَ إِنَّكَ لَنْ تُسْطِيعَ مَعِي صِرَارًا » ثُمَّ شَرَعَ بَيْنَ مَاذَا قَالَ « لَكَ » هَا هَنَا ، وَقَالَ مِنْ قَبْلِ (أَلَمْ أَقُلْ إِنَّكَ) وَلَمْ يَقُلْ « لَكَ » فِي خَرْقِ السَّفِينَةِ^(٣) . أَقُولُ : أَمَا قَوْلُهُ « لَكَ » فَوْجِهٌ مَشْهُورٌ قَدْ قَالَهُ النَّاسُ مِنْ قَبْلِ ، وَذَكَرَهُ مَنْ يَسْعَطَهُ اسْتَخْرَاجُ الدِّقَائِقِ وَالْمَعَانِي الْغَامِضَةِ مِنَ الْقُرْآنِ ، وَلَيْسَ

(١) سُورَةُ الْمَلَائِكَةِ : الآيَةُ ١١٦ .

(٢) سُورَةُ الْأَعْرَافِ : الآيَةُ ١١٥ .

(٣) الْمَلَلُ السَّابِرُ ٢٠٤/٢ .

غرضنا الآن عن البحث في صحة ذلك وفساده ، ولكن تمثيله بهذه الآية على تأكيد الضمير المتصل ليس من هذا الباب أصلاً ، وإنما عدّى الفعل منها إلى المفعول بعرف الخبر لا غير ، ولو كان هذا توكيداً للضمير لكان قوله: مرت بزيد تأكيداً للضمير ، وهذا مالا يقوله أحد.

وكيف يتَّوَهَّمُ أن قوله «لَكَ» تأكيد للضمير في قوله «إِنْكَ» ، وأين أحدهما من الآخر؟ نعم لو قال سبحانه «أَلَمْ أَقْلَ أَنَا لَكَ» كان قوله «أَنَا» تأكيداً للضمير في قوله (أَلَمْ أَقْلَ) فيكون تأكيداً للمتصل بالمتصل لا بالمتصل .

فإن قيل: لعله لم يتكلم في التأكيد على الاصطلاح التحوي ، بل على اصطلاح آخر يرجع إلى علم البيان والبلاغة ، فلا يلزم ما ذكرتـ.

قيل : لعمري إن غرضه البحث في علم البيان ، ولكنه لم يخرج هذا الفصل والكلام فيه إلا على الاصطلاح التحوي ، فلما أراد أن يطبق الآيات والأشعار عليها وقع في الغلط كما رأيت .

قال المصنف في باب العام والخاص إنه تعالى قال : (مَثَلُهُمْ كَثَلٌ^١ الذي استوقد نارا ، فلما أضاءت ما حَوْلَهُ ذَهَبَ اللَّهُ بِنُورِهِمْ) ولم يقل بضوءهم ، لأن الضوء نور وزيادة .

فلو قال بضوءهم لكان المعنى يُعطّي ذهاب تلك الزيادة ، وبقاء ما يسمى نوراً ، لأن الإضاءة هي فَرَطُ الإنارة ، ولذلك قال تعالى : (هُوَ^٢ الذي جعل الشمس ضياء والقمر نوراً) فكل ضوء نور ، وليس كل نور ضوءاً ، فقال سبحانه (ذَهَبَ اللَّهُ بِنُورِهِمْ) لأنه إذا أزال النور فقد أزال الضوء أصلاً^(١).

(١) المثل السائر ٤٤٩/٢ .

أقول : إن هذا الرجل قد شحن كتابه بأمثال هذه التُّرْهَاتِ ، وأطاله فيها وأسهب ، وأعجَّبَ بها ، وظن أنه أتى بغرير .

وهذه المعاني قد صُنْفَتْ فيها الكتب الكثيرة ، وتكلف الناس من قبله في استنباط أمثال هذه الوجوه الغامضة والمعاني الخفية من القرآن العزيز ، وإنه لِمَ أتى بهذه اللفظة دون تلك؟ ولم قَدِمْ هذا وأخْرَ هذا؟ وقد قيل في هذا الفن أقوالٌ طويلةٌ عريضةٌ أكثرها بارد غَثٌ ، ومنها ما يشهد العقل وقرائنُ الأحوالِ أنه مُرَادٌ .

وقد ورد إلينا في مدينة السلام في سنة اثنين وثلاثين وستمائة رجلٌ من وراء النهر كان يتعاطى هذا ، ويحاول إظهار وجود نظريةٍ في هذه الأمور في جميع آيات الكتاب العزيز ، نحو أن يقول في قوله تعالى : (ما يأْتِيهِم مِّنْ ذِكْرٍ مِّنْ رَبِّهِمْ مُّحَدَّثٌ إِلَّا اسْتَمْعُوهُ وَهُمْ يَلْعَبُونَ)^(١) .

ثم قال : لم قال (ما) ولم يقل (لا)؟ ولم قال (يأْتِيهِم) ولم يقل (يَجِئُهُمْ)؟ ، ولم قال (من ذكر) ولم يقل (من كتاب)؟ ولم قال (من ربهم) ولم يقل (من إلههم)؟ . ولأي حال قال في موضع آخر (من الرحمن)؟ وما وجده المناسب في تلك الآية في لفظها وسياقها كلامها وبين لفظة الرحمن؟ وما وجده المناسب بين هذه الآية وسياقها؟ وبين لفظة ربهم؟ .

وعلى هذا القياس .

وكذلك كان يتتكلف تَعْلِيلَ كلٍّ ما في القرآن من الحروف التي تَسْقُطُ في موضعٍ وَتَبْتُ في موضع ، نحو قوله تعالى : (أَوْ لَمْ يَرُوا إِلَى الطَّيْرِ

(١) سورة الأنبياء : الآية ٢ .

فوقهم)^(١) قوله : (ألم يروا إلى ما خلق الله)^(٢) لم أثبت الواو هناك ، وأسقطها ها هنا ، ونحو قوله : (ومن يُشَاقِّ الرَّسُولَ مِنْ يَعْدُ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَى)^(٣) قوله : (ومن يُشَاقِّ اللَّهَ) لم فَكَّ الإدغام في موضع ولم يَقْسُكَ في موضع آخر ؟ .

كنا نتعجب منه ونستظرفه ، حتى وصل إلينا هذا الكتاب ، فقلنا : إنه فوق كل ذي علم عليم .

ولو أخذنا تناقضه في هذا لأطلنا كما أطلال ، وستمحنا كما سمح .

ومعنى يتسع الوقت لمناقضة هذه التكاليفات الفبيحة ؟ ولكننا قد نكلمه في بعض المواضيع منها ، لكيلا يخلو كتابنا هذا عن مجادلته في هذا الفن بالكلية ، فنقول له : لم قلت إن الضوء نور وزيادة ؟ فمن كتب اللغة أخذتـ هذا ؟ أم من غيرها ؟ فقد تصفحنا كتبـ اللغة فلم نتجدـ ما نشاهدـ بما ذكرـ ، ولا الاصطلاحـ مساعدـاً لكـ في عرـفـ الناسـ وموضـعـاتهمـ .

وإذا لم يكن موجودـاـ في أصلـ اللغةـ ولا الاصطلاحـ العربيـ لم يستجزـ لكـ أن تحملـ كلامـ اللهـ تعالىـ عليهـ وتفسرـهـ بهـ .

وقد قال ابن السكريـ في كتابـ إصلاحـ المنطقـ – وهو عـيـنـ الكـتبـ الغـوريـةـ ، ومـصنـفـهـ إمامـ الناسـ كلـهمـ فيـ اللغةـ ، ومنـ لاـ يـخـطـفـ اثـنانـ فيـ كـتبـهـ – فيـ بـابـ فعلـ وـفـعلـ باـختـلافـ المعـنىـ : النـيـرـ عـلـمـ التـوبـ ، والـنـورـ الصـيـاءـ (فقد جـعلـهاـ)^(٤) شيئاـ واحدـاـ .

(١) سورة الملك : الآية ١٩ .

(٢) سورة التحليل : الآية ٤٨ .

(٣) سورة النساء : الآية ١١٥ .

(٤) زيارة يتم بها المعنى ، ويستقيم الكلام .

وليس في قوله تعالى (و هو الذي جعل الشمس ضياء والقمر نورا)^(١)
 ما يدل على اختلاف المعنين ، ولا قوله : (لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا)^(٢)
 ما يدل على اختلاف المعنين .

قال المصنف : « وإنما قال سبحانه : (ذهب الله بنورهم) ولم يقل أذهب الله نورهم ، لأن كل من ذهب بشيء فقد أذهب ، وليس كل من أذهب شيئاً فقد ذهب به ، لأن قولنا «ذهب به» يُفهم منه أنه استصحبه معه ، وأمسكه عن الرجوع إلى حالته الأولى ، وليس كذلك «أذهب»^(٣) .

أقول : إن قوله « إن الله تعالى ذهب بنورهم » معناه : أنه استصحبه ومضى ، كما يقول القائل : مررت بزید وعنده سيف فذهبت به ، أي أخذته ومضيت ، وكما قال سبحانه : (فلما ذَهَبُوا بِهِ وَأَجْمَعُوا)^(٤) معناه : أخذنا يوسف حُبْطَهُم ومضوا ، فإن قال نعم هكذا تفسير الآية فهذا كفر وتهجم . فاما قوله : كل من ذهب بشيء فقد أذهب فهو على إطلاقه غير صحيح ، لأنه ليس كل من ذهب بشيء فقد أذهب ، يعني أنه أعدمه عن الوجود أصلاً ، لكنه قد أذهب عن موضعه الأول الذي أخذه منه .

واعلم أن الغلط دخل عليه من اشتراك لفظة ذهب ، فإنها تستعمل في معنتين : أحدهما قوله : ذهب قلان في الطريق الفلاني ، أي مضى فيه ونَفَدَ فيه .

(١) سورة الحشر : الآية ٤ .

(٢) سورة المائدة : الآية ٤٨ .

(٣) المثل السائر ٢٣٠/٢ .

(٤) سورة يوسف : الآية ١٥ (فلما ذهبا به وأجمعوا أن يحملوه في غيابة ألب) .

ومنه سُمِيَ السبيل مَذْهَبًا ، لأنَّه يُذْهَبُ فيه أيٌ يُمضَى فيه ، وسمى
قول الشاعر وغيره مَذْهَبًا ، كأنَّه صار طریقًا فسلکه الفقهاء وغيرهم .
والمعنى الثاني ذهب بمعنى عَدْم وفُقِيدَ ، وقولهم : ذهب الشبابُ
وذهب العُمرُ ، أي فتىً وعَدْمَ .

ولعل هذا الاعتبار الثاني هو الحقيقة الأصلية ، والمحمل الأول هو
الجاز ، لأنَّه لما مضى زيدٌ في تلك الطريق ، فقد تقدم بالنسبة إلى غيرها ،
فسمى مُضِيًّا فيها ذهاباً .

وإذا بان لك اشتراك القبط ظهر غلطه ، لأنَّه توهم أنَّ قوله تعالى
(ذهب الله بنورهم) مثل قولنا : ذهب زيد بشباب عمرو واحتملها ومضى ،
وقد صرح بتفسير الآية على هذا الوجه ، وهذا معنى لا يجوز أن يُنسبَ
إلى الله تعالى ، لأنَّه لا تصح عليه الحركة ، ولا استصحاب الأشياء واحتياطها
من مكان إلى مكان ، وعلى أنه لو صحَّ عليه سبحانه ذلك لكان قوله : أذهب
الله نورهم أبلغ في المعنى من قوله : ذهب الله بنورهم على هذا التفسير ، لأنَّ
إعدام النور بالكلية أبلغ من قوله : (وتركهم في ظلماتٍ لا يُبصرون)
من أين يذهب بالنور بالتفسیر الذي زعمه فيكون للنور وجودٌ في الجملة ،
ولما نُقلَّ من موضع إلى موضع ؟

وإذْ ظهر لك غلطه فاعلم أنَّ معنى قوله (ذهب الله بنورهم) هو معنى
قوله (أَذْهَبَ اللَّهُ نُورُهُمْ) .

كلا اللقطتين تدل على معنى واحدٍ ، كما أنَّ قوله : فقدتُ بزيد مثل
قولك : فقدتُ زيداً ، لا فَرْقٌ بين الكلمتَيْن ، لأنَّ الأفعال اللازمَة إذا
أردتَ تَعْدِيَتها عَدَيَّتها تارةً بعْرَفَ الجر وتارةً بالهمزة ، وتقول : ذهب

الشابُ ، وذهب الدهر بالشباب ، وأذْهَبَ الدهرُ الشابَ ، كما تقول :
خرجت بزيد من البلد ، وأخرجت زيداً من البلد ، ولست تعني بقولك :
خرجت بزيد من البلد أنت استصحبت زيداً معكَ .

كلاً ليس هذا هو المراد من تعنيدية اللازم، بل محض قولك: أخرجت
زيداً ، لا زيادة على ذلك .

— ٩٦ —

قال المصنف : « فاما الأسماء المفردةُ الواقعَةُ على الجنس التي يكون
بيتها وبين أحدها تاء التأنيث فإنه متى أريد النفي كان استعمال أحدهما أبلغ ،
ومتى أريد الإثبات كان استعمالها أبلغ ، نحو قوله تعالى في قصة نوح : (وقال
الملائكة لِرَبِّكَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ، قَالَ يَا قَوْمٍ لَيْسَ بِي ضَلَالٌ) .

كان أبلغ في نفي كونه ضالاً من أن يقول ليس بي ضلال ، كما لو قيل :
ألك تمر؟ فقلت في الجواب : مالي تمرة ، فإنه أنتهى للتصر ، ولو قلت :
مالي تمر لم يؤد المعني الذي أداه القول الأول .

قال : ولا يظن أنه لما كان الضلالُ والضلالَ مصدرَيْن من قولك
ضلَّ يتضليلُ كان القولان سواه ، لأن الضلال في هذه الآية ليست عبارة
عن المصدر ، بل عن المرة الواحدة ، كما يقال ضربت ضربة وأكلت
أكلة ، بمعنى مرة واحدة ، فإذا نفني نوح عن نفسه المرة الواحدة من الضلال
فقد نفى ما فوقها من المرتين والمرات الكثيرة^(١) .

أقول : إن الذي ذكره غير صحيح ، لأن كانت لفظة « ضلال » في الآية
مصدرآ ، ولا إن كانت المرة الواحدة .

(١) المثل السائر ٢٢١/٢ وهذا تفصيل ليس في المثل السائر .

أما الأول: فلأنه إذا كانت هذه اللفظة مَصْدِرًا— وقد وافق على أن «ضلال» مصدر أيضًا— وجب أن تكون دلالتهما سواء في نفي كونه ضالاً على الإطلاق، فلا يكون أحدُ اللفظين أبلغَ في الدلالة من الآخر ، لأنهما معاً يدلان على نفي ما هيَّءَ الضلال نفسه ، فإن المصدر يدل على الماهية فقط من غير دلالة على شيء آخر ، فإذا نفَيَ فقد نفَيَ الماهية نفسها ، فلا فرقَ على هذا التقدير بينَ الضلالِ والضلالَ .

وأما الثاني: وهو أنه لا يصح ما قاله بتقدير أنَّ يكون المراد بالضلال المرة الواحدة ، لأنَّه لو قال القائل: ما عندي تَمْرَةٌ بمعنى تمرة واحدة وعنده تمر كثير يَصْحُّ ذلك ، ولم يكن كاذباً .

لا يرى أنه لو أظهر ما أضمر فقال: ليس عندي تمرة واحدة فقط ، بل عندي تمرٌ كثير ، لم يكن فيما قاله متناقضًا؟ فالمثال الذي ذكره يَدُلُّ على عَكْسِ ما أراده .

وقول نوح (ليس بي ضلاله) ، لو كان يريده به العدد بمعنى ليس بي ضلاله واحدة كَما زَعَمَ هذا الرجل ، ثم تركناه وظاهر اللفظ ، لم يكن نافياً لكونه ضالاً ، لأنَّه إذا كانت الضلالات مختلفة الأنواع ، وقال: ليس بي ضلاله واحدة فقط ، لم يكن هذا اللفظ مُفِيداً لاتفاق كونه ضالاً ، بخلاف إلا تكون ضلاله واحدة ، بل ضلالاته مختلفة متنوعة ، فاللفظ لو تركناه وظاهره لم يدل على اتفاقه كونه ضالاً ، بتقدير أن يراد بالضلال المرة الواحدة على ما قد تَوَهَّمَه هذا الرجل .

وأما قوله: إذا نفَيَ عن نفسه المرة الواحدة من الضلال فقد نفَيَ ما فوقها من المرتين والمرات الكثيرة ، فكلام من لم يُمْسِنِ النظر في قوله:

المرة الواحدة ، لأنه إذا أحذ في تفسير الصلاة أن تكون واحدة وجعلت الصلاات أشياء متعددة مختلفة كالضرائب المختلفة والأكلات المتنوعة ثم نفى عن نفسه صلاة واحدة مشروطاً فيها أن تكون واحدة ، لم يلزم من انتفائها بهذا القيد أن تنتفي عنه صلاات كثيرة ، لأن وجود الصلاات الكثيرة ، ملحوظاً فيها كونها كثيرة ، لا يُستوي اقتسام الصلاة الواحدة عنه ، لأن معنى الواحدة ليس معها غيرها ، ومن وجَدَتْ عنده صلاات كثيرة ، فقد صَدَقَ عليه أنه وجَدَتْ عنده صلاة واحدة ، بمعنى أنه ليس معها غيرها .

واعلم أن مراده تعالى بقوله حاكياً عن نوح (ليس بي صلاة) نفَى الصلاة الذي هو المصدر ، لأنه هو الذي بانتفائه يتنتي كون نوح ضالاً انتفاء مطلقاً ، لا كما توهّمـهـ هذاـ الرـجـلـ منـ آنـ عـبـارـةـ عنـ المـرـةـ الـواـحـدـةـ ، واللفظ واضح ، المعنى ظاهر ، وعند التعمق في ذلك .

قال المصنف : « واعلم أن التيسـرـ يقتضـيـ أنـ يـقـالـ : (ماـ هـذـاـ الـكـتـابـ لـاـ يـغـادـرـ صـغـيرـةـ وـلـاـ كـبـيرـةـ) إـلـاـ أـحـصـاهـاـ) لأنـهـ إـذـ قـدـمـ الصـغـيرـةـ لـمـ يـخـتـجـلـ لـىـ أـنـ يـقـولـ (وـلـاـ كـبـيرـةـ) ، لأنـ وـجـودـ الـمـؤـاخـذـةـ عـلـىـ الصـغـيرـةـ يـلـزـمـ مـنـهـ وـجـودـ الـمـؤـاخـذـةـ عـلـىـ الـكـبـيرـةـ ، وـإـذـ لـمـ يـعـفـ عـنـ الصـغـيرـةـ لـمـ يـعـفـ عـنـ الـكـبـيرـةـ .

وإذ قدم في اللقطة الكبيرة احتاج إلى أن يقول (ولا صغيرة) ، لأنه لم يعف عن الكبيرة فيجوز أن يعفو عن الصغيرة ، فاحتاج إلى أن يذكر ما قال .

غير أن الكتاب العزيز أحقَّ أن يُتَعَجَّبَ فيقاسُ عليه ، فوجَّبَ تركُ
القياس لأجلِ هذه الآية^(١) .

أقول : أمَّا أولاً : فإنَّ هذه الآية لم تذكر لبيان المؤاخذة والغفران ، ولا أن
معنِّي قوله « لا يغادر صغيرة ولا كبيرة » العقابُ والغُفرانُ ، بل معناه
الإحصاء والعدُّ .

ألا ترى إلى قوله سبحانه : (وُضَعَ الْكِتَابُ فَتَرَى الْجُنُّوْمِينَ مُسْكُفِقِينَ
إِمَّا فِيهِ، وَيَقُولُونَ يَا وَيُلْتَسِنَا مَا هَذَا الْكِتَابُ لَا يَغْدُرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً)^(٢)
[ليس المراد فيه] العقابُ والغُفرانُ ، بل معناه الإحصاء والعدُّ ؟ ألا ترى
قوله « إِلَّا أَحْصَاهَا » فهو أمرٌ راجعٌ إلى إحاطة عِلْمِ الباري سبحانه بأفعال
العباد خَفَقِيْها وظاهرِها ، وجلبِها وحرفيْها ، فالذِّي تَوَهَّمَهُ هذا الرجل
من كَوْنِ هذه الآية لتفصيل أحوال المؤاخذة تَوَهَّمَ باطل .

وأما ثانيةً : فلأنَّ هذه الآية وردت لبيان أنه تعالى يعلم الكبائر من
الذنوب والصغرائِر ، وللناس خلافٌ مشهورٌ في الكبائر والصغرائِر من الذنوب
ما هي ؟ فمعنى الآية أنه تعالى يَعْلَمُ كُبَارَ الذنوبِ وصغرائِرِها .

وعلى هذا التفسير إذا قَدَمَ الصغيرةَ لا يلزمُ منه أن يستخفني عن
ذكر الكبيرة ، لأنَّه ليس إذا عَلِمَ الصغارَ كَانَ بأنَّه يعلم الكبائر أولَى ،
كما يقول القائل : إذا أبصرتُ من عشرة فراسخ كنتُ بأنَّه أبصرَ من فراسخ
واحدَ أولَى ، لأنَّه ليس أحدَ نوعِي الكبائر والصغرائِر بالنسبة إلى علميَّه تعالى
أجْلُى من الآخر على جميع مذاهب العقلاَء ، والإبصارُ على حدَّ فراسخ
واحدَ أولَى لِمَن يَبْصُرُ على حدَ عشرة فراسخ .

(١) المثل السائر ٢٣٢/٢ .

(٢) سورة الكهف : الآية ٤٩ .

وأما ثالثاً : فلو سلمنا أنه لم يعْنِ كبار الذنوب وصغراؤها، بل عَنَّى
الخففيَّ من أفعال العباد وهي أفعال القلوب ، والحلبيُّ الظاهر منها وهي أفعال
الحوارح ، فإنه لا يمكن حَمْلُ الآية إلا على أحد هذين المحملين ، ولا ثالث
لهم ، فلم يقتضي القياسُ أن يقولَ لا يغادر صغيرةً ولا كبيرةً ، لأنَّه قد
قال: التفسير عوض ، وذلك بأن يقول ما لهذا الكتاب لا يغادر خفيفاً ولا جليساً
إلا أحصاه ، لأن كل من أثبت أن الباريَّ تعامل عالم بأفعال الحوارح أثبته عالماً
بأفعال القلوب ، كدلاله على أنه تعالى يعلم الجزئيات عامة في القسمين ،
وليس أحدهما أولى بالتقدير من الآخر .

فإن قلتَ: أليس قد ثبَّتَ في الإنْسِنِيْ أَنَّ الْجَلِيلَ أُولَى بالمعْلُومِيَّةِ مِنَ الْخَفَّيِّ ،
وَالْقُرْآنُ الْعَزِيزُ يَدْلُلُ عَلَى مَا يَتَعَارَفُهُ النَّاسُ وَخَوْطَبُوا بِهِ عَلَى قَدْرِ أَذَهَانِهِمْ ؟
قلتَ: إِنَّهُ لَوْ قَالَ تَعَالَى مَا هَذَا الْكِتَابُ لَا يَغْادِرُ صَغِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا ، فَرَبِّيَا
يُسْتَوِّهُمْ أَنَّ الْكِتَابَ مَوْضِعٌ لِإِحْصَاءِ فُؤُلُّ الْقُلُوبِ فَقْطُ ، لَا يَعْنِي أَنَّهُ تَعَالَى
يَعْلَمُ أَفْعَالَ الْقُلُوبِ فَقْطُ ، بَلْ يَعْنِي أَنَّهُ قَدْ يُسْتَوِّهُمْ أَنَّ الْكِتَابَ الَّذِي فِيهِ
ذَنْبُ بْنِي آدَمَ وَحَسَانَتِهِمْ مَوْضِعٌ لِإِحْصَاءِ أَفْعَالِ قُلُوبِهِمْ خَاصَّةً ، وَلَا يَكُونُ
فِيهِ شَيْءٌ هِيَ مَعْدُودَةٌ مُضْبُوطةٌ فِيهِ . وَالْمَرَادُ مِنْ هَذِهِ الْآيَةِ وَأَمْثَالِهَا إِرْهَابُ
الْعَصَمَةِ ، وَهُمْ إِذَا سَمِعُوا أَنَّ أَعْلَمُهُمْ كُلُّهُمْ مُضْبُوطةٌ مُكْتُوبَةٌ فِي كِتَابٍ
يَشْتَمِلُ عَلَيْهَا كَمَا يَشْتَمِلُ عَلَى سَائِرِ الْحَسَابِ لَا عَلَى مَا فِيهَا ، كَانُوا أَخْوَافَ
وَأَشَدَّ تَبَاعِدًا مِنَ الْمَعَاصِيِّ .

فعلى هذه الطريقة قال « ولا كبيرة » لتكون الآية بعيدةً عن التوهّم الذي يُدخلُ نظامَ الْرِجْنِ ..

قال المصنف : «وكذلك قد كان القياسُ أَنْ يَقُولُ «فَلَا تَنْهِرُهُمْ وَلَا تَقْسِّلُهُمْ أَفَ» ، لأنَّهُ إِذَا مَيَّأَ لَهُمْ أَفَ فَقَدْ امْتَنَعَ أَنْ يَنْهِرُهُمْ .

قال : نظير ذلك في الترتيب الواقع على وَفْقِ القياسِ قول البحري يصف تُحُولَ الركاب :

كالقِسِّيِّ الْمَعْطَفَاتِ بِلِ الْأَوْتَارِ (١) هُمْ مَبْرِيَّةٌ بِلِ الْأَوْتَارِ (١)

ف شبهاهُ أولاً بالقسي ، ثم قال بل كالأسمهم ، لأنها أبلغ في التحول من القسي ، ثم قال بل كالأوتار ، لأنها أبلغ في التحول من الأسمهم .

قال : لكنني قد رفضت القياس ، وقدَمْتُ ما استعمل في الكتاب العزيز عليه » (٢) .

أقول : إنَّ الله تعالى لو قال : «فَلَا تَقْلِيلُهُمْ بِلِ لَا تَنْهِرُهُمْ» لكان على خلاف القياس ، لأنَّ لفظة بل للاستدراك ، فُعُطى في الثاني معنى لم يكن في الأول ، فيصبح أن يقال : لَا تنهِر السائل بل لا تضربه ، ويقتضي القياس أن يقال : لَا تضرب السائل بل لَا تنهِره .

وبعد البحري إنما وقع موافقاً للقياس لاستعماله لفظة بل ، فأما الآية فوردت بالواو العاطفة ، وهي غير مقتضية للتترتيب ، فلا فرق بيَّنَ أن

(١) من قصيدة له في مدح أبي جعفر بن حميد ، مطلعها :
أباكاه في الدار بيد الدار وسلو بزيرب عن نسوار
ثم يصف تحول القلائص ، فيقول قبل هذا البيت :
يتفرق كالسراب وقد خض في غمار من السراب الجاري
وكان بالأصل (الأسماء ميزته) وهو خطأ .

(٢) المثل السائر ٢٣٣/٢ بصرف .

يقول : « فلا تُنْهَرْهَا ولا تُقْلِلْهَا أَفْ » ، وأن يقول « فلا تُقْلِلْهَا أَفْ
ولا تُنْهَرْهَا » ..

— ٩٩ —

قال المصنف : « وقد أغفل كثير من الشعراء التراثيَّ من الأدْنَى فالأدنى
إلى الأعلى ، كالمتنبي في قوله :

يا بَدْرُ يا بَحْرُ يا غَامَةُ يا لَيْثُ الشَّرَى يا حِيمَامُ يا رَجُلُ
فإن الواجب أن يقول يا بَدْرُ ، لأنَّه اسْمُ المدوح ، ثم يقول بعده يارجل ،
يا ليث الشري ، يا غامَة ، يا بَحْر ، يا حِيمَام ، لأنَّ البَدْرَ أَعْظَمُ مِنَ الْلَّيْثِ ،
وَالبَحْرُ أَعْظَمُ مِنَ الغَامَةِ ، وَالحِيمَامُ أَعْظَمُ مِنَ الْبَحْرِ ، فَيُرتفعُ مِنْ شَيْءٍ إِلَى مَا هُوَ
أَعْلَى مِنْهُ ، لأنَّه مَقَامٌ مَدْحُونٌ ، وَلَوْ كَانَ مَقَامٌ ذُمًّا لِعَكْسِ الْفَضْلِيةِ »^(١).

أقول : إنَّ أبا الطيب لم يقصد إلا مَقْصِدًا صالحًا ، ولكنَّ هذا الرجل
لم يَتَفَطَّنْ لِهِ ، لأنَّه مَدْحُونٌ بالسخاءِ والشجاعةِ ، وَهَا العُيَنَانُ الشَّرِيفُانُ
الْحَلِيلَانُ ، فَقَالَ فِي الْقَسْمِ الْأَوَّلِ وَهُوَ قَسْمُ السخاءِ : يا بَحْرُ يا غَامَةُ ، وَابْتَدَأَ
بِالبَحْرِ ، لأنَّه دُونَّ الغَامَةِ مَكَانًا ، لأنَّه تَحْتَهَا وَهِيَ رَبْتُهُ ، لأنَّه مِنْهَا يَتَكَوَّنُ ،
وَلَوْلَا غَامَةُ لَمْ تَكُنْ مِيَاهُ الْغَدَرَانِ وَالْأَمَطَارِ ، وَمَا يَتَكَوَّنُ مِنْهَا كَالْأَهَارَ ،
فَإِنَّ هَذِهِ الْأَشْيَاءِ هِيَ الَّتِي يَتَعَنَّثُهَا بِالبَحْرِ لَا بَحْرٌ ذُمِّيٌّ هُوَ
وَلَا أَسْطَقْسُ الْكَلِيِّ »^(٢).

ثم قال في القسم الشجاعي : يا لَيْثُ الشَّرَى يا حِيمَامُ ، فَابْتَدَأَ بِاللَّيْثِ وَانْتَقَلَ
إِلَى الْحِيمَامِ بَعْدِهِ ، لأنَّ اللَّيْثَ لَوْلَا حِيمَامًا لَمْ يُرْهَبْ ، فَالْحِيمَامُ أَشَدُّ رَهْبَةً

(١) المثل السائر ٢٣٤/٢ يتصرَّف.

(٢) الأسطقْسُ : والأستقْسُ هو الشيءُ البسيطُ الذي يَتَرَكَّبُ مِنْ الشيءِ المركبِ مثلَ
الْمَبَارَةِ وَالْقَرَائِيدِ وَالْمَلْشَبِ الَّتِي يَتَرَكَّبُ مِنَ الْبَنَاءِ ، وَالْمَحْرُوفِ الَّتِي يَتَرَكَّبُ مِنَ الْكَلَامِ ، وَالْوَاسِدِ
الَّتِي يَتَرَكَّبُ مِنَ الْمَدِ . وَالْأَسْطَقْسَاتُ الْأَرْبَعَةُ هِيَ النَّارُ وَالْمَوَاءُ وَالْمَاءُ وَالْتَّرَابُ (مَفَاتِحُ الْعُلُومِ
لِلْغَنَازِمِيِّ) ٨٢ .

في الصدور من الليث ، ثم ختم البيت بقوله : يا رجل ، أى أنت هذه الأشياء كلُّها ، وأنت مع ذلك إنسانٌ من البشر ، وذلك أَعْجَبُ وأَطْرَفُ .

وإنما قدَّمَ السخاء على الشجاعة ، لأن حاجة جُمهور الناس إلى السخاء أكثر من حاجتهم إلى الشجاعة ، والناس إلى رئيس عظيم السخاء أميلٌ منهم إلى رئيس عظيم الشجاعة ، لأن انتفاعهم به أكثر ، فأبُر الطيب قدَّمَ هذا المقصِّدَ ، أو يصبحُ أنه يقصد هذا المقصود ، ولو أتى بالبيت على الترتيب الذي ذكره المصنف لم يحصل له هذا المعنى .

— ١٠٠ —

قال المصنف : « ونظيرٌ هذا قول أبي تمام في الافتخار بقوله :
نجوم طوالٌ جبالٌ فوارعٌ غيوثٌ هوامعٌ سبُولٌ دوافعٌ
فإن السبُول دون الغيوث ، والجبال دون النجوم ، ولو قدَّمَ ما أُخْرَى
لَا اختلَّ النظم ، بأن يقول :
سبُولٌ دوافعٌ غيوثٌ هوامعٌ جبالٌ فوارعٌ نجومٌ طوالٌ »^(١)

أقول : إن في بيت أبي تمام لسراً خفياً إما أن يكون قد قصدته ، أو يمكن أن يقصده ، وذلك أن قبَّلَهُ :

ستَّا بي أوسٌ في السماء وحاتمٌ وزيدٌ القنا والأثيرمانٌ ورافعٌ^(٢)
فأوس هو أوس بن حارثة الطائي ، وكان وَضِيئاً جميلاً ، وحلبها
ذكيناً ، فضرِبَ به المثل في وَضَاعته ورَصَانَه ، فهو المراد بقوله « نجوم
طوالٌ جبالٌ فوارعٌ » .

(١) المثل السائر ٢٣٥/٢

(٢) البيت في المثل السائر والديوان (سبا بي أوس في الفخار) .

وحاتم بن عبد الله الجواد هو المراد بقوله «غيوث هوامع» ، وأما زيد^١ القَتَّا ، والأنْثَرَمان ، ورافع — وهو رافع بن عُمَيْزَةَ بن جابر — فهو بالشجاعة أشهر ، وهم المراد بالسيول التي تهلك وتخترق ما تأني عليه ، فهذا هو وجه ترتيب البيت .

قال المصنف : «فَإِنْ تَقْدِيمُ الْمَفْعُولِ عَلَى الْفَعْلِ ، فَهُوَ كَوْلُكُ : زِيَادًا ضَرِبَتْ ، وَضَرِبَتْ زِيَادًا ، لِأَنَّ الْفَظْطَاءَ الْأَوَّلَ يَفِيدُ أَنَّكَ لَمْ تَضْرِبْ إِلَّا زِيَادًا خَاصَّةً» ، والثاني لا يقتضي ذلك .

قال : وذلك لأنك إذا قَدَّمْتَ الفعل كنت بالحالي في إيقاعه على أي مفعول شئت ، بأن تقول : بَكْرًا أو عَمَرًا أو خالدًا ، وإذا أخْرَجْتَ الفعل لَزِيمَ الْأَخْتَصَاصِ بِزِيَادٍ وَحْدَه»^(١) .

أقول : إننا لا نُشْكِرُ أنَّ قوماً من أهل العربية قد ذهبوا إلى هذا المذهب ، ولكن أربابَ النظر في هذه المباحث ، وهم الأصوليون ، لا يعرفون هذا ، وقولهم فيه هو الصحيح المفسَّر ، ولا فَرْقَ هنَّ منهم بين قوله : ضربت زِيَادًا زِيَادًا ضربت ، في أن كِلَّا الْفَظَيْنِ لَا يَدْلُلُ وَاحِدٌ مِنْهُمَا عَلَى اخْتَصَاصِ الضَّرِبِ بِزِيَادٍ وَحْدَهُ .

وكذلك لو قلت : زِيَادًا ضَرِبَتْ وَعَمَرًا لَمْ يَكُنِ الْكَلَامُ مُتَنَاقِضًا؟ ولو كان قوله : زِيَادًا ضَرِبَتْ يَدِلُّ عَلَى أَنَّ الضَّرِبَ مَقْصُورٌ عَلَى زِيَادٍ وَحْدَهِ لَكَانَ قوله : وَعَمَرًا نَقْنَضَا لِذَلِكَ .

فاما قوله : لأنك إذا قدمت الفعل كنت بالخيار في تعين المفعول ، وإذا أخرى ته لزم الاختصاص ، فيقال له: أ يكون بالخيار إذا قدم الفعل وإن كان قد تلتفظ بالمفعول أو قبل أن يتلفظ بالمفعول ؟ الأول منوع ، لأنه بعد تعين المفعول لا يبقى خيار ، والثاني مُسْتَمٌ ، لكن مثل هذا موجود في تأثير الفعل ، لأنك إذا قدمت المفعول فانت بالخيار قبل أن تلتفظ بالفعل ، فيمكن أن تقول: أكرمت وضررت أو رأيت ، فلست مضطراً عند ذكر المفعول وقبل ذكر الفعل إلى أن تقول: زيداً ضررت لا غير ذلك من الألفاظ .

فالحاصل أن الصورتين سواء في التخيير وعدم التخيير ، لكن تقدير المفعول يُتَحَبِّرُ فيه في الفعل لا في المفعول ، لأنك قد ذكرته وسبق منك تعينه ، فإن قوله: زيداً ضررت يفيد في اللغة أنك لم تضر إلا زيداً ، لأن قوله: ضررت زيداً يفيد أنه لم يقع منك في حق زيد إلا الضرب فقط ، وهذا حال ، لأنك لا تعيني بقولك ضررت زيداً لا تكون قد شتمته ولا رأيته ولا أصبه ولا اعترضته ، كما لم يدل تعين الفعل أولاً والابداء به على انتفاء غيره من المفعولين .

ويَدُلُّ على فساد هذا الكلام قوله تعالى : (ووَهِبْنَا لِإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ كُلًاً هَدَيْنَا وَنَوْحًا هَدَيْنَا مِنْ قَبْلِ)^(١) فإن ذلك لا يدل على اختصاص إسحاق ويعقوب بالهدایة ، لأنه قد هدى غيره ممَّنْ كان في زمانه .

قال المصنف : وعلى هذا ورد قوله تعالى : (بِاللَّهِ فَاعْبُدُ وَكُنْ مِّن

(١) سورة الأنعام : الآية ٨٤ .

الشاكرين) فإنه يفيد الأمر باختصاص العبادة به دون غيره ، ولو قال : اعبد الله وكن من الشاكرين لم يُفِدْ الاختصاص^(١) .

أقول : إن الاختصاص ما استفيد في هذه الآية من مجرد تقديم المفعول ، بل من القراءة ، لأنه تعالى قال : (ولقد أوحى إليك وإلى الذين من قبلكم لئن أشركت ليَحْبِطَنَ عملك ولتكوننَّ من الخاسرين . بل الله فاعبد) وهذا تصريح بالاختصاص ، لأنه قال : لا تُشْرِكْ بالله في العبادة فتُخسر ، بل وَحْدَ الله في العبادة .

فالاختصاص مفهوم من سياق الكلام ، لا من تقديم المفعول .

ولو قال في هذا السياق : بل اعبد الله لأفاد الاختصاص لا تحاللة ، فلا تأثير لها هنا في الاختصاص المعلوم ، لا لتقديم المفعول ولا لتأخيره .

قال المصنف : « وقد قال الرمخري إن قوله تعالى : (إياك نعبد وإياك نستعين) لاختصاص العبادة والاستعانة به سبحانه دون غيره .

قال : وليس الأمر كذلك ، بل ها هنا مراعاة السجع الذي جاء في الآيات السابقة على حرف النون ، فلو قال : تَعْبُدُكَ وَنَسْتَعِنُكَ زالت طلاوة السجع^(٢) .

أقول : إن كان تقديم المفعول يقتضي الاختصاص كما يراه الرمخري وجماعة من أهل العربية ، فلا مانع من أن يكون المراد من قوله : إياك نعبد

(١) المثل السادس ٢٤٠/٢

(٢) المثل السادس ٢٤١/٢

ولإياك نستعين كلا الأمرَيْنِ : الاختصاص والسجع ، ولا منافاة بين هذين المطلوبين .

قال المصنف : « وكذلك قوله تعالى : (ثم الجحيم صَلُوْه) ليس تقديم المفعول هنا للاختصاص ، بل لفضيلة السجعية فقط ، فإنه لو قال : خَلُوْه فغلُوْه ثم صَلُوْه الجحيم لم يكن في الحسن كال الأول .

قال : فإن قلت : بل تقديم المفعول ها هنا للاختصاص ، لأنها نار عظيمة ، ولو أخررت بخاز وقوع الفعل على غيرها ، فالجواب عن ذلك أن الدرك الأسفل أعظم من الجحيم ، فكان ينبغي أن يختص بالذكر دون الجحيم ، على ما ذهب إليه ، لأنه أعظم ، لكن استعمال هذه اللفظة هنا أحسن من استعمال غيرها من الألفاظ نحو « لظى ، وجهنم » ونحوها ، والطلاوة عليها دون غيرها أكثر »^(١) .

أقول : إن « كان تقديم المفعول يقتضي الاختصاص » كما قد قال قوم فلا مانع أن يكون الاختصاص مراداً في قوله : (ثم الجحيم صَلُوْه) لأن الجحيم والجاحظ في اللغة هو أشد النار ، قال أبو تمام :

إن يَعْدُ مِنْ حَرَّهَا عَدُوَ الظَّلِيمِ فَقَدْ
أَوْسَعَتْ جَاهِنَمَّا مِنْ كَثْرَةِ الْحَطَبِ^(٢)

(١) المثل السائر ٢٤٢/٢ ومنه أصلحنا النص .

(٢) من تصييده في مدح المتصم بفتح معنى عوربة التي مطلعها :
اليف أصدق أباها من الكتب في حده الحسد بين الجد واللعب
والبيت من أبيات يصف فيها فرار توغلن القائد الرومي .
(الديوان ١/٧٤) .

ولا منافاة بين أن يُراد الاختصاص وتراد الفضيلة السُّجعية معاً.

وأما قوله : فهلا ذكرَ الدُّرُكَ الأَسْفَلَ من النار ؟ فيقال له : لم لا يكونُ الدُّرُكَ الأَسْفَلَ هو الحُجَّم بِعِينِهِ أَيْضًا ؟ ولم يكون الحُجَّم أشد إِحْرَاقًا وتعذيبًا من الدُّرُكَ الأَسْفَلَ ؟ وليس في قوله : إن المُنافِقِينَ في الدُّرُكَ الأَسْفَل ما يقتضي أن يكون هذا الموضع أَشَدَّ المَوَاضِعِ النَّارِيَّةِ إِحْرَاقًا ، فالجَوَازُ أن يكونَ غَيْرُ المُنافِقِينَ أَشَدَّ عذابًا مِنْهُمْ ، وأَيْضًا فلو كان الدُّرُكُ الأَسْفَل أَهْوَلَ وَأَصْعَبَ لَمْ يَلْزَمْ مَا ذُكِرَ ، لأن التَّرْغِيبَاتِ وَالتَّرْهِيبَاتِ تُذَكَّرُ على حَسْبِ مَا يَرَاهُ الْمُتَكَلِّمُ مِنَ الْمُصْلَحَةِ ، وقد رَهَبَ وَرَغَبَ بِأَشْيَاءِ غَيْرِهَا أَبْلَغَ فِي التَّرْهِيبِ وَالْتَّرْغِيبِ مِنْهَا .

أَلَا تَرَى أَنَّهُ لَوْ قَالَ عِوَضًا قَوْلَهُ تَعَالَى : (فِي جِيدِهَا حَبْلٌ مَسَدٌ)^(١) فِي جِيدِهَا ثَعَبٌ^(٢) مِنْ نَارٍ لَكَانَ أَرْهَبَ وَأَزْعَجَ ، وَلَمْ يَقُلْ ذلك .

وأما قوله : إن الطَّلَوَةَ فِي لَنْفَظِهِ فَقْطُ دُونَ غَيْرِهَا مِنَ الْأَلْفَاظِ فَإِنَّهُ يَقُولُ لَهُ : قَدْ قَلْتَ ذَلِكَ ، وَمَعْلُومٌ أَنَّهُ لَوْ بَدَأَ عِوَضًا بِالْحُجَّمِ السَّعِيرِ لَكَانَ عَلَى عَدَدِ حُرُوفِهَا أَوْ وَزْنِهَا ، وَلَا يَتَغَيَّرُ اِنْتَظَامُ الْكَلَامِ وَأَسْلُوبُهُ باِسْتِعْمَالِ لَنْفَظِ الْحُجَّمِ حَتَّىَ الْفُسْدَةِ^(٤) .

قال المصنف : « ومن مقتضيات الاختصاص أيضاً تقديم خبر المبدأ عليه ، فإنك إذا قلت : قائم زيد فقد أثبتت له القيام دُونَ غيره ، وإذا

(١) سورة المد

(٢) القنة بضم القاف الريثة المقدورة ، يقال حذو القنة بالقنة (أساس البلاغة مادة قد)

قلت زيد "قائم" لم تكن قد خصّصته بالقيام دون غيره من الناس ، والعلة في ما ذكرناه في تقديم المفعول ، فإنك إذا قلت : زيد "قائم" كنت بالحبار ، حيث ابتدأت بذكر زيد ، إن "شتَّتَ قلتَ جالس" أو صاحك "أو غيرها . وإذا قدمت قوله قائم حصلَ الاختصاص لزيد بالقيام دون غيره من الناس »^(١) .

أقول : إنَّا لا نَعْرِفُ ذاهباً ذهب إلى أن قولنا: قائم زيد يقتضي اختصاص زيد بالقيام دون غيره من الناس .

لكن جماعة من النحاة الذاهبين إلى أن تقديم المفعول يقتضي الاختصاص ، يقولون إن قولنا « القائم زيد » بالألف واللام يقتضي اختصاص زيد بالقيام ، كما نقول « الشجاع علي » و « الجواد حام » أي لاشجاع إلا ذاك ، ولا جواد إلا هذا .

فاما تقديم خبر المبتدأ عليه مع بقائه على التنکير فإنه لا يُعرفُ ذاهباً ذهب إلى أنه يقتضي الاختصاص .

والعلة في اختصاص زيد بالقيام إذا قلت « القائم زيد » علة "تعودُ إلى دخول الألف واللام على الخبر ، وهي أن قوله « القائم » معناه الذي له القيام ، فكأنك قلت : الذي له القيام هو زيد ، وقولك : الذي له القيام هو زيد من طريق الاصطلاح العُرُفي في قوة ذلك الذي يختص بالقيام ، أو الذي يتفرد بالقيام ، ونحو ذلك .

والقائلون بهذا القول يلزِّمُهم عليه أن يفيد قولنا « زيد القائم » الاختصاص الذي يذكرونـه أيضاً ، لأنك إذا أزَّتَ عن نفسك الوهم في كون القائم صفة زيد ، وأطبقت ذلك بالمبتدأ والخبر ، صار تقديره زيد

الذى له القيام ، وذلك في قُوَّةِ قولك : زيد هو الذى يختص بالقيام ،
فلو كان غيره قائمًا لما صدَّقَ قولك: زيد هو الذى له القيام .

فقد ظهر أنه لا فرق بين تقديم قائم وتأخيره ، وأن هذا لو صَحَّ
لكان في الأخبار المعرَّفة باللام لافي الأخبار المُنكَرَة، كما توهنه هذا الرجل .

وأما احتجاجه بأنك تكون مخبراً إذا أخْرَتَ الخبر ، ولا تكون مخبراً
إذا قدَّمه ، فالاحتجاج ضعيف قد تكلمنا عليه في تقديم المفوض .

قال المصنف : « ومن باب تقديم خبر المبتدأ الذي يفيد الاختصاص قوله تعالى : (وَظَنُوا أَنَّهُمْ مَا نَعْتَهُمْ حُصُونُهُمْ مِنَ اللَّهِ) قال سبحانه ذلك ،
ولم يقل: وَظَنُوا أَنْ حُصُونَهُمْ أَمْ مَا نَعْتَهُمْ ، لأنَّ في تقديم الخبر الذي
هو «ما نَعْتَهُمْ» على المبتدأ الذي هو «حُصُونَهُمْ» دليلاً على فَرْطِ اعتقادهم في
حصانتها ، وزيادةِ وثيقهم بمتَّهِعِيَّا لهم ، وفي جَعْلِ ضميرهم أَسْمَاً لأنَّ
وفي إسناد الجملة إليه دليل على تقريرهم في أنفسهم أنَّهم في عِزَّةٍ وامتناعٍ
لا يُبَطَّلُ معهما بقصدٍ قاصِدٍ ولا تَعْرَضُ مُعْتَرِضٌ»^(١) .

أقول : إنَّ حُصُونَهُمْ لا تُرْفَعُ بـأنَّه مبتدأً كما ظنه إلا على وجهٍ ضعيف ،
والصحيح أنه فاعل ، تقديره : وَظَنُوا أَنَّهُمْ تَعْنَهُمْ حُصُونُهُمْ ، فـما نَعْتَهُمْ اسم
فاعلٍ معتمد على ما قبله ، لأنَّه في الحقيقة خَبَرٌ مبتدأ ، من حيث كان خبراً
لأنَّ ، وأنَّ من شأنها أن تدخل على المبتدأ والخبر ، ومني كأنَّ اسم الفاعل
خبرًا لمبتدأ كان معتمداً عليه ، فـعَمِيلٌ فيها بعده عَمَلٌ الفِعْلِ ، كقولك
«زيد قائمٌ أبُوه» فأبُوه رفع بالفاعلية ، وليس بمبتدأ على القول الصحيح
في صناعة العربية .

وكذلك إذا اعتمد اسم الفاعل على همزة الاستفهام أو حرف النفي ،
أو وقع حالاً الذي حال ، أو صفةً موصوف ، أو صلةً موصول .

وَحُكْمُ الظَّرْفِ حُكْمُ اسْمِ الْفَاعِلِ إِذَا وَقَعَ مَعْتَدِلًا أَيْضًا فِي كُونِهِ
يَرْفَعُ مَا بَعْدَهُ بِالْفَاعِلِيَّةِ لَا غَيْرًا ، كَقُولَهُ تَعَالَى : (فَأُولَئِكَ هُمْ جَزَاءُ
الضَّعْفِ)^(١) وَقُولَهُ : (أَنِّي اللَّهُ شَكَّ)^(٢) وَقُولَهُ : (وَمَنْ عَنِتْهُ
عِلْمُ الْكِتَابِ)^(٣) فِي جَزَاءِ وَشَكٍّ ، وَعِلْمٌ ، كُلُّهُ مَرْفُوعٌ بِالْفَاعِلِيَّةِ ،
لَا يَعْتَدُ الظَّرْفُ تَارَةً عَلَى الْمُبْتَدَأِ ، وَتَارَةً عَلَى هِمْزَةِ الْاسْتِفْهَامِ ، وَتَارَةً
لِوَقْوَعِهِ صَلَةً .

وَمَا جَاءَ فِي ذَلِكَ شِعْرًا قَوْلُ حَسَانٍ :

ظَنَّتُمْ بِأَنَّ يَخْفَى الَّذِي قَدْ صَنَعْتُمْ وَفِيمْ كُنْتُمْ نَبِيًّا عَنْدَهُ الْوَحْيُ وَأَصْبَعْتُهُ
فَالْوَحْيُ فَاعِلٌ . وَقَوْلُ الشَّاعِرِ :
أَحَقَّا بْنَى أَبْنَاءَ سَلْمَى بْنَ جَنْدَلٍ تَهَدَّدُكُمْ لِيَّا يَ وَسْطَ الْجَالِسِينَ ؟
فَتَهَدَّدُكُمْ فَاعِلٌ ، وَلَيْسَ بِمُبْتَدَأٍ .
فَأَمَّا قُولُهُ : إِنْ فِي تَقْدِيمِ مَا نَعْتَهُمْ زِيَادَةً مَعْنَى فَقَدْ تَكَلَّمَنَا عَلَيْهِ فِيمَا سَبَقَ .

قال المصنف : « ومن باب قوله تعالى : (أَرَاغَبْ أَنْتَ عَنْ آثَمِي
يَا إِبْرَاهِيمْ) فقدَمَ خَبَرَ الْمُبْتَدَأِ عَلَيْهِ .

(١) سورة سباء : الآية ٣٧ .

(٢) سورة إبراهيم : الآية ١٠ . (قالت رسلهم : أَنِّي اللَّهُ شَكَّ فَاطَّرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ ؟) .

(٣) سورة الرعد : الآية ٤٢ .

(٤) ديوان حسان ٧٢ وفي الفلك الدائر (وفينا نبي) .

ومثل قوله : (إِنَّمَا هُوَ شَاخْصَةٌ أَبْصَارُ الَّذِينَ كَفَرُوا) ، قال : فهذا يَدْلِيُّ على تخصيص الشُّخُوص بالأبصار دون غيرها ، وعلى تخصيص الكفار بالشُّخُوص دون غيرهم .

أما الأول : فلأنه لو قال : إِنَّمَا هُوَ شَاخْصَةٌ كَفَرُوا شَاخْصَةٌ جاز أن يتضمن موضع شاخصة حائرة أو مطموسة أو غير ذلك ، فلما قدم الضمير اختصت الأبصار بالشُّخُوص دون غيرها .

وأما الثاني : فلأنه لما أراد أن الشُّخُوص خاصٌ بالكافار دون غيرهم دلَّ عليه بتقدير الضمير أولاً ، ثم بصاحبته ثانياً ، كأنه قال : إِنَّمَا هُوَ شَاخْصَون دون غيرهم ، ولو لا أنه أراد هذين الأمرتين المشار إليهما لقال : أَبْصَارُ الَّذِينَ كَفَرُوا شَاخْصَةٌ ، لأنَّه أَخْصَّ بعده الضمير من الكلام .

قال ومن هذا النوع قول النبي صلى الله عليه وسلم في البحر : « هو الطَّهُورُ مَاؤه ، الْحَلُّ مَيْتَتُه » وتقدير الكلام هو الذي ماؤه طهور ، ومَيْتَتُه حِلٌّ ، لأنَّ الْأَلْفُ وَاللَّامُ هُما هُنا بمعنى الذي » (١) .

أقول : لا يَخْتَلُو إِمَّا أن يكون الضمير وهو « هي » في قوله تعالى « إِنَّمَا هُوَ ضمير الشأن والقصة أو ضمير الأبصار ، وقد قُدِّمَ بشرط التفسير ، فإن كان ضمير الأبصار لم يكن قوله « أَبْصَارُ الَّذِينَ كَفَرُوا » مرفوعاً بالابتداء ، بل كان فاعلاً ، لأن « شاخصة » اسم فاعل معتمدٌ على ما قبله ، وهو « هي » الذي موضعه رفعٌ بالابتداء ، وقد تقدم أن اسم الفاعل إذا وقع خبراً لم يبدأ بترفعٍ ما بعده على القول الصحيح ، كما يرفعه الفعل « الصریح » نحو قوله : زيد قائم أبوه ، وقوله تعالى : (يَخْرُجُ مِنْ بَطْوَنِهَا شَرَابٌ مُّخْلِفٌ لِّوَانِهِ) (٢) .

(١) المثل السائر ٢٤٤/٢

(٢) سورة النحل : الآية ٦٩ .

فعل هذا التقدير بـبَطَلَ قوْلُهُمْ : إن "شاحصة خبر" مقدم .

وإن كان «هي» في قوله تعالى : «إِنَّهُ ضَمِيرُ الشَّأْنِ وَالقَصَّةِ كَانَ شَاحِنَةً خَبْرًا مَقْدِمًا كَمَا ذُكِرَهُ ، وَيُصِيرُ تَقْدِيرَهُ إِنَّهُ ضَمِيرُ الشَّأْنِ وَالْأَمْرِ أَبْصَارُ الَّذِينَ كَفَرُوا شَاحِنَةً» لا يكون على هذا التقدير شاحنة اسم فاعل معتمداً على ما قبله ، لأن ضمير الشأن والقصة لا تعتمد عليه اللفظة الواقعية بعده ، لأنه موضوع لأن يقع بعده جملة مركبة من المبتدأ والخبر ، أو لأن تقع بعده لفظة مفردة تعتمد عليه ، وتصير هذه الآية كقوله تعالى : (إِنَّهُ مُصِيبُهَا مَا أَصَابَهُمْ) ^(١) فإن الضمير في إنه للشأن ، وبعده جملة مركبة من مبتدأ وخبر ، والمبتدأ مؤخر والخبر مقدم . وكل موضع جاء فيه ضمير الشأن والقصة وبعده مثيلٌ هذه الجملة فهي ليست فاعلاً لعدم الاعتماد الذي هو شرط الفاعلية ، لكن على هذا التقدير يـبَطَلُ قوله : إنه لما أراد تعالى أن الشخصَ خاص بالكافر دون غيرهم دل عليه بتقديم الضمير أولاً ، ثم بصاحبته ثانياً ، كأنه قال : فإذا هم شاخصون دون غيرهم ، لأن هذا الكلام يـيَقْتَضِي أن الضمير وهو «هي» في قوله تعالى «إِنَّهُ ضَمِيرُ الْأَبْصَارِ لَا ضَمِيرُ الشَّأْنِ ، أَلَا ترَاهُ كَيْفَ قَالَ : دل عليه بتقديم الضمير أولاً ثم بصاحبته ثانياً؟

فالحاصل أن كلام هذا الرجل لا يستقيم ، سواء جعلنا الضمير للشأن أو للأبصار .

فاما قوله: إن قوله تعالى: (أَرَاغَبْ أَنْتَ) قد قـدَدَمَ فيه خبر المبتدأ عليه غير صحيح أيضاً ، لأن قوله: (أَرَاغَبْ) اسم فاعل معتمد على همزة الاستفهام

(١) سورة هود : الآية ٨١ .

فيكون قوله «أنتَ» في موضع الرفع بالفاعلية ، إلا على القول الضعيف المتروك ، والمسألة مشهورة .

ففي نحو أذاهبْ وأقائمْ الزيدان ، يرتفع قائمْ وذاهبْ بالابداء ، ويُسْدِّد كل واحدٍ من الفاعلين مَسْدَدَ الخبر .

قال النحاة إن همزة الاستفهام تستدعي الفعلَ بذاتها ، لأن الاستفهام إنما يكون من فعل ، ألا ترى أنك إذا فرضت شيئاً مجرداً عن فعل لم يستفهم عنه ، فأجروا قوله «أراغب» بجري أترغب .؟

لذلك قلنا إن قوله تعالى : «إذا السماء انشقت»^(١) السماء مرفع بالفاعلية بقدر فعل دلَّ عليه انشقت ، لأن «إذا» تستدعي الفعل ، وكذلك ما جرى بجري «إذا» في المعنى ، نحو قوله : لو ذات سوار لطستني^(٢) ، وإن الله أمكنني من فلان .

فاما قوله في البحر : «هو الظهور مأوه ، والحل ميئته» وتوهمه أن ذلك من باب تقديم الخبر على المبتدأ فمثيل الوهم الأول في الغلط ، بل هما مرفوعان بالفاعلية ، كأنه قال هو الشيء الذي ظهر مأوه ، وحل ميئته ، فحدَّف الموصوف وأقام الصفة المركبة من الموصول والصلة مقامه ، والصفة تعمل كالفعل في هذا الموضع ، فيكون مأوه وميئته فاعلين .

(١) سورة الانشقاق : الآية ١

(٢) لو ذات سوار لطستني : أي لو طلمني ذات سوار ، لأن لو طالبة الفعل داخلة عليه ، والمفهُن لـ طلمني من كان كفشاً لي طاف على ، ولكن طلمني من هو دوني . وقيل أراد لو طلمني سرة ، فجعل السوار عالمة للحرية ، لأن العرب قلما تلبس الإمام السوار ، فهو يقول لو كانت اللاطمة سرة لكان أخف على ، وهذا كما قال الشاعر :

فلو أني بليت بهاشي خلوته بتون عبد المدان
طاف على ما ألقى ولكن تعالوا فانظروا بن ابتلاني
(الجميع الأمثال الميدانية ٨١/٢) .

ومثله في التنزيل : (عَالِيهِمْ ثِيَابُ سُنْدُسٍ) ^(١) في قول من جعل
عليهم صفة لقوله تعالى : (وَلَدَانٌ مُخْلَدُون) فـأـمـاـ اـسـتـبـاطـهـ زـيـادـةـ الـعـنـيـ
في التقديم والتأخير فشيء قد تكلمنا عليه .

— ١٠٨ —

قال المصنف : ومن الموضع التي تفيد الاختصاصـ تقديمـ الطرف
إذا كان الكلام إثباتاً ، كقولكـ إنـ إـلـيـ مـصـيـرـ هـذـاـ الـأـمـرـ ، فـإـنـ يـدـلـ عـلـىـ أـنـهـ
ليس مصيرـ هـذـاـ الـأـمـرـ إـلـيـكـ ، بـخـلـافـ ماـ إـذـاـ أـخـرـتـ الـطـرـفـ ، فـقـلـتـ
إنـ مـصـيـرـ هـذـاـ الـأـمـرـ إـلـيـ ، فـإـنـهـ لـيـفـدـ الاـخـصـاصـ ، لأنـهـ يـحـمـلـ أـنـ تـوـقـعـ
الـكـلـامـ [ـ بـعـدـ الـظـرـفـ] عـلـىـ غـيـرـكـ فـتـقـولـ عـوـضـ ضـمـيرـكـ إـلـيـ زـيـدـ أوـ عـمـرـ .

ومنه قوله تعالى : (إـنـ إـلـيـنـاـ لـيـابـهـمـ ثـمـ إـنـ عـلـىـنـاـ حـسـابـهـمـ) ^(٢) .

أقولـ : إـنـهـ إـنـماـ فـهـمـ أـنـ الإـيـابـ وـالـحـسـابـ إـلـىـ اللهـ تـعـالـىـ مـنـ دـلـيلـ
آخـرـ لـأـمـنـ مـعـقـدـ هـذـاـ الـفـقـطـ ، وـلـوـ خـلـعـنـاـ وـعـبـدـ هـذـاـ الـفـقـطـ لـمـ يـدـلـ
عـلـىـ أـنـ الإـيـابـ وـالـحـسـابـ لـيـسـ إـلـاـ إـلـيـهـ وـعـلـيـهـ سـبـحـانـهـ ، فـإـنـكـ لـوـ قـلـتـ : إـنـ فـيـ
الـدارـ زـيـداـ ، لـمـ يـدـلـ ذـلـكـ عـلـىـ أـنـ غـيـرـهـ لـيـسـ فـيـ الدـارـ ، وـكـذـلـكـ لـوـ قـلـتـ
وـعـمـراـ لـمـ يـنـاقـضـ الـكـلـامـ .

وقد قال سبحانهـ : (وـجـعـلـنـاـ فـيـ الـأـرـضـ رـوـاسـيـ) ^(٣) وـلـاـ يـدـلـ ذـلـكـ
عـلـىـ أـنـ غـيـرـ الرـوـاسـيـ لـمـ يـجـعـلـهـ تـعـالـىـ فـيـ الـأـرـضـ .

وقـالـ لـآـدـمـ : (إـنـ لـكـ أـلـاـ تـجـوـعـ فـيـهـ) ^(٤) وـلـمـ يـكـنـ ذـلـكـ مـخـصـاـ بـهـ ،
فـقـدـ كـانـ حـوـاءـ مـشـلـهـ .

(١) سورة الإنسان : الآية ٢١ .

(٢) المثل السادس ٢٤٦/٢ .

(٣) سورة الأنبياء : الآية ٣١ .

(٤) سورة طه : الآية ١١٨ .

وقال تعالى : (إِذْ نَفَّثْتُ فِيهِ غَمَّ الْقَوْمَ) ^(١) ، ولا يدل ذلك على أنها ما نَفَّثَتْ إِلَّا فِيهِ ، لأنَّ النَّفْثَةَ هو انتشار الغم من غير راعٍ ، سواء كانت في حرث ، أو في غير حرث .

وقال تعالى : (وَكَنَا لِحْكَمِهِ شَاهِدِينَ) ^(٢) فقدم الطرف ، ولا يدل ذلك على أنه لم يَسْهُدْ إِلَّا حَكْمَهُ .

وقال : (فَوَهَبْنَا لَهُ يَخْيَىٰ وَأَصْلَحْنَا لَهُ زَوْجَهُ) ^(٣) ولا يدل ذلك على أنه ما أصلح زَوْجَ أَحَدٍ قَطُّ إِلَّا زَوْجَ زَكْرِيَا .

وفي الكتاب العزيز ألف آية مثل هذا تُبَطِّلُ دَعْنَى الْحَضْرَى
والاختصاص .

فاما قول القائل : إنَّ إِلَيْهِ مصير هذا الأمر ، فِيمَا أَلَا يدل ذلك على الاختصاص وهو الصحيح ، أو يدل لكنَّ كَمَا يَدْلُّ مع تقديم الطرف
يَدْلُّ مع تأخيره إذا قلت إنَّ مصير هذا الأمر إِلَيْهِ . ولا فرق بين الموضعين .

والصحيحُ أنَّ القرينة تدل على الاختصاص ، وهو الصحيحُ في هذا
الموضع ، لا يُحَبَّرُ الصَّيْغَةُ ، لأنَّه ما جرت العادة أنَّ الولاية وما يجري
محراها لا تنتقل إِلَّا إلى واحد فقط .

وأما قوله : إنك إذا أخْرَتَ احْتَمَلْتَ توقيع الكلام على غيرك فضعيف ،
وقد تكلمنا عليه في تقديم المفعول .

قال المصنف : « فاما إذا كان الكلام نَفَّيَا فقد يُقدم الطرف ويكون

(١) سورة الأنبياء : الآية ٧٨ .

(٢) سورة الأنبياء : الآية ٧٨ .

(٣) سورة الأنبياء : الآية ٩٠ .

القصدُ به تَفْضِيلَ الْمُنْفَيِّ عَلَى غَيْرِهِ ، كَفُولَهُ تَعَالَى : (لَا فِيهَا غَوْلٌ)
وَالْمَرَادُ تَفْضِيلُهَا عَلَى خُمُورِ أَهْلِ الدُّنْيَا .

وَقَدْ يَتَأْخِرُ الظَّرْفُ وَيَكُونُ الْقَصْدُ بِهِ التَّفْضِيلُ فَقَطْ لَا التَّفْضِيلُ ، كَفُولَهُ
تَعَالَى : (ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ) .

فَإِنَّ الْقَصْدَ فِي إِبْلَاءِ حَرْفِ النَّفْيِ الرَّيْبَ نَفْيُ الرَّيْبِ عَنْهُ ، وَإِثْبَاتُ
أَنَّهُ حَقٌّ ، لَيْسَ كَمَا يَزْعُمُ الْمُشْرِكُونَ ، وَلَوْ أَوْلَاهُ الظَّرْفَ وَقَالَ « لَا فِيهِ رَيْبٌ »
لَكَانَ قَدْ قَصَدَ أَنْ كِتَابًا آتَحُرُّ فِيهِ الرَّيْبُ لَا فِي هَذَا الْكِتَابِ ، كَمَا قَلَّا فِي قَوْلِهِ:
(لَا فِيهَا غَوْلٌ) قَالَ وَمِثْلُ ذَلِكَ أَنْ يَقُولَ : لَا عَيْبٌ فِي الدَّارِ ، وَيَقُولَ : لَا فِيهَا
عَيْبٌ ، فِي أَنَّ الْأُولَى يَقْتَضِي نَفْيَ الْعَيْبِ عَنِ الدَّارِ فَقَطْ ، وَالثَّانِي يَقْتَضِي
تَفْضِيلُهَا عَلَى غَيْرِهَا ، أَيْ لَيْسَ فِيهَا مَا فِي غَيْرِهَا مِنْ عَيْبٍ »^(١) .

أَقُولُ : إِنَّ هَذَا الَّذِي ذُكِرَهُ شَيْءٌ لَا يَعْرِفُهُ أَهْلُ الْعَرَبِيَّةِ ، وَلَا أَهْلُ
الْفِقْهِ ، وَلَا فَرْقٌ عِنْهُمْ فِي النَّفْيِ الْمُطْلَقِ بَيْنَ قَوْلِهِمْ لَا رَيْبَ فِيهِ وَلَا فِيهِ
رَيْبٌ ، إِلَّا مِنْ جَهَةِ أُخْرَى ، وَهِيَ أَنْ يَقْبُحُ الْاِخْتَصَارُ عَلَى قَوْلِهِ « لَا فِيهِ رَيْبٌ »
فِي الْقَوْاعِدِ التَّحْوِيَّةِ ، حَتَّى يُضْسِمَ إِلَيْهِ شَيْءٌ آخَرُ ، فَيَقُولُ : وَلَا شَكٌ مُثَلًا
أَوْ نَحْوُ ذَلِكَ .

فَإِمَّا مَا يَعُودُ إِلَى نَفْيِ الرَّيْبِ فَاللَّفْظَانِ يَدْلَانُ عَلَيْهِ دِلَالَةً وَاحِدَةً ، وَلَعْلَهُ
ظَنَّ أَنَّ حَرْفَ النَّفْيِ إِذَا شَافَهَ الْمُنْفَيِّ بَغْرِي وَاسْطَةً كَانَ أَبْلَغُ فِي النَّفْيِ مِنْ أَنْ
يَتَخلَّلُ بَيْنَهُمَا وَاسْطَةً ، وَيَجْرِي بَغْرِي الْمُؤْثِرَاتِ الْمُحْسِيَّةِ ، فَإِنَّ السَّيْفَ إِذَا
شَافَهُ الْجَسْمَ بِلَا وَاسْطَةٍ كَانَ أَبْلَغُ فِي الْقُطْعَ مِنْ أَنْ يَتَخلَّلُ بَيْنَهُمَا ثُوبٌ أَوْ درَعٌ ،
فَيُظَنُّ أَنَّ هَذَا مُثَلُّ ذَلِكَ ، وَهَذَا وَهُنْ عَامِيَّ لَا يَلْتَفِتُ إِلَيْهِ مُحَاصِلٌ .

(١) المثل السادس / ٢٤٨.

وَمَا نَعْلَمْ كَيْفَ وَقَعَ لَهُ أَنْهُ قَالَ : لَوْ أَنَّهُ قَالَ لِيْسَ فِيهِ رِيبٌ لِدَلْلٍ هُلْ
أَنَّهُ لِيْسَ كَثِيرٌ مِنَ الْكِتَبِ الَّتِي فِيهَا رَبِّبٌ ، وَأَنَّهُ لَوْ قَالَ : لِيْسَ فِي الدَّارِ
عِبَدٌ لِدَلْلٍ عَلَى أَنَّهَا لِيْسَ كَثِيرٌ مِنَ الدَّلْلِ الْمُعَيْنَةِ ، وَأَنَّهُ إِذَا قَالَ : لِيْسَ
فِي خَمْرٍ بِلْحَنَةِ غَوْلٍ يَدْلِلُ عَلَى أَنَّهُ لِيْسَ كَخَمْرِ الدُّنْيَا الَّتِي فِيهَا غَوْلٌ ، فَإِنَّهُ
لِيْسَ فِي الْفَظْلِ تَعَرُّضٌ لِذَلِكَ لَا بَصْرِيْحَهُ وَلَا فَحَرْوَاهُ . وَلَوْ جَازَ أَنْ يُنْسَبَ
إِلَى الْأَلْفَاظِ دَلَالَةً لَا تَقْتَضِيهَا لَا بَصْرِيْحَهُ وَلَا فَحَوْاهَا بِلَحَازٍ أَنْ يُنْسَبَ إِلَيْهَا
أَمْوَالٌ لَا تَشَاهِيْ ، وَذَلِكَ حَالٌ^(١) .

وَقَالَ سَبَحَانَهُ : « يَتَنَازَعُونَ فِيهَا كَأسًا لَا لَغْوٌ فِيهَا وَلَا تَأْثِيمٌ »^(١)
وَلِيُسَ تَفْسِيرُ هَذَا الرَّجُلِ لِقَوْلِهِ تَعَالَى « لَا فِيهَا غَوْلٌ » بِأَنَّ الْمَرَادَ تَفْضِيلَهَا
عَلَى الْخَمْرِ الَّتِي فِيهَا غَوْلٌ بِأَوْلَى مِنْ أَنْ تُعْكَسِسَ الْفَضْيَةُ عَلَيْهِ وَيُفْسَرُ
نَحْوُ قَوْلِهِ تَعَالَى « لَا لَغْوٌ فِيهَا » بِأَنَّهُ يَدْلِلُ عَلَى تَفْضِيلِهَا عَلَى الْخَمْرِ الدُّنْيَا الَّتِي فِيهَا
الْلَغْوُ وَالتَّأْثِيمُ ، فَيَجْعَلُ حَرْفَ النَّفِيِّ إِذَا باشَرَ الْمُنْفِي وَتَأْخَرَ الظَّرْفَ دَالًا^(٢) عَلَى
الْأَفْضَلِيَّةِ ، وَإِذَا تَقْدِمَ الظَّرْفَ دَالًا^(٢) عَلَى النَّفِيِّ الْمُطْلَقِ عَلَى مَنْافِقَةِ مَا ذُكْرَهُ ،
فَإِنَّهُ لَا فَضْلَ بَيْنَ الْقَوْلَيْنِ إِلَّا مُجَرَّدُ التَّسْمِيِّ وَالْتَّحْكِيمِ .

قَالَ الْمُصْنَفُ : « وَتَقْدِيمُ الْحَالِ عَلَى ذِي الْحَالِ يَفِيدُ الْاِخْتِصَاصَ ، نَحْوُ
قَوْلِكَ : جَاءَ رَاكِبًا زَيْدًا » ، بِخَلْفِ مَا إِذَا قَلْتَ : جَاءَ زَيْدًا رَاكِبًا ، فَإِنَّهُ لَا يَدْلِلُ
عَلَى ذَلِكَ ، بِلَحْوازٍ أَنْ يَكُونَ ضَاحِكًا أَوْ مَاشِيًّا أَوْ غَيْرَ ذَلِكَ^(٢) .

أَقُولُ : أَنْزَعْمُ أَنْكَ إِذَا قَلْتَ : جَاءَ رَاكِبًا زَيْدًا فَإِنَّكَ قَدْ قَصَرْتَ زَيْدًا مِنْ
دُونِ سَائِرِ الْأَحْوَالِ وَالْمَهَيَّاتِ عَلَى الرَّكْوَبِ فَقَطْ ، وَأَنْ ذَلِكَ يَنْفِي كُونَهُ لَابْسًا

(١) سورة الطور: الآية ٢٢.

(٢) المثل السائر ٢٤٨/٢.

وضاحكاً، وجائعاً، وغير ذلك من الأمور التي يُحتمل أن يكون عليها؟ فإن قيل: نعم! قيل له: كيف زعمت ذلك، ولا مسافة بين كونه راكباً وكونه على هذه الأوصاف؟، وأي دلالة في تقديم الحال على انتفاء غيرها؟ وهذا لغلوٌ من القول .

— ١١١ —

قال المصنف: «والاستثناء المتقدم جاري هذا الخبرى ، نحو قوله : ما قام إلا زيداً أحدّ ، وإنه يدل على الاختصاص بخلاف قوله: ما قام أحد إلا زيداً^(١) .

أقول : لعمري إن قوله: ما قام إلا زيداً أحدّ يدل على اختصاص زيد بالقيام ، لا لأجل تقادمه على الفاعل ، بل لأجل الاستثناء الذي يدل على إخراجه مما حُكِمَ به على غيره ، فلو لا اختصاصه بذلك لبطلت فائدة الاستثناء ، ولكن هذا المعنى مُطْرَدٌ في حالي تقديم زيد وتأخيره ، لأن الاستثناء يدل في كلا الموضعين دلالةً واحدةً على اختصاص زيد بالقيام دون غيره ، لأنه لو قام غيره لكونه في قوله: إلا زيداً .

الاترى أن من تُحاول تكذيبه يقول له: كذبت ، لأن خالداً قد قام أيضاً؟ فلا فرق في هذا الاختصاص بين تقديم المستنى وتأخيره .

فإن كان هذا الرجل بنوقة وحيشه قد تقطن لاختصاص زائده على هذا المعنى عند تقديم المستنى لا يُؤخذ عِنْدَ تأخيره ، فهذا الرجل قد أدرك ما غفل عنه الأولون والآخرون ، ورُزِقَ حِسَّاً وذوقاً وقفَ على ما لم يَقِفْ عليه غيره ، ولا كلام لنا مع من هو بهذه الصفة ، وإنما نتحدث

(١) المثل السائر ٢٤٨/٢ .

مع أمثالنا وأشكالنا ، وأمّا مَنْ ترَقَى إِلَى طبقةٍ أُخْرَى فَإِنْ أَمْرَهُ يَجِدُ
عَنْ ذَلِكَ ..

قال المصنف : « وقد اختلف الناس في حَمْلِ مَرْيَمَ عَلَيْهَا السَّلَامُ كَمْ مُدَّتْهُ ، فقال قومٌ كَحَمْلُ غَيْرِهَا مِنَ النِّسَاءِ ، وقيل ثلاثة أيام ، وقيل أقل ، وقيل أكثر . قال : والصحيح أن حملها ووضعها كانا متقاربين على الفور من غير مُهْلَةٍ ، وربما كان ذلك في يوم واحد أو أقل ، لقوله تعالى : (فَحَمَلَتْهُ فَانْتَبَذَتْ بِهِ مَكَانًا قَصِيرًا ، فَأَجَاءَهَا الْخَاصُّ إِلَى جِذْعِ النَّخْلَةِ) لأنَّه عطف بالفاء وهي للفور ، ولو كان هناك تراخيٌ ومُهْلَةٌ لعطف بِئْمَ التي هي تقيد المهلة »^(١) .

أقول : إن القاء ليست للفور ، بل هي للتعييب على حَسَبِ ما يَصْبَحُ إِمَّا عَقْلًا أو عَادَةً ، وهذا صَح أن يقال دخلت البَصْرَةَ فَبَغْدَادَ ، وكان بينهما زمانٌ كَثِيرٌ ، لكن تعقيب دخول هذه عن دخول تلك على ما يمكن ، بمعنى أنه لم يمكن بواسطه مثلاً سنة أو مدةً طويلاً ، بل طَوَّي المنازل بعَدَّ البَصْرَةَ وَلَمْ يُقْمِ بواحد منها إِقَامَةً يخرج بها عن حدَّ السَّفَرِ إلى أن دَخَلَ بَغْدَادَ ، وهذا هو الذي يقوله أَهْلُ اللُّغَةِ وَأَهْلُ الْأَصْوَلِ ، وليس القاء للفور الحقيقي .

أقول : معناه حصول هذا بعد هذا^(٢) بغير فَصْلٍ ولا زمانٍ كما توهمه هذا الرجل ، ألا ترى إلى قوله تعالى : (لَا تَقْتُرُوا عَلَى اللَّهِ كَذِبًا فَيُسْتَحِكُمْ

(١) المثل السائر ٢٦١/٢ .

(٢) يريد حدوث الوضع بعد الحال .

بعذاب^(١) والعذاب^(٢) متراخٍ عن الافتاء .

وقال : (فلا يَصُدَّنَّكَ عَنْهَا مَنْ لَا يُؤْمِنُ بِهَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ — فَتَرَدَّى)^(٣) والرَّدَى مَتْرَاخٌ عَنِ الصَّدَّ عَنْهَا . وقال : (وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْ نَبَاتٍ شَتَّى)^(٤) وَلِيُسْ خَرُوجُ النَّبَاتِ عَقِيبًا إِنْزَالِ الْمَطَرِ ، بَلْ هُوَ مَتْرَاخٌ عَنْهُ . وقال : (وَلَقَدْ عَاهَدْنَا لِيَ آدَمَ مِنْ قَبْلِ فَتَسِيٍّ)^(٥) وَلَمْ يَكُنْ النَّسَانُ عَقِيبَ الْعَهْدِ ، فَإِنَّهُ قَدْ دَامَ مُكْثًهُ مُتَجَنِّبًا لِلشَّجَرَةِ الَّتِي نُهِيَّ عَنِ اكْلِهَا مائةً عَامًا ، ثُمَّ أَكَلَهَا .

وَفِي الْقُرْآنِ مِنْ هَذَا الْجَنْسِ الْكَثِيرُ الْوَاسِعُ ، فَإِذَنْ لَا يَدُلُّ قَوْلَهُ تَعَالَى : (فَانْتَبَدَتْ بِهِ مَكَانًا قَصِيبًا فَأَجَاءَهَا الْمَاضِ) ، أَنْ ذَلِكَ كُلُّهُ كَانَ فِي يَوْمٍ وَاحِدٍ أَوْ أَقْلَى ، كَمَا اعْتَقَدَهُ هَذَا الرَّجُلُ .

— ١١٣ —

قال المصنف : « ومن هذا الباب قوله تعالى : (وَلَقَدْ خَلَقْنَا إِنْسَانًا مِنْ سُلَالَةٍ مِنْ طِينٍ ، ثُمَّ جَعَلْنَا نَطْفَةً فِي قَرَارٍ مَسْكِينٍ ، ثُمَّ خَلَقْنَا النَّطْفَةَ عَلَقَةً » ، فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً ، فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظَامًا ، فَنَكْسَوْنَا الْعِظَامَ لِحَمًا ، ثُمَّ أَنْثَيْنَا خَلْقَنَا آخَرٍ) قال فَذَكَرَ الْخَلْقَ الْأَوَّلَ مِنَ الطِينِ وَهُوَ آدَمٌ ، ثُمَّ عَطَّافَ عَلَيْهِ الْخَلْقَ الثَّانِي بِشُمًّا ، لَمَّا بَيْنَهُمَا مِنَ التَّرَانِي ، وَلَمَّا صَارَ إِلَى الْقَدْرِ الَّذِي يَتَّبِعُ بَعْضَهُ بَعْضًا مِنْ غَيْرِ تَرَاخٍ عَطْفَهُ بِالْفَاءِ ، وَلَمَّا انتَهَى إِلَى جَعْلِهِ ذَكْرًا أَوْ أَنْثًا ، وَهُوَ آخِرُ الْخَلْقِ ، عَطْفَهُ بِشُمًّا .

(١) سورة طه : الآية ٦١ .

(٢) سورة طه : الآية ١٦ .

(٣) سورة طه : الآية ٥٣ .

(٤) سورة طه : الآية ١١٥ .

ثم اعترض على نفسه فقال قد وَرَدْتَ آيةً أخرى بلفظة ثم هذه التقلبات
بعينها ، وهي قوله تعالى : (إِنْ كُنْتُمْ فِي رَبِّ مِنَ الْبَعْثَ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ
تُرْابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلْقَةٍ ، ثُمَّ مِنْ مُضْعَفَةٍ) ثُمَّ أَمْسَكَ عَنِ الْجَوَابِ ^(١)
فلم يقل شيئاً هكذا وجدته في نسخة هذا الكتاب التي وصلت إلينا من
الموصل فطلبت نسخة أخرى ، ثم تأملتها فوجدها أيضاً قد أخْلَى بياضاً
للْجَوَابِ .

أقول : قد كان الواجب عليه أن ينفطر من ها هنا لحقيقة القاء ، وأنها
ليست كما يظن أنها تقتضي الفَوْرَ الحقيقى ، وإن وُجِدَ أحدهما في الزمان
الأول ، والآخر في الزمان الثاني بلا فصل ، بل تقتضي التَّعَقِّيبَ على ما يصبح
ويتمكن كما قدمنا ، فاما ثم فتقتضي تراخيًا ومُهْلَلاً أكثر مما في القاء .

ومن العجب ظنه أن القاء في قوله تعالى : (فَخَلَقْنَا الْعَلْقَةَ مُضْعَفَةً ،
فَخَلَقْنَا الْمَضْعَفَةَ عَظَامًا ، فَكَسَوْنَا الْعَظَامَ لَحْمًا) للتعقّيب الذي يتوهّم ، وهو
عدَمُ الزمان المحسوس بين الحالتين ، وكيف يمكن أن تعتقد هذا ، وبَيْنَ
صَبَرَ وَرَقَ الْعَلْقَةِ مُضْعَفَةً زَمَانَ طَوِيلٍ ، وَبَيْنَ صَبَرَ وَرَقَ الْمَضْعَفَةِ عَظَامًا مِثْلُ
ذَلِكَ ، ولو كان الأمر كما تصوّره هذا الرجل لوجب القول بأن الزمان الذي
ت تكون فيه النطفة علقة ، تكون في الزمان الثاني منه بلا فَصْلٍ مُضْعَفَةً ،
وت تكون في الذي يليه بلا فصل عظاماً ، وت تكون في الزمان الذي يليه على
ذلك العظام لحم ، وت تكون هذه المراتب كلها ، وتقع جميعها في أقل من
عشرة من عواشر الدّقائق ، وهذا أمر ما قاله مخلوق قَطُّ .

وهو مع ذلك مخالف للحس و الوجدان ، فالآلية الثانية الواردة بلفظة

(١) المثل السادس ٢٦٢/٢ وليس في الكتاب جواب عن السؤال .

«ثُمَّ» غيبة عن التأويل حكمة واضحة، لأن لفظة «ثُمَّ» واقعة موقعها.

فإذا استبقنا على سياق كلامه أن يقول: قام زيد يوم السبت ، قام عمرو يوم الأحد ، لأجل أن بينهما يوماً واحداً ، وأوجبنا أن يقول: ثم قام عمرو يوم الأحد ، وجعلنا مدة اليوم فقط مهلة وترانجاً يليق أن يتوافق بهم لأجلها ، فالآولى أن يتوافق بهم في أطوار الخلقة التي لا يتخلل طور منها إلى طور آخر إلا في الأيام الطويلة التي تتجاوز الشهر .

فأما قوله: ولما صار إلى جعله ذكراً أو أثني ، وهو آخر الخلق ، عطفه ، ثم ، فنقول له : أين في الآية ذكر جعله ذكراً أو أثني ؟ فإن كنت تعني قوله (ثم إنشائه خلقاً آخر) فإن تقسيم الحيوان المخصوص إلى ذكر أو أثني ما كان في آخر المراتب كما يتوهם ، بل إنما في أول التكوين وابتداء الأطوار على ما يعتقده قوم ، أو عند جعله عظاماً ولحماً ، لأنه لا يُعْتَبره أن يجعله حماً وعظاماً ، فيكون إنساناً كاملاً ، ومع ذلك فليس بذلك ولا أثني .

فالذى سبق إلى ذهنه هذا الرجل من أن المراد بقوله « ثم إنشائه خلقاً آخر » الذكورة والأنوثة قد سبق قبله إلى أذهان قوم من صناعة المفسرين ، وهو غلط ، بل المراد بذلك أثناً أخرى جناته من ذلك الوعاء إلى خارجه ، وجعلناه مستقلًا بنفسه بعد أن كان جزءاً من أمم ، لأنه كان يُعْتَدُ باغتنامها ، كما يُعْتَدُ باغتنامها ، فلما استقل بنفسه في العذاء وغيره وجميع صورته ، وظهر شخصه صار خلقاً آخر .

قال المصنف : « ومن الألفاظ لفاظ يراد بها المبالغة والتکثير ، كالالفاظ التي يجيء على وزن فعال كثواب وغفار فإنها يفيدان كثرة الشوبة

والغفرة وتكررها من الفاعل ، وليس كتاب وغافر ، فإنهما يدلان على وقوع الغفرة والتوبة من الفاعل ، ولو مرة واحدة .

قال : وقد وَهُمْ بعْضُ شُعَرَاءِ الْجَمَاسَةِ فِي هَذَا لِلْمَوْضِعِ قَالَ :

لِلَّهِ تَائِمٌ أَيُّ رُمْحٍ طَرَادٍ لَّا فِي الْحَمَّ وَأَيُّ نَصْلٍ جَلَادٌ؟
وَمِنْشٌ حَرْبٌ مُّقْدِمٌ مَتَرْضٌ لِلْمَوْتِ غَيْرٌ مُّكَذِّبٌ حَيَّادٌ

قال : فانعكس عليه القصد ، لأنَّه إذا نفي كونه حَيَّاداً فقد نفي عنه كونه كثير المزية والانحراف عن قرينه ، وذلك أن يكون قليهما ، ولا شبهة أن يكون غير حَيَّاد ولكه حائد ، أي وجدت منه الحِبْودَة مرة واحدة ، وإذا وجدت منه مرة كان ذلك جُبْنا ، ولم يكن شجاعة ، والأولى أنْ كان قال : غير مكذب حائد «^(١)» :

أقول : فعل هذا القياس يكون قوله تعالى : (وَمَا رَبُّكَ بِظَلَامٍ لِلْعَبْدِ)^(٢) يقتضي أن يكون دالاً على نفي تكرر الظلم ، ويكون مفهوم ذلك وفحواه أنه يظلِّمُ العبادَ ظلْسًا قليلاً ، كما كان فحوى بيت الشاعر أن هذا المربي يَجْبِنُ نادراً ، وأن يكون قوله صلى الله عليه وسلم لعلي عليه السلام : « لَا عَطِيزَنَّ الرَايَةَ غَدًا لِرَجُلٍ يَحْبُّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ ، وَيَحْبُّ اللَّهُ وَرَسُولَهُ ، كَرَّارٍ غَيْرِ فَرَّارٍ » أي لا يكثر الفرَّار بل يتقرَّ أحياناً في النادر ، مع أن عليه لم يتقرَّ قطًّا على ما نقل عنه المخالفُ والمُؤَلَّفُ ، وأن يكون قول سطح^(٣) في كَهَانَتِهِ على رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ليس

(١) المثل السائر ٢٨٠ / ٢ ومنه أصلحتنا النص .

(٢) سورة نحل : الآية ٤٦ .

(٣) سطح كاهن بي ذنب ، كان يتكلهن في الحالية ، وأخبر بمعبه صل الله عليه وسلم .
ومات بعد مولد النبي . قالوا إنه سي بذلك لأنه كان إذا غضب قد منيضاً فيها زعموا ، وقيل
إنه سي بذلك لأنَّه لم يكن بين مقاصله قصب تعمده فكان أبداً منيضاً منطماً على الأرض
لا يقدر على قيام ولا قعود . وهو خال عبد المسيح بن عمرو بن يقيلة الفساني ، وأiben خالة شقيق
الakahen (هامش القاموس مادة سطح) .

بفَظٍ وَلَا صَحَابًا يقتضي ألا يصْنَحُ كثيراً، بل يَصْنَحُ في وقت بعيدٍ.

واعلم أن العرب إذا استعملت هذه اللفظة في النفي فإنهم لا يعنون بها إلا ما يعنون بالفظة فاعل فقط ، ولو شئت أن تذكر من ذلك الأمثلة الكثيرة لذكرتها ، فاما في الإثبات فإنهم قلَّ أن يستعملوها إلا في الكثرة والتكبر كما ذكره هذا الرجل ، وكان الواجب أن يتصرفَ كلامَهُ ، وبُشِّرَقَ بَيْنَ اسْتَعْلَمُهُمْ لَا تَنْعِيَا وَاسْتَعْلَمُهُمْ لَا إِثْبَاتَا .

قال المصنف : « وينبغي أن يُعلَمَ أنه إذا وردَتْ لفظةٌ من الألفاظ ، ويجوز حملها على التَّضَعِيفِ الذي هو طريقُ المبالغة ، وحملها على غيره ، أن يُسْتَنْظَرَ فيها . فإن اقتضى حملها على المبالغة ، فهو الوجهُ . »

وذلك أن قوة اللنط لغة المعنى لا تستقيم إلا في نقل صيغة إلى صيغة أكثر منها ، كنقول الثلاثي إلى الرباعي .

وإلا فإذا كانت صيغة الرباعي مثلاً موضوعةً لمعنى ، فإنه لا يُراد بها ما أريد من نَقْلِ الثلاثي إلى مثل تلك الصيغة .

ألا ترى أنه إذا قيل في الثلاثي (قَتَلَ) ثم نقل إلى الرباعي فقبل (قَتَلَ) بالتشديد ، فإن الفائدة من هذا النقل هي التكثير ، أي أن القتل وُجدَ منه كثيراً؟ .

وهذه الصيغة الرباعية بعينها لو وردَتْ من غير نقل لم تكن داللةً على الكثير ، كقوله تعالى : (وَكَلَمُ اللهِ مُوسَى تَكَلِّمُوا) ، إذ أنه لا ثلاثي لهذه اللفظة » ^(١) .

(١) المثل السادس ٢٨٣/٢ - ٢٨٤ ومه نقلنا النص وصححنا .

أقول : إنه لا يصح أن يقال على الاطلاق متى كان هذه الصيغة وهي فعل بالتشديد ثلاثي ، فإنها تعطي معنى التكبير والقوة ، وذلك أنها قد وجدناها في مواضع بخلاف هذه الصفة ، نحو قوله : قلّصتْ شفته إذا انزَّوتْ بالتحفيف ، ومثله قلّصتْ بالتشديد ، ولا فرقَ بينهما عند أهل اللغة في كثرةِ ولا قلة ، وقد نصّوا عليه ، وذكر صاحب ديوان الأدب فقال : قَصَرَ من الصلاة وَقَصَرَ منها^(١) .

فاما قوله : إن فعل مشدداً إذا لم يكن له ثلاثي قد نُقل عنه فإنه لا يَدُلُّ على الكثرة فصحيحٌ ، لكن تمثيله بقولهم : رَتَّلَ القراءة غير صحيح ، لأن هذه اللقطة لها فعلٌ ثلاثيٌ وهو رَتَّلتَ قراءته بالكسر رَتَّلَا أيضاً ، ويقال منهما شَغَرَ مُرْتَلٌ ، وكلام مُرْتَلٌ .

فاما تمثيله بكلمٍ فتشيلٍ صحيح لا نزاع فيه .

قال المصنف : « وقد ذهب جُمهورُ علماء العربية إلى أن عليماً أبلغُ في معنى العلم من عالم .

قال : ولا أرى ذلك صواباً ، لأنك تجد الحروف في الموضعين على عِدةٍ واحدةٍ لم ينتقل فيها الأدنى عدداً إلى الأعلى ، بل الذي يُوجبه القياس يقتضي عكس ما قالوا ، لأن فعيلاً في وزن طريق وكريم وأمثالها من أمثال الأخلاق والطابع التي لا تقع إلا قاصرة^(٢) ، وفاعلها على هذا الوزن هو

(١) في أساس البلاغة : قصر من الصلاة قصراً وأقصر وقصير (بتشديد الصاد في الأخيرة) .

(٢) يزيد بالقاصرة المازمة .

فعيل^(١) لا غير ، وليس بناء فاعلٍ كذلك ، لأنه يجيء من المتعدي كضارب ومن اللازم كقائم ، وما يشبه مالاً يكون^{إلا} للناصر أضعف ما يكون بناؤه للمتعدي والناصر معاً^(٢) .

أقول: إن فعيلاً وإن لم يتضمن^{إلا} العرب على أنه للبالغة فقد نبهوا على ذلك باستعمالهم إياه خبراً عن الجماعة ، وإجراء صفتة على المذكر والمؤنث ، أما كونه خبراً عن الجماعة فنحو قول جرير :

جَلَوْنَ الْعَيُونَ النَّجْلَ ثُمَّ رَمَيْنَا بِأَعْيُنِ أَعْدَاءِ وَهُنَّ صَدِيقُهُمْ

ومثله في الخبر قوله تعالى : (إن رحمة الله قريب من المحسنين)^(٤) ،
ولم يقل قريبة .

وإذا وُصِفَ به المذكر والمؤنث وقع خبراً عن الجماعة صار كالمتصادر الواقعة للأجناس المشتركة في الوصف بها المفرد والجمع والمذكر والمؤنث ، نحو قوله: رجل فطر وامرأة فطر ورجال فطر ونساء فطر ، ومثل هذا لم يجيء في وزن فاعل ، وعلة ذلك أن فعيلاً أشباهه معمولاً ، لأنه صفة مبنية^{إلا} على حرف مدد ، وفعول قد وقع للجمع والمفرد والمذكر والمؤنث بل فقط واحد ، قال الله تعالى : (فَإِنَّمَا عَدُوُّكُمْ إِلَّا رَبُّ الْعَالَمِينَ)^(٥) فعد وـ

(١) قال ابن الأثير : عالم اسم فاعل من علم وهو متعد ، وعلم اسم فاعل من علم (بضم اللام) إلا أنه شبه وزن الفعل القاصر ، نحو شرف فهو شريف وكرم فهو كريم ، فهذا الوزن لا يكون إلا في الفعل القاصر . فلما شبهه (علم) اخْطَع عن رتبة (عام) الذي هو متعد .

(٢) المثل السائر ٢٨٥/٢ يتصور .

(٣) البيت في الديوان (٣٩٨) :

دعون الموى ثم ارتئون قلوبنا
بأنهم أعداء وهن صديقون

من قصيده في مدح الحجاج التي مطلعها :

وبيت أراني صاحبي تبعساً

وقد علقني من هواك علوق

(٤) سورة الأعراف : الآية ٥٦ .

(٥) سورة الشraham : الآية ٧٧ .

فَعُولٌ ، وقد أخْبَرَ به عن الجماعة : أي أئْهَم لِي أَعْدَاءٌ .

وَقَالُوا : امْرَأَةٌ شَكُورٌ كَمَا قَالُوا : رَجُلٌ شَكُورٌ ، وَإِنَّمَا اسْتَعْمَلُوا فَعُولًا
لِلْمُبَالَغَةِ وَالْكُثْرَةِ ، لِأَنَّهُ عَلَى لَفْظِ فَعُولٍ الَّذِي يَقُولُ مَصْدَرًا ، نَحْوَ الدُّخُولِ
وَلَيْسَ بَيْنَهُ وَبَيْنَهُ إِلَّا ضَمْنٌ هَذَا وَفَتْحُ هَذَا .

وَقَالَ أَبُو الْفَتْحِ رَحْمَهُ اللَّهُ : سَرَّى التَّذْكِيرُ مِنْ فَعُولِ الْمُصْدَرِيِّ إِلَى فَعُولِ
الْوَصْفِيِّ ، يَعْنِي أَنَّ الْمُصْدَرَ لِلْجِنْسِ ، وَالْغَالِبُ عَلَى الْجِنْسِ التَّذْكِيرُ ، فَلَذِكْرِ
لَمْ يَؤْتِ فَعُولٍ إِذَا وَقَعَ لِلْمُؤْنَثِ بِعْنَى فَاعِلٍ ، نَحْوَ امْرَأَةٍ صَبَرَّةٍ ، وَامْرَأَةٍ
شَكُورٍ ، وَشَذَ قَوْلَهُمْ : امْرَأَةٌ عَدُوَّةٌ ، حَمْلَوْهُ عَلَى قَوْلِهِمْ : امْرَأَةٌ صَدِيقَةٌ
بِالْحَاءِ الْفَارِقةِ فِي الْوَاحِدِ بَيْنَ الْمَذَكُورِ وَالْمُؤْنَثِ .

فَأَمَّا قَوْلُهُ : إِنْ فَعِيلًا يَجِيءُ مِنْ أَعْمَالِ الْغَرَائِزِ فَذَلِكَ لِابْنَانِي وَقُوَّعَهُ لِلْمُبَالَغَةِ ،
لَأَنْ قَوْلُنَا : قَدْمٌ فَهُوَ قَدِيمٌ فِيهِ مُبَالَغَةٌ ، وَكَلِّكَ عَتْقٌ فَهُوَ عَتَيقٌ بِعْنَى
قَدْمٌ فِي الرِّزْمَانِ عَلَى جَهَةِ الْمُبَالَغَةِ ، وَقَالَ سَبِّحَانُهُ : (حَتَّى عَادَ كَالْعُرْجُونِ
الْقَدِيمِ) ^(١) .

قال المصنف : « ومن التطويل الذي لا حاجة إليه قوله العجبير السلوبي »
من شعراء الحماسة :

طَلَوْعُ الثَّنَيَا بِالْمَطَايا وَسَابِقٌ إِلَى غَايَةِ مَنْ يَسْتَدِرُّهَا يُقَدَّمُ
قال : فالزيادة قوله بالمطايا ، لأنَّه أراد ما أراده الحاجاج بقوله : « أنا ابن
جَلَّا وَطَلَاعُ الثَّنَيَا » أي سامي الهمة إلى معالي الأمور ، فالمطايا فضلة ،

(١) سورة يس : الآية ٣٩ .

لأن معالي الأمور لا يُرقى إليها بالملطايا ، وإن أراد به أنه كثير الأسفار فتخصيصه الثناء بالذكر دون سائر الأرض من المأوز و غيرها لافائدة فيه .
وعلى كلا الوجهين فـ ذكر المطايا فـ فضلة لا حاجة إليها ، وهو تطويل بارد غثٌ^(١) .

أقول : إن هذا الكلام مدخولٌ من ثلاثة أوجه :

الأول أنه لو أراد ما أراده الحجاج من سمو همه إلى معالي الأمور ، وإحاطة علمه بالخفايا كما يحيط علّم الربية الذي يطلع الثناء بأحوال الأرض ومن يصير فيها ، لم يكن قوله : «المطايا» زيادة لا معنى لتعتها ، لأنه كتب باللطايا عن مساعيه وأثاره ومقداماته التي تقدم بها في معالي الأمور ، واكتسبها ، وسمّاها مطايا لأنها هي التي أوصيته إلى المعالي ، كما يصل الإنسان بالطيبة إلى مقصدِه .

ولهذه العلة استعملوا هذه اللفظة ، فقالوا : الليل والنهار متطيستان تُقرّبان البعيد ، وسمّي أبو الطيب نعْله ناقة ، فقال :
لا ناقٍ تقبّل الرديف ولا بالسوط يوم الرّهان أجهدُها^(٢)
فمرادُ الشاعر إذن أنني نيلتُ معالي الأمور بالسعني والآثار والتوصّل ،
لا بالميراث ولا الاقتصار على شرف الأنساب .

والوجه الثاني لو أراد الإبارة عن كثرة الأسفار لكان قوله : «الثناء» مزينة^{*}

(١) المثل السادس ٣٠٧/٢ .

(٢) من قصيدة في مدح محمد بن عبد الله العلوى التي مطلعها :
أهلاً بدار سباك أغيمها أبعد ما يان عنك خردها
الديوان ١٩٥/١ .

والبيت في الفلك الدائر هكذا :
لا ناقٍ تقبل الرديف لما كانت توصله إلى مقصوده

ظاهره على غيرها من الأرض ، لأن الثناء والعقاب والروابي أشوه الأرض سيرا ، قال الشاعر :
 وَتَنِيَّةٌ قُذْفٌ يَحْارِبُهَا الْقَطْطَا
 وَيَضْلُلُ فِيهَا حِينَ يَغْدُو الْأَحْتَبَ^(١)

وقال :

وَمَزْنَأَةٌ لَا تُسْطِعُ قَطْعَتُهَا
 بَهِيقٌ كَتَابُتِ التَّصَارِي شَمَرْدَلَ^(٢)
 وَأَشْعَارُهُمْ فِي هَذَا الْبَابِ كَثِيرَةٌ جَدًّا .

الوجه الثالث أنه أدعى أن لفظة المطابا هي الفضلة الرائدة ، ثم برهن على ذلك بأن قسمَ المعنى إلى قسمين ، ثم بيَّنَ أن أحد القسمين إن كان هو المراد فالمطابا فضلَة زائدة ، وهو المطلوب ، ثم قال : وإن كان القسم الثاني هو المراد فالثناء فضلَة زائدة ، فإذا ذكر استدلاله لا ينتج المطلوب ، لأن إما كان ينتج المطلوب لو ثبتت زيادة قوله بالمطابا على كلا القسمين ، فأما إذا كان أحد القسمين لا يقتضي زياحتها ، بل زيادة غيرها ، فقد ينطَلَّ قوله أن ذكر المطابا فضلَة لا حاجة إليها ، على كلا الوجهين .

قال المصنف : « فَأَمَّا بَيْتُ أَبِي تَعَامِ وَهُوَ :

(١) الأَحْتَبُ : الحمار الوحشي الذي في بطنه بياض .

(٢) المَزْنَأَةُ : مكان الصعود في الجبل ، زنا في الجبل أي صعد .
 المَيْقُ : ذكر النعام ، شبه به الجبل .

الشَّرْدَلُ : القوي السريع الحسن الخلق الفتى من الإيليل وغيرها .
 وَالْبَيْتُ بِالْأَصْلِ (وَمَرْثَة) وقد رجحنا أن يكون تصويبها (مزنة) أو (مزنة) لأن
 المنقبة الطريق الظاهر على رؤوس الرجال والأكamas والربا .

يتجنّبُ الآثامَ ثُمَّ يخافُهَا فَكأنما حسناهُ آثاماً

فإنه قد جاء في بعض النسخ :

يتجنّبُ الآثامَ خيفةً غيّها فَكأنما حسناهُ آثاماً

وليس شيء ، لأن المعنى لا يصح به ، والوجه الرواية الأولى .

وقد خطر لي في معناه أنه نظير قوله تعالى : (والذين يُؤتون ما آتُوا
وقلوبهم وجلة) وتقديره أنه يتجنّب الآثام ، فيكون قد أتى بحسنة ، ثم
يخاف تلك الحسنة ، فكأنما حسناه آثاماً ، وهو على طلاق الآية سواء^(١) :

أقول : إن هذا التفسير يكاد يكون التفسير ، ولكنه لم يوضحه ، لأنّه قال :
ثم يخاف تلك الحسنة ، ولا ريب أن الحسنة التي صدرت منه هي تجنب
الآثام ، وهي طاعة لا يخافها أحد ، فما باله خاف التجنب حتى صار كأنه
من الآثام ؟ فقد بان أنه قد أعزّته كلمة لم يذكرها ، وهو أنه لا يخاف
تجنب الآثام ، بل يخاف ألا يُقبّل منه وألا يُتاب عليه ، فيكون خوفه
من ذلك خوفه من الآثام نفسها ، ويكون هذا من باب حذف المضاف ،
كأنه قال : يتجنّب الآثام ثُمَّ يخاف ردّها أو يخاف إحباطها ، والضمير يرجع
إلى مصدر قوله : يتتجنّب ، لأنّ يتجنّب قد دلّ على التجنب .

فإن قلت : ضمير المؤنث هنا كيف جاء والتجنب مذكر ؟ قلت : هو
محولٌ على المعنى ، لأن التجنب كالخوف والمحنة والفارقة ، وإعادة
الضمير على المعنى في باب التذكير والتأكيد كثيرة مشهورة .

وعلى هذا التحقيق ظهرت مطابقته بالآلية على أحـد تفسيرـيهـا .

فاما قوله : إن رواية « خيفة غيّها » لا يصح المعنى بها ، فإن بعض المفسرين قال إن هذا البيت محمول على القلب ، وتقديره : فكأنما آثame حسناً ، قال : ومعناه كأن آثame حسناً غيره ، لأنه من الأبرار الأولياء الذين حسناً الناس سيناتٍ بالنسبة إلى عبادتهم ، ومن كلامهم : حسناً الأبرار سينات المقربين ، يَعْنُونَ عَلُو طبقة المقربين على طبقة الأبرار .

والقلب قد جاء في الكلام كثيراً نحو قوله : أدخلتُ الخاتمَ في إصبعي ، والتحقيق أدخلتُ إصبعي في الخاتم ، لأن الإصبع هي التي أدخلت في الخاتم ، وقولهم : كأن الزرّا فريضة الرجم ، وقال الآخر : وبكلدي عاميَّةِ أعمَّاؤهْ كأن لونَ أرضه سباؤه^(١) وقد جاء في التزيل شيء من ذلك قال : (فإِنْهُمْ عَدُوٌّ لِي) ^(٢) أي فإني عَدُوٌّ لهم ، وعداوتهم تعالى لهم براءته منهم ولعنته لهم ، وإذا ثبت هذا فالرواية التي أفسدها وزعم أنها لا تصح صحيحة غير منكرة ..

قال المصنف : « فأما بيت أبي تواس ، وهو قوله : سُنَّةُ العشَاقِ واحِدةٌ فإذا أَحْبَبْتَ فاستكِنْ ومن الناس من يرويه « فَاسْتَبَنْ » بالتون ، وهذا لا معنى له ، لأنه إذا لم يُبَيِّنْ سُنَّةُ العشَاقِ ما هي ، فبأي شيء يَسْتَبَنْ المسنَنُ منها » ^(٣) . أقول : إن البيت الذي قبله يُوضَّح سُنَّةُ العشَاقِ التي أمره أن يَسْتَبَنْ

(١) البيت لرؤبة ، والأعنة المخالل ، وأعنة عامية على المبالغة ، على حد قوله : ليل لائل ، وشغل شاغل . وقال الأزهري : عامية دارسة وأعنة مجاهله (لسان العرب مادة عمي) .

(٢) سورة الشراء : الآية ٧٧ .

(٣) المثل السائر . ٣٢٥/٢

بها ، ألا ترى أن مَنْ قال لغيره : إذا دخلت على الملك فاسْجُدْ ، ثم قال عَقِيبَ ذلك : عادةُ عَبْدِيْلِهِ الْمَلِكِ وَخَوَّلِهِ مشهورةً ، فإذا أحبتَ أن تكون منهم فاعمل بها ، فإنه يفهم من هذا الكلام أنه إشارةٌ بالعادة إلى ما قدمه أولاً من السجود للملك ؟ .

— ١٢٠ —

قال المصنف : « بعد أن ذكر آياتٍ كثيرةً من الكتاب العزيز تتضمن حذف جملٍ مفيدة وغير مفيدة : ومن هذا الباب قوله تعالى : (قال الذي عنده علمٌ من الكتاب أنا آتيك به قَبْلَ أَنْ يَرُتَّدَ إِلَيْكَ طَرْفُكَ ، فَلَا رَأَهُ مُسْتَقِرًا) عنه قال هذا من فَضْلِ رَبِّي لِيَبْلُوْنِي أَشْكُمُ أَمْ أَكْفُرُ ؟ وَمَنْ شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ ، وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ رَبَّيْ غَنِيَّ كَرِيمٌ . قال نَكَرُوا لَهَا عَرْشَهَا) لأنَّ الْأَمْرَ بِتَكْبِيرِهِ لَا يَكُونُ إِلَّا بَعْدَ أَنْ جَاءَ بِهِ إِلَيْهِ »^(١) .

أقول : تقديرُ هذا الحذف غيرُ محتاجٍ إليه في هذه الآية ، لأنَّ إنْ جعلنا الضمير في « رَأَهُ » وفي « عنده » راجعاً إلى الذي عنده علمٌ من الكتاب جعلنا الضمير في « قال نَكَرُوا لَهَا » راجعاً إلى سليمان ، فيكون تقديرُ الكلام : فَلَا رَأَى الرَّجُلُ الَّذِي عنده علمٌ من الكتاب عَرْشَهُ بِلْقَيْسَ مُسْتَقِرًا عنده ، قال : هذا من فَضْلِ رَبِّي إِلَى آخر الآية ، ثم هذا يحْكِي قَوْلَ سليمان « نَكَرُوا لَهَا عَرْشَهَا » فلا تحتاجُ الآية إلى حذف ولا إضمار .

وإن جعلنا الضمائر كلها راجعة إلى سليمان لم يُحْتَجْ أيضاً إلى الحذف الذي ذكره ، بل يكون قَوْلُهُ : نَكَرُوا لَهَا عَرْشَهَا إِمَّا معطوفاً حذف منه حرف العطف ، تقديره : وقال نَكَرُوا لَهَا عَرْشَهَا ، كما قال : (لَا تَتَخَذِّدُوا بِطَانَةً

(١) المثل السائر ٣٢٩/٢ .

(الفلك الدائر — م ١٧)

من دُونكم لايَا ونكم خَبَالاً ، وَدُوا مَا عَنْتُمْ ، قد بدأَتْ البعضَاء من أقوالِهِم (١) أو جواباً ثانياً للثُّمَّا ، أو كلاماً مسألهَا ، كأنه فراغ من تلك القصة ، ثم شرع في جملة أخرى ، وهي أنه لا حاجة إلى حذف المذكور ، لأنَّه لما قال فلما رأه مستقراً عنده قال هذا من فضل ربِّي ، وهذا يعني عن أن يقدر مرَّة ثانية (فلما جيء به) لأن معناها واحد .

— ١٢١ —

قال المصنف : « وقد نص أبو الفتح ابن جنبي على أن حذف الفاعل لا يجوز ، قال : وبيت حاتم يشهد بخلاف قوله وهو : أماوي ما يُغْنِي الشَّرَاء عن الفتى إذا حشرجت يوماً وضاق بها الصدرُ وقال الله تعالى : (حتى توارت بالحجاب) ولم يذكرها (٢) .

أقول : إن البصريين كلهم قد منعوا حذف الفاعل لقاعدة مقررة عندهم ، وهي : أن الفاعل يتزلل منزلة جزء من الكلمة ، لأنهم سكتُّوا لام الفعل إذا اتصلَّ به ضمير الفاعل ، نحو ضربت ، كيلا تتوالى أربع متحرّكاتٍ لوازم في الكلمة واحدة ، فإن ذلك لا يوجد إلا أن يكون قد حُذِفَ حرفٌ من الكلمة للتخفيف ، نحو عَابِطٌ (٣) ، فإسكناتهم لام الكلمة تتزيل لضمير المتكلّم وهو الفاعل متَّزلاً حرف من نفس الكلمة ، ولذلك لم يُسكتُّوا لام الفعل إذا اتصلَّ به ضمير المفعول كقوله تعالى : (ما وعدنا الله ورسوله) (٤) لأنَّه في نية الانقضاض ، بخلاف قوله : (وإذا واعدنا

(١) سورة آل عمران : الآية ١١٣ .

(٢) المثل السادس ٣٢٢/٢ ولم يذكر ابن الأثير هذه الآية ، بل ذكر آية أخرى هي : (كلا إذا بلغت التراثي) وقال إن الضمير في بلغت للنفس ولم يجر لها ذكر .

(٣) المbeat والملاطط بضم عينيه وفتح لامها وكسر بايمها الضخم والطبع من الفم (القاموس المحيط) .

(٤) سورة الأحزاب : الآية ١٢ (وإذا يقول المنافقون والذين في قلوبهم مرض ما وعدنا الله ورسوله إلا غورا) .

موسى)^(١) قالوا وكذلك جَعَلُوا النونَ في يَقْعِلَانِ وبابِهِ عَلَامَةَ الرُّفْعِ ، فَلَوْلَا أَنَّ الْأَلْفَ بِمَتْزِلَةِ حِرْفٍ مِنْ قَسْمِ الْكَلْمَةِ لَا جَعَلُوا الإِعْرَابَ بَعْدَهُ ، وَلَأْنَهُمْ لَحِقُوا عَلَامَةَ التَّائِيَّةِ بِالْفَعْلِ فِي قَوْلِهِمْ : قَامَتْ هَنْدٌ ، وَالْفَعْلُ لَا يَؤْنِثُ ، فَلَوْلَا مِنْ كَيْفِيَّةِ الْفَاعِلِ بِمَتْزِلَةِ جِزْءٍ مِنَ الْفَعْلِ لَمْ جَازِ إِلَحَاقُ عَلَامَةِ التَّائِيَّةِ بِهِ .

وَقَدْ نَسَبُوا إِلَى (كُنْتُ) فَقَالُوا كُنْتِيَّ ، قَالَ الشَّاعِرُ :
فَأَصْبَحَتْ كَتِيَّاً وَأَصْبَحَتْ عَاجِنًا وَشَرُّ خَصَالِ الْمَرْءِ كَنْتُ عَاجِنُ^(٢)
فَأَبْثَبُوا إِلَيَّا ، وَلَوْلَا تَرْزِيلَهَا مَتْزِلَةَ جِزْءٍ مِنَ الْكَلْمَةِ لَمْ يَشْتَرِهَا فِي النِّسْبَ ،
وَهُمْ عَلَى هَذِهِ الْقَاعِدَةِ أَدْلَهُ كَثِيرَةٌ مَذْكُورَةٌ فِي مَوَاضِعِهَا .

وَإِذَا كَانَ الْفَاعِلُ بِمَتْزِلَةِ جِزْءٍ مِنَ الْكَلْمَةِ لَمْ يَجْزُ حَذْفَهُ ، كَمَا لَا يَجُوزُ
حَذْفُ الدَّالِ مِنْ زَيْدٍ ، وَلَكِنَّهُ يُضْمِنُ ، فَتَارَةً يَرْجُعُ إِلَى شَيْءٍ مَتَقَدِّمٍ
فِي الْفَظْ ، كَقُولَنَا: زَيْدٌ قَامَ ، وَتَارَةً إِلَى مَا يَدْلُلُ عَلَيْهِ لِفَظُ مُسْتَرٌ بِهِ ،
وَإِنْ لَمْ يَكُنْ المُسْمِرُ رَاجِعًا إِلَى ذَلِكَ الْفَظْ ، كَقُولِهِمْ : مَنْ كَذَبَ كَانَ شَرًّا لَهُ ،
فَاسْمُ كَانَ مُسْمِرٌ دَلِيلٌ عَلَيْهِ لِفَظٌ كَذَبٌ ، وَالْمَعْنَى كَانَ الْكَذَبُ شَرًّا لَهُ ، قَالَ
اللهُ سَبَّاحَهُ : (ثُمَّ بَدَأَهُمْ مِنْ بَعْدِهِ مَا رَأَوْا الْآيَاتِ لِيَسْتَجْنِثُنَّهُ)^(٣)
أَيْ بَدَاهُمْ بَدَاءً ، فَأَضْمَرُ الْفَاعِلُ لِدَلَالَةِ بَدَاءِهِ عَلَيْهِ .
وَقَدْ أَضْمَرَهُ الشَّاعِرُ فَقَالَ :

لَعْلُكَ وَالْمَوْعِدُودُ حُسْنٌ لِقَاءُهُ
بَدَاءً لَكَ فِي تَلْكَ القَلْوُصِ بَدَاءً^(٤)

(١) سورة البقرة : الآية ٥١ .

(٢) الكتني : الكبير العمر (القاموس مادة كأن) .

الماجن : الشَّيْئُ الْكَبِيرُ ، يَقَالُ فَلَانٌ عَجَنْ وَخَبَزُ أَيْ شَانِ وَكَبَرُ ، لَأَنَّهُ إِذَا أَرَادَ الْقِيَامَ
أَعْتَدَ عَلَى ظَهُورِ أَصْبَعِ يَدِهِ كَالْمَاجِنِ ، وَعَلَى رَاحِتَيْهِ كَالْمَاجِرِ (أَسَاسُ الْبَلاَغَةِ مَادَةُ عَجَنْ) :

(٣) سورة يوسف : الآية ٣٥ .

(٤) القلوص : النَّافِعَةُ الْفَتِيَّةُ أَوْ الْبَاقِيَّةُ عَلَى السِّيرِ . بَدَاءً : رَأْيٌ نَاشِيٌّ .

وقد تقدم أن قوة العلم بالفاعل في بعض الموضع تقوم مقام ذكره أو ذكر ما يدل عليه ، كقوله تعالى : (حتى توارَت^(١)) وقول حاتم (إذا حشرجت^(٢)) .

والضابط في ذلك ألا يزيد ذِكْرُ الفاعل في قوة العلم به على ما يحصل من قوة العلم وهو غير مذكور كما في الآية والبيت ، فإنه لو ذكر الشمس والنفس لم تزد قوةُ العلم على ما نجده الآن ، وإن لم يذكرها ، وهذا هو الفرق بين حذف الفاعل وحذف غيره ، فإن هذا الضابط غير معتبر في شيء من الموضع إلا في الفاعل إذا لم يذكر .

قال المصنف : وقد يحذف الفعل للدلالة المفعول عليه ، كقولهم : « أهْلَكَ وَاللَّيْلَ » بنصبهما مما أَيَّ الْحَقُّ أهْلَكَ وَبَادَرَ اللَّيْلَ^(٢) .

أقول : ظاهر هذا الكلام أنه انتصب للقطان بإضمار فعلتين ، وهو خلاف ما تقوله السحة ، لأنهما عندهم منصوبان بفعل واحد ، تقديره بادر أهلك وَاللَّيْلَ ، ومعناه بادر أهلك قبل الليل ، وتحقيق ذلك أن معنى المبادرة مسابقتك الشيء إلى الشيء ، كقولك : بادرت زيداً للمنزل ، كأنك سبقته إليه ، فلما عطفت الليل على الأهل وجعلها مبادرتين أمره بمبادرتهما قبل أن يسبقه أحدهما إلى الآخر .

قال المصنف : حَدَفُ الفعل ينقسم إلى قسمين : أحدهما يَظْهَرُ بدلالة

(١) سورة ص : الآية ٣٢ (حتى توارت بالمحجوب) أي الشس .

(٢) المثل السائر ٣٣٢/٢ .

المحذف عليه ، كما ذكرناه من قوله : أهلك والليل ، وكقول النبي :
وما أرضي لقلبي بحُلْمٍ إِذَا اتَّبَعْتُ تَوْهِمَهُ ابْشِاكًا^(١)
ولا إِلَّا بَأْنَ يُصْغِي وَاحْكِي فَلَيْلَكَ لَا يُتَّسِّمُ هَوَاكَا
قوله : ولا إِلَّا بَأْنَ تَصْغِي فِيهِ مَحْذُوفٌ ، تَقْدِيرٌ وَلا أَرْضِي إِلَّا بَأْنَ
تصفي وأحكي .

قال : والقسم الثاني لا يظهر فيه الحذف ، لأن هناك منصوباً يتدلى عليه ،
بل بالنظر إلى ملاعمة الكلام ، كقوله تعالى : (وَعَرِضُوا عَلَى رَبِّكَ صَفَّا ،
لَقَدْ جِئْتُمُونَا كَمَا خَلَقْنَاكُمْ) وكقوله : (وَيَوْمَ يُعَرَّضُ الَّذِينَ كَفَرُوا عَلَى
النَّارِ أَذْهَبْتُمْ طَبَابِتُكُمْ فِي حَيَاكُمُ الدُّنْيَا) وكقوله : (وَوَصَّيْنَا إِنْسَانَ
بِوَالِدِيهِ حُسْنًا ، وَإِنْ جَاهَدَاكَ) فتقدير ذلك كله : وقلنا لقد جئمنا ،
وقلنا أذهبتم طباباتكم ، وقلنا وإن جاهداك «^(٢) » .

أقول : لا فرق بين هذا القسم وبين قوله : إلا بـأن تصفي وأحكي ،
لأنه لو أظهر (وقلنا) لكان ما بعده منصوباً لأنه مفعول به ، كما لو أظهر
المفعول فقال : ولا أرضي شيئاً إلا بـأن تصفي ، فالقول ينصب ما بعده
إذا كان كلاماً مقولاً كما ينصب الفعل مفعوله ، وكما أن موضع (لقد
جئمنا) هو المنصوب لا لفظه ، ولا فصل بين الموصعين ، فدعواه أن هذه
الآيات على الحذف منها بالنظر إلى ملاعمة الكلام لا بـأن في الكلام مفعولاً
يدل على حذف الفاعل ، وأن قوله (ولا إِلَّا بَأْنَ تَصْغِي وَاحْكِي) خلاف
ذلك دعوى غير مقبولة .

(١) الابشاك : الكتب .

(٢) المثل السائر ٣٣٥/٢ .

قال المصنف : ومن المخدّفات لفظة « لو » في قول الشاعر :

لو كنتُ من مازنٍ لم تستَّبِحْ إبلي بُنُو اللقيطة مِنْ ذُهْل بُنْ شَيْبَانَا
إذاً لقامَ بنصري مَعْشَرٌ خُشْنٌ عن الحفيظة إن ذُو لوثة لانا

فجواب الشرط قد استوفاه في البيت الأول ، فلا بد في البيت الثاني من تقدير « لو » دفعة ثانية ، أي لو كنت منهم إذن لقام بنصري معاشر خُشْنٌ^(١) .

أقول : إن هذه المسألة تبني على أن العامل في البدل هو العامل في المبدل منه أم لا ، فإن لم يثبت ذلك لم يصح هذا الكلام ، لأنه جاز أن يكون قوله « إذن لقام بنصري » بدلًا من قوله « لم تستَّبِحْ إبلي » لأنها في معناه ، والفعل يبدل من الفعل إذا كان في معناه ، نحو وادْنٌ يا فتى أحسنِ إيلك أعطيك مالاً ، وإذا لم يحتاج في البدل إلى تكرير العامل لم يحتاج هنا إلى تكرير او ، وإن لم ثبت هذه القاعدة فإن ما ذكره صحيح لا ريب فيه .

قال المصنف في باب التكرير : « التكرير على قسمين تكرير في اللفظ والمعنى جميعاً ، وتكرير في المعنى فقط دون اللفظ .

فالأول نحو قوله ملن تستدعيه : أُسْرِعْ أُسْرِعْ ، ونحو قوله تعالى : (يريد الله أن يُحق الحق بكلاته ويقطع دابر الكافرين ، ليُحق الحق ويُبْطِلَ الباطل ولو كره المجرمون) ومثل قول أبي الطيب المتنبي : ولم أر مثلَ جيراني ومِثْلِي لمني عند مِثْلِهِمْ مقامٌ^(٢)

(١) المثل السائر ٢٥٦/٢ .

(٢) المثل السائر ٧/٣ .

أقول: التمثيل باللفظة المذكورة وبالآية تمثيل "جيد"

وأما التمثيل بالبيت غير جيد ، لأنه لم يتكرر فيه اللفظ والمعنى حب تكرره في الآية وفي اللفظة المذكورة ، لأنه لم يَسْكُنْ في صدر البيت إلا نَفْي رؤية مثله ومِثْلِ جيرانه ، ولم يُبَيِّنْ في ماذا ، ولا هذه المثليةُ والتشابهُ في أي شيء ، فمن الممكن أنه كان يعني لم أر مثلي ومثلهم في حُبٍ بعضنا البعض ، أو في بعض بعضنا البعض ، أو في جُودنا أو في شجاعتنا ، أو في ديناتنا ، فلما قال في عجز البيت: « لمثلٍ عند مثليهم مقام » كشف ذلك الإجهال ، وأزال ذلك الإبهام ، وأبانَ عن أن مراده لم أر مثلي مُقِيمًا بين ظهراني مثليهم ، يعني أنهم على غاية الإساءة لعشرتهم ، وأنه على غاية الصبر عليهم ، والاحتمال لهم ، وأن مقامه عظيم لا يصلح أن يكون مثله مقيماً بَيْنَ هؤلاء الرعاع .

فالشاعر لم يكرر كما تكررت ألفاظ الآية ، ولا وُجُودَ اللفظُ والمعنى معًا مُرَدَّدَيْن مكررين في هذا البيت ، ولكن أول الفاظه يُعطي معنى بجملًا ، والثاني يُعطي مفصلاً ، وهو شرح ذلك الجملـ، فلم يكن ذلك تكريرًا مشتملاً على إعادةِ اللفظُ والمعنى معًا ، فلم يَعْجِزْ إدخاله في هذا القسم ، وذكره في جملة أمثلته .

قال المصنف: « فأما قوله تعالى: (فصيام ثلاثة أيام في الحج وسعة إذا رجعتم ، تلك عشرة كاملة) فليس كما يُتَوَهَّمُ من أنه تكرير فقط ، بل المراد به إيجاب صوم الأيام السبعة عند الرجوع في الطريق على الفور .

لا عند الوصول إلى البلد ، كما ذهب إليه بعض الفقهاء ، وقال : لأن الأمر إذا صدرَ بلفظ التكرير مجرداً عن قرينةٍ يُخترجهُ عن وصفه ، ولم يكن مؤقتاً بوقت معين ، كان ذلك حثاً للحاكم على المبادرة على الفور ، كما تقول أصاحبك: قمْ قمْ ، فإما ت يريد بهذا اللفظ المكرر أن ينادى القيام في الحال الحاضر^(١) .

أقول : إن المذهب الذي قد اختاره هو مذهبُ مجاهد ، والاحتجاج الذي قد احتاج به لنصرته ضعيفٌ ، لأن فحوى كلامه أنه يذهب إلى أن الأمر إذا ورد مجرداً عن التكرير لم يدلُّ على الفور ، ألا تراه كيف قد قيد كلامه فقال إذا صدر بلفظ التكرير غير مؤقت ، فلو كان ممثلاً يذهب إلى أن الأمر يقتضي على الفور مجرداً لم يخترج إلى هذه القيود .

وإذا كان كذلك فأدلة القائلين بأن الأمر لا يقتضي الفور جميعها موجودةٌ في أن الأمر المكرر قرينةٌ يفهم منها الفورية ، مثل أن يقول له: قمْ قمْ قولْ غضبٍ أو إرهاق ، أو يشاهد وجهه أو يسمع كلامه ، فيدرك منها ما يدل على ذلك ، أو يظهر من حركاته وقرائمه أحوالهِ أماراتٌ تقتضي ذلك .

فاما مجردةُ الأمر فقط فلا يدل تكريره على الفورية ، لأن الرمان من ضروريات وقوع الامثال ، كما أن المكانَ من ضرورياته أيضاً ، وكما لا يدل تكرار الأمر على وجوبِ إيقاع المأمور به في مكانٍ مُعَيَّنٍ ، فكذلك لا يدلُّ تكرار على وجوبِ إيقاعه في زمانٍ مُعَيَّنٍ .

ولا حيلةٌ في دفع هذا لمن ذهبَ إلى أن الأمر يقتضي الفور سواء

(١) المثل السادس ٢٤/٢

كثُرَّ أو لم يُكَرِّرْ ، فإنه يتكلم على هذا الدليل كلامَ مَنْ أثبت الفوريةَ للأمر ، حيث كان أمراً لا باعتبار التكرير .

ثم يقال له: لو سَلَّمنَا أنَّ الْأَمْرَ الْمُكَرَّرَ الْفَظُولُ يَدْلُلُ عَلَى الْفُورَ ، لكنَّه ليس قوله: (فصيام ثلاثة أيام في الحج وسبعة إذا رجعتم تلك عشرة كاملة) مثل قول الإنسان لغيره: قمْ قمْ ، ولا تكون السبعة والثلاثة والحكم بأنها عشرة كاملة كذلك التكرير اللفظي في مبادرة الأدلة إلى أن المراد منه تعجيل امتحان المأمور به ، فإنما نظيره أن يقول مَنْ تَمَّتْ بالعُسْرَةِ إِلَى الْحَجَّ فَقَدْ أُوجَبَتْ عَلَيْهِ صِيَامَ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ فِي الْحَجَّ وَسَبْعَةَ إِذَا رَجَعَ .

فاما قوله سبحانه: (تلك عشرةً كاملةً) فلا يعطي هذا المعنى ، لأنَّه ليس بإعادة لفظ الأمر كقولك: قمْ قمْ ، ولا معناه كقولك: قمْ لاتقدر ، وإنما هو تَعْتَّ المأمور به فقط .

وقد اختلف الناس في فائدة هذا النعت ، فقال قوم: معناه عشرةً كاملةً ثواب الهدى ، أي إذا وقعت بدلاً منه استكملت ثوابه ، وقال قوم غير ذلك ، والمقصود أنه ليس قوله: (تلك عشرةً كاملةً) تكريرَ الأمرِ بل لفظه لإفادته الفوريَّة منه ، إذ ثبت أنه لا يفيد الفورية .

قال المصنف: «إِنْ قَلْتَ: بِلَ الْغَرْضُ بِتَكْرِيرِ الْأَمْرِ أَنْ يَتَكَرَّرُ فِي نَفْسِ الْمَأْمُورِ أَنَّهُ مَرَادٌ مِنْهُ ، وَلَيْسَ الْغَرْضُ الْحِثُّ عَلَى الْمِبَادِرَةِ إِلَى امْتِنَاعِ الْأَمْرِ . قَلْتَ فِي الْحَوَابِ: الْمَرَّةُ الْوَاحِدَةُ كَافِيَّةٌ فِي تَعْرِيفِ الْمَأْمُورِ أَنَّ الْمَأْمُورَ بِهِ مَرَادٌ مِنْهُ ، فَالزِّيادةُ عَلَى الْمَرَّةِ الْوَاحِدَةِ إِنَّ دَلْتُ عَلَى مَا دَلَّتْ عَلَيْهِ الْمَرَّةُ الْوَاحِدَةُ لَا غَيْرُ كَانَ ذَلِكَ تَطْوِيلًا» لَا فائدةَ فيه ، وهو ينافي إعجاز القرآن

وفصاحته ، وإن دَكَتْ على أمر زائِدٍ فتلك الزيادةُ ليست إلا الحثُّ على المبادرةِ إلى الامتثالِ ، وإلا فلِيُبَيِّنَ اللَّهُمَّ معنى هذه الزيادةِ ، ولا سبيلٌ إلى ذلك «^(١) .

أقول : إنه قد قال قَبْلَـ هذا الموضع بأسطرٍ إن قوله تعالى : (وَأَنْ تَعْفُوا وَتَصْفَحُوا وَتَغْفِرُوا إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ) أن هذه الألفاظَ كُلُّها بمعنى واحد ، وإنما كررها للزيادة في تحسين عفو الوالد عن ولده ، والروج عن زوجته .

وكذلك قوله تعالى : (إِنَّمَا أَشْكُو بَشَّيْ وَحْزُنَيِّ إِلَى اللَّهِ) وزعم أن ذلك من باب البلاغة .

فإذا كان هذا قَوْلُهُ فـا المانع من أن يكون المراد بالمرة الثانية والثالثة في الأمر زيادة التكرير في نفس المأمور ، وأن المأمور به مرادٌ منه ؟ فإن هذا غرضٌ صحيحٌ ، لأنه لو قال له : أعلم أن هذا الشيء مما أريده منك ، وكررَـ هذا مرتين أو مراراً لم يكن قبيحاً ، إذا قَصَدَ تأكيد تلك الحال وتقريرها في نفس المخاطب ، فلم يَذْهَبْ إلى أن المرة الثانية أفادت عَيْنَـ ما أفادته المرة الأولى من غير زيادة ، بل أفادت زيادةً بَيْتَةً ، وهي قوة اعتقاد المخاطب أن ذلك الشيء المأمور به مرادٌ لا محالة ، كما أفاد قوله (وَأَنْ تَعْفُوا وَتَصْفَحُوا وَتَغْفِرُوا) زيادةً تحسين العفو كما ذكره ، فقد بطل قوله : فلِيُبَيِّنَ اللَّهُمَّ معنى هذه الزيادةِ ، ولا سبيلٌ إلى ذلك ، وقد بيَّنَـ أن سبيل النصيحة إليها أوضح سبيل .

(١) المثل السائر ٣٥/٣ .

قال المصنف : « وقد قال قوم : إن الواو ها هنا إنما أكَدتْ قوله : (تلك عشرة كاملة) ، لَكُلَا يُسْتَوَهُمْ أنها بمعنى (أو) قال : وهذا باطل ، لأن الواو تجعل بمعنى (أو) خالفة لأصلها ، لمرجع يرجح ذلك على كونها عاطفة الذي هو الأصل ، ولا مُرجح لها هنا » ^(١) .

أقول : صاحب هذا القول إنما يقوله بعد ثبوته مقدّمات ، منها لابد في كلام الله تعالى من فائدة ، ومنها أنه لا فائدة إذا جعلناها عاطفة ، فإذا ثبت ذلك له قال صحت حيتنـ ، وجعّلتها بمعنى (أو) ، ولا نزاع أنه إذا ثبت له ذلك كانت بمعنى (أو) .

قال المصنف : « وأيضاً فإن القرآن متنه البلاغة والفصاحة ، فهلا قال : (وبدا بيننا وبينكم العداوة) ، ولم يقل والبغضاء ، وهلا قال (إنما أشكوكـ بيـ) ، ولم يقلـ وحزـني » ^(٢) .

قال المصنف : « وأيضاً فإن الصوم عبادة يجب فيها الاحتياط والإيتان بها على أكل صورة ، فكيف يظن أن الواو ها هنا بمعنى (أو) » ^(٣) .

أقول : أليس قد وردت الواو بمعنى أو في قوله تعالى : (مَنْفَنِي وَثُلَاثَ وَرُبَاع) ^(٤) وهو في النكاح ، والخطأ فيه أصعب من الخطأ في هذا الصوم ،

(١) مثل السائر ٣٦/٣ .

(٢) لم يلق ابن أبي الحديد بشيء .

(٣) مثل السائر ٣٦/٣ .

(٤) سورة النساء : الآية ٣

فيجوز أن يكون سبحانه قال : (تلك عشرة كاملة) لإزالة توهّمٍ منْ
يتوهّمُ أن هذه الواو كتلك الواو .

قال المصنف : « وأيضاً فالسبعة ليست مائلاة للثلاثة حتى تجعلَ
مقابيلتها ، لأن معنى الآية إذا كانت الواو فيها بمعنى (أو) : إما أن
تصوموا ثلاثة أيام في الحج أو سبعة إذا رجعتم »^(١) .

أقول : ولا إطعام المساكين يماثل في الصورة لكسوتهم ، ولا لعشقِ
الرقبة ، فكيف قال : (فكفارته إطعام عشرة مساكين منْ أوسطِ
ما تطعمون أهليكم ، أو كسوتُهم ، أو تحريرُ رقبة)^(٢) فليس من شرطِ
(أو) أن توسط بين المماثلين في الصورة ، وهكذا الكلام ناقص جداً .

قال المصنف : « فأما عطف لفظة على لفظة ومعناها واحد فكثير ، كقول
المنخل البشكري :

الكافب الحسنان تَرَزْ فَلْ في الدِّمْقُسِ وفي الحريرِ
فإن الدمشق هو الحرير ، وكقول آخر من شعراء الحماسة :
إني وإن كان ابن عمي غائبًا لمقاذيفٌ من خلفيه وورائه
فإن الخلف هو الوراء »^(٣) .

(١) المثل السائر ٣٦/٣ ومنه حصلنا النص .

(٢) سورة المائدة : الآية ٨٩ .

(٣) المثل السائر ٤١/٣ .

أقول : المثال الأول لا يأس به ، والثاني غير جيد ، لأن الوراء قد وردت والراد القديم في قوله تعالى : (وَكَانَ وَرَاهُمْ مَكِّلٌ) يأخذ كل سفينة غصباً ^(١) لأنه لو لم يكن قد امامهم ما خافوا منه ، ولا احتاج إلى خرق السفينة .

وقال لييد :

ليس ورأي إن ترآخت مني
لزوم العصا تخفى عليها الأصابع ^(٢)
ومنه أيضاً قوله سبحانه وتعالى : (من ورائه جهنم) ^(٣) .

وقال آخر :

أترجحُ بُنُو مَرْوَانَ سَمِيعٍ وطاعٍ وقومي تَيْمٍ والفلةُ ورائي؟ ^(٤)

قال المصنف : « فأما حَدَّةُ الكثابيةِ فهي ما إذا وَرَدَتْ تجاذبَها جَانِبَاً حقيقةً ومتجازِ ، وجازَ حَمِيلُها على الحانين معاً لوصُفُرِ جامِعٍ ، كقوله تعالى : (أَوْ لَا مَسْتُمُ النَّاسَ) فإنه يتصحِّحُ المعنى ولا يمثُلُ بالحمل على كل واحد من المعنَّينِ وهو الجماع وإلصاق الجسد بالجسد ، ولذلك ذهب أبو حنيفة والشافعي إلى كل واحد من القولين ^(٥) .

(١) سورة الكهف : الآية ٧٩.

(٢) من قصيدة التي مطلعها :

بلينا وما قبل التجوم الطوال وتقى الجبال بعدنا والمصانع
(الديوان ٢٣ طبعة نينا بتحقيق ضي الدين المالكي المقدسي) .

(٣) سورة إبراهيم : الآية ١٦ .

(٤) كان بالأصل (وقرم نيم) .

(٥) عبارة ابن الأثير : ولذا ذهب الشافعي رحمة الله إله أن المنس هو مصانعة الجسد ، فلوجب الرضوخ على الرجل إذا لمس المرأة ، وذلك هو الحقيقة في المنس . وذهب غيره إلى أن المراد بالمس هو الجماع ، وذلك بجاز فيه ، وهو الكثابة .

ولهذا الحد تفصل الكناية عن التشبيه والاستعارة وسائر المجازات ، لأنه لا يجوز حمل ذلك أجمع إلا على الجهة المجازية فقط ، كقولنا : زيد أسد ، فإنه لا يجوز حمله إلا على المجاز خاصة ، لأنه يستحيل أن يكون زيد سبباً حقيقة .

قال : والدليل على صحة ما قلناه أن الكناية أن تكلم بشيء وأنت تريد غيره ، فإنما أن يكون في لفظ تجاذبه جانباً حقيقة ومجاز ، أو في لفظ تجاذبه جانباً مجاز ومجاز ، أو في لفظ تجاذبه جانباً حقيقة وحقيقة .

ولا يصح أن تكون في لفظ تجاذبه بانياً حقيقة وحقيقة ، لأن ذلك هو اللفظ المشترك ، وإذا أطلق من غير قرينة تخصيصه كان مُبِّئَهَا غير مفهوم ، وإذا أضيف إليه القرينة صار مختصاً بشيء بعينه ، والكناية أن تكلم بشيء وتريد غيره ، وذلك مخالف للفظ المشترك إذا أضيف إليه القرينة ، لأنها ينحصر بشيء واحد لا يتعداه .

وكذلك لا يصح أن تكون الكناية في لفظ تجاذبه بانياً مجاز ومجاز ، لأن المجاز لا بد له من حقيقة نُقل عنها ، لأنه فرع عليها .

وذلك اللفظ الدال على المجازين إما أن يكون للحقيقة شركة في الدلالة عليه ، أو لا يكون لها شركة في الدلالة ، فيكون اللفظ الواحد قد دل على ثلاثة أشياء : أحدها الحقيقة ، وهذا مخالف لأصل الوضع ، وإن لم يكن للحقيقة شركة في الدلالة كان ذلك مخالفاً للوضع أيضاً ، لأن أصل الوضع أن تكلم بشيء وأنت تريد غيره .

وإذا أخرجت الحقيقة عن أن يكون لها شركة في الدلالة لم يكن الذي تكلمت به دالاً على ما تكلمت به ، وهذا حال .

فتحقق حينئذ أن الكتابة أن تكلم بالحقيقة وأنت تريد المجاز^(١).

أقول : إنما عرفنا أن الحدود يُبَرِّهنُ عليها ، ولا هي من باب الدّعاؤى التي تُحتاج إلى الأدلة ، لأن متن وَصَع لفظ الكتابة لأمر من الأمور لا يحتاج إلى دليله .

ثم يقال له : ألم تَعْدَ في أمثلة الكتابة قول النبي للحادي بالحث : (رققا بالقوارير) يعني النساء ؟ وقول عبد الله بن سلَامَ لمن رأى عليه ثوباً معصراً : « لو أن ثوبك في تنور أهلك أو تحت قدورهم لكان خيراً » وقول الشاعر :

« إن لم تكن نصلاً فغِمْدُ نصالٍ^(٢) »

يعني امرأة هلكت ، فهل هذه الموضع مما يتجادلها الجانبان ، ويجوز حملها على كل واحد منها ؟ وهل يتوهم عاقل أن رسول الله صلى الله عليه وآله أمر أنجشة أن يرْفُق بالرِّثاج ؟ وأن عبد الله بن سلاماً أمر صاحب الثوب المعصفر أن يَخْرِق ثوبه ؟ والبيت الشعري أبعده ، لأن المرأة إنسان ، والإنسان لا يكون غمداً للسيف ، لأن الحيوان لا يكون جماداً ، فإن جاز أن تكون هذه الموضع كنيات مع أن الأذهان لا تحملها إلا على واحد ، ولا يسْوَغ حملها على غيرها جاز أن يكون قوله تعالى : (وإن كان مكرهم ليَتَزَوَّلَ منه الجبال)^(٣) وقول الشاعر :

« ولو سكتوا أثنت عليك الحقائب »

كتابة ، وإن كان لا يجوز حمله على كلا المعملين ، وإلا فما الفرق ؟

(١) المثل السادس ٦٢/٣ وهو نقلنا النص .

(٢) راجع التعليق في ٨١/٣ .

(٣) سورة إبراهيم : الآية ٤٦ .

ثم يقال له : أهذا الاستدلال هو استدلال على أن الكناية هي ما جاز حمله على واحدٍ من مَحْمُلِي الحقيقة والمحاز ، أم على أن الكناية لابد أن يتजاذبها جانباً حقيقة ومحاز ، مع قطع النظر عن جواز الحمل عليها وعدم جوازه ؟ فإن أردتَ الأولَ فالاستدلالُ لا يماثل ذلك بحالٍ ، ولا تَعْلَقْ له به ، وإن أردتَ الثانيَ فإن أصحاب علم البيان قَبْلَكَ لم يخالفوك في ذلك لِتُحاجَّهمْ وتعيبَ عليهم ، وأنت لما حكىت أقوال أصحاب هذه الصناعة لم تَحْكِ عنهم أنهم لم يشترطوا ذلك في الكناية ، أعني أن تكون متعددةٌ بين مَحْمُلٍ حقيقيٍ ومحملٍ مجازيٍّ ، وإنما حكى عنهم أنهم لم يشترطوا أن يسْجُونَ حملَ الكلامِ على كلامِ المحملين ، فهذا هو الذي حكى عنهم ، وخالفتهم ، وزعمت أنك استببطت وتتكلفت الدلالةَ عليه ، فكيف تركه جانباً ، و تستدل على مالا تَعْلَقْ له به أصلاً ؟

ثم يقال له : قد نزلنا على ما تزيد ، ونعن نكلمك فيما يتعلق دليلك به ، لم قُلْتَ إنه لابد أن يتعدد لفظ الكناية بين محلي حقيقة ومحاز ، ولم لا يتعدد بين مجازيَّنِ؟ والذي تكلمت به على ذلك ليس بشيء ، أمَّا أولاً : فإنك أردت أن تقول : إمَّا أن يكون اللَّفْظُ الدَّالُّ على المجازيَّن شرَكَةً في الدلالة على الحقيقة التي هي أصلُّ لها ، فَأَمَا قولك هذا فإنه يقتضي أن يكون الإنسانُ متكلماً بشيء ، وهو يريدُ تَبَيِّنَ غيره ، وأصلُ الوضع أن يتكلم بشيء وهو يريدُ شيئاً غيره ، فيقال لك : أليس معنى قولك : الكناية أن تتكلم بشيء وأنت تزيدُ غيره أن قولك (شيئاً) تزيد واحداً غيره ؟

كلا ، ليس هذا هو المقصود أن تتكلم بشيء وأنت تزيد غيره ، فإنْ أردت شيئاً واحداً فقد أردتَ غيره ، وإن أردتَ شيئاً أو ثلاثة أشياء

أو ما زاد فقد أردتَ غيره ، لأنَّ كلَّ ذلكُ غيرُ ما دلَّ عليه ظاهر لفظك ،
فليس في لفظة (غير) ما يقتضي التَّوْحِيدَ والإِفْرَادَ .

وأما ثالثاً فلم لا يجوز ألا يكون اللَّفظ الدَّالُ على المجازين شرَّكةً
في الدلالة على الحقيقة أصلًا ، بل لا يدلُّ إلا على المجازين فقط؟

فاما قولك: إذا خرجتَ الحقيقةُ من أن يكون لها في ذلك شرَّكةً لم يكن
الذي تكلمتَ به دالًا على ما تكلمتَ به ، وهو حالٌ ، فيقال لك : لم قلتَ
ذلكَ؟ ولم لا يجوز أن يكون للحقيقة مجازان قد كثُرَ استعمالها حتى نُسِيتَ
تلك الحقيقة ، فإذا تكلم الإنسانُ بذلك اللَّفظ كان دالًا به على أحَدِ
ذَيْنُكَ المجازين ، ولا يكون له تعرُضٌ مَا لتلك الحقيقة ، فلا يكون الذي
تكلم به حقيقة ، لأنَّ حقيقة ذلك اللَّفظ قد صارت مُنْسَيَةً ، فلا يكون
عدمُ إرادتها مُوجِبًا أن يكونَ اللَّفظُ الذي قد تكلم به المتكلِّمُ غير دالًّا
على ما تكلم به ، لأنَّها قد خرجتَ بترك الاستعمال عن أن تكونَ هي
ما تكلم به المتكلِّم .

قال المصنف : « فاما حدَّ الألغاز والأحجاجي فهو معنى يستخرج
بالمعنى والمعنى ، لا بدلالة اللَّفظ عليه حقيقة ولا مجازاً ولا تعرضاً ، كقول
القائل في الضُّرس : »

صاحب لا أمل الدُّهُر صُحبته
يشقى لشقي ويُسْعَى سعى مجده
ما إن رأيت له شخصاً فمذ وقعت
عني عليه افترقا آخر الأبد ^(١)

(١) رواية المطلب السائر (فرقة الأيد).

قال : فهذا كلام لا يفهم منه أنه **الضرس** حقيقة ، ولا مجازاً ، ولا من طريق المفهوم ، بل هو شيء يُحدّس ويُحَذَّر ، والحواطر تختلف في الإسراع والإبطاء عند عثورها عليه ^(١) .

أقول : هذا يلزم عليه أن يكون كلام الرنجي إذا تعاطى العربي حَزَرَ معناه من باب الأجاجي والألغاز . والصحيح أن يقال عِوَضَـ هذا : هو كل معنى يستخرج لا بدلة اللفظ عليه حقيقة ، ولا مجازاً ، ولا تعريضاً ، بل بالحَدْسِ مِنْ صفةٍ أو مِنْ صفاتٍ تُتَبَّهُ عليه .

وعلى هذا فالضرس إنما عُرِفَ من هذا الشعر حَدْسًا من مجموع هذه الصفات ، وهي كوفة صاحباً لاتُمَلَّ حبه ، وأنه يسعى ليتنفع به الإنسان ، وأن الإنسان لا يراه ، فإذا رأه فقد افترقا فِراق الأبد ، ومجموع هذه الصفات ليست إلا للضرس ، فشتَّته الذهن من هذه الصفات والخصائص على مُراد المُلغِّر .

قال المصنف : « ومن الحذاقة في هذه الصناعة أن تُجْعَل التحميدات في أوائل الكتب السلطانية مناسبة لمعاني تلك الكتب ، قال : ووجدت أبا إسحاق الصابي على تقدُّمه في فن الكتابة (كتب) في فتح بغداد وهزيمة الأتراك عنها (كتابه) الذي أوله (الحمد لله رب العالمين الملك الحق) ثم ذكر منه نحو عشرة أسطر سندَّكَرَها في الجواب عن كلامه ، ثم قال : وهذه التحميدة لا تناسب هذا الكتاب ، ولكنها تَصْلُحُ أن تُوضع في صدر كتاب من مُصنَّفاتِ

أصول الدين « كالشامل » للجويني أو « الاقتصار » للغزالى أو ما جرى
محاجها ، فاما في كتاب فتح فلا »^(١) .

أقول : إن أبا إسحاق رحمة الله لم يخل هذه التحديدة من الإشارة
إلى معنى الكتاب الذي هو مفتزاه ومقصده ، وذلك أن هذا الكتاب كتب
في انتصار عَصْدُ الدولة أبي شجاع وعِزَّ الدولة أبي منصور على الأتراك
الذين تَرَأَسَ عليهم سُكُنَتَكِين الحاجب الذي كان أمير جيوش معَزَّ الدولة
أبي الحسين وعز الدولة أبي منصور بعده ، وها سلطاناً الحضره ببغداد ،
وكان مع هؤلاء الأتراك الطائع لله الخليفة العابسي والمطيع لله والفتكون القائد
الخليل القدر المشهور بالشجاعة بين الأتراك^(٢) ، وبأيديهم بغداد وأعماها ،
فإن عَصْدَ الدولة وعز الدولة تضافرا على المسير إلى هؤلاء من فارس
والآهوار ، وصدَّما الأتراك صدمةً عظيمةً فطحونهم ، وأنهزَ الطائع لله
إلى تكْرِيتَ مُسْتَحَصَّنَا بالقلعة ، وطار الأتراك وهم زيادة على عشرة
آلاف فارس إلى الشام ومصر ، ودخل عَصْدُ الدولة وعزَّ الدولة إلى مدينة
الشَّام ، واستقرا على سرير الملكة ، بعد أن وقعَ اليمُنُ من ذلك .

فقول أبي إسحاق الصابي : « الأبدىي بلا انتهاء » وقوله : « الدائم لا إلى
أجلِ معلوم » وقوله : « لاتخليه العصور » ، ولا تُغيِّره الدهور » وقوله :
« لا تزاحمهُ مناكِ القرُناء ، ولا تخاذله أقدَام النَّظَراء » وقوله : « الصمد
الذي لا كفء له ، والفتَّـ الذي لا توأم له » وقوله : « الحـي الذي لا تخترقه
منون ، والقيـوم الذي لا تـشـغلـهـ الشـئـون » وقوله : « الـقـدـيرـ الذيـ لاـ تـنـوـدـهـ

(١) المثل السائر ٣/١٣٠ .

(٢) ذكر ابن كثير في البداية والنهاية ١١/٢٧٧ أن الأتراك التفوا حول أمير يقال له :
الفتكين .

المضلالُ ، والخَيْرُ الَّذِي لَا تُعْنِيهِ المَشَكَلَاتُ » كُلُّ ذَلِكَ إِشَارَةٌ إِلَى أَنَّ
الْمُلْكَ لَيْسَ إِلَّا لِلَّهِ تَعَالَى ، وَأَنَّ مَلْكَ الْبَشَرَ لَا حَقِيقَةَ لَهُ ، لِسَرْعَةِ زَوْالِهِ
وَانْفَسَادِهِ ، وَأَنَّ كُلَّ أَحَدٍ مِنْ مُلُوكِ الْأَرْضِ وَإِنْ عَظَمَ شَأنَهُ وَقَهَرَ الْمُلُوكَ
سَلْطَانَهُ يَزُولُ سَرِيعًا ، وَيَنْقُضُ وَشِيكًا ، فَهُؤُلَاءِ الْمُلُوكُ الَّذِينَ طَحَنُوهُمُ الْدَّهْرَ
بِكُلِّكُلِّهِ فِي هَذِهِ الْوَاقِعَةِ فَإِنَّ مِنْهُمْ مَنْ مَاتَ كَالْمُطَبِّعِ لِلَّهِ ، وَسَبَكَتِكِينَ ، وَهَا خَلِيفَةُ
وَمَلِكُ مَا تَأْتِي فِي الْطَّرِيقِ قَبْلِ الْوَاقِعَةِ ، وَمِنْهُمْ مَنْ فَرَّ وَلَذَ بِالْمَعْاقِلِ ، وَنَحْصَنَّ
خَوْفًا عَلَى نَفْسِهِ كَالْطَّاغِيَّ ، وَمِنْهُمْ مَنْ حَمَلَ الرُّعْبَ عَلَى أَنْ صَارَ رَعْيَةً وَسُوقَةً
تَحْتَ أَيْدِي مُلُوكٍ أُخْرَى كَالْفَتَكِينَ ، فَإِنَّهُ لَمْ يَبْيَنْ وَجْهَهُ إِلَّا بِبَصَرٍ ، وَصَارَ مِنْ
جَمْلَةِ رَعْيَةِ الْغَرِيزِ نِزَارِبْنِ مَعَدَّ صَاحِبَهَا ، وَمِنْهُمْ مَنْ تَشَرَّدَ فِي الْبَلَادِ ،
وَفَارَقَ الْأَمْوَالَ وَالْأَوْلَادَ ، كَالْأَتْرَاكَ ، فَجَمِيعُ مَا أَوْمَأَ إِلَيْهِ الصَّابِيُّ مَلَاثِمُ
الْوَاقِعَةِ الَّتِي كَتَبَ هَذَا الْكِتَابَ فِيهَا ، وَغَيْرُ خَارِجٍ عَنْ مَقْصِدِهَا وَمَغْرِبِهَا .

وَالْعَجَابُ قُولُهُ: يَنْبَغِي أَنْ تَكُونَ هَذِهِ التَّحْمِيدَةُ فِي صَدْرِ كِتَابٍ مِنْ
أَصْوَلِ الدِّينِ كَالْشَّامِلِ لِلْجُوْنِيِّ وَالْاِقْتَصَارِ لِلْغَرَائِيِّ، وَأَيْنَ «الْاِقْتَصَارُ» مِنْ «الْشَّامِلِ»
حَتَّى يَسْجُمَّعَ بَيْنَهُمَا فِي التَّمْثِيلِ، وَ«الْاِقْتَصَارُ» مَقْدَمَةً فِي نُوكِ خَمْسَةِ كَرَارِيسِ،
وَ«الْشَّامِلُ» كِتَابٌ كَبِيرٌ فِي أَكْثَرِ مِنْ خَمْسَةِ مُجَلَّدَاتٍ؟ .

وَهَذَا مِثْلُ أَنْ يَقُولَ: هَذَا يَنْبَغِي أَنْ يَكُونَ فِي كِتَابٍ فَقِيمِي «كَالْبُغْيَةُ»
لِأَبِي إِسْحَاقِ الشِّيرَازِيِّ أَوْ «الْحَاوِيَّ» لِلْأَوَرْدِيِّ ، وَمِثْلُ أَنْ يَقُولَ: هَذَا يَنْبَغِي
أَنْ يَكُونَ فِي كِتَابٍ نَحْوِيِّ «كَاللَّمْعُ» لِابْنِ جِنْيَّ أَوْ «شَرْحُ سَبِيْوِيَّهُ» لِلسَّرِّافِيِّ ،
وَمِثْلُ أَنْ يَقُولَ: هَذَا يَنْبَغِي أَنْ يَكُونَ فِي كِتَابٍ لُغَويٍّ كَالْفَصْبِحُ لِتَلْعِبِ
أَوْ «تَهْذِيبُ الْلِّغَةِ» لِلْأَزْهَرِيِّ ، وَكَانَ الْوَاجِبُ حِيثُ ذُكْرُ «الْشَّامِلِ» أَنْ يَذْكُرَ
مَا يَنْسَبُهُ «كَالْهَدَايَةُ» لِابْنِ الْبَاقِلَانِيِّ وَإِذْ ذُكْرُ «الْاِقْتَصَارُ» ضَمَّ إِلَيْهِ مَا يَحْرِي بِمَرَاةِ
كَالْإِرْشَادِ لِلْجُوْنِيِّ ، وَهَذَا يَدْلِلُ عَلَى أَنَّهُ قَدْ سَمِعَ بِهَذِينِ الْكِتَابَيْنِ سَمَاعًا ، وَلَمْ
يَرْهَا عِيَانًا .

قال المصنف : « فأما المطابقة فهي اصطلاح أهل هذه الصناعة على أنها الجمع بين الشيء وضدّه ، كالليل والنهار ، والسود والبياض . »

قال : ولا أعلم من أي شيء استقرأوا هذا الاسم ، ولا وجه مناسبة بينه وبين مُسَمَّاه ، ولعلهم قد علموا بذلك مناسبة لطيفة لم نعلمها نحن »^(١) .

أقول : الطَّبَقُ في اللغة المشقة قال الله سبحانه : (لِرَكَبَنَ طَبَقاً عن طَبَقِ)^(٢) أي مشقةً بعد مشقة ، فلما كان الجمع بين الصَّدِينِ على المقابلة شاقاً متعدراً ، ومن عادتهم أن تُعْنِي الألفاظ حكم الحقائق في نفسها توسعَا سَمَّوَا كل كلام جُمِعَ فيه بين الصَّدِينِ مطابقةً .

قال المصنف : « فأما ترتيب التفسير فمثل قوله تعالى : (وجعلنا آية النهار بمصرة) فقد قدم الليل ثالثاً لما قدّمه أولاً^(٣) ، وقوله تعالى : (فمِنْهُمْ شَفِيٌّ وَسَعِيدٌ) ، فأما الذين شَفَعُوا ففي النار) ، فابتداً بتفصيل أحوال الأشياء ، لأنَّه ابتداً بذكرهم أولاً . »

قال : ومن ذلك قول أبي تمام :
وكان لهم غيناً وعليناً فمعذيرٌ^(٤) فسألَهُ أو باحثٌ في سائله
وقول علي بن جبَّةَ :

(١) المثل السادس ١٧١/٣ .

(٢) سورة الانشقاق: الآية ١٩ .

(٣) (وجعلنا الليل والنهار آيتين ، فسمونا آية الليل ، وجعلنا آية النهار بمصرة) سورة الإسراء : الآية ١٢ .

فَتَ وَقَّتَ الْأَيَامَ بِالسُّخْطِ وَالرَّضَا

عَلَى بَذْلِ عُرْفٍ أَوْ عَلَى حَدَّ مُنْصُلٍ^(١)

أقول : إنه سها في إدخال بيت علي بن جبلة في جملة هذه الأمثلة ، لأن الشاعر لما فَسَرَ قَدَمَ بَذْلَ الْعُرْفِ وهو المراد بالرضا وأخر حدَّ المُنْصُلِ ، وهو المراد بالسخط ، وما في صدر البيت على خلاف هذا الترتيب ، ولكن هنا نظير قوله تعالى : (يَوْمَ تَبَيَّضُ وجوهُهُ وَتَسْوَدُ وجوهُهُ ، فَأَمَّا الَّذِينَ اسْوَدَتْ وجوهُهُمْ أَكْفَرُهُمْ بَعْدَ إِيمَانِهِمْ^(٢) ..

قال المصنف : « وفيما يؤخذ على الأعشى قوله :

وَمَا مُزِيدٌ مِّنْ خَلْجَ الْفُرَارِ تِ جَوْنٌ غَارَبُهُ تَلْتَطِيمُ
بِأَجْنَوَدٍ مِّنْهُ بِسَاعَوْنِهِ إِذَا مَا سَازَهُمْ لَمْ تَغِيمُ

قال : فمدح ملكا بالجود بالماعون ، والماعون كل ما يستعار من قدومِ
أو قصعةِ أو قِدْرٍ وما أشبه ذلك ، ومَدْحُ الملوك بل السوقـ بذلك قبيح^(٣).

أقول : إن الماعون هنا هو الصدقة ، ذكر ذلك علماء التفسير ، وأنشدوا
بيت الراعي :

قَوْمٌ عَلَى الْإِسْلَامِ لَا يَمْنَعُونَ مَا هُنْ بِهِ وَيَضْبِعُوا التَّهْلِيلَ^(٤)

(١) المثل السائر . ٢٠٣/٣

(٢) سورة آل عمران : الآية ١٠٦ .

(٣) المثل السائر . ٢١٠/٣

(٤) الراعي : هو عبيه بن حصين بن معاوية بن جندل ، سفي راعي الإبل لكثره وصفه لها .

[طبقات الشهراة لابن سالم ، ٢٥٠ ، ٤٣٤]

وقال صاحب ديوان الأدب : الماعون: الزكاة ، وقال أبو عبيدة :
الماعون: المنافع كلها .

— ١٣٩ —

قال المصنف : « وقد وقفت على كلام لأبي إسحاق الصابي في الفرق بين المترسل والشاعر ، ثم ذكر الفصل وهو منثور ، وسيأتي في حكاية اختراعه ، وقال في آخر حكاياته : وقد عجبت من ذلك الرجل الموصوف بدلالة اللسان وبلاهة البيان ، كيف يصدر عنه مثل هذا القول الناكم عن الصواب ، الذي هو في باب ونصي^(١) النظر في باب ، اللهم غفرأ .

قال : أما قوله إن خير المترسل ما وَضَعَ معناه ، وأعطاك سَمَاعَهُ في

= والبيت من قصيدة في مدح عبد الملك بن مروان وشكواه من عمال الصدقات ومن الخوارج ، ومظالمها :

ما بال دفك بالقراش مذيلاً ألقى بعينك ام أردت رحيل؟
الدف الجنب . مذيل : فلق غير مستقر .
والقصيدة كلها في جمهرة أشعار العرب ٣٥٣ . وفي خزانة الأدب البغدادي ٢٠٣ / ٢ كثيرة من أبياتها .

وقبل البيت الذي استشهد به ابن أبي الحديده قوله :
أعلىفة الرحمن إن عشيرتي أمى سوامهم عرين فلو لا
أى أن فقر عشيرته وسوء حالها تتمثل في أن ما شيرتهم صارت عارية من الأسماء والرجال
ومتفرة بمثابة ، ويوضح أن تكون الكلمة (عزين) جميع عزة وهي الفرقة واللجاجة .
والبيت في اللسان مادة هليل وفي تفسير الطبرى وتفسير الزمخشري في سورة الماعون هكذا :

قومي على الإسلام لما يعنوا ماعونهم ويضيئوا التهليلا

وفي اللسان مادة من وفي خزانة الأدب ٢٠٤ / ٢ :

قوم على التزييل لما يعنوا ماعونهم ويزيلوا التزييل

وفي جمهرة أشعار العرب :

قوم على الإسلام لما يتركوا ما عونهم ويضيئوا التهليلا
وأما الماعون فقد ذكر المفسرون والمؤرخون أن منهان المال أو الزكاة المفروضة أو الطاعة
والزكاة أو ما يستعمل به ويستمار كالدلو والقاسن والقدر ، وذكروا أن المراد بالتهليل الترحيد
ورفع الصوت بالشهادتين .

(١) نهي النظر : نعلمها من نهى الرجل الثوب إذا كشفه .

أول وَهَلْتَهِ ما تضمنت ألفاظهُ ، وأفخر الشعر ما غَمَصْ فلم يعطى
غرضه إلا بعد إماتة منه ، فإن هذه دعوى لا مُسْتَند لها ، بل الأحسنُ
في الأمرين معاً هو الوضوح والبيان ، فإن احتاج أبو إسحاق بما قد ذكره
في نصرة ذلك من قوله: إن الشعر بُنِيَ على حدود مقررة ، وأوزان مقدرة ،
وَفُصِّلتْ أبياته ، فكان كل بيت منها قائماً بذاته ، فليس يحتاج إلى غيره
إلا ما جاء على وجه التضمين ، وهو عَبْثٌ ، فلما كان النَّفْسُ لا يمتد
في البيت الواحد بالنشر من مقدار عَرَوْضِهِ وَضَرْبِهِ وكلاها قليل ، احتاج
إلى أن يكون الفَضْلُ في المعنى ، واعتمد أن يلْطُفَ ويَدْقُ ، والترسل
مبنيٌ على مخالفة هذه الطريق ، إذ كان كلاماً واحداً لا يتجزأ ولا يتضَعَّلُ
إلا فصولاً طوالاً ، وهو موضوع وَضْعٌ ما يمْرُّ على أسماع شيء من خاصة
ورعيةِ وذوي أفهمات ذكبةِ ، وأفهمات غيبةِ ، فإذا كان سهلاً ساع فيها
وقرب ، فجمع ما بُسْتَحِبُ في الأول يكره في الثاني ، حتى إن التضمين
عيوب في الشعر ، وفضيلة في الترسل ، فإن هذا الذي ذكره أبو إسحاق ليس
بحجواب .

وهبْ أن الشعر كان كل بيت منه قائماً بذاته فلمـ كان مع ذلك غامضاً؟
وهبْ أن الكلام المثور كان واحداً لا يتجزأ فلمـ كان مع ذلك واضحاً؟
ثم سلمتـ إليه هذا ، فإذا يقول في الكلام المسجوع الذي كل فِقْرَةٍ منه
بمتزلة بَيْتٍ من الشعر»^(١)؟

أقول : إن من أظرف الأشياء أنك تحكي جواب أبي إسحاق من أوله
إلى آخره ، ثم تعيد السؤال الأولـ بعينه الذي قد حكى جوابه ، وذلك أن
أبا إسحاق قد سأله نفسه فقال : ولم صار الأحسنُ في الشعر الفموضـ

(١) ملخص من المثل السائر . ٣٢٨/٣

وفي الرسائل الوضّوح؟ وأجاب عنه بما قد ذكره . ومن يحكي ذلك الجواب لا يجتُنْ له أن يقول في الاعتراض عليه : وهب أن الشعر كان كل بيت قائماً بذاته ، فلم كان مع ذلك غامضاً؟ وهب أن الكلام المثور كان واحداً لا يتجزأ فلم كان مع ذلك واضحاً؟

وذلك أن الجواب قد أتى على الفرق بين المرضعين ، ونحن نعيده فنقول : إن البيت الشعري لما كان محجوراً على الشاعر أن يزيد فيه أو يتقصّ منه أو يلْحِقَ به شيئاً آخر فيحصل أحدهما مرتبطاً بصاحبه بخلاف الرسائل ، فكان المعنى قد يساوي ألفاظ البيت تارةً ، ويزيد عليها تارةً ، وينقص عنها أخرى ، فكان الأحسن أن يزيد المعنى ، لأن اللفظ الحسن بغير معنى كامرأة ميّة حسنة الصورة .

وكلا كانت معاني الكلام أكثر ، ومدلولات ألفاظه أتمَّ كان أحسن ، وهذا قيل : خير الكلام ما قلَّ ودلَّ ، فإذاً كان أصل الحُسْن معلولاً لأصل الدلالة .

وحيثند يتم إشاع الجملة ، لأن المعاني إذا كثرت ، وكانت الألفاظ تفي بالتعبير عنها احتياجاً بالضرورة إلى أن يكون الشعر يتضمّن ضرباً من الإشارة ، وأنواعاً من الإيماءات والتبيّنات ، فكان فيه غموضٌ ، كما قال البحري :

والشَّعْر لِسْحٌ تَكْفِي إِشَارَتُهُ وَلَيْسَ بِالْهَدْرٍ طُولَتْ خُطْبَهُ^(١)

(١) يقول قيل هذا البيت :

كُلُّتُمُونَا حَسْدُودَ مُنْطَقُكُمْ والشَّعْر يَغْنِي عَنْ صِدَقَةِ كَذِبِهِ
وَلَمْ يَكُنْ ذُو الْقَرْوَحِ يَلْجُعُ بِالْمُنْطَقِ مَا تَوَعَّدَهُ وَمَا سَيِّبَهُ
مِنْ قَصْيَدَتِهِ الَّتِي رَدَّهَا عَلَى عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ (وَلَعَلَهُ أَبْنَ طَاهِرٍ) الَّتِي مَطَلَّهَا :
لَا الَّذِي مُسْتَفِدٌ لَا عَجَبٌ تَسْوَمَّنَا الْحَسْنُ كَلَّهُ ثُوبَهُ
نَالَ الرَّضَا مَاحِ وَمَتَسَاحِ قَلَّ طَلَا الْأَمِيرُ مَا غَبَبَهُ
الديوان ١/١٣٢ .

ولستا نفي بالغموض أن يكون كأشكال إقليدس والجسطي، والكلام في الجزء ، بل أن يكون بحيث إذا ورد على الأذهان بلغت منه معانٍ غير مُبتدلة ، وحِكماً غير مطروقة ، فلا يجوز أن يكونَ الشعر الذي يتضمن الحكم ليس بالأحسن ، فثبت أن الشعر الذي يتضمن الحكم هو أحسن الحكم ، ومعلوم أن أحسنَ الشعر الذي يتضمن الحكم هو المعنوي كشعر أبي تمام ومن أخذ إلَّاهْنَه ، فذلك القدر من المعنى هو الذي يَعْنِيه أبو إسحاق بالغموض لا غير .

فأما قوله : فإذا تقول في الكلام المسجوع الذي كل فقرة منه بمثابة بيت من الشعر ؟ فجوابه أن السجع ليس شرطاً في المثور، فقد تكون الرسائلُ غير مسجوعة ، ولا يمكن أن يكون الشعر إلا وزناً محدوداً .

وبعد فالرسائلُ المسجوعة لا يلزم فيها ما ذكرناه في الشعر ، لأن الفقرة الواحدة قد يطيلها الكاتب ، وقد يُقصَّرُها ، وقد يأتي بفترتين طويتين ، ثم يأتي بعدهما باثنتين قصيرتين ، ثم يأتي بعد ذلك بفترتين إحداهما قصيرة وأخرى طويلة ، فهو يضرب يميناً وشمالاً ، ويمدُّ نفسه تارةً ويُقصَّرُه أخرى ، وليس كذلك القصيدة ، فإن صاحبها عند ابتدائها يلتزم عرضاً واحدةً ، ولو زاد فيها حرفًا واحدًا أو نقصه لكان شعره فاسداً ، فain أحد النوعين من الآخر ؟

قال المصنف : « قال أبو إسحاق : والفرق بين المترسلين والشعراء أن الشعراء إنما أغراضهم التي يترمون إليها وصف الديار والآثار ، والختين إلى الأهواء والأوطان ، والشيب بالنساء ، والطلب ، والاستدعاء ، والمدح

والهجاء ، فاما الكتابُ فإنما يترسلون في سدادِ ثغر ، او إصلاحِ فسادِ ، او تحريض على جهاد ، او احتجاج على فتن ، او مجادلة لللة ، او دعاء لآلفة ، او نهي عن فرقه ، او تهنت بعطيه ، او تعزية . قال : وهذا من أبي إسحاق تَحْكُمْ مخصوص لا يستند إلى شبهة فضلاً عن بَيْنَتْهُ .

وأيُّ فرق بين الشاعر والكاتب في هذا المقام ؟ وكما يصف الشاعر الآثار والديار وينبئ إلى الأهواء والأوطان ، فكذلك يكتب الكاتب في الشياق إلى الأوطان ، ومتازل الإخوان والأحباب ، ولهذا كانت الكتب الإخوانيات بمنزلة الغزل والتشبيب من الشعر ، وكما يكتب السكاتب في إصلاحِ فساد أو سداد ثغر أو دعاء إلى آلفة أو نهي عن فرقه أو تهنت أو تعزية فكذلك الشاعر . فإن نَدَتْ عن الصابي قصائد الشعراء في أمثال هذه المعاني فكيف خفَيَ عنه قصيدة أبي تمام في استعطاف مالك بن طوق على قوله التي مطلعها :

* حُم الصلحُ ما اشتته الأعدى *

وقصيدة البحري التي يذكر فيها غزو البحر ، ومطلعها :

* ألم تَرَ تَغْلِيسَ الْرِبَعَ الْمَكْرِ *

والقصائد التي تجري على هذا المجرى كثيرة^(١) .

أقول : السؤال في هذا المقام قد يقع عن أمرتين : أحدهما أن يقال : ما الفرق بين الشعر والكتابة ؟ والثاني أن يقال : لم كانت منزلة الشاعر دون منزلة الكاتب ؟ وأحد هذين السؤالين غير الثاني ، وكلام أبي إسحاق هو في السؤال الثاني ،

(١) ملخص من المثل السائر . ٣٢٩/٣

لأنه هكذا قال : إنما كانت حقيقة الشاعر دون الكاتب لكننا وكذا ، وهذا جواب صحيح .

أماً أولاً : فإنه بني الشعر على الاجتناد والطلب حتى إن امرأ القيس ، وهو الملك ابن الملك ، جستندي سعد بن الضباب بالشعر ، وقد كان ابن المنصور الخليفة بن الخالق يجتدي بالشعر من عبيد الله بن سليمان بن وهب ومن ولده القاسم بن عبيد الله وزير المعتصم والمكتفي ، فإن لم يكن يجتدي ملاً فإنه كان يجتدي جاهماً .

ولم تُبنَ الكتابة على هذا ، ولا عُرفتْ بهذا .

وأما ثانياً : فلأن المراد من الكتابة ومقصدها الذي وضعَتْ لأجله ما ذكره أبو إسحاق من سداد التغور ، وإصلاح الأمور ، والدعاء إلى الألفة ، والنهي عن الفرقة ، والاستعداد لحرب ، والإعلام بفتح ، ولم يوضع الشعر لذلك .

ألا ترى أنّا ما رأينا ولا سمعنا ملكاً كتب إلى ملك آخر في إصلاح فساد ، أو استمداد على عدو ، أو إعلام بفتح قصيدة من الشعر ، وإنما كتب الرسائل ؟ .

وأما القصائد التي ذكرها هذا الرجل لأبي تمام وأبي عبادة وأبي الطيب فإنما لم تُنْفِ كون الشعر قد يشتمل على ذلك ، ولكننا قلنا إنه ليس هو الغرض الأصلي الذي وضعَ الشعر له ، ولا يكون أصلًا فيه بل عارضًا وطارئًا ، والرسائل بخلاف ذلك ، لأن هذا المعنى هو الغرض الأصليُّ فيها .

وكذلك نجد هذا الفن في الديوان الذي حجمه عشرة وعشرون كراساً في قصيدة

أو قصيدين ، ونجده في الرسائل التي حجمها عشرون كراساً في خمسة عشر كراساً .

ونحن فما غرضا إلا الفرق بين مَقْصِيدَي التوعين ، وقد اتضح .

فاما قوله: قد يكتب كاتب الإخوانيات ، ويدرك فيها الحنين والشوق ، فهي في المثور كالنسيب في المنظوم ، فيقال له: إن القصائد التي وضعَتْ لل مدح يستحبُ أن يكون أوطا نسبياً وغلاً ، وهكذا وجدنا كتاباً في فتح أو استجاد أو تعريف أو تحذيل في صدره رسالة إخوانية تتضمن الحنين والبكاء ، وذكر الآثار والديار ، فيكتفي أبا إسحاق في الفرق بينها هذا القدر فقط ، فإن ذلك من أدلة الدلائل على أن الشعر في الأصل موضوع لهذا المعنى ، والاجتداء والطلب ، فلنلتف لم يَحْتَجْ أحدها للآخر ، وجعل منه الرسائل بخلاف ذلك .

قال المصنف : «فهذه الفروق كلها ضعيفة» ، والذي عندي أن الفرقَ بينَ النوعين من ثلاثة أوجه :

أحدها : أن هذا منظوم ، وذاك مثور .

والآخر : أن من الألفاظ ألفاظاً لا يحسنُ استعمالها في الكتابة وحسن في الشعر ، كبعض الألفاظ العربية .

والثالث: أن الشاعر إذا أطال في شرح معان متعددة واحتاج أن يأتي بمعاتي بيت أو أكثر فإنه لا يمتنى في الجميع ، بل في الأول ، والكاتب لا يأتي من ذلك جميعه ^(١) .

(١) ملخص من المثل السائر ٣٤٢/٣ .

أقول: قد بينا أن (أبا إسحاق الصابي) لم يتعرض لبيان الفرق بين الكتابة والشعر من حيث هما كتابة وشعر، وإنما تكلم عن العلة التي كانت لأجلها مرتبة الكاتب أعلى من مرتبة الشاعر، فاما الفروق بين الكتابة والشعر فهي كثيرة، وليس مقصورة على هذه الوجوه الثلاثة التي ذكرها هذا الرجل.

فإن من جملة الفروق أن الشاعر أن يُطْرِي نفسه ويَمْدَحُها في شعره، وليس ذلك للكاتب.

ومنها: أن للشاعر أن يبالغ ويُوَغِّل، حتى يَدْخُلَ في الإ حالَة، وليس ذلك للكاتب.

ومنها: أن الشعر يَحْسُنُ في الكذب، ولا يستحسن في الكتابة.

ومنها: أن الشاعر يخاطب الملك بالكاف كما يخاطب السوقة، ويدعوه باسمه، وينسبه إلى أمه، وليس ذلك للكاتب.

والفرق بين الشعر والكتابة كثيرة، وإنما نتها على بعضها إبطالاً لقوله: إن الفروق هذه الثلاثة فقط.

* * *

فهذا ما سَنَحَ لي بأدفي النظر من الاعتراض على هذا الكتاب، وقد اعترضت على موضع كثيرة منه للقول فيها مجال، فلم أذكرها لإثاراً للإيجاز، وموضع يرجع كلامه فيها إلى الجدل ومحض العناد، لا في المعنى، فكان الاشتغال بها والبحث فيها تضييعاً للوقت من غير فائدة.

ورأيت أن يتم الكتاب بما هنا حامداً الله، ومُصلَّياً على خير خلقه.

(محمد النبي الأمي، صلوات الله عليه وسلم)

«الفهارس العامة»
لكتاب
الفلك الدائر على المثل السائر
لابن أبي الحميد

أولاً ، فهرس الآيات القرآنية

إن السمع والبصر والفؤاد كل أولئك
كان عنده مسولاً ص ٧٣ .

إن كنتم في ريب منبعث فإننا
خلفناكم من تراب ثم من نطفة
ثم من علقة ، ثم من مضبة
ص ٢٤٦ .

إن لك ألا ترجع فيها ص ٢٣٩ .

إنك أنت علام الغيوب ص ٢١٤ .

إنما أشکو بني وحزني إلى الله
ص ٢٦٦ .

إنما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله
ولذا كانوا معه على أمر جامع
لم يذهبوا حتى يستأنفوه ص ٧٦ .

إنما يخشى الله من عباده العلامة ص
٣٨ .

إنه مصيبها ما أصابهم ص ٢٣٧ .

إنها ترمي بشرر كالنصر ص ١٠٦ .

إنهم كانوا لا يرجون حسابا ص
١٧٠ .

إنني أرأي أعصر خمرا ص ١٨٧ .

أهلك صراطا سويا ص ١٥٨ .

(١) ()

أتأمرون الناس بالبر وتنسون
أنفسكم ص ١٥٨ .

إذ نقشت فيه غنم القوم ص ٢٤٠ .

إذا السماء انشقت ص ٢٣٨ .

أراغب أنت عن آلهتي يا إبراهيم
ص ٢٣٥ .

أعوذ برب الناس ملك الناس إله
الناس ص ١٦٩ .

أفي الله شك ص ٢٣٥ .

اقتلو المشركين ص ١٩٣ .

الله نزل أحسن الحديث ص ٤٦ .

لم أقل لك إنك لن تستطيع معي
صبرا ص ٢١٤ .

إما أن تلقي وإما أن تكون نحن
الملقين ص ٢١٤ .

إن الله مع الذين اتقوا ص ١٥٤ .

إن الله يغفر الذنوب جميعا ص ٤٠ .

إن إلينا لربهم ثم إن علينا حسابهم
ص ٢٣٩ .

إن رحمة الله قريب من الحسينين
ص ٢٥١ .

- | | |
|---|---|
| حتى توارت بالحجاب ص ٢٥٨ ،
. ٢٦٠ . | أو لامست النساء ص ٢٦٩ .
ألم يروا إلى الطير فوقهم ص ٢١٠ . |
| حتى عاد كالعرجون القديم ص
. ٢٥٢ ، ٢٠٢ ، ٢٠١ . | أو لم يروا إلى مخلوق الله ص ٢١١ .
إياك نعبد ص ٢١٢ . |
| الحمد لله رب العالمين ص ٢١٣ .
ذلك الكتاب لاريب فيه ص ٢٣١ . | إياك نعبد وإياك نستعين ص ٢٣٠ . |
| ذهب الله بنورهم ص ٢١٨،٢١٥
. ٢١١ . | بسلام منا وبركات عليك وعلى أمم
من معك وأئم سنتهم ثم
يمسهم منا عذاب أليم ص ١٦٧ . |
| رب هب لي من الصالحين ص ٦٣ .
سفرغ لكم أيها الثقلان ص ١٨٤ . | بل الله فاعبد وكن من الشاكرين
ص ٢٢٩ . |
| شهد عليهم سمعهم وأبصارهم
وجلودهم ص ٧٠ . | تلك عشرة كاملة ص ٢٦٨،٢٦٥ . |
| صراطك المستقيم ص ١٦٨ . | ثم أنشأناه خلقاً آخر ص ٢٤٥
. ٢٤٧ . |
| عاليهم ثياب سندس ص ٢٣٩ .
فأجاءها الخاض إلى جذع التخلة
ص ٢٤٤ . | ثم بدا لهم من بعد ما رأوا الآيات
ليسجنته ص ٢٥٩ . |
| فإذا هي شاهقة أبصار الذين
كفروا ص ٢٣٦ . | ثم الجحيم صلوه ص ٢٣١ . |
| فاكهة ونخل ورمان ص ٧١ . | ثم جعلناه نطفة في قرار مكين ص
. ٢٤٥ . |
| فإن الله هو مولاه وجرييل وصالح
المؤمنين والملائكة بعد ذلك
ظهير ص ٧٢ . | ثم خلقنا النطفة علة ص ٢٤٥ . |
| فاتبعت به مكاناً قصياً فأجاءها
الخاض ص ٢٤٥ . | ثم يرم به بريثاً ص ١٩٩ . |
| | حتى إذا ما جاءوها شهد عليهم
سمعهم وأبصارهم وجلودهم
بما كانوا يعملون ص ٧٠ . |

أوسط ما تطعمون أهلكم
أو كسوتهم ، أو تحرير رقبة
ص ٢٦٨ .

فلا يصدقك عنها من لا يؤمن بها
وابتع هواه فتردى ص ٢٤٥ .

فلا يبلغ معه السعي قال يابني إني
أرى في المنام أني أذبحك ص ٦٢ .

فلا ذهبوا به وأجمعوا ص ٢١٨ .

فليحذر الذين يخالفون عن أمره
أن تصييهم فتنة ص ٧٦ .

فمثله كثيل الكلب إن تحمل عليه
يلهث ص ٢٠٢ .

فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه
بمثل ما اعتدى عليكم ص ١٩٣ .

فمنهم شقي وسعيد ، فأما الدين
شقوا ففي النار ص ٢٧٧ .

في جيدها حبل من مسد ص ٢٣٢ .
فيها من برد ص ٤٠ .

قال الذي عنده علم من الكتاب
أنا آتيك به قبل أن يرتد إليك
طرفة ، فلما رأه مستقراً عنده
قال هذا من فضل ربي ص ٢٥٧ .

قال نكروا لها عرشها ص ٢٥٧ .

قل كل يعمل على شاكلته ص ٢٩ .

فإنهم عدو لي إلا رب العالمين ص
. ٢٥١ . ٢٥٥

فأولئك لهم جزاء الضعف ص ٢٣٥ .

فبأي آلة ربكم تكذبان ص ٢١١ .

فبشرناه بإسحاق نبياً من الصالحين
ص ٦٢ .

فبشرناه بغلام حليم ص ٦٢ ، ٦٣ .

فيما رحمة من الله لنت لهم ص ١٩٧ .

فجعلناها نكالاً لما بين يديها ومخلفها
وموعظة للمتقين ص ١٢٨ .

فحملته فانتبدلت به مكاناً قصياً ص
٢٤٤ .

فخلقتنا العلقة مضعة ص ٢٤٥ ،
٢٤٦ .

فخلقتنا المضعة عظاماً ص ٢٤٥ ،
٢٤٦ .

فسيكفيكم الله ص ١٦٧ .

فسرد بهم من خلفهم ص ١٥٨ .

فصيام ثلاثة أيام في الحج وبسبعين
إذا رجعتم ، تلك عشرة كاملة
ص ٢٦٣ .

فكوسنا العظام لها ص ٢٤٥ .

فكفارته إطعام عشرة مساكين من

لخرج به حيًّا ونباتاً ص ١٦٩ .
ليس كمثله شيء ص ١٩٧ .
ليستخلفنهم في الأرض ص ١٦٧ .
ما كان النبي أن يكون له أسرى
حتى يخون في الأرض ص ١٥٨ .
ما لهذا الكتاب لا يغادر صغيرة
ولا كبيرة إلا أحصاها ص ٢٢٢ .
ما وعدنا الله ورسوله ص ٢٥٨ .
ما يأتيهم من ذكر من ربهم محدث
إلا استمعوه وهم يلعبون ص
٢١٦ .
مثـل نوره كشكـة فيها مصـباح
ص ٢٠١ .
مـثلـمـهـمـ كـثـلـهـيـ استـوـقـدـ نـارـاـ ،
فـلـماـ أـخـسـاءـتـ ماـ حـوـلـهـ ذـهـبـ اللهـ
بـنـورـهـ صـ ٢١٥ .
مـئـيـ وـثـلـاثـ وـرـبـاعـ صـ ٢٦٧ .
مـعـ الـذـيـنـ اـتـقـواـ صـ ١٥٧ .
مـنـ وـرـاهـنـ جـهـنـمـ صـ ٢٦٩ .
هـذـاـ بـلـاغـ لـنـاسـ صـ ٨٤ .
هـذـاـ يـوـمـكـمـ الـذـيـ كـنـتمـ توـعلـونـ
صـ ٤٨ .
هـلـ مـنـ خـالـقـ غـيرـ اللهـ يـرـزـقـكـمـ
صـ ٤١ .

كـانـتـ نـفـضـتـ غـزـلـهـ مـنـ بـعـدـ قـوـةـ
أـنـكـاثـاـ صـ ١٣٠ ، ١٣٤ .
كـرـرـعـ أـخـرـجـ شـطـاـهـ صـ ٢٠٢ .
كـلـاـ إـذـاـ بـلـغـتـ التـرـاقـيـ صـ ٢٥٨ .
كـلـاـ نـضـجـتـ جـلـودـهـ بـدـلـلـاهـمـ جـلـودـاـ
غـيرـهـاـ صـ ٧١ .
لـاـ تـخـسـنـدـواـ بـطـانـهـ مـنـ دـونـسـكـ
لـاـ يـأـلـونـكـمـ خـبـالـاـ وـدـوـاـ مـاـ عـتـشـ
قـدـ بـدـتـ الـبغـضـاءـ مـنـ أـفـوـاهـهـمـ
صـ ٢٥٧ .
لـاـ تـجـعـلـواـ دـعـاءـ الرـسـوـلـ بـيـنـكـمـ كـدـعـاءـ
بـعـضـكـمـ بـعـضـاـ صـ ٧٦ .
لـاـ تـحـفـ إـنـكـ أـنـتـ الـأـعـلـىـ صـ ٢١٣ .
لـاـ تـرـىـ فـيـهـ عـوـجاـ وـلـأـمـاـ صـ ١٥٧ .
لـاـ تـفـرـوـاـ عـلـىـ اللـهـ كـذـبـاـ فـيـسـتـحـكـمـ
بـعـذـابـ صـ ٢٤٤ .
لـاـ فـيـهـ غـولـ صـ ٢٤١ ، ٢٤٢ .
لـاـ لـغـرـ فـيـهـ صـ ٢٤٢ .
لـاـ يـخـزـنـهـمـ النـزـعـ الـأـكـبـرـ وـتـلـقـاهـمـ
الـمـلـائـكـةـ هـذـاـ يـوـمـكـمـ الـذـيـ كـنـتمـ
تـوعـدـونـ صـ ٤٨ .
لـرـكـبـ طـبـقاـ عـنـ طـبـقـ صـ ٢٧٧ .
لـكـلـ جـعـلـنـاـ مـنـكـمـ شـرـعـةـ وـمـنـهـاجـاـ
صـ ٢١٨ .

وإن كان مكرُّهُمْ لترول منه الجبال
ص ٢٧١ .

وإن لكم في الأنعم لعبرة نسيكم
ثما في بطونه من بين فرش ودم
لبنًا خالصا سائغا للشاربين ص
١٣٠ .

وأنزل من السماء ماء فأنحرجنا به
أزواجاً من نبات شتى ص ٢٤٥ .
ولئن كلما دعوتم انתר لهم ص ٧٦ .
والبلد الطيب يخرج نباته بإذن ربها ،
والذى خبث لا يخرج إلا نكدا
ص ١٢٩ .

وترکهم في ظلمات لا يصررون ص
٢١٩ .

وجزء سيّئة سيّئة مثلها ص ١٩٣ .
وجعلنا آية النهار بمصر ص ٢٧٧ .
وجعلنا في الأرض روسي ص ٢٣٩ .
وجنات ألقافا ص ١٦٩ .
وظنوا أنهم مانعهم حضونهم من
الله ص ٢٣٤ .

والعقوبة للمتقين ص ١٥٧ .
وعرضوا على ربكم صفا ، لقد
جئتمونا كما خلقناكم ص ٢٦١ .
فهـ ق كل ذي علم عليـم ص ١٥٨ .

هو الذي جعل الشمس ضياء والقمر
نوراً ص ٢١٥ .

وآتوا حقه يوم حصاده ص ١٣١ .
وأنخفض لها جناح الذل ص ١٨٥ ،
١٩٨ .

وأدخلناه في رحمتنا ص ١٨١ ،
١٨٣ .

وإذا واعدنا موسى ص ٢٥٨ .
واسأل القرية ص ٨١ ، ٨٢ .

وابعدوه واشகروا له إلـيه ترجعون
ص ٢١٣ .

وأعدوا لهم كل مرصد ص ١٥٨ .
والذين اهتدوا زادهم هدى ص
١٣٤ .

والذين هم لفروعهم حافظون ص
٧٣ .

والذين يؤتون ما آتوا وقلوبهم وجـلة
ص ٢٥٥ .

وإما تخافـنـ من قوم حـيـاتـةـ فـانـيـدـ إـلـيـهـ
على سـوـاءـ إـنـ اللهـ لاـ يـحـبـ الـخـاتـمـينـ
ص ١٢٨ .

وامرأة مؤمنة إن وهبت نفسها للنبي
ص ١٩٩ .

وإن تعفوا وتصفحوا وتغفروا فإن
الله غـفـرـ وـعـدـ ص ٢٩٩ .

ولدان مخلدون ص ٢٣٩ .
ولقد أوحى إليك وإلى الذين من
قبلك لأن شركت ليجبطنَّ عملك
ولتكونن من الخاسرين ص ٢٣٠ .
ولقد عهدنا إلى آدم من قبل فنبي
ص ٢٤٥ .

ولما سكت عن موسى الغضب
ص ١٨٥ .
ولو كنت فطا غليظ القلب لانقضوا
من حولك ص ١٥٤ .
وليبدأ لهم من بعد خوفهم أمنا
ص ١٥٧ .
وما ربك بظلم للعبيد ص ٢٤٨ .
ومن عنده علم الكتاب ص ٢٣٥ .
ومن يشاقِّ الله ص ٢١٧ .

ومن يشاقق الرسول من بعد ماتين
له المدى ص ٢١٧ .
وهو الذي جعل الشمس ضياء
والقمر نورا ص ٢١٨ .
ووصينا الإنسان بوالديه حسنا ،
وإن جاهدك ص ٢٦١ .
ووضع الكتاب فتري الحبرمين
مشفقين مما فيه ، ويقولون
يا ويلتنا ما لهذا الكتاب لا يغادر

وقال الملائكة إنا إنراك في
ضلالة مبين ص ٢٢٠ .
وقد إمانتنا إلى ما عملوا من عمل
فجعلناه هباء متثراً ص ١٨٥ .
وقل للمؤمنات يغضضن من
أبصارهن ويحفظن فروجهن ص
٧٣ .

وقد ودعا الناس والحجارة ص ١٠٦ .
وقولوا للناس حسنا ص ١٥٧ .
وكان وراءهم ملك يأخذ كل سفينة
غصباً ص ٢٦٩ .
وكذَّبوا بأياتنا كذاباً ص ٢٧٠ .
وكان حكمهم شاهدين ص ٢٤٠ .
ولا تتبع الطوى فيضلوك عن سبيل
الله ص ١٥٣ .

ولا تكونوا كاليٰ نقضت غزها
من بعد قوة أنكاثا ص ١٣١ .
ولا تندَّنْ عينيك إلى ما متعنا به
أزواجاً منهم ص ١٥٨ .
ولا تندَّنْ عينيك إلى ما متعنا به
أزواجاً منهم زهرة الحياة الدنيا
لتفتنهم فيه ورزق ربك خير
وأبقى ص ١٥٥ .

يأخذون عرض هذا الأدنى ص
ص ١٥٨ .

يأيها الذين آمنوا استجيبوا الله ولرسول
إذا دعاكم لما يحييكم ص ٧٦ .
يتنازعون فيها كأساً لا لغو فيها
ولا تأديم ص ٢٤٢ .

يخرج من بطونها ثراب مختلف
ألوانه ص ٢٣٤ .

يريد الله أن يحق الحق بكلاته
وبقطع دابر الكافرين ليحق
الحق ويبطل الباطل ولو كره
الحرمون ص ٢٦٢ .

يوم تبيضُ وجوه وتسودُ وجوه
ص ٢٧٨، ١٢٩ .

يوم ترى المؤمنين والمؤمنات يسعى
نورهم بين أيديهم وبأيامهم
ص ١٢٩ .

صغريرة ولا كبيرة إلا أحصاها
ص ٢٢٣ .

ووهبنا له إسحاق ويعقوب كلّاً
هدينا ونوحًا هدينا من قبل
ص ٢٢٩ .

ووهبنا لهم من رحمتنا وجعلنا لهم
لسان صدق علينا ص ٢٠٣ .
ويعلم ما في الأرحام ص ٧٣ .

ويغفر لكم من ذنبكم ص ٤٠ .
و يوم تقوم الساعة يقسم الحرمون
ما لبوا غير ساعة ص ٤٧ .
و يوم يُعرض الذين كفروا على النار
أذهبت طياتكم في حيائكم الدنيا
ص ٢٦١ .

يا بني آدم لا يفتتكم الشيطان كما
أخرج أبوياكم من الجنة ينزع
عنهم لباسهما ليريهما سوآتهما
ص ١٢٧ .

ثانياً: فهرس الأحاديث النبوية

- | | |
|---|---|
| ليس الصيد من أثاره ، بل من حصنه ص ١٣٨ . | أعيذ كما من عين العائن ونفس النافس ص ١٠٠ . |
| من جعل نفسه قاضياً للMuslimين فقد ذُبح بغير سكين ص ٧٤ . | اللهم اشدد وطأتك على مضر ص ١٦٢ . |
| هو الظهور ماوه الحيل ^١ مبته ص ٢٣٦ . | رقنا بالقوارير ص ٢٧١ . |
| وإنكم تقدمون على ما قدمتم ص ١٤١ . | صلاة في مسجدي هذا خير من ألف صلاة في غيره من المساجد إلا المسجد الحرام ص ٥٢ . |

ثالثاً: فهرس الأمثال

- | | |
|------------------------------|--------------------------------|
| لو ذات سوار لطمني ص ٢٣٨ . | الأعمال بخواتيمها ص ١٣٨ . |
| ملكتَ فأسجع ص ١٣٩ . | أول الغيث طلَّ ص ١٣٣ . |
| من أشبه أباه فما ظلم ص ١٤٢ . | سبق السيف العدل ص ١١٦ . |
| ها رضيعاً لبان ص ١٤٣ . | عسى الغوير أبوسَ ص ١٤٦ . |
| ها شريكَا عنان ص ١٤٣ . | عند جهينة الخبر اليقين ص ١٣٧ . |

رابعاً: فهرس قوافي الأبيات

صدر البيت	القافية	البحر	الصفحة
قافية الهمزة			
وما العيش	وماء	طويل	١٨٩
إني وإن كان	ورائِهِ	كامل	٢٦٨
لا تعذل	أحشائِهِ	»	١٠٧
إن القتيل	بدمائِهِ	»	١٠٧
ما الخل	بسوانِهِ	»	١٠٥
القلب أعلم	وبسائِهِ	»	١٠٤
لا تعذل	أحشائِهِ	»	١٠٤
عذل العواذل	سوادائِهِ	»	٩٩
وبلدِي	سأوهُ	رجز	٢٥٦
فإذا شوني	شفاء	رمل	١٤٨

قافية الباء

وأظلم	يتقلبُ	طويل	٥٤
أغالب فبك	أعجبُ	»	٥٤
تريد بلك	المدرُّبُ	»	٥٦
فديناك	والغريبا	»	١١٣
هنيئاً	حزباً	»	١١٣
ولم تفترق	حُبّاً	»	١١٣
وإن قصرت	تضاربُ	»	١١٧

الصفحة	البحر	القافية	صدر البيت
١١٧	طويل	ف Narcis بُ	إذا قصرت
١٥٢	طويل	المهذبُ	ولست
١٧٧	"	الكتابِ	أناس
١٧٧	"	السوابِكِ	على مثلها
٧٨	"	شهابِ	إن يقتلونك
٣٩	بسيط	الذهبِ	كان صغرى
١٢٣	"	ينسكبُ	وأزرق
١٢٢	"	بالغربِ	فلا ت تلك
١٤٩	"	يَنسَكِبُ	وأزرق الفجر
١٧٥	"	كتُبِ	كم أحرزت
٢٣١، ١٧٦	"	واللعيِّ	السيف أصدق
٢٣١	"	الخطبِ	إن يعدُ
١٧٢	مخلع البسيط	فالذئبُ	أفتر
١٧٢	"	لا يؤوبُ	وكل ذي
١٢٢	وافر	العقابُ	يز الجيش
١٢٢	"	الضرابِ	بغرك
١٥٩	"	المشيا	وشيخ
١٥٩	"	حبيبا	ضروب الناس
١٣٥	"	شعابِ	فاضضم قواصيمهم
٣٢	كامل	الجهاجيِّ	تقد السلوقي

الصفحة	البحر	القافية	صدر البيت
١٣٥	وافر	عتاب	ولو أن دهرا
٢٥٤	»	الأحبابُ	وثبة
١٢١	منسرح	والغضبُ	أحسن
٢٨١	»	خُطّبَهُ	والشعر
٢٥	طويل	يحبه	وحشّك
٢٥	»	خُطّبَهُ	علمنا بهذا القول
٢٨١	منسرح	كذبه	كلفتنا
١٤٢	خفيف	تضييب	لا تذيلن
١٤٢	»	ملحوب	أي مرعى

قافية التاء

١٦٧	كامل	سويداواتها	إن الكرام
-----	------	------------	-----------

قافية الحاء

١٧٤	»	الشيخُ	جللاً
-----	---	--------	-------

قافية الدال

٢٦	طويل	عوادي	ولولا ثلاثُ
٥٥	»	ورده	فإن نلت
٥٥	»	جنده	أود
٩٥	»	وعياداً	هنيتا لك
٩٧	»	اليـدا	وما قـل
١٠٣ ، ٩٧	»	في العـدا	لـكل اـمرـيـء
١٠٤	ـ	الـنـدا	سيـوقـكـ

صدر البيت	القافية	البحر	الصفحة
فلم يبق	النواهد	طويل	٩٠٨
عواذل	لماجد	»	٨٠١
تنكسهم	المكايد	»	١٠٩
خلوة أطلال	اليد	»	١١٠
ووضع	الندى	»	١٣٤
ما ايض	البدر	»	١٣٨
وقيدت فسي	تقيضا	»	١٤٠
لكل امرئ	في العدا	»	١٤٠، ١٣٤
ووضع	الندى	»	١٤٤
إذا شد	مُعْمَدا	»	١٤٥
لكل امرئ	في العدا	»	١٤٥
ووضع الندى	الندى	»	١٦٠
من القوم	بالحُمْدَر	بسيط	١٧٥
يهز زن	تبريدا	واسفر	١٢٦
أقلني	البحور	واسفر	١٧٣
لبست	بالصعيدي	»	١٨٥
يعز علي	العاذر	كامل	٩١
للله تيم	جلادي	»	٢٤٨
وهب الدهر	فحشد	رمل	٥٥
من رأى	الأسود	»	١٥٢
لولا ثلات	العبد	سريع	٢٦

صدر البيت	القافية	البحر	الصفحة
وليت يومي	ولا شاهدُ	منسخ	٥٨
إن كان	عَامِدٌ	»	٥٩
لَا ناقِي	مَقْصُودٌ	»	٢٥٣
حَالَكَ الْيَوْمَ	غَدًا	خفيف	١٥٨

قافية الراء

عجبت	الدهرُ	طويل	٦٧، ١٢
أما والذى	الأمر	»	٦٧
إذا أنت	البذر	»	١٤٢
ولني لترك	أَسْتَيْرِهَا	»	١٤٣
قسمت	وَاتَّر	»	١٧٨
لام يراك	النابِر	»	٢٠٤
كتمت	المفاحِرِ	»	٢٠٤
تطاول	خواطِري	»	٢٠٤
أماويَّة	بِهَا الصَّدْرُ	»	٢٥٨
لا يأمن	يَنْتَظِرُ	بسِيط	١٥٠
تقول هذا	الزَّانِير	»	١٨٠
أهدى	مطير	مخلع البسيط	١٤٧
طول قنا	بخارُ	وافر	١١٧
إذا ما أول	انتصار	»	١٣٩
وتكرمت	أَذْفَرَا	كامل	٤٢

صدر البيت	القافية	البحر	الصفحة
نسقوا	مؤخراً	كامل	١٦٢
باد هواك	أو جرى	»	١٦٢
من مبلغ	والاسكندرا	»	١٦٢
وغير حرب	قبر	»	١٦٧
لا أنت	الأوطار	»	٢١٣
الكاعب	وفي الحرير	»	٢٦٨
المثل السائر	الدائرا	سريع	٧
لا زلت	فآخر	»	١٤٥
قل للأمير	وللحاضر	»	١٤٥
كالقصي	الأوتار	خفيف	٢٢٥
أبكاء	نوار	»	٢٢٥
يتقرقن	الخاري	»	٢٢٥
قافية السن			
وعين لها	آخر	متقارب	٩٣
احقا	الجالس	طويل	٢٣٥
قافية العين			
قى كان	مرتعأ	»	١٧٢
أصم بك	بلقعا	»	١٧٢
حتت	معا	»	٢٠٤
وأذكر	تقطعا	»	٢٠٤
نجوم	دوامع	»	٢٢٧
سيول	طوالع	»	٢٢٧
سما بي أوس	ورافع	»	٢٢٧

الصفحة	البحر	القافية	صدر البيت
٢٣٥	طويل	واضِعُهُ	ظنْتُمْ
٢٦٩	»	الأصاغُ	أَلَيْسَ وَرَانِي
٢٦٩	»	وَالْمَصَانُعُ	بَلِّيْتَا
٥٩	كامل	أَزْمَعَا	نَفْدَ الْقَضَاءِ

قافية الفاء

٢١٤	»	أَعْرَفُ	فِي النَّاسِ
١٦٦	»	ظَرِيفَا	وَدَمَاتَة
١٦٦	»	خَفِيفَا	لَكَ هُضْبَة
١٦٦	»	ظَرِيفَا	وَحَلَوة
١٠٢	»	سُلَافُ	أَخْلَاقُكَ

قافية الفاف

١١	طويل	محنٍ	إِذَا سَعْتَ
٥٨	»	الْمُوقَنُ	وَمَا يَنْصُرُ
٥٨	»	وَمَا يَقِي	لَعِينِيْكَ
٥٨	»	محنٍ	إِذَا سَعْتَ
٩٦	»	فَيَلْتَقِ	نَوْدِعْهُمْ
٩٥	»	وَمَا يَقِي	لَعِينِيْكَ
١١٩	»	وَالْخَلَاقِ	وَمَا حَسْنَ
١١٩	»	الْسَّوْابِقِ	تَذَكَّرْتَ
٢٥١	»	صَدِيقُ	جَلُونَ
٢٥١	»	صَدِيقٌ	دَعْوَنَ الْمَوْىِ

الصفحة	البحر	القافية	صدر البيت
٢٥١	طويل	علوق	وبت أرأني
٢٤	وافر	ريقي	أيارب العياد
١١٧	كامل	تلحق	فصل السيف

قافية الكاف

٥٩	وافر	هلاكا	وأيا شئت
٥٩	»	فداكا	فدي لك
٣٣	منسرح	الفلك	إن كنت

قافية اللام

٤٢	طويل	وأباجله	نقى
٩٧	»	حابل	ملأت
٩٧	»	العواذل'	إذا هت
٩٨	»	ويُساغِلُ'	دروع ملك
١١٠	»	المعاقلا	وقد سقت
١١٧	»	فتطلول	إذا قصرت
١١٧	»	جميل'	إذا المرء
١١٩	»	غلول	شريك المانيا
١١٩	»	طويل'	لالي
١٢٤	»	قاغلا	طبعتهم
١٢٤	»	مواثلا	أرى بين
١٥٩	»	تسيل	تسيل على
(الفلك الدائر — م ٢٠)			

الصفحة	البحر	القافية	صدر البيت
١٥٩	طويل	جميل	إذا الماء
١٦١	»	باسل	كريم له
١٧١	»	فاجيلي	أفاطم مهلا
١٧١	»	فحومَل	فناينك
١٧٢	»	بامُشْلٍ	ألا أيها
٢٥٤	»	شمردل	وزنَة
٢٧٨	»	التهيلا	قوم
٢٧٧	»	فيسائله	وكان لهم غيّاً
٢٧٨	»	منُصلٍ	في وقف
٤١	بسيط	الطُّولُ	بالقائم
١٤٢	٠	الرجل	قال الأقارب
١٦٥	خلع البسيط	جدال	اختصم
١٧٥	٠	جدار	اختصم
١١٤	وافر	الثَّالِ	فما بقيا
٥٨، ١١	كامل	إقباله	لو لم تكن
٢٧٩	٠	رحيلًا	ما بال
٢٧٩	٠	فلولا	أخليفة
٢٧٩	٠	التهيلا	قومي
٢٧٩	٠	التهيلا	القوم على
١٤٦	رجز	الهلال	ونترة

صدر البيت	القافية	البحر	الصفحة
من لغا	إيلٌ	رمل	١٤٣
أصل التزد	وصل	سريع	١٤٣
أنسم بالله	مسئول	»	٦٠
نظمهم	نابلٌ	»	٩٦
يا دار	عاقلٌ	»	٩٦
يا بدر	يا رجلٌ	منسح	٢٢٦
ولقد رمت	كُلاً	خفيف	١١
إن يكن	الأجلا	»	٥٧
ولقد رمت	كلاً	»	٥٧
والعيان	انتقالاً	»	٩٦
كتب القتل	الذينولٌ	»	١٠٧
فأنتهم خوارق	والأبطالاً	»	١٢٤
هم يطلبون	يقبلٌ	متقارب	٢٣
هم يطلبون	يَقبِلُ	»	٥٨، ١١
أيقدح	يشمل	»	٥٨
وملمومة	مُخْتَمِلٌ	»	١٠٢
أيقدح	يشمل	»	١٠٢
أيقدح	يَشْتَمِلُ	»	١١١
فذى الدار	الحاابلٌ	»	١١٢
إلام	للعقل	»	١١٢

صدر البت	القافية	البحر	الصفحة
قافية الميم			
	متلاطِم	طويل	٢٧
	الصرَّم	"	٩٢
	السَّم	طويل	٩٢
	وبراجمِمُهُ	"	٩٩
	ساجِمَهُ	"	٩٩
	مُسْتَلَاطِمُ	"	١٠٠
بنها فاعلي	المكارم	"	١٠٠
أذاق الغواني	قوائمُ	"	١٠٣
ملامي التوى	والقوائمُ	"	١٠٣
تقيل أفواه	المكارم	"	١٠٣
وفاؤ كما	معصها	"	١١٠
بنها فاعلي	فالمنتسم	"	١١٠
على قدر	اللهازمُ	"	١١٣
أتوك يجرون	باتتكلم	"	١١٤
وما ضرها	وأدْهَمُ	"	١١٤
على قدر	شائِمُهُ	"	١١٥
ديار نا	ساجِمَهُ	"	١١٦
أمن	جهاجمِمُهُ	"	١٢٠
أما إنه	ساجِمَهُ	"	١٢٠
وتجلهم	ختامُ	"	١٢٦
تباري			
وأحسن			
وفاؤ كما			
له عسكرا			
وفاؤ كما			
ولو غبت			

صدر البيت	القافية	البحر	الصفحة
ولا تجعل	للقوادم	طويل	١٣٥
لذى الحلم	ليعلا	"	١٣٧، ١٣٦
له يوم	أنعمُ	"	١٦١
فأما الليالي	وتندَمُ	"	١٦٢
ألم يأن	ناظم	"	١٧١
إذا كان	متسم	"	١٧١، ١١٤
ألم يأن	ناظم	"	١٧١
طلع الثاريا	يُقدَّم	"	٢٥٢
عقبى اليمين	القسمُ	بسيط	٩٦
يا أعدل	والحكم	"	١٠٢
وفي أكفهم	تضطرم	"	١٠٥
عقبى اليمين	القسم	"	١٠٥
هذا عتابك	كلِمٌ	"	١٠٦
وآخر قلباه	سقَم	"	١٠٢
إن المعالي	بغضِ دَمْ	"	١٢٨
تنافس	بأعوام	"	١٦١
واحر قلباه	سقَم	"	١٠٦
إذا قالت	حذام	وافر	١٣٦
لحوى	أنسلمُ	"	١٥٩
أظن	الرسوم	"	١٧٥
قبيل	المُلْمَمُ	"	٢١٣

صدر البيت	القافية	البحر	الصفحة
ولم أر	مقام	وافر	٢٦٢
أعطيتني دية	قديم'	كامل	٩٢
أستبي طلورهم	ونعيم	"	٩٢
لا يسلم	الدم'	كامل	١٠٤
لهوى النغوس	أني أسلم'	"	١٠٤
هذا الحال	لت تمامه	"	١٣٣
أولا	زمامه	"	١٣٣
لا يسلم	الدم'	"	١٥٩
لاتنه	عظيم	"	١٦٠
حددوا	وخصوم	"	١٦٠
للغازيات	قديم	"	١٦٠
يتجنب	آثام'	"	٢٥٤
وأرضك	حُلم	متقارب	١١٠
وما مزبد	تل تقطيم	"	٢٧٨

قافية النون

فما لك	سنان	طويل	١٠
لن ظلل	جون	"	٤٢
ولي عهد	خطدين	"	٤٢
فما لك	سنان	"	٥٦، ٨
ضمنت	شفافي	"	١٠٠
فأصبحت	وعاجن	"	٢٥٩

صدر البيت	القافية	البحر	الصفحة
سنة	فاستكِن	مدید	٢٥٦
وإن دعوت	فادعينا	بسیط	٤٠
إنا محبوك	سقينا	بسیط	٤٠
ليس الشفيع	عربانا	»	١٠٧
قد علم	أحزانا	»	١٧٢
أنا ابن جلا	تعرفوني	وافر	١٣٧، ١٣٦
معانى	الزمان	»	١٧٢
فلو أني	المدان	»	٢٣٨
يا خير	الميون	كامل	٤١
إن السيف	الجمعان	»	١٠٦
الرأي قبل	الثاني	»	١١٨، ١٠٦
من شروط	المكان	خفيف	١٧١

قافية الباء

أهلًا	خردها	منسرح	٢٥٢
لا ناقلي	أجهدتها	»	٢٥٢

قافية الياء

أترجو	ورائيا	طويل	٢٦٩
ما مقامي	حَمِيَّ	خفيف	٩٨

خامسًا : فهرس أنساق الأبيات

الصفحة	البحر	القافية	صدر البيت
٤٥	طويل	ربوعها	منازل
٥٤، ٢٥	»	ذاهل	متى أنت
	»	موقف	تطل العلول
	»	بشفافها	فتعرككم
	»	صغارها	بيهيج
	»	المتخابل	سرى
	»	انجل	لا أبها
	»	ومتزل	قفنا نبك
	»	فأجعلي	وإن كنت
	»	ومصيف	أمن
	»	الحقائبُ	ولو سكتوا
	»	وبأدله	ولا رهل
٣٧	»	المبكر	ألم تر
٤٧	كامل	نصال	إن لم تكون
١٣	»	السرَّى	عند الصباح
٢٩	رجز	شعري	أنا
٢٨	خفيف	الأعادى	حسم

سادساً : فهرس الأعلام*

- | | |
|--|--|
| <p>(ابن أثير الجزيرة = نصير الدين بن محمد الوصلي)، ٣٠.</p> <p>ابن الأعرابي : ١٣٦، ١٣٧، ١٤٧.</p> <p>ابن البارقياني : ٢٧٦.</p> <p>ابن جندل : ٢٣٥.</p> <p>ابن الخطيب : ٢٥.</p> <p>ابن السكري : ١٤٣، ٢١٧.</p> <p>ابن سنان الخفاجي : ١٦٣، ١٦٤، ١٦٦، ١٦٨، ١٦٩.</p> <p>ابن سينا = أبو علي : ١٧٩، ١٨٠.</p> <p>ابن العلتسي = مؤيد الدين محمود بن العلتسي.</p> <p>ابن العميد = أبو الفضل محمد بن العميد.</p> <p>ابن قبيبة: ١١٧.</p> <p>ابن الكلبي = هشام : ١٣٧، ١٣٦.</p> | <p>(١)</p> <p>آدم (عليه السلام) : ٢٣٩، ٢٢٤، ٢٤٥.</p> <p>إبراهيم الخليل (عليه السلام) : ٦٢، ٢٦١.</p> <p>إبراهيم بن سيار بن هانئ البصري = النظام : ٨٩.</p> <p>إبراهيم بن عبد الله بن حسن : ١٣٥.</p> <p>إبراهيم بن علي بن سلمة : ١٦١.</p> <p>ابن أبي الحميد = عز الدين عبد الحميد</p> <p>ابن هبة الله بن محمد بن الحسين: ٥، ٧، ٢١ - ٢٦.</p> <p>ابن أبي الحميد = موفق الدين أحد ابن هبة الله: ٧، ٢١، ٢٢.</p> <p>ابن الأثير (ضياء الدين) : ٥، ٧، ٩، ١٠، ١٢، ١٣، ١٤، ١٥، ١٧.</p> |
|--|--|

(٥) خضينا للأعلام الشعراً المفهرس التالي.

أبو سعيد = محمد بن يوسف : ١٤٥	ابن المقفع = عبد الله بن المقفع : ٢٥
.١٦٦	.٣٦
أبو سهل = سعيد بن عبد الله الانطاكي: ١٧٢	ابن المتصور : ٢٨٤
.١٧٢	ابن نوبخت : ٢٣
أبو شجاع = عضد الدولة : ٥٩.	أبو إسحاق الصابي = إبراهيم بن هلال
أبو عبد الله البصيري : ١٩٧	بن زهرون: ١٦٨ ، ١٧٠ ، ٢٧٤ ، ٢٧٥ ، ٢٧٦ ، ٢٧٩ ، ٢٨٢ ، ٢٨٠ ، ٢٨٣ ، ٢٨٤ ، ٢٨٨ .٢٨٨
أبو عبيدة = معمر بن المثنى ، ١٣٩ ، ٢٧٩	أبو إسحاق = إبراهيم بن يحيى بن عثمان: ١٥٢
أبو عثمان = عمرو بن جريرا الجاظ .	أبو إسحاق الشيرازي : ٢٧٦
أبو علي = ابن سينا.	أبو بكر الصديق : ٥٠ ، ١٣٤ ، ١٦٢
أبو علي الفارسي = ٢٠٥ ، ٢٠٦ ، ٢٠٧	أبو جعفر بن حيد : ٢٢٥
.٢٠٩ ، ٢٠٨	أبو جعفر = المنصور المستنصر بالله بن الظاهر : ١١
أبو عمرو = الحباب بن المنذر الأنصاري.	أبو حاتب : ٣٢
أبو الفتح = عثمان بن جني : ١٤ ، ٥٧ ، ١٨١ ، ١٨٣ ، ١٨٢ ، ١٨٤ ، ١٨٥ ، ١٨٦ ، ٢٥٢ ، ٢٥٨ ، ٢٧٦ ، ١٩٦	أبو الحسن = الأخفش : ٤٠
أبو الفضل = محمد بن العميد : ١٦٢ ، ١٦٨	أبو الحسن = علي بن إسماعيل الأشعري: ٢٤ ، ٢٣
أبو كثیر الهزلي: ٦٧	أبو حنيفة (الإمام) : ٢٦٩
أبو محمد = ابن الخطاب: ٨٤:	أبو دلف = القاسم بن عيسى العجي : ١٧٧
أبو مخلد : ٦١	أبو زكريا : ٤١
أبو موسى الأشعري : ٢٤	
أبو نصر محمد بن حيد الطائي : ١٧٢	

	أبو هلال العسكري : .٨٤
	أبو المحياء : .٩٥
	الأثرمان : .٢٢٧
	أحمد بن أبي دؤاد : .١٧١
	أحمد بن محمد بن أبي المعالي القوطي : .٢١
	أرديشير بن بابك : .١٤٠
	أرسطاليس : .١٦٢
	الأزهري : .٢٧٦ ، ٢٥٥
	إسحاق (عليه السلام) : .٦٢ ، ٦٣ ، ٦٢
	إسحاق بن إبراهيم بن كيغلن : .١٥٩
	إسحاق بن أبي ربيع : .١٣٣
	إسراطيل : .٦١
	الإسكندر : .٦٢ ، ١٦٢ ، ١٦٣
	إسماعيل (عليه السلام) : .٦٢
	إسماعيل بن جعفر بن محمد الصادق : .١٠٣ ، ٧٤
	الأشعري = أبو الحسن علي بن إسماعيل.
(ث)	الأصمسي : .١٣٧
	ثعلب = أحمد بن يحيى : .١١٧ ، ٢٧٦
(ت)	تاج الدين علي بن أنجب : .٢٢
	توقف (القائد الرومي) : .٢٣١
(ب)	بدر : .٢٢٦
	برزویہ : .١١٦
	بطليموس : .١٦٢
	بلقیس : .٢٥٧
	هرام جور بن يزد جرد : .١٠٣
	البيهقي : .١٢٦
	ـ

(خ)

خالد بن الوليد : ٦٤، ٦٥، ١٣٤.
الخفاجي = ابن سنان.

خوات بن جبير الأنصاري : ٤٩.
خولة : ١٠٩، ١١٠.

(د)

داود (عليه السلام) : ٤٢، ٩٦.
داود الظاهري الأصفهاني : ٨٩.
الدعاء بنت المبشر : ١٥.

(ذ)

ذات التحرين : ٤٩.

(ر)

رافع بن عميرة بن جابر الطائي : ١٣٤.
. ٢٢٨

ركن الدولة الحسن بن بويه : ١٦٨.
رَيَا : ٢٠٤.

(ز)

الزباء : ١٣٢، ١٤٦، ١٩٧.
الزبير بن العوام : ٤٧.
زكريا (عليه السلام) : ٢٤٠.

(ج)

الجاجظ : أبو عثمان عمرو بن محر : ٣٧، ٦٠، ٨٨، ٨٩، ١٦٨.

جالينوس : ٦٦.
جبريل : ٦١.

جندية الأبرش : ١٩٧.
الجويني : ٢٧٥، ٢٧٦.

(ح)

حاتم الطائي : ٢٢٨، ٢٥٨.
الحارث بن سليل الأسدية : ١٣٢.

الحارث بن كعب : ١١٦.
الحباب بن المنذر الأنصاري : ٥٠، ٥١.
الحجاج بن يوسف : ١٢٦، ١٥٠، ١٥١، ٢٥٢، ٢٥٣.

حذام : ١٣٦.

الحسن بن علي : ١٠٠.
الحسن بن محمد الصباح : ٧٤.
الحسين بن إسحاق التستري : ٩٢.
الحسين بن علي : ٩١، ١٠٠.
حفص بن عمر الأزدي : ١٧٥.
حواء : ٢٢٩.

الزغشري : جار الله محمود بن عمر : ٢٣٠، ٢١٣، ٢١٢، ٢٠٩
١٠٧، ١٠٦، ١٠٥، ١٠٣، ١٠٢، ١٠٠
١١٣، ١١٤، ١١٦، ١١٧، ١١٨، ١١٩
١٢١، ١٢٢، ١٢٤، ١٢٣، ١٢٥، ١٢٦
١٢٧، ١٤٥، ١٤٠

(ش)

الشافعي (الإمام) : ١٢٦، ١٩٠، ٢٦٩

شق (الكافه) : ٢٤٨

(ص)

الصابي = أبو إسحاق إبراهيم بن هلال
بن زهرون.

صلاح الدين الأيوبي : ٢٠١

صلاح الدين الصفدي : ٢٥

(ض)

ضبة بن أذ بن طابخة بن إلياس بن
مضر : ١١٦

ضياء الدين الخالدي المقدسي : ٢٦٩

(ط)

الطائع الله (الخليفة العباسي) : ٢٧٥،
٢٧٦

طلحة بن عبيد الله : ٤٧

طه (سورة) : ١٥٥، ١٥٧، ٢٣٩، ٢٤٥

(ع)

عامر بن الظرب العدوي : ١٣٦، ١٣٧

زياد بن أبي سفيان : ١٤، ٣٨
٢٣٠، ٢١٣، ٢١٢، ٢٠٩

زيد القنا : ٢٢٧

زريب بنت الطثريمة : ٤٣

زريب : ٢٢٥

(س)

سبككين الحاجب : ٢٧٥، ٢٧٦

سجيان وائل : ١٤، ٣٧

سطيح (الكافه) : ٢٤٨

سعد بن الضباب : ٢٨٤

السعد التفتازاني : ٣٣

سفراط : ٥٦

سلیمان (عليه السلام) : ٤٢، ٢٥٧

سلیمان بن وهب : ١٤٢

سيبويه : ٤٠

السيد الحميري : ٦٠

السيد المرتضى : ٢٣، ٢٠٥

السيرافي : ٢٧٦

سيف الدولة بن حدان : ٥٦، ٥٧، ٩٦، ٩٧، ٩٨، ٩٩، ٩٩، ٥٨

- | | |
|--|---|
| <p>عاصد الدولة أبو شجاع : ٥٩، ١٦٨، ٢٧٥، ١٧٢.</p> <p>عفراء : ١٠٠.</p> <p>علقمة بن خصبة الطائي : ١٣٢.</p> <p>علي بن أبي طالب : ٢٢، ٢٣، ٣٧، ٤٧، ٦١، ٦٠، ٦٤، ١١٠، ١٣٩، ٢٠٦، ٢٠٣.</p> <p>علي بن محمد بن سيار بن مكرم القميي: ١٥٩.</p> <p>عمر بن الخطاب : ٥٠، ١٤٧، ١٠٦.</p> <p>عمران : ٦٣.</p> <p>عمر بن العاص : ١٠٦.</p> <p>عيسي (عليه السلام) : ١٣٦.</p> | <p>عائشة (رضي الله عنها) : ٤٧، ١٣٩.</p> <p>عبد الله بن سلام : ٢٧١.</p> <p>عبد الله بن سلم السهمي : ٦٧.</p> <p>عبد الله بن عباس : ٣٧.</p> <p>عبد الله بن المقفع : ٤٦.</p> <p>عبد الحميد بن يحيى (الكاتب) : ١٣، ٤٦، ١٤٧.</p> <p>عبد الرحيم بن علي اليساني = القاضي الفاضل : ٥١، ٥٠، ٢٠١.</p> <p>عبد المسيح بن بقيلة : ٦٤، ٦٥، ٢٤٨.</p> <p>عبد الملك بن عبد الرحيم الخارثي : ١٥٨.</p> <p>عبد الملك بن مروان : ٢٧٨.</p> <p>عبد الله بن سليمان بن وهب : ٢٨٤.</p> <p>عتيبة بن الحارث بن شهاب : ١٧٨.</p> <p>عثمان بن عفان : ٦٣، ٦٤.</p> <p>عز الدولة بن بختيار بن معز الدولة بن بويه أبو منصور : ١٦٨، ٢٧٥.</p> <p>عز الدين عبد الحميد بن هبة الله بن محمد بن الحسين = ابن أبي الحديد.</p> <p>العزيز نزار بن معد : ٢٧٦.</p> |
| <p>(غ)</p> | <p>(ف)</p> |
| <p>الفتنين : ٢٧٥، ٢٧٦.</p> <p>فخر الدين (الإمام) : ٢٣.</p> <p>الفضل بن الربيع : ١٧٣.</p> <p>فناخسرو : ٥٩.</p> | <p>عز الدولة بن بختيار بن معز الدولة بن بويه أبو منصور : ١٦٨، ٢٧٥.</p> <p>عز الدين عبد الحميد بن هبة الله بن محمد بن الحسين = ابن أبي الحديد.</p> <p>العزيز نزار بن معد : ٢٧٦.</p> |

(ق)

- محمد بن الأمين : ٤١ .
 محمد بن عبد الملك الزيات : ٤٥ .
 محمد بن عبد الله العلوي : ٢٥٣ .
 محمد بن الهيثم بن شباتة : ٩٢ .

محمد بن يوسف : ١٢٢ .

المزوقي : ١٥٩ ، ٤٣ .

المرزباني : ١٦١ .

مروان بن محمد : ٤٦ .

هرم : ١٥٨ ، ٢٤٤ ، ٢٠٣ .

مساور بن محمد الرومي : ١٧٤ .

المستعصم بالله : ٢٢ .

المستنصر بالله : ٧ .

المسيح (عليه السلام) : ٦٤ .

المطیع لله : ٢٧٥ ، ٢٧٦ .

معاوية بن أبي سفيان : ١٤ ، ٣٧ ، ٣٨ .
 .٤٧

المتصنم : ٢٣١ ، ١٧٤ .

المعتضد : ٢٨٤ .

معز الدولة : ٥٥ ، ٢٧٥ .

المفضل الصبي : ١٣٤ .

(ك)

كافور الأخشيدي : ١٠ ، ١١ ، ١٢ ، ٥٥ .
 .٦٠ ، ٥٦

الكشائي : ٤٠ .

كسرى : ٤٧ .

(ل)

بلجم بن صعب : ١٣٦ .

لقمان : ٧٣ .

(م)

مالك بن طوق التغلبي : ١٣٥ ، ٢٨٣ .

المأوريدي : ٢٧٦ .

المتوكل بن نہشل بن مسافع الليثي :
 .١٦١

محمد (صلى الله عليه وسلم) : ٢٩ ،

.٢٠٣ ، ٢٠٢ ، ١٣٤ ، ٧٥ ، ٤٠ ، ٣٤

.٢٨٦

هشام = ابن الكلبي : ٤٠ ، ١٣٧	المكتفي : ٢٨٤
هود (عليه السلام) : ١٦٧ ، ٢٣٧	المنصور = أبو جعفر : ١٦١
هولاكو : ٢٢	موسى (عليه السلام) : ٦٣
الهيثم بن الربيع : ٦١	سفيق الدين أحمد بن أبي الحميد : ٧ ، ٢٢ ، ٢١
(و)	
وهشونان : ٥٩	مؤيد الدين أبو العالي : ٢٢
(ي)	مؤيد الدين محمود بن العلقمي : ٢٢ ، ٢٤
يعسى بن زكريا (عليه السلام) : ٢٤٠	الميرزا محمد الشيرازي : ٨
يزيد بن معاوية : ١٦٠	ميكل : ٦١
يس (سورة) : ٢٥٢	(ن)
يعقوب (عليه السلام) : ١٤٣ — ٢٢٩	نصير الدين الطوسي : ٢٢
يوسف (عليه السلام) : ٨١ ، ١٥٨	نصر الدين محمد الموصلي = ابن الأثير : ٣٠
٢١٨ ، ٢٥٦	
الشظام = إبراهيم بن سيار بن هاني : ٨٩	
العمان بن المنذر : ١١١ ، ١٥٢	
نورا : ٢٢٥	
نوح (عليه السلام) : ٤٠ ، ٧٦ ، ١٦٣	
٢٢٠ ، ٢٢١ ، ٢٢٢	
(ه)	
هارون (الرشيد) : ٤٢	

سَابِعًا : فَهْرُسُ الشَّعَرَاءِ

أبو الطيب المتنبي : ٥٤ ، ٤٢ ، ١١ ، ١٠ ، ٥٦ ، ٥٧ ، ٥٥ ، ٩٧ ، ٩٤ ، ٩٢ ، ١١٠ ، ١٤٤ ، ١٤٥ ، ١٦٣ ، ٢٢٦ ، ٢٥٣ ، ٢٨٤	(أ) ابن النصور : ٢٨٤ ابن هانئ : ٥٥ ، ١٦٣ ، ٢٨٤ ابن هرمة : ١٦١ ابن هند : ١٠٤ أبو الأسود الدؤلي : ١٦١ ، ١٦٠ أبو تمام : ١٣ ، ٤١ ، ٤٥ ، ٩٢ ، ١٣٣ ، ١٣٥ ، ١٤٢ ، ١٤٥ ، ١٤٦ ، ١٤٨ ، ١٤٩ ، ٢١٣ ، ١٧٨ ، ١٧٧ ، ١٧٥ ، ١٧٢ ، ١٧١ ، ٢٢٧ ، ٢٣١ ، ٢٥٤ ، ٢٧٧ ، ٢٨٢ ، ٢٨٣ ، ٢٨٤
الأحسن بن شهاب بن شريق التغلبي : ١١٧	أبو الحسن علي بن الحسن الباهري : ١٢٦
الأعشى : ٢٧٨	أبي حية التبرري : ١١٣
أعشى باهله : ١٥٠	أبو ذؤابة الأستدي = ربيعة بن عبد الله بن سعد بن جذيبة .
أمرؤ القيس : ٩٢ ، ٩٦ ، ١٧١ ، ١٧٢ ، ٢٨٤	أبو صخر المذلي : ٦٧ ، ٦٦ ، ١٢

(ز)

زهير بن أبي سلمى : ١١٠، ١٢٥.

زيتب بنت الطثريه : ٤٣.

(س)

سحيم بن وثيل الرياحي : ١٣٦.

السموعل بن عاديه : ١٣٠، ١٥٩.

السيد الحميري : ٦٠.

(ش)

شيب بن البرصاء : ١٤٣.

الشريف الرضي أبو الحسن محمد بن الحسين : ٩١، ٩٧.

(ص)

صلاح الدين الصفدي : ٢٥.

الصمة القشيري : ٢٠٤، ٢٠٥.

(ض)

ضرار بن الخطاب الفهري : ١١٧.

(ط)

طرفة بن العبد : ١١٠، ٢٦.

الطرماح بن حكيم الطائي : ٩٧، ١٤٩، ١٦١.

(ب)

الباخرزي = أبو الحسن علي بن الحسن.

البحتري : أبو عبادة : ١١٠، ١٢٣، ١٤٣، ٢٨١، ٢٨٣، ٢٨٤.

بشار بن برد : ١٣٥.

بشامة بن جزء : ٤٠.

(ج)

جرير : ٢٥١.

(ح)

الحجاج بن يوسف الثقفي : ١٧٢.

حسان بن ثابت : ١٦١، ٢٣٥.

الحيص بيص : ٢٠٤، ٢٠٥.

(د)

ديك الجن = عبد السلام بن رغبان : ١٤٨.

(ر)

الراعي = عبيد بن حصين بن معاوية بن جندل : ٢٧٨.

ربيعة بن عبيد بن سعد : ١٧٨.

رؤبة : ٢٥٦.

(ل)

لبيد بن ربيعة : ٢٦٩.

(م)

المتّمس : ١٣٦.

المتبّي = أبو الطيب.

الموكّل بن عبد الله الليثي^(١) : ١٦٠، ١٦١.

محمد بن وهب : ١٧٨.

المتشرّب بن وهب الباهلي : ١٥٠.

المتخلّ اليشكري : ٢٦٨.

(ن)

التابعة الذبياني : ١٥٢، ٣٢.

نهشل بن حوي : ١٤٢.

(هـ)

الهيثم بن الربيع : ٦١.

(ع)

عامر بن الحارث بن رباح : ١٥٠.

عبد السلام بن رغبان = ديك الجن.

عيّد بن الأبرص : ١٧٢.

عيّد بن حصين بن جندل : ٢٧٨.

عثمان بن محمد الكلبي الأشهي : ١٥٢.

العجز السلوبي : ٢٥٢.

عروة بن حزام : ١٠٠.

عليّ بن جبلة : ٢٧٧، ٢٧٨.

عمر بن أبي ربيعة : ١٠٧.

عمرو بن الإطناية : ٤٧، ٥٩.

(غ)

الغزّي = أبو إسحاق : ١٥٢.

(ق)

قطري بن الفجاعة : ٩٨، ٩٩.

قيس بن الخطيم : ١١٧.

(كـ)

كعب بن مالك الأنصاري : ١١٧.

الكبيت : ٩٧.

(١) وورد في صفة ١٦١ الموكّل بن نهشل بن مسافع الليثي.

مراجع التحقيق

- ١ - القرآن الكريم .
- ٢ - أخبار أبي تمام : الصولي . تحقيق الأساتذة : خليل عساكر ، ومحمد عبده عزام ، ونظير الإسلام الهندي . مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ١٣٥٦هـ - ١٩٣٧ م .
- ٣ - الأغاني : الأصفهاني . طبعة الساسي وطبعه دار الكتب المصرية .
- ٤ - الأصمعيات : تحقيق : أحمد شاكر ، وعبد السلام هارون . دار المعارف بمصر .
- ٥ - الأمالي : القالى . طبعة دار الكتب المصرية ١٣٤٤هـ .
- ٦ - أمالي الشريف المرتضى : مطبعة السعادة ١٣٠٥هـ .
- ٧ - البداية والنهاية : ابن كثير . مطبعة السعادة بـ مصر ١٣٥١هـ - ١٩٣٢ م .
- ٨ - البيان والتبيين : الباحظ . تحقيق عبد السلام هارون .
- ٩ - تاريخ بغداد : الخطيب البغدادي . مطبعة السعادة بـ مصر ١٣٤٩هـ - ١٩٣١ م .
- ١٠ - تاريخ الرسل والملوك : الطبرى . المطبعة الحسينية بالقاهرة .
- ١١ - تأویل مشکل القرآن : ابن قتيبة . تحقيق سید احمد صقر .
- ١٢ - الجامع الكبير في صناعة المنظم من الكلام والمشور : ابن الأثير . تحقيق الدكتور مصطفى جواد والدكتور جميل سعيد . مطبعة المجمع العلمي العراقي .

- ١٣ — جواهر الألاظط : قدامة بن جعفر . تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد
مطبعة السعادة بمصر ، ١٩٣٢ م.
- ١٤ — خزانة الأدب : البغدادي . تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد .
- ١٥ — الخصائص : ابن جني . مطبعة الملال بمصر ١٣٣١ هـ ١٩١٣ م.
- ١٦ — دلائل الإعجاز : عبد القاهر الجرجاني . مطبعة المنار بمصر ١٢٣١ هـ ١٩١٠ م.
- ١٧ — ديوان ابن الرومي :
- (١) شرح محمد شريف سليم . مطبعة الملال ١٣٣٥ هـ ١٩١٧ م .
- (٢) طبعة كامل كيلاني ، وعبد الرحمن خليفة .
- ١٨ — ديوان ابن نباتة : نشر محمد القلقيلي .
- ١٩ — ديوان أبي تمام :
- (١) بشرح الخطيب التبريزى : تحقيق الدكتور محمد عبده عزام
مطبعة دار المعارف .
- (٢) طبعة صبيح .
- (٣) طبعة محمد جمال .
- ٢٠ — ديوان أبي نواس :
- (١) تحقيق أحمد الغزاوى مطبعة مصر ١٩٣٥ م .
- (٢) طبعة المطبعة العمومية بالقاهرة ١٨٩٨ م .
- ٢١ — ديوان الأخطل : تحقيق الألب أنطون صالحاني .
- ٢٢ — ديوان الأعشى الكبير . تحقيق محمد حسين . النموذجية بالقاهرة ١٩٥٠ م .
- ٢٣ — ديوان امرىء القيس . تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم . دار المعارف .

- ٢٤ — ديوان أمية بن أبي الصلت : المطبعة الوطنية بيروت .
- ٢٥ — ديوان البحترى : مطبعة هندية بمصر ١٣٢٩ - ١٩١١ م.
- ٢٦ — ديوان جرير : نشر عبد الله الصاوي . مطبعة الصاوي بمصر .
- ٢٧ — ديوان جميل : تحقيق بطرس البستاني . مكتبة صادر بيروت .
- ٢٨ — ديوان حسان بن ثابت : تحقيق عبد الرحمن البرقوقي . المطبعة الرحانية بمصر ١٣٤٧ - ١٩٢٩ م.
- ٢٩ — ديوان الخطيبة بشرح ابن السكيت والسكري والسبستاني : تحقيق نعan طه .
- ٣٠ — ديوان الحماسة لأبي تمام . شرح المرزوقي : تحقيق أحمد أمين وعبد السلام هارون : مطبعة بلنة التأليف ١٣٧٢ - ١٩٥٣ م.
- ٣١ — ديوان ذي الرمة : المكتبة الأهلية ١٩٣٤ م .
- ٣٢ — ديوان سقط الزند : بشرح التنوير : المطبعة التجارية الكبرى .
- ٣٣ — ديوان الشريف الرضي :
(١) المطبعة الأدبية بيروت ١٣٠٩ هـ
(٢) مطبعة الخليجي بمصر .
- ٣٤ — ديوان الصوالي .
- ٣٥ — ديوان العباس بن الأحنف : طبعة الجواب ١٢٩٧ هـ .
- ٣٦ — ديوان عمر بن أبي ربيعة : تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد ، مطبعة السعادة بمصر .
- ٣٧ — ديوان عنترة بن شداد : تحقيق : عبد المنعم شلبي وإبراهيم الإباري .

- ٣٨ — ديوان الفرزدق : نشره عبد الله الصاوي . مطبعة الصاوي بمصر .
- ٣٩ — ديوان القاضي الأرجاني : طبعة بيروت .
- ٤٠ — ديوان كثير عزة : طبعة المخازن .
- ٤١ — ديوان المنبي : بشرح عبد الرحمن البرقوقي . الطبعة الثانية .
- ٤٢ — ديوان مسلم بن الوليد : تحقيق الدكتور سامي الدهان . دار المعارف بمصر .
- ٤٣ — ديوان المعاني : أبو هلال العسكري ، القاهرة حسام الدين القدسي ،
- ١٣٥٢ هـ .
- ٤٤ — ديوان مهيار الديلمي : دار الكتب بمصر ١٣٤٩ هـ - ١٩٣٠ م
- ٤٥ — ديوان النابغة الذبياني :
- (١) طبعة مصر ١٩٠٠ م .
- (٢) ضمن مجموعة دواوين طبعة المطبعة الأهلية بيروت .
- ٤٦ — رسائل ابن الأثير : تحقيق أنيس المقدسي . بيروت ١٩٥٩ م .
- ٤٧ — زهر الآداب : للحصرى . تحقيق على البحاوى . مطبعة الحلبي
- ١٣٧٢ هـ - ١٩٥٣ م .
- ٤٨ — سر الفصاحة لابن سنان الخفاجي . تحقيق علي فودة . المطبعة
الرحانية ١٣٥٠ هـ - ١٩٣٢ م .
- ٤٩ — سيرة ابن هشام . تحقيق : مصطفى السقا ، وإبراهيم الإباري ،
وعبد الحفيظ شلي .
- ٥٠ — شدرات الذهب في أخبار من ذهب . ابن العاد الحلبي . القدسي
- ١٣٥٠ هـ .
- ٥١ — الشعر والشعراء . ابن قتيبة :

- (١) تحقيق أحمد شاكر . مطبعة الحلبي ١٣٧٠ هـ .
- (٢) طبعة الحلوجي ١٣٣٢ هـ .
- ٥٢ - صبح الأعشى : القلقشندى . مطبعة دار الكتب المصرية .
- ٥٣ - صحيح البخاري : مطبعة الحلبي ١٣٧٢ هـ - ١٩٥٣ م .
- ٥٤ - الصناعتين : أبو هلال العسكري . تحقيق على البعاوي ، ومحمد أبو الفضل إبراهيم .
- ٥٥ - طبقات الشعراء : ابن سلام . تحقيق الأستاذ محمود محمد شاكر . مطبعة دار المعارف بمصر .
- ٥٦ - طبقات الشعراء : ابن المعتر . تحقيق الأستاذ عبد الستار فراج . دار المعارف هـ
- ٥٧ - العقد الفريد : ابن عبد ربه . تحقيق أحمد أمين وأحمد الزين وإبراهيم الإيباري . مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ، ١٩٤٩ - ١٩٤١ م .
- ٥٨ - فوات الوفيات : ابن شاكر . تحقيق الأستاذ محمد محبي الدين عبد الحميد . مطبعة السعادة بمصر ١٩٥١ م .
- ٥٩ - القاموس المحيط : الفيروزابادي . المطبعة الحسينية بمصر ١٣٤٤ هـ .
- ٦٠ - الكامل في التاريخ : ابن الأثير . إدارة الطباعة المنيرية بمصر ١٣٥٣ هـ .
- ٦١ - اللباب في الأنساب : ابن الأثير . القدسى ١٣٥٧ هـ .
- ٦٢ - لزوم مالا يلزم : أبو العلاء المعري ، مطبعة الشرقيين الأدبية مصر ، ١٩٣٠ م .

- ٦٣ - لسان العرب : ابن منظور . المطبعة الأميرية ، ١٣٠٧ - ١٣٠٠ هـ .

٦٤ - مجمع الأمثال : الميداني . المطبعة الخيرية ب القاهرة ١٣١٠ هـ .

٦٥ - المختار من رسائل أبي إسحاق الصابي : المطبعة العثمانية ب لبنان ، ١٨٩٨ م .

٦٦ - مروج الذهب : المسعودي . المطبعة البهية المصرية ١٣٤٦ هـ .

٦٧ - معاهد التصصيص على شواهد التلخيص . العباسي . تحقيق محمد عزي الدين عبد الحميد . مطبعة السعادة بصر .

٦٨ - معجم الأدباء : ياقوت . طبعة (دار المأمون) بالقاهرة ١٣٥٥ هـ .

٦٩ - معجم البلدان : ياقوت . طبعة القاهرة ١٣٣٣ هـ .

٧٠ - مقامات الحريري : المطبعة الحسينية بمصر ١٣٤٨ هـ - ١٩٢٩ م .

٧١ - الموازنة بين أبي تمام والبحتري : الأدمي . دار المعارف بمصر ١٩٦١ م .

٧٢ - الموشح : المرزباني . السلفية ١٣٤٣ هـ .

٧٣ - نرفة الألباء في طبقات الأدباء : الأنباري . طبع جمعية إحياء مآثر العرب .

٧٤ - التقائض : رواية أبي عبيدة . ليون ١٩٠٥ م .

٧٥ - النهاية : ابن الأثير . مطبعة عثمان عبد الرازق بمصر ١٣١١ هـ .

٧٦ - الهاشيميات : الكمي . مطبعة شركة التمدن ١٣٣٠ هـ .

٧٧ - الوساطة بين المتباين وخصومه : علي بن عبد العزيز الجرجاني . تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم وعلى البحاوي .

٧٨ - وفيات الأعيان . ابن خلكان : المطبعة الميمنية بالقاهرة ١٣١٠ هـ .

٧٩ - يتيمة الدهر : التعالي . مطبعة الصاوي بالقاهرة ١٩٣٥ م .

فهرس الموضوعات

صفحة	الموضوع
	مقدمة الطبعة الثانية ٥
	كتاب الفلك الدائر على المثل السائر ٧
	الطابع العام لنقد ابن أبي الحديد ٩
	نماذج من الأصل ١٧
	ابن أبي الحديد ٢١
	حياته ٢١
	مؤلفاته ٢٢
	شعره ٢٣
	خطبة الكتاب ٢٩
	مقدمة ابن أبي الحديد ٢١

السائل الذى عرض لها :

٣٣	التعبير عن الحمد ٣٣
	تعليم البيان ٣٣
	عطف الفعل على الاسم ٣٤
	ادعاء فضيلة الإحسان ٣٤
	موضوع علم النحو ٣٥
	تفسر الأشعار ٣٦

صفحة	الموضوع
٣٧	علاقة الأدب بالعلوم
٣٨	أثر العلامة الإعرابية في فهم المعنى
٣٨	تصغير الاسم الجمسي
٣٩	هل غلط أبو نواس في استعمال فعلتي؟
٤١	هل غلط أبو تمام في استعمال اطأدت؟
٤١	هل لحن أبو نواس في المستنى؟
٤٢	هل خفي على المتنبي الجمع في حال الثنوية؟
٤٣	الحاجة إلى الإدغام
٤٣	الترادف
٤٤	الاشتراك
٤٤	علاقة المشتركة بالتجنيس
٤٧	هل في القرآن كلامات مشتركة؟
٤٨	هل الأسماء المشتركة من وضع قبائل مختلفة؟
٤٩	حد المثال
٥٠	بين ابن أبي الحديد والقاضي القاضل
٥٢	فائدة من فوائد معرفة الإدغام
٥٢	تأويل اللفظ في المعنى وضده
٥٤	تفسير بيت للمتنبي
٤٨	تفسير بيت آخر له
٦٢	ما يدل على الشيء وغيره من القرآن الكريم
٦٣	تفسير يدل على الشيء وغيره

الموضوع	صفحة
تعمير آخر يدل على الشيء وغيره	٦٤
تعمير من التوراة يتحمل وجهاً	٦٥
تعمير لأفلاطون يتحمل وجهاً	٦٦
بيت لأبي حضر المذلي يتحمل وجهاً	٦٦
لا علاقة بين الكهانة والوزن	٦٨
الفرق بين الترجيح اليباني والترجيح الفقهي	٦٨
وسيلة الترجيح بين الحقيقة والمحاز	٦٩
بيان الترجيح بين الحقيقة والمحاز	٧٠
دلالة القرينة الدقيقة على مراد المتكلم	٧٣
دلالة القرينة المتقدمة على المعنى المراد	٧٥
حد الحقيقة	٧٧
الفرق بين الحقيقة والمحاز اعتماداً على تبادر الأفهام	٧٩
الفرق بينهما جواز الحقيقة على العموم في نظائرها	٨١
هل لكل محاز حقيقة؟	٨٢
الفرق بين الصصاحة والبلاغة	٨٣
رأي ابن أبي الحديد في حد الصصاحة	٨٥
هل الصصاحة مختصة بالألفاظ دون المعاني؟	٨٦
علاقة الصصاحة بالكلام المركب	٨٧
ما معنى الفصيح؟	٨٨
الدليل والتعليل في علم البيان	٨٩

صفحة	الموضوع
٩٠	نثر المنظوم
٩١	أمثلة من كلام ابن الأثير
٩٤	أمثلة من كلام ابن أبي الحديد
٩٤	فصل في التهئة بعيد
٩٥	فصل في لقاء عدو
٩٦	فصل في وصف منهزم
٩٧	فصل في الصفح عن الجرائم
٩٨	فصل في ذكر المراسلة
٩٨	فصل
٩٩	فصل
٩٩	فصل في ذكر معقل
١٠٠	مثال من كلام ابن الأثير في حل بيتين
١٠١	فصل من كلام ابن أبي الحديد
١٠٢	فصل في صفة جيش
١٠٣	فصل
١٠٤	فصل في نثر للمنتبي
١٠٥	فصل في صفة السيف
١٠٦	فصل
١٠٦	فصل في العتاب
١٠٧	فصل في ذكر السبابا

صفحة	الموضوع
١٠٨	فصل في ثغر بيت للمني ...
١٠٩	فصل ...
١١١	فصل ...
١١٢	فصل ...
١١٣	فصل ...
١١٤	فصل في حل بيت للمني
١١٥	فساطط مصوّر ...
١١٦	فصل ...
١١٧	فصل ...
١١٨	فصل ...
١١٩	فصل ...
١٢٠	فصل في هيئة عسکر ...
١٢٠	فصل ...
١٢١	فصل في ذكر الدنيا ...
١٢٢	فصل ...
١٢٣	فصل في صفة الخيل ...
١٢٤	الترصيح بالآيات القرآنية وغيرها ...
١٢٤	أمثلة من كلام ابن أبي الحديد ...
١٦٣	تباعد خارج حروف اللفظة ...
١٦٤	أوزان متقاربة المخارج وهي غير مستحبة ...

صفحة	الموضوع
١٦٦	هل الظرف يختص باللسان ؟
١٦٦	هل طول اللفظة يقبحها ؟
١٦٨	تكرير المعنى في السجعة الثانية
١٧٠	أنواع التصريح
١٧٧	من أنواع التجنيس
١٧٨	نوع آخر منه
١٧٨	الموازنة
١٧٩	الصناعة المعنوية
١٨١	الدول عن الحقيقة إلى المجاز
١٨٣	بين التشبيه والتوكييد
١٨٤	متى يُؤْتَى بالتوكييد ؟
١٨٥	الاتساع
١٨٦	تقسيم الغرالي للمجاز
١٨٧	القسم الأول: تسمية الشيء باسم ما يشاركه في الخاصية
١٨٧	القسم الثاني: تسمية الشيء باسم ما يتول إليه
١٨٩	القسم الثالث: تسمية الشيء باسم فرعه
١٩٠	القسم الخامس: تسمية الشيء بما يدعو إليه
١٩١	القسم السادس: تسمية الشيء باسم مكانه
١٩١	القسم السابع: تسمية الشيء باسم ما يجاوره
١٩٢	القسم الثامن: تسمية الشيء باسم جزءه

الموضوع

صفحة

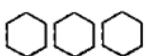
القسم التاسع: تسمية الشيء باسم ضده ١٩٣	
القسم العاشر: تسمية الشيء بفعله ١٩٤	
القسم الحادي عشر: عشر تسمية الشيء بكله ١٩٥	
القسم الثاني عشر: الزيادة في الكلام بغیر فالدة ١٩٧	
القسم الثالث عشر: تسمية الشيء بحكمه ١٩٩	
القسم الرابع عشر: النقصان الذي لا يبطل به المعنى ٢٠١	
في شروط بلاغة التشبيه ٢٠١	
التجريد ٢٠٣	
حول رأي أبي علي الفارسي في التجريد ٢٠٥	
رد على أبي علي ودفاع عنـه ٢٠٦	
رد آخر ودفاع ٢٠٦	
اعتراض على أبي علي ورد على الاعتراض ٢٠٧	
الالتفات ٢٠٩	
الغرض منه عند الرمخنثري ٢١٠	
اعتراض على الرمخنثري و الدفاع عنه ٢١٢	
توكيد الضمير المتصل ٢١٣	
توكيد المتصل بالمتصل ٢١٤	
العام والخاص ٢١٥	
الفرق بين (ذهب الله بنورهم) وأذهب الله نورهم ٢١٨	
نفي الجنس ٢٢٠	
(الفلك الداير— م ٢٢)	

صفحة	الموضوع
٢٢٢	في قوله تعالى : (لا يغادر صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها)
٢٢٥	في قوله تعالى : (فلا تقل لها أَفَ وَلَا تهْرِهَا)
٢٢٦	الترقي من الأدنى إلى الأعلى
٢٢٧	بيت لأبي تمام
٢٢٨	تقديم المفعول على الفعل للاختصاص
٢٢٩	آية قرآنية
٢٣٠	اعتراض على الزمخشري ودفع عنه
٢٣١	آية قرآنية
٢٣٢	تقديم خبر المبتدأ للاختصاص
٢٣٤	آية قرآنية
٢٣٥	آية قرآنية
٢٣٩	تقديم الظرف للاختصاص في الإلبات
٢٤٠	تقديم الظرف في النفي قد يكون التفضيل
٢٤٢	تقديم الحال للاختصاص
٢٤٣	تقديم الاستثناء للاختصاص
٢٤٤	الفاء ليست للفَوْر بل للتعليق
٢٤٥	آيات قرآنية
٢٤٧	ألفاظ المبالغة والتکثير
٢٤٩	متى يجوز حمل اللفظة على التضعيف الذي يفيد المبالغة ؟ ...
٢٥٠	هل «علم» أبلغ في المعنى من «علم» ؟

صفحة	الموضوع
٢٥٢	تطويل لا حاجة إليه
٢٥٤	تفسير بيت لأبي تمام
٢٥٦	رواية في بيت لأبي نواس
٢٥٧	تقدير المخوف في بعض آيات قرآنية
٢٥٨	هل حذف الفاعل لا يجوز؟
٢٦٠	متى يحذف الفعل؟
٢٦٠	حذف الفعل قسمان
٢٦٢	ما العامل في البدل؟
٢٦٢	التكلير
٢٦٣	آلية قرآنية
٢٦٥	الغرض من التكرير
٢٦٧	رأي في معنى الواو في قوله تعالى (وبعد إدار جنم)
٢٦٧	آياتان قرآتستان
٢٦٧	تعليق آخر على آلية الصوم
٢٦٨	تعليق ثالث
٢٦٨	عطف المترادفين
٢٦٩	حد الكتابة
٢٧٣	حد الألغاز والأحادجي
٢٧٤	مناسبة التحميدات لمعنى الكب السلطانية
٢٧٧	المطابقة
٢٧٧	ترتيب التفسير

صفحة	الموضوع
٢٧٨	نقد الأعشى
٢٧٩	الفرق بين المترسل والشاعر
٢٨٢	الفرق بين الشعرا و موضوعات المترسلين
٢٨٥	الفرق بين الشعرا و موضوعات المترسلين في رأى ابن الأثير
	فهرس الكتاب :

٢٨٩	أولاً : فهرس الآيات القرآنية
٢٩٦	ثانياً : فهرس الأحاديث النبوية
٢٩٧	ثالثاً : فهرس الأمثال
٢٩٨	رابعاً : فهرس قوافي الآيات
٣١٢	خامساً : فهرس أنصاف الآيات
٣١٣	سادساً : فهرس الأعلام
٣٢٣	سابعاً : فهرس الشعرا
٣٢٧	مراجع التحقيق
٣٣٣	فهرس الموضوعات



عن محمد الله كتاب
الفلک الارضی لبلل السائر

الطبعة الثانية

من إصدارات جـلـدـر دـارـالـرـفـاعـي

* الجغرافيا في نسب النبي وأصحابه عشرة

موسوعة في الأنساب والتراجم والمتاریخ والأدب
تأليف: محمد بن أبي بكر الشهير بالبرعي وتحقيق الدكتور محمد التوني

* المثل السائـر في أدب الكاتب والـسـاعـر

أشهر كتاب في صناعة المبالغة والنقد الأدبي
تأليف: ضياء الدين بن الأثير وتحقيق الدكتور أسماء المخوفي
والدكتور بدوي طبانه

* الطبقات السننية في تراجم الغنفية

واسع كتاب في تراجم أئمة أهل حنفية
تأليف: شفي الدين التميمي وتحقيق الدكتور عبلان الحلو

* وقـرـبـاـيـعـ أـوـلـىـ مـعـجـمـ منـ فـرـعـهـ :

معجم مصنفات القرآن الكريم
تأليف: الدكتور علي شواخ إسحاق

دار الرفاعي

ص.ب. ١٥٩٠ - الرياض ١١٤٤١
ت : ٤٧٧٧٤٦٩

١٩٩٣



المملكة العربية السعودية - تلفون ٤٧٧٧٢٦٩ - برقية دار الرفاعي

الريلانس { ص.ب ١٥٩٠ الملاز
الرمز ١٤٤١ }

منشورات دار الرفاعي بالرياض

مطابع الفرزدق التجارية	
TEL { 4788510	ALMALZ ٤٧٨٨٥١٠
4824983 AL-DIRAYAH	تلفون ٤٨٢٤٩٨٣ الملاز
P.O. Box: 1798 Riyadh ١١٤٤١	ص.ب ١٧٩٨ الملاز ١١٤٤١
Saudi Arabia	المملكة العربية السعودية